



٢٢

البيان في المغرب

في أخبار الأندلس والمغرب

لابن عذاري المراكشي

الجزء الأول

تحقيق ومراجعة

إ. ليفي بروفنسال

و

ج. س. كولان

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة

١٩٨٣

فَهْرَسُ الْأَبْوَابِ وَالْفُصُولِ

١	مَقْدَمَةُ الْمَوْلَفِ
٥	ذِكْرُ حَدِّ الْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةٍ وَمَا اتَّصَلَ بِهِمَا وَعُدَّ مَعَهُمَا
٦	ذِكْرُ فَضْلِ الْمَغْرِبِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ
٨	ابْتِدَاءُ التَّارِيخِ: سَنَةُ ٢١ مِنَ الْهِجْرَةِ
٨	فَتْحُ إِفْرِيقِيَّةٍ لِلْإِسْلَامِ
٩	بَعْضُ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ وَإِمْرَتِهِ
١٠	ذِكْرُ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لِحُرْجِيرِ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ كُلِّهِ
١٧	أَخْبَارُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُذَيْفٍ الْكِنْدِيِّ بِإِفْرِيقِيَّةٍ
١٩	ذِكْرُ وَلايَةِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ إِفْرِيقِيَّةٍ وَغَزْوَاتِهِ فِيهَا وَاجْتِطَاطُهُ مَدِينَةَ الْقَيْروَانِ
٢١	وَلايَةُ أَبِي الْمَهَاجِرِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَعُزْلُ عُقْبَةَ
٢٣	ذِكْرُ فَتْحِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَلَى يَدِ عُقْبَةَ وَغَزْوَاتِهِ
٢٨	ذِكْرُ وَفَاةِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ
٢٢	ذِكْرُ مُحَارَبَةِ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسِ الْبَلَوِيِّ مَعَ كُسَيْلَةَ بْنِ لُزَمِ الْبَرْنَسِيِّ
٢٢	خُرُوجُ رُمَيْسٍ إِلَى بَرْقَةِ وَكَيْفِيَّةٍ مَقْتَلِهِ بِهَا
٢٤	وَلايَةُ حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ
٢٤	بَعْضُ أَخْبَارِ حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ
٢٥	خَبَرُ حَسَّانَ مَعَ الْمَلِكَةِ الْكَاهِنَةِ وَهَزِيمَتِهَا لَهُ
٢٧	ذِكْرُ مَقْتَلِ الْكَاهِنَةِ الْمَلِكَةِ
٢٩	ذِكْرُ وَلايَةِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ، وَبَعْضُ أَخْبَارِهِ
٤٢	فَتْحُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ
٤٧	وَلايَةُ مُحَمَّدَ بْنِ يَزِيدٍ إِفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ
٤٩	وَلايَةُ يَشْرَ بْنِ صَفْوَانَ إِفْرِيقِيَّةٍ
٥٠	وَلايَةُ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ إِفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ
٥١	وَلايَةُ عُبَيْدَةَ اللَّهِ بْنِ الْحَبَّابِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ كُلِّهِ

- ولاية كلثوم بن عياض إفريقية ومقاتلته مع أمير الغرب خالد بن حميد الزناتي . . . ٥٤
- ذكر برغواطة وارتدادهم عن الإسلام . . . ٥٦
- ولاية حنظلة بن صفوان إفريقية والمغرب كله . . . ٥٨
- انتزاع عبد الرحمن بن حبيب الفهري بإفريقية وبعض أخباره . . . ٦٠
- بقية أخبار عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية . . . ٦٧
- مقتل عبد الرحمن . . . ٦٧
- ولاية الياس بن حبيب إفريقية . . . ٦٨
- ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه الياس ونقله على بلاد إفريقية . . . ٦٩
- ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية . . . ٧٢
- ثورة عيسى بن موسى بالقيروان وبعض بلاد إفريقية . . . ٧٣
- ولاية الأغلب بن سالم التميمي . . . ٧٤
- ولاية عمرو بن حفص بن قبيصة إفريقية . . . ٧٥
- ولاية يزيد بن حاتم إفريقية والمغرب . . . ٧٨
- ولاية داود بن يزيد بن حاتم إفريقية . . . ٨٢
- ذكر ابتداء الدولة الماشقية بالبلاد الغربية، وهم الأدارسة . . . ٨٢
- ولاية رزح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب إفريقية . . . ٨٤
- ولاية نصر بن حبيب المهلب إفريقية . . . ٨٥
- ولاية هرثة بن أعين إفريقية . . . ٨٩
- ولاية محمد بن مقاتل العكي إفريقية . . . ٨٩
- ثورة تمام بن تميم التميمي على محمد بن مقاتل العكي . . . ٩٠
- ولاية إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي إفريقية . . . ٩٢
- ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية . . . ٩٥
- ذكر ولاية زيادة الله بن الأغلب إفريقية وبعض أخباره . . . ٩٦
- ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية . . . ١٠٧
- ولاية العباس بن الفضل جزيرة صقلية . . . ١١١
- ولاية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب إفريقية . . . ١١٢
- ولاية زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية . . . ١١٣
- ولاية أبي الفرائق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب . . . ١١٤
- ولاية إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب . . . ١١٦
- ثورة الدرام على إبراهيم بن أحمد . . . ١٢٠

- ج -

١٢٤	ابتداء الدولة العبيدية الشيعية
١٢٥	قصة ابن الأغلب مع الشيخ الصالح أبي الأحوص
١٢٦	أخبار إبراهيم بن أحمد على الحملة ووفاته
١٢٧	ولاية أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد وسيرته
١٢٨	مقتل أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد
١٢٩	ولاية زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب
١٣٠	ذكر خروج بني الأغلب من إفريقية
١٣١	هروب زيادة الله من رقادة

١٣٢	ذكر دولة الشيعة
١٣٣	ذكر توجه الداعي إلى سملاسة واجتماعه مع عبيد الله الشيعي بها
١٣٤	التعريف بأمر سملاسة من حين ابتدائها إلى سنة ٢٩٧
١٣٥	ذكر وصول عبيد الله الشيعي إلى رقادة وتذكّر من أخباره وما قيل في نسبه
١٣٦	ذكر قتل عبيد الله الشيعي لأبي عبد الله الشيعي وأبي زكّ
١٣٧	خروج أبي القاسم الشيعي لمحاربة مصر
١٣٨	تلخيص أخبار أمراء مدينة تكور من حين بنائها على الحملة إلى سنة ٣٠٥
١٣٩	ذكر مدينة جراوة
١٤٠	ذكر مدينة تيهرت
١٤١	ذكر من ملك مدينة تيهرت من حين ابتدائها من بني رستم وغيرهم
١٤٢	ذكر افتتاح مدينة سبتة بالعدوة
١٤٣	ذكر من ولي سملاسة من حين فتحها الشيعي
١٤٤	ذكر ولاية أبي القاسم بن عبيد الله إفريقية

١٤٥	ذكر أخبار الأدارسة وسبب دخولهم إلى المغرب وبنائهم مدينة فاس، ومن وليها منهم
١٤٦	ومن غرهم إلى سنة ٣٢٣

١٤٧	أخبار أبي يزيد مخلّد بن كيداد البعري الزناتي
١٤٨	ولاية إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي
١٤٩	ولاية معبد بن إسماعيل المعير لدين الله العبيدي
١٥٠	خير برغواطية

ابتداء الدولة الصنهاجية بإفريقية: ولاية أبي الفتح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي

إفريقية ٢٢٨

ولاية العزيز بالله زرار ٢٢٩

ذكر مدينة أصيلاً ٢٢٢

ذكر من ولي مدينة البصرة ٢٣٥

ولاية أبي الفتح المنصور بن أبي الفتح إفريقية ٢٣٩

مقتل الناصر أبي الفهم ٢٤٣

إمارة أبي مناد باديس بن أبي الفتح يوسف بن زيري بن مناد ٢٤٧

ذكر هزيمة عسكر إفريقية واستيلاء زيري بن عطية عليه وظهور زناتة على صنهاجة ٢٤٩

بعض أخبار زناتة ودولتهم بالغرب الى حين ظهور المرابطين ٢٥٢

ذكر وفاة نصير الدولة باديس بن المنصور ٢٦٦

ولاية المعز بن باديس إفريقية ٢٦٧

ذكر قيام المعز شرف الدولة بالإمارة وقطعه الدعوة العبيدية الشيعية من إفريقية ٢٧٣

ذكر السبب في قطع الدعوة العبيدية من الخطبة بالقبروان وغيرها ٢٧٧

ذكر وقوع التصريح بلعنهم في الخطب بجميع إفريقية وخلعهم ٢٧٧

ذكر تبديل السكة عن أسماء بني عبيد ٢٧٨

ذكر ولاية العهد لنسيم بن المعز بن باديس ٢٧٩

ذكر ما قبل في أخبار بني زيري ٢٨١

ذكر طرف من الفتنة العظيمة ودمار القبروان ٢٨٨

ذكر هزيمة العرب للمعز بن باديس ٢٨٩

نُبذ من وقعة باب تونس أحد أبواب القبروان ٢٩٢

هزيمة صنهاجة أيضاً بجبل حيدران وهزيمة المعز بن باديس من وجه آخر ٢٩٢

بعض أخبار المعز بن باديس ٢٩٥

حكاية في ابتداء دولة صنهاجة ٢٩٦

دولة الأمير نعيم بن المعز ونُبذ من أخباره ٢٩٨

ذكر دخول النصارى مدينة المهديّة ٣٠١

بعض أخبار نعيم بن المعز ٣٠٣

دولة يحيى بن نعيم بن المعز ونُبذ من أخباره وسيره ٣٠٤

دولة علي بن يحيى بن نعيم بن المعز بالمهديّة وبعض بلاد إفريقية ٣٠٦

- دولة حسن بن علي بن يحيى بن نعيم بن المعز بإفريقية ٤٠٨ .
- ذكر من ولي تونس من الأمراء من بعد زوال ملك المعز بن باديس منها . . . ٤١٥ .
- ذكر الأمراء والولاة بإفريقية لغكفاء بني أمية ٤١٧ .
- ذكر من ولي إفريقية للصفريّة ٤١٧ .
- ذكر من ولي إفريقية للإباضية ٤١٧ .
- ذكر من ولي إفريقية لبني العباس ٤١٧ .
- ذكر من ولي إفريقية من بني الأغلب ٤١٨ .
- ذكر من ولي إفريقية من الشيعة الصبيديّة ٤١٨ .
- ذكر من ولي إفريقية من صنهاجة القائلين بدعوة العبيديّة ومن ولايتهم . . ٤١٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وآله وصحبه

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُصَرِّفِ الْأَفْدَارِ، وَمُخْبِي الْأَنَارِ، وَالْمُتَعَالِي عَنِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَنْظَارِ،
الْمُسْتَنَزِهِ عَنِ تَمَثُّلِ الْأَوْهَامِ وَتَكْيِيفِ الْأَذْكَارِ؛ الَّذِي احْتَجَبَ بِحِجَابِ عِزِّهِ
وَقُدْرَتِهِ. فَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ؛¹ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُبَتُهُ
وَعِظَمَتُهُ رِقَابَ الْأَكَاكِسِرَةِ وَالْمَجَابِرَةِ وَالْأَشْرَارِ؛ الْعَالِمِ بِالْكَوْنَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمَا،
وَالْحَوَادِثِ مَعَ تَشْتَبِثِ أَوْصَافِهَا، وَكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ²؛ مُكَوِّرِ اللَّيْلِ عَلَى
النَّهَارِ، وَالنَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ مَا جَرَى الْفَلَكَ الدَّوَّارَ، وَجَعَلَهُمَا آتَيْنِ بَيْنَتَيْنِ لِنَتَفَكَّرَ
فِي الْعِظَةِ³ وَالْإِعْتِبَارِ؛ وَخَصَّ الْإِنْسَانَ بِفَضْلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِبْصَارِ، فَقَالَ - جَلَّ
وَتَعَالَى! - «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ⁴»؛ وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَرَّرَ عَلَيْهِ مَا
لَمْ يَلْحَقْ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ؛ وَأَرَاهُ مُتَفَكِّهًا فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لَهُمْ دَارَ انْتِقَالٍ، وَمَقَرَّ زَوَالٍ، وَجَعَلَ الْأَيَّامَ بَيْنَهُمْ دُورًا،
وَالْأَقْوَامَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بَدَلًا، ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْفَهَّارِ! نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَنْعَمَ
بِهِ عَلَيْنَا مِنْ الْهُدَايَةِ لِلنَّظَرِ فِي مَوَاقِعِ الْأَدِلَّةِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْغَنَّارُ! وَنَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى
الْمُخْتَارَ، الَّذِي اخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ وَخَتَمَ بِهِ الرُّسُلَ الْكَرَامَ الْأَبْرَارَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَصَحْبِهِ الْأَكْرَمِينَ الْأَخْبَارَ، وَسَلَّمْ كَثِيرًا!

وَبَعْدُ - جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ نَظَرِ فَاعْتَبَرَ، وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ! - فَإِنَّ خَيْرَ مَا
شُغِلْتُ بِهِ الْأَذْكَارُ وَالْأَفْكَارُ، وَنَحْدَثْتُ مَعَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، حِفْظُ مَا أَفَادَ مِنَ
الْعُلُومِ وَالْأَخْبَارِ، وَإِنَّ أَوْلَى مَا رَیَضْنَا بِهِ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ مُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ
وَالْأَخْبَارِ، وَمُذَاكَرَةُ الْأَدْبَاءِ ذَوِي الْهِمَمِ وَعُلُوِّ الْمِقْدَارِ، فَفِي مُجَالَسَتِهِمْ وَمُذَاكَرَتِهِمْ

1) Cor. VI, 103.

2) Cor. XIII, 9.

3) B. العِظَةُ.

4) Cor. LIN, 2.

ما يَسْحَرُ الدِّهْنَ وَيَنُورُ الْأَفْكَارَ؛ فَإِنْ فُتِدَتْ مَجَالِسُهُمْ، فَلَا عَوَظَ مِنْهَا غَيْرُ كِتَابٍ يَتَخَذُ جَلِيسَهُ، وَيَجِدُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أُنَيْسَهُ، وَيَتَنَسَّهَ رَوْضاً يَابِعَ الْأَزْهَارِ، وَإِذَا نَظَرَ اللَّيْسَبُ بِفَطْمَةٍ إِلَى أَصْنَافِ الْعِبَادِ، وَمُخْتَلِفِ الْأَبَادِ، أَغْنَاهُ ذَلِكَ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ، وَقَامَ لَهُ الْإِسْتِمَاعُ مَقَامَ الْمَعَانَةِ وَالِاسْتِخْبَارِ.

قال المؤلف: ولَمَّا كُنْتُ كَلِيفْتُ بِأَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ وَالْأَثَمَةِ وَالْأُمَرَاءِ بِالْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيَّةِ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْأَقْطَارِ، وَوَلَعْتُ بِالْمُنَاطَرَةِ فِي ذَلِكَ مَعَ الْفُضَلَاءِ وَالْأَخِلَاءِ ذَوِي الْأَقْدَارِ وَالْأَخْطَارِ، طَلَبَ بَعْضُهُمْ إِلَيَّ، مِمَّنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ عَلَى، أَنْ أَجْمَعَ لَهُ كِتَاباً مُفْرَداً فِي أَخْبَارِ مُلُوكِ الْبِلَادِ الْمَغْرِبِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ، وَلَا زَيْتِي فِي طَلَبِهِ مِرَاراً؛ فَلَمْ يُمَكِّنِي التَّوَقُّفُ فِي ذَلِكَ وَلَا الْاعْتِدَارُ، وَحَمَلَنِي عَلَى جَمْعِهِ وَتَأْلِيفِهِ حَمَلٌ اضْطَرَّارٌ لَا اخْتِيَارَ، فَجَمَعْتُ لَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بُدْأاً وَلَمَعاً مِنْ عَيُونِ التَّوَارِيخِ وَالْأَخْبَارِ، مِمَّا أَجْرَى اللَّهُ بِهِ تَصَارِيْفَ الْأَقْدَارِ، فِيمَا مَرَّ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارِ، فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْأَقْطَارِ: جَمَعْتُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ مُقْتَضِياً مِنْ غَيْرِ إِسْهَابٍ وَلَا إِكْثَارٍ، فَاقْتَضَيْتُ عَيُونَهَا، وَاقْتَضَيْتُ فَنُونَهَا، وَوَصَلْتُ الْحَدِيثَ بِالْقَدِيمِ^١، وَالْقَدِيمَ بِالْحَدِيثِ، لِأَنَّهُ، إِذَا اتَّصَلَ، يُسَنظَرُفُ وَيُسْتَحْلَى، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ [كامل مجزوء]:

وَسَمِعْتُ كُلَّ مَا رَأَيْتُ فَكَأَنَّ أَطْيَسَهَا خَبِيثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ فَأَيْسَهُ عِنْدَ اسْمِهِ أَبْدَأُ حَدِيثُ

فَنَقَلْتُ - وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ! - مِنْ تَأْرِخِ الطَّبَرِيِّ، وَالْبَكْرِيِّ، وَالزَّاقِقِيِّ، وَالْفُضَاعِيِّ، وَمِنْ كِتَابِ «الذَّيْل» لِابْنِ شَرَفٍ، وَمِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ، وَمِنْ «الْمَجْمُوعِ الْمُفْتَرَقِ»، وَمِنْ كِتَابِ «بَهْجَةِ النَّفْسِ وَرَوْضَةِ الْأَنْسِ»، وَمِنْ كِتَابِ «الِنِّبَاسِ»، وَ«الْمُقْتَبَسِ»، وَ«الْقَبَسِ»، وَمِنْ مُخْتَصَرِّي عَرِيبِ وَابْنِ حَبِيبٍ، وَمِنْ «دُرَرِ الْفَلَائِدِ وَغُرَرِ الْفَوَائِدِ»، وَمِنْ «الْفَلَائِدِ» وَ«الْمَطْمَحِ» لِابْنِ خَاقَانَ، وَمِنْ كِتَابِ ابْنِ حَزْمٍ، وَ«ذَخِيرَةِ» ابْنِ بَسَّامٍ، وَمِنْ «أَخْبَارِ

١) بالحديث B.

الدولة العامرية» لابن حيان، ومن كتاب «نقص الأنباء في سياسة الرؤساء»، ومن كتاب «الأنوار الجلية في الدولة المرابطية»، ومن «نظم الجبان في أخبار الزمان» لابن القطان، ومن كتابي الأشيري والبيدق¹، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحب الصلاة أبي مروان، ومن كتاب ابن رشيقي، ومن كتاب وجدته أو نعليقي، ومن شيوخ أخذت الأخبار الوقتية عنهم بتحقيق. والله الهادي الى سواء الطريق!

ولما كمل ما قبلته وجرّدته، جرّيته على ثلاثة أجزاء: كل جزء منها كتاب قائم بنفسه، ليكون لمطالعها أوضح بيان، وأسهل مرام لدى العيان. وسبّيته بالبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب.

أما الجزء الأول: فاختصرت فيه أخبار إفريقية من حين الفتح الأول، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رحمه -؛ ثم أخبار أمراءها من ولاة الخلفاء الأمويين، ومن دخل الغرب منهم، ومن قام بإفريقية من الصفرية والأباضية؛ ثم قام فيها بالدولة العباسية، ومن ملكها من بني الأغلب؛ وأخبار بني عبيد الشيعة؛ وأخبار زناتة والصنهاجيين وغيرهم، وكل ما اشتهر من أمرهم، الى حين انتقال العبيدية الى البلاد المصرية، واستخلافهم صنهاجة على إفريقية؛ ثم خلع صنهاجة لهم، واستبلاهم على إفريقية. ونذكر فتنة العرب² وأسبابها، ودخولهم الى القيروان وخرابها، وتنقل أمراء صنهاجة الى المهدية، ومن ملكها منهم، وما اشتهر في ذلك من الأخبار عنهم من ملوك المناديين، والحماديين، الى حين ظهور الموحدين. وأخصت في ذلك كله أخبار أمراء البلاد الغربية، ومن دخلها.....³ من أخبار الدولة العبيدية؛ وذكرت أخبار المذاريين السجلماسيين، والأمراء الإدريسيين، وأخبار البرغواطيين، والزنانيين، ومن ملك فاساً من زناتة المغراويين، ومن ولاة الخلفاء الأمويين الأندلسيين،

1) من كتاب الأشيري البندق B.

2) للعرب B.

3) Ici le texte présente

une courte lacune, due sans doute à l'inattention du copiste du ms. B.

على أَنَّ أخبار المغرب الأقصى أكثر من أن تُحصى ؛ لاكتى نَسَفَتْهَا نَسَقُ الْأَسْلَاحِ ،
وسَفَتْ مِنْ كَانَ فِيهِ عَلَى الْوَلَاءِ مِنَ الْأَمْلَاحِ ، مِنْ حِينَ فَتَحَهُ الْأَوَّلُ ، إِلَى حِينَ
ابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ الْمُرَابِطِيَّةِ .

وَالْجُزْءُ الثَّانِي : اخْتَصَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَمْلَاكِهَا الْغَابِرِينَ
الدُّرُسِ ، مِنْ حِينَ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ ؛ ثُمَّ مِنْ وَلِيَّهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ لِلْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ
بِالْمَشْرِقِ ؛ ثُمَّ مِنْ قَامَ بِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْفِهْرِيِّينَ ، إِلَى حِينَ دُخُولِ الْخُلَفَاءِ
الْأُمَوِيِّينَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ ؛ وَمَنْ قَامَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ . وَذَكَرْتُ بَعْضَ
أَخْبَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ فِي غَزَوَاتِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ ، إِلَى انْقِضَاءِ مَدَّتِهِمْ بَعْدَ ذِكْرِ حُجَّابِهِمْ
الْعَامِرِيِّينَ وَمَا أَثَرَهُمْ إِلَى حِينَ انْقِضَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ، وَقِيَامِ الْفِتْنَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ .
وَذَكَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ دَوْلِ الْخُلَائِفِ ، مِنَ الْيَهُودِيِّينَ ،
وَالْمُجَرَّبِيِّينَ ، وَالْجَمُورِيِّينَ ، وَالْعَبَّادِيِّينَ ، وَفَتَيَانَ الْعَامِرِيِّينَ ، وَالصَّهَابِيَّيْنَ ،
وَالزَّنَابِيَّيْنَ ، وَالْبَسْكَرِيِّينَ ، وَالْأَفْطَسِيِّينَ ، وَالصَّنَهَاجِيِّينَ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّوَسَاءِ
الْأَنْدَلُسِيِّينَ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ إِلَى حِينَ دُخُولِ لَمْتُونَةٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةِ ٤٢٨ .

وَالْجُزْءُ الثَّالِثُ : اخْتَصَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ الدَّوْلَةِ الْمُرَابِطِيَّةِ اللَّمْتُونِيَّةِ ، وَخُرُوجِهِمْ
مِنْ صَحْرَائِهِمْ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ ، وَاسْتِيلَائِهِمْ عَلَى مَمْلَكَةِ أُمَرَاءِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ،
وَحُلْمِهِمْ لَجْمِهِمْ ، وَتَعْلِيمِهِمْ عَلَى مَمْلَكَةِ كُلِّ مِنْهُمْ ، وَمَا تَسَنَّى لَهُمْ فِيهَا مِنَ التَّنُوحَاتِ
وَالْمُنُوحَاتِ ، إِلَى حِينَ ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ وَظُهُورِهِمْ ، وَنَبْذِهِمْ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ
ثُمَّ مَا كَانَ بَيْنَ أُمَرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ مُقَاتَلَاتٍ وَمُنَازَلَاتٍ ، وَحَصْرٍ مِنْ حَصْرٍ ،
وَنَصْرٍ مِنْ نَصْرٍ - سَمَحَ اللَّهُ لَهُمْ ! - وَذَلِكَ إِلَى حِينَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُرَابِطِيَّةِ ،
وَإِبْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ . ثُمَّ مَا نَحَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُوَحِّدِينَ مِنَ النُّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ،
وَمِنْ فُتُوحٍ وَمُنُوحٍ ، وَصُنْعِ عَجِيبٍ فِي الْبِلَادِ الْإِفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِيَّةِ ، إِلَى حِينَ
انْقِرَاضِ دَوْلَتِهِمْ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَحْدَاثٍ حَدَثَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْوَالٍ نُسِبَتْ إِلَيْهِمْ ؛
وَذَكَرْتُ الدَّوْلَةَ الْحَفْصِيَّةَ الْمُوَحِّدِيَّةَ الْهِنَاتِيَّةَ ، فِي الْبِلَادِ الْإِفْرِيقِيَّةِ ، وَالدَّوْلَةَ
الْيَهُودِيَّةَ الْمَتَوَكِّلِيَّةَ وَالنَّصْرِيَّةَ الْأَحْمَرِيَّةَ ، فِي الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، وَالدَّوْلَةَ السَّعِيدِيَّةَ

المَرِينِيَّة، في البلاد الغَرَبِيَّة؛ اُختَصِرَتْ من ذلك كُلُّهُ ما اشتهر أَمْرُهُ، وَأَمَكَنِي ذَكَرُهُ. وذكُرْتُ بعض البيعات والرسائل السُلْطَانِيَّات، وما تَعَلَّقَ بِهَا، وَكَانَ بِسَبِيلِهَا من الوقائع المذكورات، والأُمُور المشهورات؛ وذلك إلى انقضاء الدولة المُوَحَّدِيَّة، واستيلاء الإمارة اليوسُفِيَّة المَرِينِيَّة على حَضَرَتِهِم المَرَاكُشِيَّة؛ وذلك على مرور السِّتِينَ إلى عام ٦٦٧.

قال المؤلف - سَمَحَ اللهُ لَهُ - : فَإِنْ كُنْتُ اقْتَصَرْتُ، فِيمَا اُخْتَصِرْتُ، فَعُدُّرَا فِيمَا ظَهَرَ مِنْ تَقْصِيرٍ، وَبَاعَ قَصِيرًا؛ فَإِنَّ الذِّهْنَ كَلِيلٌ، وَالْقَلْبَ شَغِيلٌ. وَكُنْتُ قَدْ قَدَّمْتُ نُسخَةً مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَرُبَّمَا زِدْتُ فِي هَذِهِ الثَّانِيَةِ أَوْ نَقَصْتُ، إِذْ كَانَ الْأَوَّلَى بِي وَالْآخِرَى، إِلَّا أَقْدِمَ الْأَوَّلَى وَلَا أُؤَخِّرَ الْآخِرَى؛ وَلَا كُنْتُ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؛ وَحَسْبِيَ الْاعْتِرَافُ، فَهُوَ سَبِيلُ الْإِنْصَافِ! نَسْأَلُ اللهَ الْإِشْرَادَ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!

ذَكَرَ حَدَّ الْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةَ وَمَا اتَّصَلَ بِهِمَا وَعُدَّ مَعَهُمَا

قال أبو مَرْوَانَ فِي كِتَابِ «الْمِقْبَاسِ»، وَابْنُ حَمَّادٍ^١ فِي كِتَابِ «الْقَبَسِ»، وَغَيْرُهُمَا، مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ لِأَخْبَارِهِ، الْمُعْتَنِينَ بِآثَارِهِ: إِنَّ حَدَّ الْمَغْرِبِ هُوَ مِنْ ضَفَّةِ النَّيْلِ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ، الَّتِي تَلِي بِلَادَ الْمَغْرِبِ، إِلَى آخِرِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ؛ وَحَدَّهُ مَدِينَةُ سَلَا. وَيَنْقَسِمُ أَقْسَامًا: فِقِسْمٌ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ إِلَى إِطْرَابُلُسَ؛ وَهُوَ أَكْبَرُهَا، وَأَقْلَاهَا عِمَارَةٌ؛ وَفِسْمٌ مِنْ إِطْرَابُلُسَ وَهِيَ بِلَادُ الْجَرِيدِ، وَيُقَالُ أَيْضًا بِلَادُ الزَّابِ الْأَعْلَى؛ وَيَلِي هَذِهِ الْبِلَادَ بِلَادُ الزَّابِ الْأَسْفَلَ؛ وَحَدُّهَا إِلَى مَدِينَةِ رَيْهَرْتِ، وَيَلِيهَا بِلَادُ الْمَغْرِبِ؛ وَهِيَ بِلَادُ طَنْجَةَ؛ وَحَدُّهَا مَدِينَةُ سَلَا، وَهِيَ آخِرُ الْمَغْرِبِ. وَإِذَا جُرَّتْ سَلَا، وَأُخِذَتْ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ، تَرَكْتَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ يَهْمَةً، وَأَخَذْتَ مِنْهَا قَافِلًا إِلَى الْقَبِيلَةِ، فَتُسَمَّى تِلْكَ الْبِلَادُ بِلَادَ تَامَسْنَا. وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بِلَادُ الشُّوسِ الْأَدْنَى. وَحَدُّهَا إِلَى جَبَلِ دَرَنْ. وَإِذَا جُرَّتْ هَذِهِ الْجَبَلُ، فَعَنْ يَمِينِكَ

١) حَمَّادٌ B.

بلاد السُّوس الأقصى. ويُقال لها بلاد ماسّة؛ ويتّصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء الى بلاد السودان، وهي بلاد الزّنج. وبلاد الأندلس أيضاً من المغرب، وداخلية فيه، لا يتّصلها به. وتليها الحجاز الأعظم، الذي يسمّى بحر الرّفاق؛ وفيه مصبُّ البحر الكبير، الذي يسمّى المحيط؛ ويُقال له بحر الظُّلمات. وهذا البحر لا يُعَلِّم له ساحلٌ غير الذي عليه بلاد السودان وبلاد المَجُوس، الذين يُلَوِّن بلاد الأندلس. ويصبُّ ماء الرّفاق في البحر الرومي؛ ويُقال له أيضاً البحر الشّامي؛ وهو يتّصل الى بلاد الشام الى ناحية القُسطنطينية. وبه وبين بحر الرّفاق الخليج الذي منه. وذكر ابن حمّادة^١ أنّ حدّ المغرب من بحر القلزم (وهو الماطط^٢) من اليمن الى عدن الى عيذاب الى القلزم وبأبى من مصر قبلة (وشرقا). وحدّ المغرب من الجوف البحر الشّامي، وهو بحر الإسكندرية، وهو المتفرّع في بحر الرّفاق من جزيرة طريف؛ وعلامته صمّ فادس. وحدّ المغرب من الغرب البحر المحيط المسمّى الأبلّاية. وصار المغرب كالجزيرة؛ دخل فيه بعض أعمال مصر، وإفريقية كلّها، والزّاب، والفَيْرَوَان، والسُّوس الأدنى، والسُّوس الأقصى، وبلاد الحبشة. ومنه يتفرّع نيل مصر.

ذكر فضل المغرب وما ورد فيه من الأخبار والآثار

روى عن رسول الله - صلّم - أنّه قال: «لا يزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة!» ومن ذلك ما أخرجه مُسْلِم في «صحيحه» عن سعد بن أبي وقاص أنّ رسول الله - صلّم - قال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة!» وذكر البخاري، عن النبي - صلّم - قال: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا الْجُنْدُ الْعَرَبِيُّ.» وعن أنس بن مالك، قال: سمعتُ رسول الله - صلّم - يقول: «لا يزال عصاة من أمتي بالمغرب، يقاتلون على الحقّ، لا يضرّهم من خالفهم، حتّى يروا قياماً فيقولون: غَشِيتُمْ! فيغشون سرعان خيلهم؛

1) B. حمّادة. 2) الماطط. B.

فيرجعون اليهم، فيقولون: الجبال سَيرَتْ! فيخرون سَجْدًا فتُقْبَضُ أرواحهم». وروى
 أَنَّ رسول الله - صلّم - كان يقول: «خَيْرُ الْأَرْضِ مَغَارِبُهَا؛ وَأَعْوَدُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ
 الْغَرْبِ!» وذكر خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ كَانَ يَرَوِي عَنْ عُبَيْدِ
 اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَدَّثِهِ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْبَصْرِيِّ، يَرْفَعُ الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
 - رَضِيَ -، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - صلّم - وَاقِفٌ،
 إِذْ تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ الْمَغْرِبِ؛ فَسَلَّمَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ؛ فَقُلْتُ: «عَلَى مَنْ نَسَلِمُ؟ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ!» قَالَ: «عَلَى رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي يَكُونُونَ فِي هَذَا الْمَغْرِبِ، بِحِزْبَةِ يُقَالُ لَهَا
 الْأَنْدَلُسُ؛ حَيْثُ مُرَابِطٌ، وَمِثْمُ شَهِيدٌ! وَهُمْ مِمَّنْ اسْتَنْتَى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «فَصَعِقَ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ!»» وَصَحَّ وَعَدُ رَسُولِ اللَّهِ
 - صلّم - أَنَّ الْإِسْلَامَ سَيَلْبُغُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَعَدَ.

وقال الحميدى في قول رسول الله - صلّم - «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على
 الحق حتى تقوم الساعة»: هذا، وإن كان عامًّا، فَلِلْأَنْدَلُسِ مِنْهُ حَظٌّ وَافِرٌ بِدُخُولِهَا
 فِي الْإِسْلَامِ، وَتَحْقُيقِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، وَأَنَّهَا عَنْ آخِرِ الْمَعْمُورِ فِيهِ. وَبَعْضُ سَاحِلِهَا
 الْغَرْبِيُّ وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ جِهَاتِهَا؛ فَصَارَتْ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالرُّومِ. وَرَوَى الرَّفِيقُ
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ، أَنَّهُ بَعَثَ سَرِيَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛
 فَلَمَّا رَجَعُوا، ذَكَرُوا شِدَّةَ الْبَرْدِ الَّذِي أَصَابَهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلّم -: «لَا كُنْ
 إِفْرِيقِيَّةً أَشَدَّ بَرْدًا وَأَعْظَمُ أَجْرًا!» وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، إِنَّ النَّبِيَّ - صلّم -
 قَالَ: «الشَّرُّ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ؛ فَتِسْعَةٌ فِي الْمَشْرِقِ، وَوَاحِدٌ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ!»

* وَيُقَالُ (٢) إِنَّ بَإِفْرِيقِيَّةٍ سَاحِلًا يُقَالُ لَهُ الدُّنْسْتِيرُ؛ وَهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. ٢
 وَبِهَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ الْمَطُورُ: بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ إِفْرِيقِيَّةً
 يُحْشَرُ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ شَهِيدٍ، وَجُوهُهُمْ كَالْفِضْرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ
 عُيَيْنَةَ، قَالَ: يُرَوَى أَنَّ بِالْمَغْرِبِ بَابًا لِلنُّوْبَةِ، مَفْتُوحًا مَسِيرَةً أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، لَا
 يَغْلِقُهَا اللَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ مِنْهُ الشَّمْسُ.

1) Cor. XXXIX, 68.

2) Ici débute la partie lisible du ms. A.

ودخل إفريقية من أصحاب رسول الله - صلعم - من المهاجرين الأولين
 ناسٌ كثيرٌ. ودخل الأندلس¹ من التابعين قومٌ. فأوّل من دخل إفريقية غارياً،
 في زمن عمرو بن الخطاب - رضه - عمرو بن العاصي؛ وكان استفتح مصر في
 سنة ٢٠ من الهجرة، ووجه منها عقبة بن نافع الفهريّ الى لُوية وإفريقية؛
 P. فافتتحهما. ثم توجه عمرو بنفسه الى برقة؛ فصالح أهلها على الجزية: دينار على
 كلّ حالم. وتوجه منها الى إطرابلس؛ فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيل* من
 البربر يقال لهم نفوسة، إذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانية.

ابتداء التاريخ سنة إحدى وعشرين من الهجرة²

فيها افتتح عمرو بن العاصي مدينة الإسكندرية.
 وفي سنة ٢٢ بعدها، افتتح بلاد إطرابلس، وكتب الى أمير المؤمنين عمر
 ابن الخطاب - رضه - يخبره بما أفاء الله عليه من النصر والفتح، وإن ليس
 أمامه إلا بلاد إفريقية، وملوكها كثير، وأهلها في³ عدد عظيم⁴؛ وأكثر ركوهم
 الخيل. فأمره بالانصراف عنها؛ فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلاً الى مصر. ثم
 استشهد عمر - رضه -؛ فلما ولي عثمان الخلافة، عزل عمرو بن العاصي عن
 مصر، وولّاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، سنة ٢٥ من الهجرة.
 وفي سنة ٢٧ من الهجرة، أمر أمير المؤمنين عثمان عبد الله بن سعد بن
 أبي سرح^١ العامريّ بغزو⁴ إفريقية.

فتح إفريقية للإسلام

ندب عثمان - رضه - الناس الى غزوها؛ فخرج المسلمون في جيش عظيم، فيهم
 مروان بن الحكم، وجميع كثير من بني أمية، وبشر كثير من بني أسد بن عبد

1) B. أندلس.

2) Ce titre manque dans A.

3-3) Manque dans A.

4-4) Manque dans A.

العزى، وعبد الله بن الزبير بن العوام في عدّة من قومه، وعبد الرحمن بن أبي بكر - رضه - وعبد الله بن عمر بن العاصي، والمطلب بن السائب، وبشر ابن أرطاة، وغير هؤلاء من المهاجرين. وأعان عثمان المسلمين في هذه الغزوة بألف بعير، يُحمل عليها ضعفاء الناس؛ وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين. فلما توافى الناس، جدّوا السير¹، وذلك في المحرم من هذه السنة. وأمر الناس؛ فعسكروا. وقام فيهم خطيباً؛ فوعظهم، وذكرهم وحرّضهم على الجهاد؛ ثم قال: «وقد عهدتُ الى عبد الله بن سعد* أن يُحسنَ صحبتكم، ويرفقَ بكم؛ وقد استعملتُ عليكم الحارث بن الحكم، الى أن تقدّموا على ابن أبي سرح. فيكون الأمر له!»

بعض أخبار عبد الله بن سعد وإمرته

نسبه: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري². وكان يكتب الوحى الى رسول الله - صلعم - . ثم ارتدّ عن الإسلام، ولحق بالمُشركين بمكّة. وكان معاوية بن أبي سفيان بمكّة قد أسلم، وحسن إسلامه؛ فأتاه رسول الله - صلعم - كاتباً للوحى، بعد ابن أبي سرح. فلما فتح النبي - صلعم - مكّة، استجار ابن أبي سرح بعثمان؛ فأخذ له عثمان الأمان من النبي - صلعم -. وكان ابن أبي سرح أخاً لعثمان من الرضاة؛ فحسن إسلامه من ذلك الوقت. فلما أفضت الخلافة الى عثمان - رضه - ولأه مُلْكٌ مِصر وجنّدها. فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل، يغيرون على أطراف إفريقية؛ فيصيبون كثيراً من الأنفس والأموال. فكتب الى عثمان بذلك؛ فكان السبب في توجيه الجيش اليه، وتقديمه عليه. وأمر له بالدخول لغزو إفريقية؛ فخرج عبد الله من مِصر في عشرين ألفاً الى إفريقية، وصاحِبُها بطريق يُقال له جرجير؛ وكان سلطانه من إطرابلس الى طَنْجة؛ فبعث عبد الله السرايا في آفاق إفريقية؛ فغنموا في كلّ وجه. والتقى عبد الله مع

1) Tout le passage qui précède est lacunaire dans A.

2) Manque dans B.

البطريق ضحى النهار، في موضع يُعرف بِسَبَيْطَلَة^١). وكان جرجير في مائة وعشرين ألفاً؛ فضاق المسلمون في أمرهم واختلّفوا * على ابن سَعْدٍ في الرأى. فدخل فُسْطَاطَه، مُفَكِّراً في الأمر. فلما رأى جرجير خَيْلَ العرب، اشتدَّ رعبه، وأهَمَّتْهُ نفسه. فأخرج دَيْدَبَانَه، وصعد فيه يُشرف على العساكر ويرى القتال؛ وأمر ابنته؛ فصعدت الدَيْدَبَان، وسفرت عن وجهها. وكان عدّة خَدَمَها اللّاءى صَعِدْنَ الدَيْدَبَان أربعين جارية، في الْحَمْلِ وَالْحُلَل، من أَجمل ما يكون. ثمَّ قَدِمَ كَرَادِيْسَه، كُرْدُوساً كُرْدُوساً، وهو نَحْت الدَيْدَبَان؛ ثمَّ قال لهم: «أتعرفون هذا؟» فقالوا: «نعم! هذه سَيِّدَتُنَا، ابنةُ الملك، وهؤلاء خَدَمُهَا!» فقال لهم: «وحقّ المسيح ودين النصرانيّة! لئن قتل رجلٌ منكم أميرَ العرب عَبْدَ اللَّهِ بن سَعْدٍ، لأزوّجَه ابنتى هذه، وأعطيه ما معها من الجوارى والنعمة، وأنزِلَه المِثْلَ التى لا يَطْمَعُ فيها أحدٌ عِندى!» وما زال ذلك من قوله، حتّى مرَّ على مَسَامِعِ خَيْلِه وَرَجَلِه؛ فحرّض بذلك نَحْرِيضاً شديداً.

وإنَّ عَبْدَ اللَّهِ بن سَعْدٍ، لما انتهى إليه ما فعل جرجير، وما كان من قوله، نادى في عسكره؛ فاجتمعوا؛ فأخبرهم بالذى كان من جرجير؛ ثمَّ قال: «وحقّ النّبىِّ مُحَمَّد - صَاحِب -! لا قتل أحدٌ منكم جرجيراً إلّا أنقلته ابنته ومن معها!» ثمَّ زحف بالمسلمين؛ فالتقى الجمعان، واستحضر القتال، واشتعلت نار الحرب، والمسلمون قليلٌ، والمشركون في عشرين ومائة ألف. فأشكَلَ الأمر على ابن سَعْدٍ، ودخل فُسْطَاطَه مُفَكِّراً في الأمر^٢.

ذكر قتل عبد الله بن الزُّبَيْر - رضه - لجرجير ملك إفريقية
والمغرب كلّهُ

قال عبد الله بن الزُّبَيْر: فرأيت عَوْرَةَ من جرجير، والناسُ على مصافِّهم؛

1) A. et B.: بسيطة.

2) Le dernier alinéa de ce chapitre présente dans A. une lacune importante.

رَأَيْتُهُ عَلَى بُرْدُونَ أَشْهَبَ خَنَفَ أَصْحَابِهِ، مُنْقَطِعاً عَنْهُمْ، مَعَهُ جَارِيتَانِ لَهُ تُظْلَانِيهِ
 مِنَ الشَّمْسِ بَرِيشَ الطَّوَارِيسِ. فَأَتَيْتُ فُسْطَاطَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ؛ فَطَلَبْتُ الْإِذْنَ
 عَلَيْهِ. فَقَالَ لِي حَاجِبُهُ: «دَعَهُ! فَإِنَّهُ يَنْكِرُ* فِي شَأْنِكُمْ؛ وَلَوْ أَتَجَّهَ لَهُ رَأْيٌ. لَدَعَا P. 7
 بِالنَّاسِ!» فَقُلْتُ: «إِنِّي مُحْتَاجٌ إِلَى مَذَاكِرَتِهِ!» فَقَالَ لَهُ: «أَمَرَنِي أَنْ أَحْبِسَ
 النَّاسَ عَنْهُ، حَتَّى يَدْعُونِي.» قَالَ: فَدُرْتُ حَتَّى كُنْتُ مِنْ وَرَاءِ النُّسْطَاطِ. فَرَأَيْتُ
 وَجْهَهُ. فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ «تَعَالَ!» فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ؛
 فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟ يَا بَنَى الزُّبَيْرِ!» فَقُلْتُ: «رَأَيْتُ عَوْرَةً مِنْ عَدُوِّنَا.
 فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ فُرْصَةً هَيَّاها اللَّهُ لَنَا، وَخَشِيتُ الْفَوْتَ!» فَقَامَ مِنْ فُورِهِ،
 وَخَرَجَ حَتَّى رَأَى مَا رَأَيْتُ. فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! انْتَدِبُوا مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَى
 عَدُوِّكُمْ!» فَتَسَرَّعَ إِلَى جَمَاعَةٍ اخْتَرْتُ مِنْهَا ثَلَاثِينَ فَارِسًا. فَقُلْتُ: «إِنِّي حَامِلٌ!
 فَاصْرِفُوا عَنْ ظَهْرِي مَنْ أَرَادَنِي! فَإِنِّي سَأُكْفِيكُمْ مَا أَمَامِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ!» قَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ: فَحَمَلْتُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ؛ وَدَبَّ عَنِّي النَّاسُ الَّذِينَ انْتَدَبُوا مَعِي
 وَأَتَّبَعُونِي، حَتَّى خَرَقْتُ صَفُوفَهُمْ إِلَى أَرْضٍ خَالِيَةٍ. فَضَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. فَوَاللَّهِ!
 مَا حَسِبَ إِلَّا أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْهِ حَتَّى رَأَى مَا بِي مِنْ أَثَرِ السَّلَاحِ؛ فَقَدَّرْتُ أَنِّي هَارِبٌ
 إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَدْرَكْنُهُ، طَعَنَنِي؛ فَسَقَطْتُ: فَرَمَيْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ، وَأَلَقْتُ جَارِيَتَاهُ عَلَيْهِ
 أَنْفُسَهُمَا؛ فَقَطَعْتُ يَدَ إِحْدَاهُمَا، أَجْهَزْتُ عَلَيْهِ، وَرَفَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى رِمْحِي. وَحَالَ
 أَصْحَابُهُ. وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَاحِيَّتِي، وَكَبَّرُوا؛ فَانْهَزَمَ الرُّومُ، وَقَتْلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ كَيْفَ
 شَأَوْوَا. وَنَارَتِ الْكُمَائِنُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ، وَسَبَقَتْ خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ وَرِجَالُهُمْ
 إِلَى حِصْنٍ سَبِيْطَلَةٍ؛ فَمَنَعُوهُمْ مِنْ دُخُولِهِ. وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بَيْنًا وَشَمَالًا فِي السَّهْلِ
 وَالْوَعْرِ؛ فَفَتَلُوا أَنْجَادَهُمْ وَفِرْسَانَهُمْ، وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْأَسَارَى، حَتَّى لَقَدْ كُنْتُ أَرَى
 فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَسِيرٍ.

وَذَكَرَ أَشْيَاخٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَةِ أَنَّ أَسْمَةَ جَرَجِيرَ، لَمَّا قُتِلَ أَبُوهَا، تَنَازَعَ
 النَّاسُ فِي قَتْلِهِ، وَهِيَ نَاضِرَةٌ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَتْ: «مَا لِي أَرَى الْعَرَبَ يَتَنَازَعُونَ!» فَقِيلَ
 لَهَا: «فِي قَتْلِ أَبِيكَ!» فَقَالَتْ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي * أَدْرَكَ أَبِي؛ فَفَقَسَلَهُ.» P. 11

فقال لها الأمير ابن أبي سرح: «هل تعرفينه؟» فقالت: «إذا رأيته، عرفته!»
 قال: فمرّ الناس بين يديها، حتى مرّ عبد الله بن الزبير. فقالت: «هذا،
 والمسيح! قتل أبي!» فقال له ابن أبي سرح: «لِمَ كنتمنا قتلَك آياه؟» فقال
 عبد الله: «عليه الذي قتلته من أجله!» فقال الأمير: «إذاً والله! أنفلك
 ابنته!» فنقله ابن أبي سرح ابنة الملك جرجير. فيقال إنه اتخذها أمً وأبً.
 ولما انهزمت جيوش جرجير، سار عبد الله بن أبي سرح حتى نزل بابَ
 مدينته العظمى: قرطاجنة، فحصرها، من كان معه من المسلمين، حصاراً شديداً،
 حتى فُتحت. فأصاب فيها من السبي والأموال ما لا يُحيط به الوصف. وكان
 أكثر أموالهم الذهب والنضة¹؛ فكانت توضع بين يديه أكوام الذهب والنضة،
 لأنه افتزع إفريقية بكراً. فحجب، هو والمسلمون. من كثرة ذلك؛ فقال للأفارقة:
 «من أين لكم هذا؟» فجعل الرجل منهم يلتبس شيئاً من الأرض، حتى جاء
 بنواؤ زيتون؛ فقال: «من هذا أصبنا الأموال، لأن أهل البحر والجزر ليس
 لهم زيت؛ فكانوا يمتارونه² من هنا.» فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف
 دينار عينا، وسهم الراجل ألف دينار. وقسم³ ابن أبي سرح السرايا والغارات
 من مدينة سيطة. فبلغت جيوشه⁴ بقصر⁵ قفصة؛ فسبوا كثيراً وغنموا. فأذلت
 هذه الواقعة الروم بإفريقية، ورعبوا رعباً شديداً. فلهجوا إلى الحصون والمعقل.
 ثم طلبوا من عبد الله بن سعد أن يقبض منهم ثلاثمائة فنطار من الذهب في
 السنة، رجزية على أن يكف عنهم، ويخرج من بلادهم؛ فقبل ذلك منهم، وقبض
 المال. وكان في شرط صلحهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما
 أصابوه بعد الصلح ردوه عليهم. ودعا الأمير عبد الله بن سعد عبد الله بن
 الزبير؛ فقال له: «ما أحسنُ بالبشارة منك! فأْمض. فيشرُّ أمير المؤمنين
 عثمان - رضه - بالمدينة. بما أفاء الله على المسلمين!» فتوجه عبد الله بن الزبير

1 Lacune importante dans A.

2 A.: يشرون الزيت.

3 A.: وبعث.

4 A.: خيوله.

5 A.: قصور.

من سَيْطَلَة. فقيل إنه وافى المدينة في أربعة * وعشرين يوماً؛ وكانت إقامته P. ٨
بإفريقية ستة أشهرين. ثم وصل في إفريقية إلى المدينة؛ فبيع المغنم. فطَفِقَ
مروان بن الحَكَم على الخمس؛ فأخذ منه خمسين ألف دينار؛ فسلم له من ذلك
عثمان - رضه -. فكان ذلك مما انتفد عليه.

وفيه، وفي ردِّ الحَكَم إليه بعد أن أنفاه رسول الله - صلّم - يقول عبد
الرحمن أخو كُتْدَة [متقارب]:

سَأَحْلِفُ بِاللَّهِ جَهْدَ الْيَمِينِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً سُدَى
وَلَا كُنْ خُلِفْتَ لَنَا فِتْنَةً لِكُنْ نُبْتَلى بِكَ وَتُبْتَلى
دَعَوْتَ اللَّعِينَ فَأَدْنَيْتُهُ خِلَافاً لِسُنَّةِ مَنْ قَدْ مَضَى
وَأَعْطَيْتَ مَرْوَانَ خُمْسَ الْعِبَا دِ ظُلُمًا لَهُمْ وَحَبَيْتَ الْحِمَى

وقال مروان بن الحَكَم يوماً، في مجلسٍ مُعَاوِيَة: «ثلاثٌ لم أدخلَ فيهنَّ حراماً
قطُّ: دارِي بالمدينة، ومالي يَنْدِي خُشْب، وَصَدَقْتُ نِسَائِي!» فنظر مُعَاوِيَة إلى
عبد الله بن الزَّيَّير، وكان حاضراً¹⁾؛ فقال له: «ما تقول؟ فأنتك طَعَان!»
فقال «مَهْلًا! أبا عبد الملك! خرجنا مع ابن أبي سَرْح إلى غزو إفريقية. فوالله!
ما كان مروان أَحْسَنًا وَجْهًا، وَلَا أَكْثَرْنَا نَفَقَةً، وَلَا أَعْظَمْنَا فِي الْعَدُوِّ نَكَايَةً!
فطَفِقَ على خُمُسِ إفريقية يَمَّ تَعْلَم، وَتَحَالَى لَهُ مَنْ تَعْلَم؛ فبني منه الدار، وَأَتَّخَذَ
منه المَال، وَتَزَوَّجَ منه النِّسَاء!» فقال له مروان: «أَتَطْعُنُ على أمير المؤمنين
عثمان؟» فقال له مُعَاوِيَة: «دَعُهُ وَخُذْ مِنِّي غَيْرَ هَذَا! فَأَنْتَ صَحَّةٌ مَا أَقُول!»
قال الطَّبْرِيُّ: كان عثمان - رحمه الله! - قال لعبد الله بن سَعْدٍ: «إن فتح
الله عليك إفريقية. فَلَكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ على المسلمين خُمُسُ الخُمُسِ نَفْلًا.»
فلما فتح إفريقية في هذه السنة، وهي سنة ٢٧، قسم عبدُ الله النَّفَى على المسلمين.
فَأَبْنَى الخُمُسَ لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِأَرْبَعَةِ أَخْصَاسِهِ إلى عثمان، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ في
أَرْضِ الْفَيَّزَوَان؛ فَوَفِدَ وَفَدٌ على عثمان، يَشْكُونُ بَابِنَ أَبِي سَرْحٍ فِيمَا أَخَذَ مِنْ

1) Série de lacunes dans A. jusqu'à la fin du chapitre. Il manque tout un feuillet.

الخُصْسُ؛ فقال لهم عثمان «أنا نَقَلْنَاهُ أَيَّاهُ! وذلك الآن اليكم؛ فإن رَضِيتُمْ، فقد جاز، وإن غَضِبْتُمْ، فهو رَدٌّ!» قالوا: «فإنَّا نَسْخَطُ!» فكتب عثمان الى ابن سعد برد ذلك. قالوا: «فَاعْزِلْهُ عَنَّا؛ فَإِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَيْنَا، وقد وقع ما وقع!» فكتب اليه أن «اسْتَخْلِفْ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ رَجُلًا تَرْضَاهُ وَيَرْضَوْنَهُ؛ وَاقْسِمْ خُصْسَ الْخُصْسِ الَّذِي كُنْتَ نَقَلْتَهُ فِي سَبِيلِ الْأَخْمَاسِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَخَطُوا النَّفْلَ!» ففعل ذلك عبدُ الله، ورجع الى مِصْرَ، وقد فتح الله إِفْرِيقِيَّةَ. فما زالوا من أَسْبَحَ أَهْلُ الْأَقَالِمِ وَأَطْوَعَهُمْ، الى زمن هشام بن عبد الملك. ثم ورد الخُصْسُ على أمير المؤمنين عثمان؛ فكان من أمر مروان بن الحَكَمِ فيه ما تقدّم ذِكرُهُ. وفي سنة ٢٨، غزا حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ قُورِيَّةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ. ذكر ذلك الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ.

وفي سنة ٢٩، افتتح عبد الله بن عامر أرض فارس. وفي سنة ٣٠، سقط الخاتم من يد عثمان - رضه - في بئر أريس؛ وقد ذكرنا خبر سقوطه في كتابنا المسمّى بـ «البيان المشرق»، في أخبار المشرق». وفي سنة ٣١، كانت غزوة ذات الصواري، وغزوة الأساورة، في قول الواقدي. وفي سنة ٣٢، توفي عبد الرحمن بن عوف - رضه -؛ وهو ابن خمس وسبعين سنة، وفيها مات عبد الله بن زيد بن عمرو بن نفيل. وفيها مات أبو طلحة، وأبو ذر - رضهم -. وفيها توفي عبد الله بن مسعود؛ فدفن بالبقيع. وفي سنة ٣٣، كانت غزوة عبد الله بن أبي سرح إِفْرِيقِيَّةَ، مرّة ثانية، حين نقض أهلها العهد. هكذا ذكره عَرِيبُ فِي مُخْتَصَرِهِ. وقد تقدّم خبر ابن أبي سرح على الجُمْلَةِ دون تعيين سنة.

وفي سنة ٣٤، مات عبادة بن الصامت في قول الواقدي، وهو ابن اثنين وتسعين سنة؛ ودفن بالرَّمْلَةِ. وفيها غزا معاوية بن حُذَيْجٌ^١ إِفْرِيقِيَّةَ؛ وهي أوّل غزواته الى المغرب، ثم اشتغل الناس بعد ذلك بأمر عثمان - رضه - وبوقائع

١) B. خديج.

الجميل وصفيين وغيرها، الى أن اعتدلت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان .
وفي سنة ٢٥، استشهد عثمان - رضه - . واستخلفه أمير المؤمنين علي - رضه -
فنازعه معاوية ولم يبايعه .

وفي سنة ٢٦، عزل علي - رضه - ابن أبي سرح عن بصرى، وأقام عليها
قبس بن عبادة الأنصاري .

وفي سنة ٢٧، كان العامل على بصرى محمد بن أبي بكر الصديق .
وفي سنة ٢٨، قُتل محمد بن أبي بكر الصديق ببصرى، قتله معاوية بن
حديج بأمر معاوية بن أبي سفيان . وقد ذكرنا شرح مقتله في «[البيان المشرق]

في أخبار المشرق» .
وفي سنة ٤٠، كانت مهادنة بين علي - رضه - وبين معاوية، الى أن توفي
علي . وفيها دُعي معاوية بأمر المؤمنين ؛ وكان قبل ذلك يدعى الأمير .
وفي سنة ٤٠ المذكورة، توفي أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب
- رضه - ؛ ووبع بالخلافة ابنه الحسن - رضهما .

وفي سنة ٤١، كان تسليم الحسن - رضه - الأمر لمعاوية، واستولفت المملكة
له . وفيها غزا معاوية بن حديج إفريقية المرة الثانية . قال عريب في مختصره :
ذكر أهل العلم بأخبار إفريقية أن معاوية بن حديج نزل جبلاً فيها ؛ فأصابه
فيه مطر شديد ؛ فقال : « إِنَّ جَبَلَنَا هَذَا لَمَطُورٌ ! » فسُمِّيَ البلد مَطُوراً الى
الآن . وقال : « اذهبوا بنا الى ذلك القرن . » فسُمِّيَ ذلك الموضع قرناً .
وكانت لمعاوية هذا الى إفريقية ثلاث غزوات .

وفي سنة ٤٢، وُلِدَ الحجاج بن يوسف الثقفي ؛ وولى معاوية مروان بن
الحكم المدينة . وفيها غزا عقبة بن نافع إفريقية . قال عريب في مختصره للطبري :
فيها غزا عقبة بن نافع المغرب ، وافتتح غدامس ؛ فقتل فيها وسبي .

وفي سنة ٤٣، مات عمرو بن العاصي ببصرى، يوم النطر . فذكر أنه عمل فيها
لعمرو بن الخطاب - رضه - أربع سنين، ولعثمان - رضه - أربع سنين، وللمعاوية
سنتين إلا شهراً .

وفي سنة ٤٤، عمل مروان بن الحَكَم المَقْصُورَة بمسجد المدينة - كَرَّمَهَا
الله - وعملها أيضاً مُعَاوِيَة بالشام.

وفي سنة ٤٥، غزا مُعَاوِيَة بن حُدَيْج الكِنْدِيُّ إفريقية. وكانت حَرْباً كَلَّهَا.
قال الطَّبَرِيُّ: وذلك أَنَّ حُبَابَةَ الرومِ قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَة بن أَبِي سَفْيَانَ،
فَسَأَلَهُ أَنْ يَبِيعَ مَعَهُ جَيْشاً إِلَى إفريقية؛ فَوَجَّهَ مُعَاوِيَة بن حُدَيْج فِي عَشْرَةِ
آلَافٍ مُقَاتِلٍ. فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الإسْكَنْدَرِيَّة؛ فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا حُبَابَةَ الرومِ.
وَمَضَى ابْنُ حُدَيْج حَتَّى دَخَلَ إفريقية. وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ - وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ -
وَعَبْدُ الْمَلِكِ بنُ مَرْوَانَ وَبِحَبِيٍّ بنِ الْحَكَمِ بنِ الْعَاصِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ.
فَبِعَثَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى إفريقية بَطْرِيْقاً يُقَالُ لَهُ نَجْفُور^١، فِي ثَلَاثِينَ أَلْفاً مُقَاتِلٍ.
فَنَزَلَ السَّاحِلَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَة بنَ حُدَيْج عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ فِي خَيْلٍ كَثِيفَةٍ؛
فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى شَرْفٍ عَالٍ، يُنْظَرُ مِنْهُ إِلَى الْبَحْرِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَدِينَةِ سُوسَةَ
اثْنَا عَشَرَ مِيلاً، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَجْفُوراً^٢، أَقْلَعَ فِي الْبَحْرِ، مِنْهَزِماً مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.
فَأَقْبَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ سُوسَةَ؛ فَوَقَفَ عَلَى الْبَحْرِ، وَصَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ
صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَالرُّومُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ جُرْأَتِهِ. فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ خَيْلاً، وَابْنُ الزُّبَيْرِ
مُقْبِلٌ عَلَى صَلَاتِهِ، لَا يَهْوُلُهُ خَبَرُهَا، حَتَّى فَضِيَ الصَّلَاةُ. ثُمَّ رَكِبَ، وَحَمَلَ عَلَى
الرُّومِ مَعَ *؛ فَانْكَشَفُوا مِنْهَزِمِينَ. وَرَجَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى مُعَاوِيَة بنَ حُدَيْج،
وَهُوَ بِجَبَلِ الْقَرْنِ.

ثُمَّ وَجَّهَ ابْنُ حُدَيْجَ عَبْدَ الْمَلِكِ بنَ مَرْوَانَ فِي أَلْفٍ فَارِسٍ إِلَى مَدِينَةِ جَلُولَا؛
فَحَاصَرَهَا، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا عِدْداً كَثِيراً، حَتَّى فَتَحَهَا عُنُوةً؛ فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَى
الذَّرِّيَّةَ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي الْمَدِينَةِ، وَحَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مُعَاوِيَة بنِ
حُدَيْج؛ فَفَسَمَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَيُقَالُ إِنَّهُ أَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَائَتِي مِثْقَالٍ.
وَأَغْزَى مُعَاوِيَة بنَ حُدَيْجَ جَيْشاً فِي الْبَحْرِ إِلَى صِفْلِيَّةٍ فِي مَائَتِي مَرْكَبٍ؛

١) B. عفور.

٢) B. عفورا.

فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً؛ ثم انصرفوا الى إفريقية بغنائم كثيرة، ورفق،
وأصنام منظومة بالجواهر؛ فاقسموها قبئهم. وبعث ابن حُدَيْج بالخُص إلى معاوية
ابن أبي سفيان. هكذا نصَّ عَرِيب في مُخْتَصَره للطَّبْرِي.

ومن أخبار معاوية بن حُدَيْج الكِنْدِي بإفريقية

ذكر الرِّفِيق في كتابه قال: كان هِرَقْل مَلِكِ الْفُسْطَنْطِينِيَّة^(١) الْعُظْمَى وَرُومَةَ^(٢)
يُودِي إِلَيْهِ كُلُّ نَصْرَانِيٍّ، فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، جَزِيرَتِهِ؛ مِنْهُمْ الْمُقَوْفِسُ، صَاحِبُ الْإِسْكَدَرِيَّةِ
وَبَرْقَةُ؛ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ إِطْرَابُلسَ وَصَبْرَةَ؛ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صِفْلِيَّةٍ، وَرُومِ إفريقية
وَالْأَنْدَلُسِ. فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا صَالَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ إفريقية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ.
بَعَثَ إِلَى إفريقية بِطَرِيقٍ يُقَالُ لَهُ أُولِيَّةٌ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ ثَلَاثِينَ قَنْطَارَ مِنْ
الذَّهَبِ، كَمَا أَخَذَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ. فَتَزَلَّ قَرْطَاجِنَةَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ. فَأَتَوْا عَلَيْهِ،
وَقَالُوا: «إِنَّ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِينَا مِنَ الْأَمْوَالِ، قَدَّيْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا مِنَ الْعَرَبِ؛
وَأَمَّا الْمَلِكُ، فَهُوَ سَيِّدُنَا؛ فَيَأْخُذُ عَادَتَهُ مِنَّا!» وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِمْ رَجُلًا يُقَالُ
لَهُ حُبَاحِيَّةٌ؛ فَطَرَدُوا وَلِيَّةَ الْوَاصِلِ إِلَيْهِمْ، وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ الْاطْرَبِيِّونَ.
وَصَارَ حُبَاحِيَّةٌ إِلَى الشَّامِ؛ فَقَدَّمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ. فَوَصَفَ لَهُ حَالُ إفريقية، وَسَالَهُ
أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُ جَيْشًا مِنَ الْعَرَبِ^(٣)؛ فَوَجَّهَ مَعَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ، فِي جَيْشٍ
كَنِيفٍ؛ وَذَلِكَ سَنَةَ ٤٥. فَسَارَ ابْنُ حُدَيْجٍ حَتَّى وَصَلَ إفريقية، وَقَدْ صَارَتْ نَارًا.
وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ تَرْبِشٍ، قَدْ نَقَدَّمُ ذِكْرَهُمْ. وَبَعَثَ مَلِكُ الرُّومِ الْبَطْرِيْقَ
الْمُقَدَّمُ ذِكْرَهُ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا؛ فَبَعَثَ ابْنُ حُدَيْجٍ إِلَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ فَقَالَ لَهُ:
فَأَقْلَعْ مِنْهَزْمًا فِي الْبَحْرِ. وَحَاصِرَ ابْنَ حُدَيْجٍ جُلُودًا؛ فَكَانَ يُقَاتِلُهُمْ وَسَطَ النَّهَارِ،
وَيَنْصَرِفُ إِلَى عَسْكَرِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ ذَاتَ يَوْمٍ، نَسِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَوْسًا
لَهُ مَعْلَقَةً بِشَجَرَةٍ؛ فَانْصَرَفَ إِلَيْهَا؛ فَإِذَا بِجَانِبِهَا مِنْ [سُور] الْمَدِينَةِ قَدْ انْهَدَمَ. فَصَاحَ
فِي أَثَرِ النَّاسِ. فَرَجَعُوا؛ فَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ، حَتَّى دَخَلَتِ الْمَدِينَةُ عَنُودًا؛

1—1) Manque dans B.

2) Lacune de quelques lignes dans A.

واحتوى المسلمون على جميع ما فيها، كما تقدّم ذكره. وكان بين معاوية بن حُذَيج وعبد الملك بن مروان تنازع في ذلك، لأنّ عبد الملك أراد مُحَابَاةَ إخوانه وأصحابه، لأنّه كان سَبَبَ فتح المدينة. فقال حَنَشُ الصَّنْعَانِي يوماً لعبد الملك: «ما شأنك؟ فوالله! لَتَلَيْنَّ^(١) الخِلافة، وبصير هذا الأمرُ اليك! فلا نَعْمَ!» فلما أفضت الخِلافة الى عبد الملك، بعث الحُجَّاجَ بن يوسف لقتال P. ١١ عبد الله بن الزُبَيْرِ؛ فأخذ حَنَشاً الصَّنْعَانِيَّ أسيراً، وبعث * الى عبد الملك بن مروان. فلما وقف بين يديه، قال له: «أَلَسْتُ أَنْتَ الَّذِي بَشَّرْتَنِي بِالْخِلافةِ يَوْمَ جَلُولَا؟» قال: «نعم!» قال: «فَلِمَ مِلْتَ عَنِّي الى ابنِ الزُبَيْرِ؟» فقال: رَأَيْتُهُ يَرِيدُ^(٢) الله، ورَأَيْتُكَ تَرِيدُ^(٣) الدنيا! فلذلك مِلْتُ اليه!» فقال: «قد عَفَوْتُ عَنْكَ!»

وفي سنة ٤٦، قال البلاذري: أَوَّلُ من غزا صِفْلِيَّةَ مُعَاوِيَةَ بن حُذَيج؛ بعث اليها عبد الله بن قَيْسٍ. ففتحها، وأصاب فيها أصناماً من ذهب وفضة مَكَلَّلَةً بِجَوْهَرٍ؛ فحُمِلَتْ الى مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ. فبعث بها الى الهِنْدِ؛ فَأَخَذْتُمْنَهَا. فَأَنكَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ ذَلِكَ إِنْكَاراً كَثِيفاً. وكان العاملُ على بلاد إفريقية من قَبْلِ مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ مُعَاوِيَةَ بن حُذَيج الكِنْدِيُّ.

وفي سنة ٤٧، عزل مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ عبد الله بن عَمْرُو بن العاصي عن مِصْرَ، وولّاها مُعَاوِيَةَ بن حُذَيج الكِنْدِيُّ^(٤). وكان عَثْمَانِيًّا^(٤)؛ فسار متوجّهاً اليها من إفريقية. وكان قد قتل مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيق - رَضَهُ -؛ فلقبه عبد الرحمن بن أَبِي بَكْرٍ، فقال له: «يا مُعَاوِيَةَ! قد أَخَذْتَ أَجْرَكَ من مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ، حين قَتَلْتَ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ، لِيُوَلِّيكَ مِصْرًا فَقَدْ وَلَّاكَهَا.» فقال: «ما قَتَلْتُ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ لَوَلَايَةٍ! وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِمَا فَعَلَ بَعَثَان - رَضَهُ -!» . وفي سنة ٤٨، كان العاملُ على مِصْرَ وإفريقية لِمُعَاوِيَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ مُعَاوِيَةَ بن حُذَيج.

1) اللطيس.

2) يرفع.

3) ترفع.

4-4) Manque dans A.

وفي سنة ٤٩، غزا عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفِهْرِيُّ الرُّومَ فِي الْبَحْرِ بِأَهْلِ مِصْرَ.
 وفيها^١ عزل مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ
 الْعَاصِي. وَكَانَتْ وَلَايَةُ مَرْوَانَ الْمَدِينَةَ لِمُعَاوِيَةَ ثَمَانِي سَنِينَ وَشَهْرَيْنِ.
 وفي سنة ٥٠ من الهجرة، عزل مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُذَيْجٍ
 عَنِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَأَفَرَّهْ عَلَى وَلَايَةِ مِصْرَ؛ وَوَجَّهَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفِهْرِيُّ.

ذكر ولاية عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ إِفْرِيقِيَّةَ وَغَزَوَاتِهِ فِيهَا وَاخْتِطَاطُهُ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ

نَسَبُهُ: هُوَ عُقْبَةُ * بْنُ نَافِعٍ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ بْنِ لَقَيْطٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ ١٢. ٢.
 طَرَفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ^٢. وَمِنْ فِهْرٍ بَنَ مَالِكٌ تَفَرَّقَتْ الْقَبَائِلُ. وَقَالَ
 ابْنُ أَبِي الْفَيْضِ: إِنَّ عُقْبَةَ وُلِدَ قَبْلَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ.
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاسِمِ: وَوَصَلَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفِهْرِيُّ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي عَشْرَةِ
 أَلْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَافْتَتَحَهَا، وَدَخَلَهَا، وَوَضَعَ السِّيفَ فِي أَهْلِهَا؛ فَأَفْتَنَى مِنْ
 بَيْنِهَا مِنَ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ إِفْرِيقِيَّةَ، إِذَا دَخَلَهَا إِمَامٌ، أَجَابُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ؛
 فَإِذَا خَرَجَ مِنْهَا، رَجَعَ مِنْ كَانَ أَجَابَ مِنْهُمْ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى الْكُفْرِ؛ فَأَرَى لَكُمْ،
 يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أَنْ تَتَّخِذُوا بِهَا مَدِينَةً تَكُونُ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ!»
 فَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا مُرَابِطِينَ؛ وَقَالُوا: «نَقْرُبُ مِنَ الْبَحْرِ لِنَمَّ
 لَنَا الْجِهَادَ وَالرِّبَاطَ!» فَقَالَ عُقْبَةُ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَهَا صَاحِبُ الْفُسْطَاطَيْنِ
 بَغَنَةً، فَيَسْلُكَهَا! وَلَا كُنْ أَجْعَلُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ مَا لَا يُذَكِّرُهَا صَاحِبُ الْبَحْرِ،
 إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ بِهِ؛ وَإِذَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ مَا لَا يُوجِبُ فِيهِ التَّنَصُّبَ لِلصَّلَاةِ،
 فَهَمُّ مُرَابِطُونَ!» فَلَمَّا اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: «قَرَّبُوهَا مِنَ السَّبْجَةِ. فَإِنَّ
 دَوَابَّكُمْ الْإِبِلَ، وَهِيَ الَّتِي نَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ؛ فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْهَا، لَمْ يَكُنْ لَنَا بُدٌّ مِنْ

1) Lacune de plusieurs lignes dans A.

2) B. ajoute ici: وَقَرَّبُوا لَقَبَ.

الغزو والمجهاد، حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها، آمينة من عادية البربر والنصارى.» قال الإشيلى في «مسالك» ه: إن البربر حين دخلوا المغرب، وجدوا الإفرنج قد سبقهم إليه؛ فأخلوهم حتى اصطلعوا، على أن يسكن البربر الجبال، وتسكن الإفرنج الأوطىة. فبنوا المدائن بها.

(رجع الخبر) وفي سنة ١٥١، شرع عُقبة - رضه - في ابتداء بناء مدينة القيروان، وأجابه العرب الى ذلك. ثم قالوا: «إلك أمرتنا بالبناء في شعارى وغياض لا ترام. ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك!» وكان في عسكره ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله - صلعم -، وسائرهم من التابعين. فدعا الله P. ١٢ - سبحانه! - وأصحابه يؤمنون على دُعائه؛ ومضى الى السبخة وواديها، ونادى: «آيتها الحيات والسباع! نحن أصحاب رسول الله - صلعم -، فأرحلوا عنا! فإننا نازلون! ومن وجدناه بعد هذا قتلناه!» فنظر الناس بعد ذلك الى أمر مُعْجِب، من أن السباع تخرج من الشعري، وهي تحمل أشبالها سمعاً وطاعة، والذئب يحمل جروء، والحية تحمل أولادها. ونادى في الناس: «كفوا عنهم، حتى يرحلوا عنها!» فلما خرج ما فيها من الوحش والسباع والهوام، والناس ينظرون اليها، حتى أوجعهم حر الشمس؛ فلما لم يروا منها شيئاً، دخلوا؛ فأمرهم أن يقطعوا الشجر. فأقام أهل إفريقية بعد ذلك أربعين عاماً لا يرون بها حية، ولا عقرباً، ولا سباعاً. فاخبط عُقبة أولاً دار الإمارة؛ ثم أتى الى موضع المسجد الأعظم؛ فاخبطه، ولم يجد فيه بناء^(٢). وكان يصلي فيه وهو كذلك؛ فاختلف الناس عليه في القبلة، وقالوا: «إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد. فأجهد نفسك^(٣) في تفويتها!» فأقاموا أياماً ينظرون الى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارك الشمس. فلما رأى أمرهم قد اختلف، بات مغموماً؛ فدعا الله - عز وجل! - أن يفرج عنه. فأتاه آت في منامه؛ فقال له «إذا أصبحت،

1) A. ٥٠

2) فيها أمرا.

3) نفسه.

فَخَذَ اللّوَاءَ فِي يَدِكَ، وَأَجْعَلْهُ عَلَى عُنُقِكَ . فَإِنَّكَ تَسْمَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ تَكْبِيرًا لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُكَ . فَانْظُرْ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْقَطِعُ عَنْكَ فِيهِ التَّكْبِيرُ : فَهُوَ قِبْلَتُكَ وَمَحْرَابُكَ ! وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ لَكَ أَمْرَ هَذَا الْعَسْكَرِ وَهَذَا الْمَسْجِدِ وَهَذِهِ الْمَدِينَةِ ! وَسَوْفَ يُعِزُّ اللَّهُ بِهَا دِينَهُ، وَيُذِلُّ بِهَا مَنْ كَفَرَ بِهِ ! » فَاسْتَيْقِظَ مِنْ مَنَامِهِ، وَهُوَ جَرِيعٌ؛ فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ، وَأَخَذَ يُصَلِّي، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ . فَلَمَّا انْفَجَرَ الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَي الصُّبْحِ بِالْمُسْلِمِينَ، إِذَا بِالتَّكْبِيرِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : « أَتَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ » فَقَالُوا : « لَا ! » فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . فَأَخَذَ اللّوَاءَ؛ فَوَضَعَهُ عَلَى عُنُقِهِ، وَأَقْبَلَ يَتَّبِعُ التَّكْبِيرَ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَوْضِعِ الْمَحْرَابِ . فَانْقَطَعَ * التَّكْبِيرُ . فَرَكَّزَ لَوَاءَهُ، وَقَالَ : « هَذَا مَحْرَابُكُمْ ! » فَاقْتَدَى بِهِ ١٤ سَائِرُ مَسَاجِدِ الْمَدِينَةِ . ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ فِي بِنَاءِ الدُّوَرِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَسَاجِدِ، وَعَمَرَتْ، وَشَدَّ النَّاسُ إِلَيْهَا الْمَطَايَا مِنْ كُلِّ أَفْئُقٍ، وَعَظُمَ قَدْرُهَا . وَكَانَ دَوْرُهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَسِتِّمِائَةَ ذِرَاعٍ، حَتَّى كَمُلَ أَمْرُهَا . وَكَانَ عُقْبَةُ خَيْرٍ وَآلٍ وَخَيْرٌ أَمِيرٍ، مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ .

وَفِي سَنَةِ ٥٥، اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عَلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَعَزَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَاجٍ عَنْ مِصْرَ، وَعَزَلَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ . فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ . وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ وَلَّى مَسْلَمَةَ مِصْرَ؛ فَلَمَّا وَلَّى مَسْلَمَةَ الْآنَ إِفْرِيقِيَّةَ، عَزَلَ عَنْهَا عُقْبَةُ، وَوَلَّى عَلَيْهَا مَوْلَاهُ أَبَا الْمُهَاجِرِ دِينَارًا؛ وَنَفَى هُوَ صَاحِبُ مِصْرَ : جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُعَاوِيَةُ لَهُ، مِنْ أَطْرَافِ إِفْلِيمَ مِصْرَ إِلَى طَنْجَةَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جُمِعَ لَهُ الْمَغْرِبُ كُلُّهُ؛ فَلَمْ يَزَلْ وَالِيًا عَلَيْهِ حَتَّى هَلَكَ مُعَاوِيَةُ .

وَلَايَةُ أَبِي الْمُهَاجِرِ إِفْرِيقِيَّةَ وَعَزَلَ عُقْبَةُ

لَمَّا جَمَعَ مُعَاوِيَةُ وَلَايَةَ الْمَغْرِبِ لِمَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ . اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ دِينَارًا . وَنَكَّسَى أَبَا الْمُهَاجِرِ، وَعَزَلَ عُقْبَةُ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ . فَقَبِلَ لِمَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ

والى مصر: «لو استعملت عُقْبَةَ، وَأَفَرَزْتَهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ؟ فَإِنَّ لَهُ فَضْلًا وَسَابِقَةً! وهو الذى بنى القَيْرَوَانَ!» فقال مَسْلَمَةُ: «إِنَّ أَبَا الْمُهَاجِرِ، كَأَحَدِنَا، صَبَرَ عَلَيْنَا فِي غَيْرِ وَلايَةٍ، وَلَا كَبِيرَ نَبَلٍ! فَفَنَحْنُ نَحْبُ أَنْ نَكَافِيَهُ وَنَصْطَلِعَهُ!» فَقَدِمَ أَبُو الْمُهَاجِرِ إِفْرِيقِيَّةَ. فَأَسَاءَ عَزَلَ عُقْبَةَ، وَنَزَلَ خَارِجًا عَنِ الْمَدِينَةِ، وَكَرِهَ أَنْ يَنْزِلَ الْمَوْضِعَ الَّذِي اخْطَطَّهُ عُقْبَةُ. وَمَضَى حَتَّى خَلْفَهُ بِمِلَّتَيْنِ، مِمَّا يَلِي طَرِيقَ تُونُسٍ؛ فَاخْطَطَّ^١) بِهَا مَدِينَةً، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذِكْرُهَا، وَيُنْسَدَ عَمَلُ عُقْبَةَ. فَبَنَى مَدِينَةً، وَأَخَذَ فِي عِمَارَتِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ تَحْرُقَ الْقَيْرَوَانَ وَيُعِيرُوا مَدِينَتَهُ. فَخَرَجَ عُقْبَةُ مُنْصَرَفًا. وَأَدْرَكَهُ الْخَبْرُ فِي الطَّرِيقِ؛ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَشْرِقِ، آسِفًا عَلَى أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَكِّكَهُ مِنْهُ. فَلَبِغَتْ أَبَا الْمُهَاجِرِ دَعْوَتُهُ؛ فَقَالَ: «هُوَ عَبْدٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ!» وَلَمْ يَزَلْ أَبُو الْمُهَاجِرِ خَائِفًا مِنْهُ، نَادِمًا عَلَى مَا فَعَلَ مَعَهُ. وَلَبَّاهُ قَدِمَ عُقْبَةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ لَهُ: «فَتَحْتُ الْبِلَادَ، وَدَانْتُ لِي. وَبَنَيْتُ الْمَنَازِلَ، وَاتَّخَذْتُ مَسْجِدًا لِلْجَمَاعَةِ، وَسَكَنْتُ النَّاسَ. ثُمَّ أَرْسَلْتُ عَبْدَ الْأَنْصَارِ؛ فَأَسَاءَ عَزَلِي!» فَاعْتَذَرَ لَهُ مُعَاوِيَةُ، وَقَالَ لَهُ: «قَدْ عَرَفْتَ مَكَانَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ مِنَ الْإِمَامِ عَثْمَانَ، وَبَذَلَهُ مُهَجَّتَهُ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا؛ طُغِيَ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَمَوَالِيهِ، وَأَنَا أُرَدِّدُكَ إِلَى عَمَلِكَ!» وَتَرَخِيَ الْأَمْرَ حَتَّى تَوَفَّى مُعَاوِيَةَ وَأَفْضَى أَمْرَهُ إِلَى يَزِيدَ ابْنِهِ. فَلَمَّا عَلِمَ حَالُ عُقْبَةَ، قَالَ: «أَدْرَكُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْفَسَ!» فَرَدَّهُ وَالْبَاءَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ، وَقَطَعَهَا عَلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ إِلَى مِصْرَ.

وَفِي سَنَةِ ٥٦ مِنَ الْهِجْرَةِ، دَعَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ، وَجَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدٍ مِنْ بَعْدِهِ. فَانْقَادَ لَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، إِلَّا خَمْسَةَ نَفَرٍ: الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ - رَضَهُمْ -.

وَفِي سَنَةِ ٥٧، عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَعْمَلَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ

١) Lacune d'au moins deux feuillets dans A.

وكان العامل على مِصْرَ وإفريقية مَسْلَمَةُ بن مُخَلَّد؛ وولَّى مَسْلَمَةُ على إفريقية أبو المهاجر. وبقي الحال على ذلك، الى وفاة معاوية.

وفي سنة ٦٠، توفي معاوية بن أبي سفيان، يوم الجمعة مُسْتَصَفَ رَجَب، وهو ابن اثنين وثمانين سنة. وتولَّى الخلافة من بعده يزيد ابنه، وتلقب بالمُسْتَنَصِر بالله في بعض الأقوال؛ وكُنِيَتْهُ أبو خالد؛ وقد ذكرنا أخباره في تأليف.

وفي سنة ٦١، كان مقتل الحسين بن علي - رضهما -. وفيها أظهر عبد الله بن الزبير الخلاف بمكة، وخلع طاعة يزيد بن معاوية. وخبرها [مشهور].
وفي سنة ٦٢، ولَّى يزيد بن معاوية على بلاد إفريقية والمغرب كله عُقْبَةَ ابن نافع الفهري؛ وهي ولايته الثانية على إفريقية.

ذكر فتح المغرب الأقصى على يد عُقْبَةَ - رضه - وغزواته

فرحل عُقْبَةُ من الشام، ومعه خمسة وعشرون رجلاً من أصحاب رسول الله - صلعم -. فلما مرَّ على مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد صاحب مِصْرَ، خرج اليه، واعتذر من فعل أبي المهاجر، وأقسم له أنه خالفه فيما صنع، وأنه كان قد أوصاه بتقوى الله وحسن السيرة، وأن يُحْسِنَ عِشْرَةَ عُقْبَةَ. فقبل منه عُقْبَةُ، ومضى خيفاً على أبي المهاجر، حتى قدم إفريقية. فأوثق أبا المهاجر في الحديد، وأمر بتخريب مدينته التي بناها، وردَّ الناسَ الى الفَيْرَوان. وركب في وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين؛ فدار بهم حَوْلَ مدينة الفَيْرَوان، وهو يدعو لها، ويقول: «يا ربِّ! امْلأها علماً وفِهاً! وامْلأها بالمُطِيعين لك! واجعلها عزّاً لديك، وذلاً على من كفر بك!» ثم عزم - رضه - على الغزو في سبيل الله، وترك بها جنداً من المسلمين، واستخلف عليهم زُهَيْرَ بن قَيْسِ البَلَوِيِّ؛ وكان رجلاً صالحاً. ودعا عُقْبَةُ أولاده؛ فقال لهم: «إني قد بعْتُ نفسي من الله - عزَّ وجلَّ! - وعزمتُ على من كفر به، حتى أُقْتَلَ فيه، وألحقَ به! وأسْتُ أَدْرَى أَتَرَوْنِي بعدَ يَوْمِ هذا

أَمْ لَا، لَأَنَّ أَمَلِي الْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! « وَأَوْصَاهُمْ بِمَا أَحَبَّ؛ ثُمَّ قَالَ: « عَلَيْكُمْ
 سَلَامُ اللَّهِ! اللَّهُمَّ! تَقَبَّلْ نَفْسِي فِي رِضَاكَ! « ثُمَّ مَضَى بِعَسْكَرِهِ. فَكَانَتِ النَّصَارَى
 تَهْرَبُ مِنْ طَرِيقِهِ بَيْنَا وَشَمَالًا، وَهُوَ يَسْتَفْتَحُ الْبِلَادَانَ. وَيَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
 وَشَرَعَ عُقْبَةُ فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ الْمَذْكُورَةِ بَعْدُ. فَلَا أَعْلَمُ هَلْ كَانَتْ مُتَّصِلَةً فِي
 هَذَا الْعَامِ وَحْدَهُ، أَوْ فِيهِ وَفِيهَا بَعْدَ مِنْ بَقِيَّةِ أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ فَرَأَيْتُ إِيرَادَ
 غَزْوَانِهِ هُنَا مَجْمُوعَةً مُخْتَصِرَةً، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ خَبَرُهَا، إِذَا مَبْدَأُهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَفِي
 وَلَايَةِ يَزِيدَ؛ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ. فَخَرَجَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ! - غَازِيًا لِلرُّومِ وَالْبَرْبَرِ،
 وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَجُوسٌ وَنَصَارَى، وَذَلِكَ بِمَدِينَتَيْ بَاغِيَةِ^١ وَقَرْطَاجَنَةِ وَمَا وَالَاهَا.
 فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَهُمْ تَقْتِيلًا؛ وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ سَبْيِهِمْ وَخَيْالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا.
 وَغَزَوْنَهُ إِلَى مَدِينَةِ بَاغِيَةِ^٢، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَجَأَ إِلَيْهَا الرُّومُ وَاجْتَمَعُوا بِهَا.
 فَتَزَلَّ بِجَمْعِهِ عَلَيْهِمْ، وَحَاصَرَهُمْ. فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ؛ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا ذَرِيعًا؛
 وَأَخَذَ لَهُمْ خَيْلًا كَثِيرَةً. فَلَمْ يَسِرَّ الْمُسْلِمُونَ فِي مَغَازِيهِمْ أَصْلَبَ مِنْهَا. وَكَانَتْ مِنْ
 رِيتَاجِ جَبَلِ أُورَاسِ الْبُطَلِ عَلَيْهَا. وَدَخَلَ عَلَى الرُّومِ حَصْنَهُمْ؛ فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ
 عَلَيْهِمْ. وَكَانَ قَدْ حَصَرَ صَاحِبَ قَلْعَةِ بَاغِيَةِ^٣؛ فَمَضَى إِلَى مَدِينَةِ الْمُنَسِّيرِ؛ وَكَانَتْ
 فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ أَعْظَمِ مَدَائِنِ الرُّومِ. فَلَجَأَ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ حَوْلَهَا مِنْهُمْ،
 وَخَرَجُوا إِلَيْهِ فِي عِدَّةٍ وَقُوَّةٍ. فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ الْفَنَاءُ، إِلَى أَنْ
 هَزَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى بَابِ حَصْنِهِمْ. فَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً. وَرَحَلَ عَنْهُمْ.
 وَغَزَوْنَهُ أَيْضًا الرُّومُ بِمَدِينَةِ الْمُنَسِّيرِ ثَانِيَةً؛ وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ مَدَائِنِ الرُّومِ؛
 فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، وَاجْتَمَعَ جَمْعُهُمْ بِهَا، وَخَرَجُوا لِحَرْبِهِ. فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا،
 وَأَصِيبَ مِنْ غَنَائِمِهِمْ مَا لَمْ يُعْهَدَ مِثْلُهُ.
 وَغَزَوْنَهُ لَهُمْ أَيْضًا بِالزَّابِ وَقَتَلَهُ أَبَاهُمْ عَلَى وَادِي الْمَسِيلَةِ؛ فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَهُمْ.
 وَذَهَبَ عِزُّ الرُّومِ وَمُلْكُهُمْ مِنَ الزَّابِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.
 وَغَزَوْنَهُ لَهُمْ أَيْضًا تَبَهَّرَتْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ الرُّومُ وَالْبَرْبَرُ فِي إِقْلِيمِ تَبَهَّرَتْ

١) بَاغِيَةِ. B.

٢) بَحَايَةِ. B.

اجتماعاً عظيماً. فخطب عُقْبَةُ النَّاسِ، ووعظهم؛ ثُمَّ زحف إلى الكُفَّارِ؛ فالتحم
الْجَمْعَانِ. فوَلَّى الكُفَّارُ مِنْهَزِمِينَ؛ فَأَبَادَ فِرْسَانُهُمْ، وَقَتَلَ حُمَاتِهِمْ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ.
وَسَبَقَتْهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمْ؛ فَأَقْنَوْهُمْ وَقَطَعُوا آثَارَهُمْ.

صِفَةُ مَدِينَةِ يَتِيَهَرْتِ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ. قَالَ: هِيَ مَدِينَتَانِ: الْقَدِيمَةُ
مِنْهُمَا هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ، عَلَى خَمْسَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْحَدِيثَةِ؛ وَفِي شَرْقِيَّهَا
قَصْرٌ لِبَعْضِ الْقِبَائِلِ. وَالْحَدِيثَةُ مَشْهُورَةٌ؛ وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: بَابُ الصَّفِّ، وَبَابُ
الْمَنَازِلِ، وَبَابُ الْأَنْدَلُسِ وَبَابُ الْمَوَاجِنِ. وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جَزُولُ.
وَلَهَا فَصَّةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى السُّوقِ، يُقَالُ لَهَا الْمَعْصُومَةُ. وَهِيَ عَلَى نَهْرٍ يَأْتِيهَا مِنَ
الْقِبْلَةِ. وَهِيَ كَثِيرَةُ الْبَرْدِ وَالنَّالِجِ وَالْأَمْطَارِ، حَتَّى قَبِلَ لِبَعْضِهِمْ: «كَمْ زَمَانُ الشِّتَاءِ
عِنْدَكُمْ؟» قَالَ: «ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا!» وَقَالَ بَعْضُهُمْ [سَرِيعٌ]:

مَا أَطْوَلَ الْبَرْدَ وَرَيْعَانَهُ وَأَطْرَفَ الشَّمْسَ بَتِيهَرْتِ
تَبْدُو مِنَ الْغَيْمِ إِذَا مَا بَدَتْ كَأَنَّمَا تُنَشِّرُ مِنْ تَحْتِ
فَنَحْنُ فِي بَحْرِ بِلَالُجَةٍ تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى السَّمْتِ
نَفْرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَدَتْ كَفَرَحَةِ الدِّيَّانِ بِالسَّيْتِ

وَيَقْبَلُهَا مِنَ الْقِبَائِلِ: لُؤَانَةُ، وَهُوَارَةُ، وَبَغْرِيَّيَا: زُوَاغَةُ؛ وَبِجُوفِهَا مَطْطَاةُ
وَزَنَانَةُ. وَكَانَ إِحْدَاثُ يَتِيَهَرْتِ الْحَدِيثَةِ بَعْدَ سَنَةِ ١٤٠ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَالْقَدِيمَةَ قَبْلَ
ذَلِكَ بِمَا لَا يُعْرَفُ أَوَّلُهُ. وَالْحَدِيثَةُ أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ عَامِرَةٌ وَإِثْنَا عَشَرَ حِمَامًا؛
وَحَوَالِيهَا مِنْ قِبَائِلِ الْمَغْرِبِ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ. وَهِيَ مِنْ آخِرِ إِفْرِيْقِيَّةِ.

وَعَزَّوْتُهُ أَيْضًا إِلَى طَنْجَةِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ، لَمَّا تَوَالَّتِ الْهَزَائِمُ عَلَى نَصَارَى إِفْرِيْقِيَّةِ
وَبَرَبْرِيهَا، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ حَتَّى كَادَ يَسْتَأْصِلُهُمْ، لَجَأَ مِنْ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَى الْمَحْصُونِ
وَالْمَعَاوِلِ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا. فَكَّرَ الْمَقَامُ عَلَى مُحَاصَرَتِهِمْ، فَبَقِيَتْهُ الْغَزْوُ وَقَتْلُ غَيْرِهِمْ
مِنْ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ، إِذْ كَانَتْ أُمَمُ الْمَغْرِبِ مِنْ نَصَارَى وَبَرَابِرٍ لَا يُحْصَوْنَ
كَثْرَةً وَاتِّشَارًا، وَلَا يُكَاثَرُونَ بِالرَّمْلِ وَالْحَصَا. فَتَرَكَ أَهْلَ إِفْرِيْقِيَّةِ مُنَحْصَتِينَ

بجصونهم، وأوغل في الغرب، يقتل ويأسر أمة بعد أمة، وطائفة بعد طائفة،
 بائعاً نفسه من مولاه، لا تروعه كثرة، ولا تغتر به هو ومن معه سامة ولا فترة،
 حتى صار بأحواز طنجة. وكان بها ملك اسمه يليان، يملك منها إلى ساحل المجاز
 بسبعة. وكان من أشرف ملوك الروم وأعظمهم، وذوى العقل والدهاء فيهم.
 فلما قاربه، وجه إليه أرساله، مستعظفاً ومستلطفاً، وبعث له هدية عظيمة،
 وسأل منه المسالمة، وأن ينزل على حكمه. فقبل منه، واجتمع به، وسأله عن
 الأندلس؛ فعظم عليه أمرها، وقال له: «قد تركت الروم وراء ظهرك؛ وما
 أمامك إلا البربر؛ وهم مثل البهائم، لم يدخلوا في دين نصرانية ولا غيرها؛
 وهم يأكلون الجيف، ويأكلون مواشيهم، ويشربون دماءها من أعناقها؛ فقد
 كفروا بالله العظيم؛ فلا يعرفونه! ومُعظمهم المصامدة». قال: فسار عقبه نحو
 المصامدة بعد فتحة طنجة، على ما ذكرنا من الصالح والمسالمة بسياسة يليان.
 وهي طنجة القديمة في التواريخ، وفيها آثار كثيرة الأول.

صفة طنجة: قيل: عملها مسيرة شهر في شهر. وإنما كانت دار مملكة ملوك
 المغرب. وإن ملكاً من ملوكها كان في عسكره إذا اجتمع ثمانون ألفاً. ومسافة
 ما بين القيروان وطنجة مسيرة ألفي ميل. وهي قديمة أزلية، ليس بالمغرب أقدم
 منها؛ لاحتها غلب عليها الرمل. والعمارة اليوم فوقها. وهي طنجة المذكورة في هذه
 الغزاة؛ ويحفر خرابها، فيوجد فيه أصناف الجواهر. هكذا ذكر البكري في كتابه.
 وقال الوراق: إن كورة طنجة هي مساكن صنهاجة الهبط بطريق الساحل مما
 يلي سبعة. ويطون صنهاجة كثيرة، تفترق من قبيلتين؛ ويطون مضمودة تنشعب
 من أربع قبائل: دغاغ، وآصاد، وبني سمعة، وكثامة.

(رجع الخبر إلى ذكر عقبه الجبابرة) وغزوته أيضاً للبربر بالشوس الأدنى،
 وهي بلاد تامسنا، وهي بلاد المصامدة. فهزمهم، وأفناهم، وبث الخيل في بلادهم؛
 فافتقرت في طلبهم إلى كل موضع هربوا إليه، لا يدفعهم أحد.
 وغزوته أيضاً للشوس الأقصى. فاجتمع به البربر في أمم لا تحصى، ولا

تُكَاثِرَ بِالْحَصَا؛ ففقتلهم قتالاً ما سمع أهل المغرب بمثله، [حتى] هزمهم، وقتل منهم خلفاً عظيماً؛ وأصاب منهم نساء لم يَرَ الناسُ في الدنيا مثلوهُنَّ. قيل إنَّ الجاريةَ منهنَّ كانت تبلغُ بالشرق ألف دينارٍ أو نحوها. وهرب الناسُ أمامه، لا يُدافعُه أحدٌ، ولا يقومُ له، تأييداً من الله لأوليائه. وسار حتى بلغ البحر المُحيط؛ فدخل فيه، حتى بلغ الماء بطن فرسه؛ ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: «يا رَبِّ! لو لا أنَّ البحرَ منعني، لمضيتُ في البلاد إلى مَسَلِّكَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، مدافعاً عن دينك، مقاتلاً من كفر بك!» ثم قال لأصحابه: «انصرفوا على بركة الله!» فجلا الناسُ أمامه بكلِّ ناحية هارين، وخافت المُشركون أشدَّ مخافة، حتى أنَّ قلوبهم تنخلع لذكره. وانصرف قافلاً من السوس الأقصى.. قال ذلك ابن أبي الفَيْصاض وغيره.

وقال غيره: ونزل من دَرْعَة إلى بلاد صَنْهَاجَة، ثمَّ إلى بلاد هَسْكَوْرَة؛ ثمَّ نزل أَغْمَاتَ وَرِيكَة؛ ثمَّ نزل منها على وادي نَفَيْس. وقام عُقْبَة من وادي نَفَيْس، وسار حتى نزل إِبْجَلِي بالسوس، وبنى فيه مسجداً. أخبرني الشيخ الصالح أبو عليٍّ صالح بن أبي صالح أنَّه لم يَصْحَ عنه أنَّ عُقْبَة -رضه- حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب، إلاَّ مسجد القَيْرَوَان، ومسجداً بَدْرَعَة، ومسجداً بالسوس الأقصى؛ وأما غير ذلك من المساجد المسماة باسمه؛ فإنَّ الناس -والله أعلم!- بنوها بموضع نزوله. وقال الإِسْبِيلِيُّ، في كتابه «المَسَالِك» له: إنَّ المسجد الذي على وادي نَفَيْس، بناء عُقْبَة -رضه-. قال أبو عليٍّ: ثمَّ سار عُقْبَة من إِبْجَلِي، حتى وصل ماسَّة؛ فأدخل فرسه في البحر، حتى وصل الماء تَلَايِيَه، وقال: «السلامُ عليكم! يا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ!» فقال له أصحابه: «على من تُسَلِّمُ؟» قال: «على قوم يُونُسَ -عم!» ثمَّ قال: «اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تعلم أنَّي لم أطلب إلاَّ ما طلب عبدك ووليك ذو الْقَرْنَيْنِ ألاَّ يُعْبَدَ في الأرض غيرُكَ!»

ثمَّ رجع عُقْبَة قافلاً إلى المغرب الأوسط، وسلك على إِبْغِيرَان بطوف؛ ثمَّ إلى تَارَنَّا، ثمَّ إلى موضع شَاكِر، وترك به صاحبه شَاكِرًا؛ فسُيِّىَ باسمه. ثمَّ رحل

منه الى بلاد دُكَّالة ؛ فوجد فيها قوماً ؛ فدعاهم الى الإسلام ؛ فامتنعوا ؛ فقاتلهم ؛ فقتلوا جملةً من أصحابه ؛ فسُمِّيَ ذلك الموضع مَقْبَرَةَ الشَّهَدَاءِ الى الآن . ثم رجع من دُكَّالة الى بلاد مَسْكُورَةَ الى موضع يُقال له اطار ؛ فوجد فيه أقواماً ؛ فدعاهم الى الإسلام ؛ فامتنعوا ؛ فتقاتل معهم حتى قُتِلَ أمامه . فلم يقاتله بعد ذلك أَحَدٌ من أهل المغرب .

قال ابن عبد البر: فتح عُقْبَةُ عامَّةُ بلاد البربر، الى أن بلغ طَنْجَةَ ؛ وجال هنالك، ولا يقاتله أَحَدٌ، ولا يعارضه، حتى فتح كُورَةَ من كُورِ السودان . وقال أبو عليّ المذكور: لما رجع عُقْبَةُ من بلاد جَزُولَةَ، سلك على بلاد صَوْدَةَ . قال ابن القَطَّان: ثم سار عُقْبَةُ الى إفريقية .

وغزَوْتُهُ أيضاً للروم والبربر بفرب من إفريقية، فافلا اليها بعد تلك الغزوات ؛ فتفرَّقَ عنه جيشه، للإياب الى أحيائهم، والبدار الى عيالهم ؛ فبقي في جمع قليل .

ذكر وفاة عُقْبَةَ بن نافع - رضه

وذلك أَنَّ عُقْبَةَ، لما وصل الى مدينة طُبْنَةَ، أمر أصحابه ؛ فتقدَّموا ثقةً منه بما دَوَّخَ من البلاد، وأَنَّهُ لا يقوم له أَحَدٌ لينفذ قدرُ الله ومرأته، ويتعجَّلَ لعبه من كرامته مبعأده . فصرف أصحابه الى منازلهم عند قُرْبِهِمْ منها ؛ وسار هو الى مدينة تَهودا، لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان . فلما انتهى اليها في بقية من معه وكانوا قليلاً، نظر الروم اليهم ؛ فطمعوا فيهم ؛ فأغلقوا باب حصنهم، وجعلوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنبل، وهو يدعوهم الى الله - عزَّ وجلَّ ! - فلما توسَّط البلاد، بعث الروم الى كُسَيْلَةَ بن لزم الأوربي، وقيل: البرُئسي؛ وقد كان في عسكر عُقْبَةَ . وذلك أَنَّ أبا المهاجر في ولايته لإفريقية، كان نهض الى المغرب ؛ فقتل عيوناً عند تَلِيسَان، تُعرَف الآن بعيون أبي المهاجر . فزحف منها الى كُسَيْلَةَ، وهو في عدَّة من قبائل البرانس . فظفر به أبو المهاجر، وعرض

عليه الإسلام؛ فأسلم. وأحسن إليه أبو المهاجر واستبقاه. فلما قدم عُقبة، وعُزِل أبو المهاجر، [عرّفه] بحال كُسَيْلَة، وأنه من ملوك البربر، ولم يستعكم الإسلام بقلبه. فاستخفّ به عُقبة. وأتى عُقبة يوماً بذود غنم، فأمر بذبحها للعسكر، وأمر كُسَيْلَة أن يسْلَخَ منها مع السلاخين. فقال كُسَيْلَة: «أصلح الله الأمير! هؤلاء فتيان وعبيدي يُكفونى [المونة]!» فقال عُقبة «لا!» فقام كُسَيْلَة مُغَضِباً. فكان، كلما دحس، مسح بِلَحِيته؛ فجعل العرب يثرون به، فيقولون: «يا بَرَبْرِي! ما تصنع؟» فيقول: «هذا جَيْدٌ للشعرا» حتى مرّ به شيخ من العرب؛ فقال لم: «كلّا! إنّ البربري يتوعدكم!» فقال أبو المهاجر لعقبة: «يش ما صنعت! كان رسول الله - صلّم - يتألف جبايرة العرب، وانت تأتى الى رجل جبار في قومه، في دار عِزّه، قريب العهد بالشرك؛ فتُهِينُهُ!» فتهاون عُقبة بكلامه. فانتهر كُسَيْلَة فُرْصَةً؛ فنكث، وقام في أهل بيته وقبائله من البربر. فقال أبو المهاجر: «عاجله قبل أن يستعجل أمره!» فوقف إليه عُقبة؛ فتنحى أمامه. فقالت له البربر: «لِمَ تنحى عنه؟ وهو في خمسة آلاف، ونحن في خمسين ألفاً في الزيادة! والرجل ليس عندك من يمدّه، وقد سار عنه أصحابه!» فركبه البربر في الجيوش العظيمة، وغشيّه بهم كُسَيْلَة بقرب تهودا. فنزل عُقبة - رضه - وركع ركعتين، وقال لأبي المهاجر: «الحق بالمسلمين، فقم بأمرهم! فأنا أغتنم الشهادة!» فقال له أبو المهاجر: «وأنا، والله! أغتنمها معك!» فكسر كل واحد منهما جفن سينه، وكسر المسلمون كذلك أغناد سيوفهم، وأمرهم أن يترجلوا عن خيولهم. فقاتلوا قتالاً شديداً، حتى بلغ منهم الجهد، وكثر فيهم الجراح. وتكاثر عليهم العدو؛ فقتل عُقبة، وأبو المهاجر، ومن كان معهما من المسلمين؛ ولم يفلت منهم أحدٌ إلا بعض وجوهم أيسروا؛ فنداهم صاحب قنصة، وبعث بهم الى زهير بن قيس؛ وكان عُقبة قد خلفه أميراً على القيثوان وعلى تلك البلاد في كثير من المسلمين، فلما بلغ ذلك زهيراً، أراد الانصراف الى مصر. فبيل له: «الهريرة بالمسلمين من إفريقية الى مصر؟» فعزم على القتال. فاجتمع الى كُسَيْلَة أهل

المَغْرِبَ فَاِطْبَعَهُ وَزَحَفَ يَرِيدَ الْفَيْرَوَانَ . واضطربت إفريقيا . وكان وصول
عُقْبَةَ إِلَى الْمَغْرِبِ سَنَةَ ٦١ . وقيل : سنة ٦٢ . وجال في المغرب ثلاثة أعوام ،
يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ !

وَيُرَوَّى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى - أَنْذَرَ بِقَتْلِ عُقْبَةَ - رَضَهُ - وَأَصْحَابِهِ - رَضَهُمْ - ،
وَأَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ! - نَهَى عَنْ سُكْنَى مَدِينَةِ تَهُودَا ، وَقَالَ : « سَوْفَ يُقْتَلُ
عَلَيْهَا رَجَالٌ مِنْ أُمَّتِي مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! ثَوَابُهُمْ كَثُوبٌ أَهْلُ بَذْرٍ مَا بَدَلُوا
وَلَا غَيْرُوا ، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَسَيُفْقَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ ! » وَكَانَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ
يَقُولُ : « وَاشَوْفَاهُ الْبِهِم ! » وَكَانَ يَقُولُ : « سَأَلْتُ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛
فَقَالُوا : ذَلِكَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ وَأَصْحَابُهُ ، قَتَلَهُ الْبَربر وَالرُّومُ بِمَدِينَةٍ تَسْمَى تَهُودَا ؛
فَمِنْهَا يُحْشَرُونَ حَتَّى يَقُولَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ ! » وَقَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ فِي « نَظْمِ
الْجُمَانِ » : « وَأُخْبِرْتُ أَنَّ عُقْبَةَ كَانَ قَدِيمَ بَصُرٍ ، وَعَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي فِي خِلَافَةِ
مُعَاوِيَةَ . فَتَزَلَّ مَتَزِلًّا مِنْ بَعْضِ قُرَاهَا ، وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَجَمَاعَةٌ
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى - . فَوُضِعَ بَيْنَهُمْ طَعَامٌ . فَلَمَّا تَنَاولُوا مِنْهُ ، ضَرَبَتْ حِدَاةٌ
عَلَى الطَّعَامِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ فَأَخَذَتْ مِنْهُ . فَقَالَ عُقْبَةُ : « اللَّهُمَّ ! ذُقْ عُقْبَتَهَا ! »
فَأَقْبَلَتِ الْحِدَاةُ حَتَّى ضَرَبَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَدْ انْدَقَّ عُقْبَتُهَا . فَاسْتَوْجَعَ
P. ١٥ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي يَوْمًا ؛ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ : « مَا لَكَ ؟ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! * تَتَوَجَّعُ ؟ »
فَقَالَ لَهُ : « بَلِّغْنِي أَنَّ قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَشْهِدُونَ جَمِيعًا ! » فَقَالَ عُقْبَةُ : « اللَّهُمَّ !
وَأَنَا مِنْهُمْ ! » فَكَانَ مِنْهُ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ .

وَصِفَةُ مَدِينَةِ تَهُودَا : هِيَ مَدِينَةُ أَرْزَلِيَّةَ ، بُنِيَانُهَا بِالْحِجَارَةِ . لَهَا أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ ،
وَرَبِضٌ وَاحِدٌ . وَبِهَا جَامِعٌ جَلِيلٌ ، وَمَسَاجِدُ ، وَفَنَادِقُ كِبَارٌ . وَيَسْكُنُهَا قَوْمٌ
مِنَ الْبَربر .

وَفِي سَنَةِ ٦٤ ، دَخَلَ كُسَيْلَةُ الْبَرْسِيُّ مَدِينَةَ الْفَيْرَوَانَ ، وَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي
الْمُسْلِمِينَ ، فِي مُحَرَّمٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، وَزَحَفَ إِلَى

الْقَيْرَوَانِ . فَعَظَّمَ الْبَلَاءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَقَامَ زُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ خُطِيباً فِي النَّاسِ ؛ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! إِنَّ أَصْحَابَكُمْ قَدْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالشَّهَادَةِ ! فَاسْلُكُوا سَبِيلَهُمْ ! وَيَفْتَحُ اللَّهُ لَكُمْ دُونَ ذَلِكَ ! » فَقَالَ حَنْشُ الصَّنْعَانِيِّ : « لَا إِلَهَ إِلَّا مَا نَقَبَلُ قَوْلَكَ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا مَا عَلَيْنَا وَلَايَةً ! وَلَا عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنَ النِّجَاةِ بِهَذِهِ الْعَصَابَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَشْرِقِهِمْ ! » ثُمَّ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ الْفُتُولَ إِلَى مَشْرِقِهِ ، فَلْيَتَّبِعْنِي ! » فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ . وَلَمْ يَبْقَ مَعَ زُهَيْرٍ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِهِ . فَهَضَّ فِي أَثَرِهِ وَلَحَقَ بِقَصْرِ بَبْرَقةَ ؛ فَأَقَامَ بِهَا مُرَابِطاً إِلَى دَوْلَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ .

وَأَقْبَلَ كُسَيْلَةُ الْبُرْنُوسِيُّ بِعَسَاكِرِهِ . فَلَمَّا قَرِبَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، خَرَجَ مِنْ كَانَ فِيهَا هَارِبِينَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِقِتَالِهِ ، لِعَظِيمِ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ الْبَرْبَرِ وَالرُّومِ . فَأَمَّنَ كُسَيْلَةُ مِنْ بَقِيَ بِالْقَيْرَوَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَقَامَ بِالْقَيْرَوَانِ أَمِيراً عَلَى سَائِرِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ، وَعَلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى أَنْ وُجِيَ الْخِلَافَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

وَفِي سَنَةِ ٦٥ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَجِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . فَلَمَّا اشْتَدَّ سُلْطَانُهُ ، وَاجْتَمَعَ أَكْبَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ ، سَأَلُوهُ تَخْلِيصَ إِفْرِيقِيَّةِ ، وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ يَدِ كُسَيْلَةِ اللَّعِينِ . فَقَالَ : « لَا يَصْلُحُ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُقْبَةٍ مِنَ الرُّومِ وَالْبَرْبَرِ إِلَّا مَنْ هُوَ * مِثْلُهُ دِيناً وَعَقْلاً ! » فَاسْتَشَارَ مَعَ وَزَرَائِهِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ P. ١٦ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسِ الْبَلَكَوِيِّ ، وَقَالُوا : « هَذَا صَاحِبُ عُقْبَةٍ ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِسِيرَتِهِ وَتَدْيِيرِهِ وَأَوْلَامِهِ بِطَلَبِ دَمِهِ ! » فَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى زُهَيْرٍ ، وَهُوَ بِبَبْرَقةَ ، بِأَمْرِهِ بِالْخُرُوجِ عَلَى أَيْعَنَةِ الْخَيْلِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ ، لِيَسْتَنْقِذَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ زُهَيْرٌ يُعْرِفُهُ بِكَثْرَةِ مَا اجْتَمَعَ عَلَى كُسَيْلَةَ مِنَ الْبَرْبَرِ وَالرُّومِ ؛ فَأَمَدَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ ، وَخَشَدَ إِلَيْهِ وَجُودَ الْعَرَبِ ، وَبَعَثَهُمْ إِلَيْهِ . فَوَفَدَتِ الْجِيُوشُ عَلَى زُهَيْرٍ ، وَتَسَرَّعَ النَّاسُ مَعَهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ . وَفِي سَنَةِ ٦٩ ، أَقْبَلَ زُهَيْرُ بْنُ قَيْسِ الْبَلَكَوِيِّ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ .

فبلغ كُسَيْلَةَ بن لَهْزَمٍ قَدُومُهُ اليه، وعزَّمَهُ عليه. فجعل لا يَهَابُهُ ولا يَخَافُ منه
وكان كُسَيْلَةَ في خَلْقٍ عَظِيمٍ من البربر والروم، أضعاف ما مع زُهَيْرٍ مُضَاعَفَةً.
فدعا كُسَيْلَةَ أَشْرَافَ البربر وقال لهم: «إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ أَرْحَلَ عن هذه المدينة؛
فَإِنَّ بِهَا قَوْمًا من المسلمين، لهم علينا عَهْدٌ. ونحن نَخَافُ، إِن أَخَذْنَا الْقِتَالَ
مَعَهُمْ، أَنْ يَكُونُوا عَلَيْنَا. وَلَا كُنْ نَنْزِلُ عَلَى مَوْضِعٍ مَسٍّ¹ وَهِيَ عَلَى الْمَاءِ². فَإِنَّ
عَسَكْرَنَا خَلَقٌ عَظِيمٌ؛ فَإِنْ هَزَمْنَاهُمْ إِلَى إِطْرَابُلُسَ، فَطَعْنَا آثَارَهُمْ؛ فَيَكُونُ لَنَا
الْقُرْبُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ! وَإِنْ هَزَمُونَا، كَانَ الْجَبَلُ مِنَّا قَرِيبًا وَالشَّعْرَاءُ!
فَنَتَحَصَّنُ³ بِهَا!»

ذِكْرُ مُحَارَبَةِ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسِ الْبَلَوِيِّ مَعَ كُسَيْلَةَ ابْنِ لَهْزَمِ الْيَرْبُوعِيِّ

لَمَّا رَحَلَ كُسَيْلَةَ عَنِ الْقَيْرَوَانِ، نَزَلَ عَلَيْهَا زُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ⁴ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ
يَدْخُلْهَا؛ وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ رَحَلَ عَنْهَا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى عَسَاكِرِ كُسَيْلَةَ فِي آخِرِ
P. 17 النَّهَارِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى* رَحَفَ إِلَيْهِ. وَأَقْبَلَ كُسَيْلَةَ
وَمِنْ مَعَهُ؛ فَالْتَقَى الْجَمْعَانِ، وَالنَّحْمُ الْقِتَالَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ؛ وَنَزَلَ الضَّرُّ وَكَثُرَ
الْقَتْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ، حَتَّى يَشُكُّ النَّاسُ مِنَ الْحَيَاةِ. فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى انْهَزَمَ
كُسَيْلَةَ وَقُتِلَ. وَمَضَى النَّاسُ فِي طَلَبِ الْبَرَبِ وَالرُّومِ؛ فَلَحِقُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ، وَقَتَلُوهُمْ،
وَجَدُوا فِي طَلَبِهِمْ إِلَى وَادِي مَلُويَّةٍ بِالْغَرْبِ؛ فَفِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ ذَهَبَ رِجَالُ الرُّومِ
وَالْبَرَبِ الْمُشْرِكِينَ، وَقُتِلَ مَلُوكُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ وَفَرَسَاتُهُمْ. ثُمَّ انْصَرَفَ زُهَيْرٌ إِلَى
الْقَيْرَوَانِ؛ فَأَوطَنَهَا. فَفَزَعَ مِنْهُ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ، وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ؛ فَلَجُّوا إِلَى الْحَصُونِ
وَالْقِلَاعِ. ثُمَّ إِنَّ زُهَيْرًا رَأَى بِإِفْرِيقِيَّةِ مُلْكًا عَظِيمًا؛ فَأَبَى أَنْ يَقِيمَ بِهَا، وَقَالَ:
«إِنِّي مَا قَدِمْتُ إِلَّا لِلْجِهَادِ! وَأَخَافُ أَنْ تَسِيلَ بِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُهْلِكَ!» وَكَانَ مِنْ

1) A. ميسر. B. مسيرم.

2) Sic dans A. et B.

3) A. et B. تتحصنوا.

4) A. حرب.

رؤساء العابدين، وكبراء الزاهدين. فترك القَيْرَوَان آمِنَةً، وانصرف عنها.
وأقام بها كثيراً من أصحابه.

خروج زُهَيْر الى بَرْقَة وكيفية مقتله بها

ثم رحل زُهَيْر الى المشرق في خلق عظيم. فلحق الرومَ خروجُه من إفريقية
الى بَرْقَة؛ فأمكنهم ما يريدون. فخرجوا اليها في مراكب كثيرة، وقوة عظيمة.
فأغاروا على بَرْقَة؛ فأصابوا فيها سبياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا. ووافق ذلك
قدوم عسكر زُهَيْر الى بَرْقَة من إفريقية؛ فأخبر زُهَيْر بخبرهم. فأمر عسكره
بالمسير الى الساحل، طمعاً أن يدرك سبي المسلمين، فيستفدhem. فأشرف على
الروم، وإذا هم في خلق عظيم. فلم يقدر على الرجوع^١، وقد استغاث به
المسلمون وصاحوا، والروم يُدخلونهم المراكب. فنادى بأصحابه النزول؛ فتركوا.
وكانوا أشرف العابدين، ورؤساء العرب المجاهدين، أكثرهم من التابعين.
فزل الروم اليهم وتلقَّوهم بعدد عظيم. والنعم * القتال، وتكاثر عليهم الروم؛^{١٨}
فقتل زُهَيْر - رضه - وأشرف من كان معه من العرب. ومضى المسلمون الى
دِمَشق؛ فدخلوا على عبد الملك بن مروان؛ فأخبروه أنَّ أميرهم وأشرف رجالهم
قد استشهدوا. فعظم ذلك عليه، لفضل زُهَيْر ودينه. وكانت مُصِيبته مثل
مُصِيبَةِ عُقْبَةَ قَبْلَه. فاجتمع أشرف العرب، وسألوا عبد الملك أن ينظر
لإفريقية مَنْ يَسُدُّ نَفَرَهَا، وَيُصْلِحَ أَمْرَهَا. فقال لهم عبد الملك: «ما أرى أحداً
كُنُوءاً لإفريقية كحَسَّان بن النُّعْمَان!»

وفي سنة ٢٧٤^٢، مات عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضهما -. ذُكِرَ أنَّ
الحجاج بن يوسف سمَّه، في خبر طويل.

١) B. الركوع.

٢) Tout ce passage, jusqu'à la fin du chapitre, manque dans B.

وفي سنة ٧٦، كان حدوث السِّكَّة في الإسلام. وأمر أمير المؤمنين عبد الملك بضرب الدنانير والدراهم بنقش الإسلام.

وفي سنة ٧٧، ثار المطرّف بن البُغيرة بن شعبة على عبد الملك بن مروان؛ فكاهه عبد الملك، واحتال عليه الى أن قُتل. وفيها كان [قتل] رؤساء الخوارج.

ولاية حسان بن النعمان إفريقية والمغرب

وفي سنة ٧٨، قدم حسان بن النعمان إفريقية. اختاره لها عبد الملك بن مروان، وقدمه على عسكري فيه أربعون ألفاً: أقامه أولاً في مصر بالعسكر، عدّة لها يحدث. ثم كتب اليه، يأمره بالنهوض الى إفريقية، ويقول له: «أتى قد أطلقت يدك في أموال مصر. فأعط من معك ومن ورد عليك، وأعط الناس، وأخرج الى بلاد إفريقية، على بركة الله وعونه!»

بعض أخبار حسان بن النعمان

P. ١٩ نَسَبُهُ: هو حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مُغيث* بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد. قدم إفريقية في عسكر عظيم؛ فلم يدخل المسفون قط إفريقية بمنزل ما دخلها حسان بن النعمان. فلما حصل بالقيروان، سأل أهل إفريقية: «من أعظم الملوك بها قدراً؟» فقالوا: «صاحب قرطاجنة دار ملك إفريقية!» فسار حسان حتى نزل عليها. وكان بها من الروم خلق لا يحصى كثرة. فخرجوا اليه مع ملكهم؛ فقاتلهم حسان حتى هزمهم، وقتل أكثرهم. ثم نازلها حتى افتتحها، وهي كانت دار الملك بإفريقية.

ذكر قرطاجنة إفريقية. ويسمونها أهل تونس اليوم¹ بالمعلقة. وكانت قرطاجنة مدينة عظيمة، تضرب أمواج البحر سورها. وهي من مدينة تونس على اثني عشر ميلاً. وكان بينهما قرى متصلة² عامرة. وكان البحر لم يخرق الى

1) أهل إفريقية B.

2) Manque dans A.

تُونُس، وإِنَّمَا انْخَرَقَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ آثَارُ عَظِيمَةٍ، وَأَبْنِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، وَأَعْمِدَةٌ ثَابِتَةٌ غَلِيظَةٌ، تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ الْأُمَمِ الدَّائِرَةِ. وَأَهْلُ تُونُسَ، إِلَى الْآنَ، لَا يَزَالُونَ يَطْلَعُونَ فِي خَرَابِهَا عَلَى أَعَاجِيبَ وَمَصَارِعَ لَا تَنْقَطِعُ بِطُولِ الْأَزْمَانِ لِمَتَّامِلٍ.

فَلَمَّا قَدِمَ حَسَّانُ إِلَيْهَا، وَقَتَلَ فُرْسَانَهَا وَرَجَالَهَا، اجْتَمَعَ رَأْيُ مَنْ بَقِيَ بِهَا عَلَى الْفِرَارِ مِنْهَا. وَكَانَتْ لَهُمْ مَرَائِبُ كَثِيرَةٌ؛ فَهُمْ مِنْ مَضَى إِلَى صِفْلِيَّةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَضَى إِلَى الْأَنْدَلُسِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهَا حَسَّانُ، وَعَلِمَ أَهْلُ بَوَادِيهَا وَأَقَالِيمِهَا هُرُوبَ الْمَلِكِ عَنْهَا، بَادَرُوا إِلَيْهَا؛ فَدَخَلُوهَا. فَرَحَلَ إِلَيْهَا حَسَّانُ، وَنَزَلَ عَلَيْهَا. فَحَاصَرَهَا حِصَارًا شَدِيدًا حَتَّى دَخَلَهَا بِالسَّيْفِ. فَقَتَلَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَسَبَّاهُمْ وَنَهَبَهُمْ. وَأَرْسَلَ لِمَنْ حَوَالَيْهَا؛ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ مُسَارِعِينَ، خَوْفًا مِنْ عَظِيمِ سَطْوَتِهِ، وَشِدَّةِ بَأْسِهِ. فَلَمَّا آتَوْهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، أَمَرَهُمْ بِتَخْرِيبِ قَرْطَاجِنَةَ وَهَدْمِهَا. فَخَرَّبُوهَا حَتَّى صَارَتْ كَأَمْسِ الْغَايِرِ. ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ النَّصَارَى اجْتَمَعُوا، وَأَمَدُّهُمْ الْبَرْبَرُ* بِعَسْكَرٍ عَظِيمٍ فِي بِلَادِ صَطْفُورَةَ. فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ حَسَّانُ حَتَّى لَقِيَهُمْ. وَقَاتَلَهُمْ P. ٢٠ حَتَّى هَزَمَهُمْ، وَقَتَلَ الرُّومَ وَالْبَرْبَرَ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَعْيَنَةَ خَيْلِهِ؛ فَمَا تَرَكَ مِنْ بِلَادِهِمْ مَوْضِعًا إِلَّا وَطِئَتْهُ. وَلَجَأَ الرُّومُ هَارِبِينَ خَائِفِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَاجَةَ؛ فَتَحَصَّنُوا بِهَا؛ وَهَرَبَ الْبَرْبَرُ إِلَى إِقْلِيمِ بُونَةَ. وَانْصَرَفَ حَسَّانُ إِلَى الْقَيْْرَوَانِ.

خبر حَسَّانَ مَعَ الْمَلِكَةِ الْكَاهِنَةِ وَهَزِيمَتِهَا لَهُ

لَمَّا دَخَلَ حَسَّانُ الْقَيْْرَوَانِ، أَرَّاحَ بِهَا أَيَّامًا. ثُمَّ سَأَلَ أَهْلَهَا عَنِ بَقِيَّةِ مَنْ أَعْظَمَ مَلُوكِ إِفْرِيقِيَّةٍ، لِيَسِيرَ إِلَيْهِ؛ فَبَيَّيْنَهُ أَوْ يُسَلِّمَ؛ فَدَلُّوه عَلَى امْرَأَةٍ، بِجَبَلِ أَوْرَاسَ، يُقَالُ لَهَا الْكَاهِنَةُ؛ وَجَمِيعُ مَنْ بِإِفْرِيقِيَّةٍ مِنَ الرُّومِ مِنْهَا خَائِفُونَ، وَجَمِيعُ الْبَرْبَرِ لَهَا مُطِيعُونَ. «فَإِنْ قَتَلْتَهَا، دَانَ لَكَ الْمَغْرِبُ كُلُّهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ مُضَادٌّ وَلَا مُعَارِدٌ» فَدَخَلَ بِجِيُوشِهِ إِلَيْهَا. وَبَلَغَ الْكَاهِنَةُ خَبْرَهُ؛ فَرَحَلَتْ مِنَ الْجَبَلِ فِي عِدَدٍ لَا يُحْصَى، وَلَا يُبْلَغُ بِالِاسْتِنْفَاصِ، وَسَبَقَتْهُ إِلَى مَدِينَةِ بَاغَايَةَ. فَأَخْرَجَتْ مِنْهَا

الروم، وهدمتها، وظننت أن حساناً يريد مدينة لينحصن بها منها. فبلغ خبرها حساناً؛ فقتل يواذي مسكينة¹. فرجلت الكاهنة حتى نزلت على الوادي المذكور. فكان هو يشرب من أعلى الوادي، وهي من أسفله. فلما توافقت الخيل، دنا بعضهم من بعض؛ فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار. فبات الفريقان ليلتهم على سروجهم. فلما أصبح الصباح، التقى الجمعان؛ فقتلوا قتلاً لم يُسمع مثله؛ وصبر الفريقان صبراً لم يمتد أحدٌ إليه، إلى أن انهزم حسان بن النعمان، ومن معه من المسلمين. وقتلت الكاهنة العرب قتلاً ذريعاً، وأسرت ثمانين رجلاً من P. ٢١ أعيان أصحابه. *وسمى ذلك الوادي وادي العذاري. وتابعت الكاهنة حتى خرج من عمل قايس. فكتب حسان إلى أمير المؤمنين عبد الملك يخبره بذلك، وأن أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحدٌ منها على نهاية؛ كلها بادئ أمة، خلقتها أمم؛ وهي من الجهل والكثرة كسائفة النعم. فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حيثما وافاه الجواب؛ فورد عليه في عمل برقة. فأقام بها وبني هنالك قصوراً تسمى إلى الآن بقصور حسان.

وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين. فلما رأت إبطاء العرب عنها، قالت للبربر: «إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة؛ ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي؛ فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها، حتى يبئس منها العرب؛ فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر». فوجهت قومها إلى كل ناحية، يقطعون الشجر، ويهدمون الحصون؛ فذكروا أن إفريقية كانت ظلاً واحداً من إطرأس إلى طنجة، وقرى متصلة، ومدائن منظمة، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات، ولا أوصل بركات، ولا أكثر مدائن وحصوناً من إقليم إفريقية والمغرب، مسيرة ألفي ميل في مثله. فخربت الكاهنة ذلك كله، وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق

1) A. سكتانة. B. سككتانة.

كثير، مُسْتَفِثِينَ مِمَّا نَزَلَ بِهِم مِنَ الْكَاهِنَةِ؛ فَتَفَرَّقُوا عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَسَائِرِ
الْجُزُرِ الْبَحْرِيَّةِ.

وكانت الكاهنة، لما أُسِرَت ثمانين رجلاً من أصحاب حَسَّان، أَحَسَنَت إِلَيْهِمْ،
وَأَرْسَلَتْ بِهِمْ إِلَى حَسَّانٍ؛ وَحَبَسَتْ عِنْدَهَا خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ. فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا: «مَا
رَأَيْتُ فِي الرِّجَالِ أَجْمَلَ مِنْكَ، وَلَا أَشَجَعَ! وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَرْضِعَكَ، فَتَكُونَ أَخًا
لَوْلَدَيَّ! وَكَانَ لَهَا ابْنَانِ أَحَدُهُمَا بَرَزْرِي، وَالْآخَرُ يُونَانِي. وَقَالَتْ: «لَه:» نَحْنُ P. ٢٢
جَمَاعَةُ الْبَرَبْرِ لَنَا رَضَاعٌ: إِذَا فَعَلْنَاهُ، نَتَوَارَثُ بِهِ!» فَعَمِدَتْ إِلَى دَفِينِ الشَّعِيرِ؛ فَلَقَّتْهُ
بَزِيرَتٍ، وَجَعَلَتْهُ عَلَى ثَدْيَيْهَا، وَدَعَتْ وَلَدَيْهَا، وَقَالَتْ: «كُلَا مَعَهُ عَلَى ثَدْيَيَّ!»
فَفَعَلَا؛ فَقَالَتْ: «قَدْ صِرْتُمْ إِخْوَةً!»

ذكر مقتل الكاهنة الملكة

ثُمَّ إِنَّ حَسَّانًا تَوَافَتْ عَلَيْهِ فُرْسَانُ الْعَرَبِ وَرَجَالُهَا مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَبْدِ الْمَلِكِ. فَدَعَا حَسَّانٌ عِنْدَ ذَلِكَ بَرَجْلَ يَشِيقُ بِهِ، وَبَعَثَهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ
بِكُتَابٍ. فَقَرَأَهُ وَكَتَبَ فِي ظَهْرِهِ: «إِنَّ الْبَرَبَرَ مُتَّفِقُونَ. لَا نِظَامَ لَهُمْ وَلَا رَأْيَ
عِنْدَهُمْ! فَاطْوَ الْمَرَاحِلَ، وَجُدَّ فِي السَّيْرِ!» وَجَعَلَ الْكِتَابَ فِي خَبْزَةٍ
وَجَعَلَهَا زَادًا لِلرَّجْلِ، وَوَجَّهَهُ بِهَا إِلَى الْأَمِيرِ حَسَّانَ. فَلَمْ يَغِبْ عَنْ خَالِدِ
ابْنِ يَزِيدَ إِلَّا بِسِيرًا حَتَّى خَرَجَتْ الْكَاهِنَةُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا، تَضْرِبُ صَدْرَهَا،
وَتَقُولُ: «يَا وَيْلَكُمْ! يَا مَعْشَرَ الْبَرَبْرِ! ذَهَبَ مُلْكُكُمْ فِيمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ!» فَافْتَرَقُوا
مِمَّنَا وَشِمَالًا يَطْلُبُونَ الرَّجْلَ؛ فَسَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى وَصَلَ حَسَّانًا؛ فَكَسَرَ الْخَبْزَةَ
وَقَرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَيْهِ خَالِدٌ؛ فَوَجَدَهُ قَدْ أَفْسَدَتْهُ النَّارُ. فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ:
«ارْجِعْ إِلَيْ!» فَقَالَ الرَّجُلُ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ كَاهِنَةٌ: لَا يَخْفَى عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا!»
فَرَحَلَ حَسَّانُ بِمَجْنُودِهِ إِلَيْهَا. وَبَلَغَ الْكَاهِنَةُ خَبْرَهُ؛ فَرَحَلَتْ مِنْ جَبَلِ أَوْرَاسٍ فِي
خَلْقٍ عَظِيمٍ. وَرَحَلَ إِلَيْهَا حَسَّانُ. فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ، قَالَتْ لِابْنَيْهَا: «إِنِّي
مَقْتُولَةٌ!» وَأَعْلَمَتْهُمْ أَنَّهَا رَأَتْ رَأْسَهَا مَقْطُوعًا مَوْضُوعًا بَيْنَ يَدَيِّ مَلِكِ الْعَرَبِ

الأعظم الذى بعث حسّاناً. فقال لها خالد: «فأرحلى بنا، وخلي له عن البلاد!» فامتنعت، ورأته عاراً لقومها. فقال لها خالد وأولادها: «فما نحن صانعون بعدك؟» فقالت: «أمّا انت، يا خالد! فستدرك ملكاً عظيماً عند الملك الأعظم! وأمّا أولادى، فيدركون سلطاناً مع هذا الرجل الذى يفتنى ويعقدون P. ٢٢ للبربر * غرائم¹⁾!» ثمّ قالت: «اركبوا واستأمنوا اليه!» فركب خالد وأولادها فى الليل، وتوجهوا الى حسّان. فأخبره خالد بخبرها، «وإنها علمت قتلها، وقد وحيّت اليك بأولادها.» فوكلّ بهما من بحفظهما، وقدم خالد على أعمّة الحبل. وخرجت الكاهنة ناشرة شعرها، فقالت: «انظروا ما دهمكم! فإني مفتولة!» ثمّ التحم القتال، واشتدّ الحرب والنزال. فانهزمت الكاهنة، وأتبعها حسّان حتى قتلها.

وكان مع حسّان جماعة من البربر استأمنوا اليه. فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم اثنتي عشر ألفاً يُجاهدون مع العرب. فأجابوه وأسلموا على يديه. فعقد لولدى الكاهنة، لكل واحد منهما على سنة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يحولون فى المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر. وانصرف حسّان الى مدينة القيروان، بعد ما حسن إسلام البربر وطاعتهم، وذلك فى شهر رمضان سنة ٨٢. وفى هذه السنة، استقامت بلاد إفريقية لحسان بن النعمان؛ فدوّن الدواوين، وصالح على الخراج، وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية.

وأقام حسّان بعد قتل الكاهنة، لا يغزو أحداً، ولا ينازعه أحد. ثمّ عزله عبد العزيز بن مروان الوالى على مصر؛ وكان الوالى على مصر يُولّى على إفريقية؛ فعزل حسّاناً وأمره بالقدوم عليه. فعلم حسّان ما أراد عبد العزيز ابن مروان، أخو عبد الملك؛ فعهد الى الجوهر والذهب والنضّة، فجعله فى قِرب الماء، وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة، وأنواع الدواب، والرقيق،

وسائر انواع الأموال. فلما قدم على أمير مصر عبد العزيز بن مروان، أهدى إليه مائتي جارية من بنات ملوك الروم والبربر. فسلبه عبد العزيز جميع ما كان معه من الخيل والأحمال والأمنعة والوصائف والوصفان. * ورحل حسان ٢٤ P. بالأنفال التي بقيت له، حتى قدم على الوليد؛ فشكا له ما صنع به عبد العزيز. فغضب الوليد على عمه عبد العزيز. ثم قال حسان لمن معه: «اثبتوني بقرب الماء!» ففرغ منها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت ما استعظمه الوليد. وعجب من أمر حسان؛ فقال له الوليد: «جزاك الله خيراً، يا حسان!» فقال: «يا أمير المؤمنين! إنها خرجت مجاهداً في سبيل الله، وليس مثلي بخون الله والخليفة!» فقال له الوليد: «أنا أردك الى عملك، وأحسن اليك، وأتوّه بك!» فحلف حسان: «لا أوتى لى أمة أبداً!» فغضب الوليد بن عبد الملك على عمه عبد العزيز.

وكان حسان يُسمى الشيخ الأمين. وغزوات حسان لم تنضبط بتاريخ محقق^١، ولا فتحه لمدينة قرطاجنة وتونس، ولا قتله للكاهنة. وذكر ابن القطان أن عزل حسان وولاية موسى بن نصير كان من قبل عبد العزيز بن مروان، دون أمر أخيه عبد الملك، ولا مشورته.

ذكر ولاية أبي عبد الرحمن موسى بن نصير إفريقية والمغرب وبعض أخباره - رحمة الله عليه!

نسبه: قبل إنه من لخم. وقبل من بكر بن وائل. وذكر ابن بشكوال، في كتاب «الصلة» له، أنه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد. وكان موسى على خراج البصرة، قدمه عليها عبد الملك بن مروان؛ فاحتج الأموال، على ما ذكر، لنفسه. فأوصى الحجاج به^٢ ألا يفوته؛ فخافه موسى وقصد الى عبد

١) B. معين.

٢) A. B. لا.

العزير بن مروان صاحب مِصْر، لانقطاعِ كان منه اليه. فتوجه عبد العزيز
 P. ٢٥ مع * موسى الى الشام؛ فوفدا على عبد الملك؛ فأغرمه عبد الملك مائة ألف
 دينار؛ فغرم عنه عبد العزيز نصفها. وعاد مع عبد العزيز الى مِصْر؛ فولاه
 منها إفريقية.

فأول فتوحه قلعة زَغْوَان ونواحيها. وبينها وبين القَبْرَوَان مسيرة يوم
 كامل. ونواحي زَغْوَان قبائل بَرَبَر بَعَثَ اليهم موسى خمسمائة فارس؛ ففتحها الله.
 فبلغ سيهم عشرة آلاف. وهو أول سبي دخل القَبْرَوَان في ولاية موسى. ثم
 وجه ابناً له اسمه عبد الله الى بعض نواحي إفريقية؛ فأتى بمائة ألف رأس من
 السبي. ثم وجه ابنه مروان؛ فأتى بمثلها. فكان الخمس يومئذٍ ستين ألفاً.
 فكتب موسى الى عبد العزيز يُعلمه بالفتح، ويُعلمه أَنَّ الخمس بلغ ثلاثين ألفاً.
 وكان ذلك وهماً من الكاتب: كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً. فلما قرأ
 عبد العزيز بن مروان الكتاب، وَأَنَّ الخمس من السبي ثلاثون ألفاً، استكثر
 ذلك، ورأى أَنَّهُ وَفَّ من الكاتب لكثرة. فكتب الى موسى يقول له: «إِنَّه
 قد بلغني كتابك تذكر أَنَّ خمسَ ما آفاه الله عليك ثلاثون ألف رأس.
 فاستكثرتُ ذلك، وظننتُهُ وهماً من الكاتب. فأكتب بالحقيقة!» فكتب اليه
 موسى: «قد كان ذلك وهماً من الكاتب على ما ظنَّ الأمير! والخمس، أيها
 الأمير! ستون ألف رأس ثابتاً بلا وَفٍّ!» فلما بلغه الكتاب، عجب كلَّ العجب،
 وامتنلاً سروراً. وقد كان عبد الملك كتب الى أخيه عبد العزيز: «قد بلغ
 أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزْل حَسَّان وتولية موسى. وقد أمضى لك
 أمير المؤمنين ما كان من رأيك وولاية من وليت». فكتب عبد العزيز الى
 أخيه يُعلمه بالفتح ويكتب موسى. ثم وجه عبد الملك رجلاً الى موسى،
 ليقبضَ ذلك منه على ما ذكر؛ فدفع موسى اليه مثل ذلك، وُزاد ألفاً.

وكان موسى عند وصوله الى * إفريقية، لما صار في الجيش الأول، أتى
 P. عصفورٌ حتى نزل على صدره. فأخذ به موسى، وذبحه، ولطَّخ بدمه صدره

من فوق الثياب، ونف ريشه، وطرحه على نفسه، وقال: «هو الفتح!»
وَرَبَّ الكعبة!

قال ابن قتيبة: فتح موسى بن نصير سَجُومَة وقتل ملوكها. وأمر أولاد
عُقبة: عِمَاضاً وعثمان وأبا عبدة، أن يأخذوا حَتَمَهُم من قاتل أبيهم؛ فقتلوا من
أهل سَجُومَة ستمائة رجل من كبارهم. ثم قال لهم: «كُفُّوا!» فكفُّوا. وذلك
سنة ٨٢ (على قول من قال إنه ولي فيها¹).

ثم فتح موسى هَوَّارَة وزَنَاطَة وكُنَاطَة. فأغار عليهم وقتلهم وسبهم. فبلغ
سبيهم خمسة آلاف رأس. وكان عليهم رجلٌ يُقال له طامون²؛ فبعث به موسى
إلى عبد العزيز بن مروان؛ فقتله عند البركة التي عند قرية عُقبة؛ فسُمِّيَتْ
بِرْكَة طامون² إلى اليوم. وكانت كُنَاطَة قد قَدِمَتْ على موسى؛ فولَّى عليهم
رجلاً منهم، وأخذ منهم رهائن من خيارهم.

وفي سنة ٨٥، تُوُفِّي عبد العزيز بن مروان، صاحبُ مُلْك مِصْر من قِبَل
أخيه عبد الملك بن مروان. ووليها عبدُ الله بن مروان أخو عبد الملك. وكان
عبد الملك بن مروان أراد أن يجلع أخاه عن مِصْر في هذه السنة، على ما فعل
من عزل حَسَّان بن النُّعْمَان وفَيْثَة. فنهاه قَيْصَة بن ذُوَيْب، وقال: «لعلَّ
الموت يأتيه! فستريح منه!» فكفَّ عبد الملك عنه؛ وبقيت نفسه تُنازعه أن
يخلعه. فمينا هو على ذلك، وروَّحُ بن زَنْبَاع الجُدَّائِي يقول له يوماً: «لو خَلَعْتَهُ،
ما انتطَحَ فيه عِزَّان!» إذ دخل عليها قَيْصَة؛ فقال: «آجَرَك * الله يا أمير P. ٢٧
المؤمنين في أخيك!» فقال: «وهل تُوفِّي؟» قال: «نعم!» فقال عبد الملك:
«كفانا الله يا أبا زُرْعَة! ما كُنَّا أَجْمَعًا عليه!» وكانت وفاة عبد العزيز في
جمادى الأولى من السنة المورَّخة.

وفي سنة ٨٦، تُوُفِّي عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين؛ فكتب الوليد
إلى عمِّه عبد الله بن مروان بولاية موسى بن نصير إفريقية والسَّغَرِب، وقطعها
عن عمِّه. وكانت أكثر مدُن إفريقية خالية باختلاف البرابر عليها.

1) Manque dans B.

2) كأمون.

فَتْحَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَلَى يَدَيِ الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ

ثُمَّ خَرَجَ مُوسَى - رَحِمَهُ اللَّهُ! - غَازِيًا مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى طَنْجَةَ. فَوَجَدَ الْبَرْبَرِ قَدْ هَرَبُوا^(١) إِلَى الْغَرْبِ خَوْفًا مِنَ الْعَرَبِ. فَتَبِعَهُمْ وَقَتْلَهُمْ قَتْلًا ذَرِبَةً، وَسَيَّ سَيًّا كَثِيرًا، حَتَّى بَلَغَ الشُّوسَ الْأَدْنَى، وَهُوَ بِلَادُ دَرْعَةَ. فَلَمَّا رَأَى الْبَرْبَرُ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اسْتَأْمَنُوا وَأَطَاعُوا. فَوَلَّى عَلَيْهِمُ وَالِيًا، وَاسْتَعْمَلَ مَوْلَاهُ طَارِقًا عَلَى طَنْجَةَ وَمَا وَالَاهَا، فِي سَبْعَةِ عَشَرَ نَفْسًا مِنَ الْعَرَبِ وَاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْبَرْبَرِ. وَأَمَرَ الْعَرَبَ أَنْ يُعَلِّمُوا الْبَرَابِرَ الْقُرْآنَ، وَأَنْ يُفْقَهُوهُمْ فِي الدِّينِ. ثُمَّ مَضَى مُوسَى فَافْلًا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ.

قال ابن الفطّان: وَذَكَرَ أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ بَعَثَ إِثْرَ بَيْعَتِهِ لِلْوَلِيدِ، فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمَوْرُخَةِ، زُرْعَةَ بْنَ أَبِي مُدْرِكٍ إِلَى قِبَائِلِ مِنَ الْبَرْبَرِ؛ فَلَمْ يُلْقِ حَرْبًا مِنْهُمْ. فَرَغِبُوا فِي الصِّلَاحِ مِنْهُ؛ فَوَجَّهَ رُؤَسَاءَهُمْ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ؛ فَقَبِضَ رَهْنَهُمْ. ثُمَّ عَقَدَ لِعِيَّاشِ بْنِ أَخْيَلٍ عَلَى مَرَاكِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ؛ فَمَشَى فِي الْبَحْرِ إِلَى صِفْلِيَّةٍ؛ فَأَصَابَ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا سَرْقُوسَةُ؛ فَغَنِمَهَا وَجَمِيعَ مَا فِيهَا، وَفَقَلَ سَالِمًا غَنِمًا. وَلَمَّا حَمَلَ أَبُو مُدْرِكٍ زُرْعَةَ بْنَ أَبِي مُدْرِكٍ رَهَائِنَ الْمَصَامِدَةِ، جَمَعَهُمْ مُوسَى مَعَ رَهَائِنِ * الْبَرْبَرِ الَّذِينَ أَخَذَهُمْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ؛ وَكَانُوا عَلَى طَنْجَةَ؛ وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ مَوْلَاهُ طَارِقًا، وَدَخَلَ بِهِمْ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ. وَتَرَكَ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ، يُعَلِّمُونَهُمُ الْقُرْآنَ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ كَانَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ تَرَكَ فِيهِمْ بَعْضَ أَصْحَابِهِ يُعَلِّمُونَهُمُ الْقُرْآنَ وَالْإِسْلَامَ: مِنْهُمْ شَاكِرُ صَاحِبِ الرِّبَاطِ^(٢) وَغَيْرُهُ. وَلَمْ يَدْخُلِ الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى أَحَدٌ مِنْ وَلَاةِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ، وَلَمْ يَعْرِفْ الْمَصَامِدَةَ غَيْرَهُ. وَقِيلَ إِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَسْلَمُوا طَوْعًا عَلَى يَدَيْهِ. وَوَصَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بَعْدَ.

١) A. خرجوا.

2) Manque dans A.

وفي سنة ٩٢ من الهجرة، جاز طارق الى الأندلس، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبرابر، ورهائهم الذين ترك موسى عنده، والذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبّله. وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة ٨٥. وفي هذا التاريخ، تمّ إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون الى القبلة، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات. وفيها صنع مسجد أغاث هيلانة.

ونسب طارق: هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورنجوم بن نيرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو. فهو نفزي. ذكر أنه من سبي البربر؛ وكان مؤلى موسى بن نصير.

وفي سنة ٩٢، جاز موسى بن نصير الى الأندلس؛ فعبر البحر غاضباً على طارق، ومشى على غير طريقه، وفتح فتوحاً كثيرة، يقع ذكرها، إن شاء الله، في الجزء الثاني من هذا الكتاب، في فتح الأندلس.

وفيها وليّ عبد الله بن موسى إفريقية عوضاً من أبيه، حين توجه الى الأندلس، الى أن وصل أبوه منها متوجّهاً الى المشرق؛ فقدم مدينة القيروان في أواخر سنة ٩٥.

وفي سنة ٩٥، انصرف موسى من * الأندلس الى إفريقية، بما آفاه الله P. ٢٩ عليه؛ فاجاز الأموال من الذهب والفضة والجوهر في المراكب الى طنجة. ثم حملها على العجلات.

قال الرقيق: كانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة. وفيها المائدة؛ وكانت من ذهب، يشوبه شيء من فضة، مطوّقة بثلاثة أطواق: طوق ياقوت، وطوق زبرجد، وطوق جوهر¹؛ وحملت يوماً على بغل عظيم أقره وأقوى ما وُجد؛ فما بلغ المرحلة حتى تنفّخت² قوائمه.

قال الليث بن سعد: لم يُسمع قط بمثل سبایا موسى بن نصير في الإسلام.

١) لؤلؤ. A.

٢) انتفخت. A. et B.

ولمّا قدم عليه ابنه من السوس، خرج للقاءه مع وجوه الناس. فلما التقيا، قال مروان بن موسى لرجاله: «مُرُوا لِكُلِّ مَنْ خَرَجَ مَعَ وَالِدِي بِوَصِيفٍ أَوْ وَصِيفَةٍ». وقال موسى: «مُرُوا أَنْتُمْ لَمْ مِنْ عِنْدِي بِمِثْلِ ذَلِكَ!» فرجع الناس كلهم بوصيف أو وصيفة. ومن أخبار موسى بن نُصَيْرٍ أَيْضاً - رَحِمَهُ اللَّهُ! - لَمَّا انصَرَفَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَلَّى عَلَيْهَا ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَشَخْصَ قَافِلاً إِلَى إِفْرِيْقِيَّةٍ. فَقَدِمَ الْقَيْْرَوَانَ فِي آخِرِ سَنَةِ ٩٥ هـ؛ فَلَمْ يَدْخُلْهَا، وَنَزَلَ بِقَصْرِ الْمَاءِ. ثُمَّ قَعَدَ فِي مَجْلِسِهِ، وَجَاءَتْهُ جِيُوشُ الْعَرَبِ مِنَ الْقَيْْرَوَانِ؛ فَفَنِمَ مِنْ سَافَرٍ مَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَخَلَّفَ مَعَ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بِإِفْرِيْقِيَّةٍ. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ فِي ثَلَاثِ نِعَمٍ: مِنْهَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ (ثُمَّ وَصَفَ مَا أَجْرَى اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْفَتْوحَاتِ)؛ ثُمَّ كِتَابُ ابْنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بِصِفِ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْأَنْدَلُسِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى! (فَقَامُوا إِلَيْهِ؛ فَهَنَّوْهُ)؛ وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَأَنَا أَرِيكُمْوهَا!» وَقَامَ؛ فَأَمَرَ بِرَفْعِ سِتْرِ. فَإِذَا فِيهِ جَوَارٍ مُخْتَلِفَاتٍ، كَأَنَّهِنَّ الْبُدُورُ الطَّوَالِعُ، مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ الرُّومِ وَالْبَرْبَرِ، عَلَيْهِنَّ الْحُلِيُّ وَالْحُلُلُ. فَهَنَّتِ أَيْضاً بِذَلِكَ. فَقَالَ عَلَى بْنُ رَبَاحٍ السُّكْمِيُّ: «أَيُّهَا الْأَمِيرُ! أَنَا أَبْصَحُ النَّاسِ إِلَيْكَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَهَى إِلَّا وَرَجَعَ! فَارْجِعْ * قَبْلَ أَنْ يُرْجَعَ إِلَيْكَ!» قَالَ: فَانْكَسَرَ مُوسَى، وَفَرَّقَ جَوَارِيَهُ مِنْ حَبْنِهِ عَلَى النَّاسِ.

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَخَلَّفَ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةٍ ابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى الْأَنْدَلُسِ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعَلَى طَنْجَةَ ابْنَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ: الْأَكْثَرُونَ يَقُولُونَ إِنَّ مُسْتَفَرَّ طَارِقٍ قَبْلَ مُحَاوَلَةِ الْأَنْدَلُسِ كَانَ بِطَنْجَةَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ بِمَوْضِعِ سَجْلِمَاسَةَ؛ وَإِنَّ سَلَا، وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ أَرْضِ فَاسٍ وَطَنْجَةَ وَسَبْتَةَ، كَانَتْ لِلْهَضَرِيِّ. قَالَ: وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ دَخَلَ مُوسَى الْقَيْْرَوَانَ فِي هَذِهِ الْوَجْهَةِ أَمْ لَا.

ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا مَعَ بَقِيَّةِ أَوْلَادِهِ: مَرْوَانَ، وَعَبْدَ الْأَعْلَى، وَغَيْرَهُمَا، وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَسَائِرِ الْعَرَبِ؛ وَمِنْ وَجْهِهِ الْبَرْبَرِ، مَائَةٌ

منهم بنو كَسِيلَةَ بن لَهْمَزَم، وبنو بِسُور ومَزْدَانَةَ مَلِكِ الشُّوس ومَلِكِ مَيُورِقَةَ ومن أولاد الكَاهِنَةِ، ومائة من وجوه ملوك الروم الأَنْدَلُسِيِّينَ، وعشرون مَلِكاً من ملوك المدائن التي افتتحها بِإِفْرِيقِيَّة. وخرجوا معه بِأَصْنَافٍ ما كان في كلِّ بلد من طُرُقِهَا، حتَّى انتهى إلى مِصْرَ. فلم يَبْقَ بِهَا فَقِيهٌ ولا شَرِيفٌ إِلَّا وَصَلَهُ وَأَعْطَاهُ. ثُمَّ خرج من مِصْرَ متوجِّهاً إلى فِلَسْطِينَ. فتلَقَّاهُ آلُ رُوحِ بن زَنْبَاعٍ ونَحَرُوا لَهُ خَمْسِينَ بَعيراً. ثُمَّ خرج وترك عندهم بعضَ أَهْلِهِ وصغار ولدِهِ، فَأَعْطَى آلَ رُوحِ بن زَنْبَاعٍ عطاءً جَزَلاً. ثُمَّ وَاثَاهُ كِتَابُ الْخَلِيفَةِ الْوَلِيدِ بن عبد الملك، بِأَمْرِهِ بِشِدَّةِ السَّيْرِ إِلَيْهِ، لِيُذَكِّرَهُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ؛ وَكَانَ مَرِيضاً. وَوَاثَاهُ كِتَابٌ مِنْ سُلَيْمَانَ بن عبد الملك وَلِيَّ عَهْدِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ، بِأَمْرِهِ بِالنَّاتِي وَالتَّرْبُصِ. فَأَسْرَعَ مُوسَى، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِ سُلَيْمَانَ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْوَلِيدِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: «لَيْتَنِي ظَفَرْتُ بِهِ، لِأُصَابِيَهُ!» فَدَفَعَ مُوسَى الْأَمْوَالَ وَالْمِائَةَ وَالذَّرَّ وَالْيَاقُوتَ وَالْبَيْجَانَ وَالذَّهَبَ وَالنَّضَّةَ إِلَى الْوَلِيدِ بن عبد الملك.

وَقَالَ السَّعُودِيُّ، فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِـ«عَجَائِبِ الْبِلَادِ وَالزَّمَنِ»، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ طَارِقُ طَلِيطُلةً، وَجَدَ بِهَا بَيْتَ الْمُلُوكِ؛ فَفَتَحَهُ. فَوَجَدَ فِيهِ زُبُورَ دَاوُدَ - عَمَ - فِي وَرَقَاتِ ذَهَبٍ. مَكْتُوباً بِهَاءِ يَاقُوتٍ مُحْلُولٍ، مِنْ عَجِيبِ الْعَمَلِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَرِ مِثْلَهُ، وَمِائَةَ سُلَيْمَانَ - عَمَ - وَقَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُهَا. وَوَجَدَ فِيهِ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ تَاجاً مَنْظُومَةً بَعْدَ مُلُوكِ الْقُوطِيَّيْنِ بِالْأَنْدَلُسِ: إِذَا تَوَفَّى أَحَدُهُمْ، جَعَلَ تَاجَهُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ، وَفَعَلَ الْمَلِكُ بَعْدَهُ لِنَفْسِهِ غَيْرَهُ؛ جَرَتْ عَوَائِدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَوَجَدَ فِيهِ قَاعَةً كَبِيرَةً مَمْلُوءَةً بِأَكْسِيرِ الْكِيْمِيَاءِ. فَحَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى الْوَلِيدِ بن عبد الملك.

وَفِي سَنَةِ ٩٦، تَوَفَّى الْوَلِيدُ بن عبد الملك فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. وَوُلِيَ الْخَلِيفَةُ سُلَيْمَانُ. فَغَضِبَ عَلَى مُوسَى غَضَباً عَظِيماً، وَأَمَرَ عَلَيْهِ. فَأُوقِفَ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فِي الشَّمْسِ؛ وَكَانَ رِجَالاً بَادِئاً ذَا نَسَمَةٍ. فَوَقَفَ حَتَّى سَقَطَ مَغْشِياً

عليه. وقال له سليمان: «كُتِبْتُ إِلَيْكَ. فلم ينظر كُنَانِي! هَلَمْ مائة ألف دينار!» قال: «يا أمير المؤمنين! قد أخذتُ ما كان معي من الأموال. فمن أين لي مائة ألف دينار؟» قال: «لا بدَّ من مائتي ألف!» فاعتذر؛ فقال: «لا بدَّ من ثلاثمائة ألف دينار!» وأمر بتعذيبه، وعزم على قتله. فاستجار بيزيد ابن المهلب، وكانت له حُظوةٌ عند سليمان؛ فاستوْهَبه منه، وقال: «بُودِي ما عند!» وقبل إن موسى افْتَدِي من سليمان بألف ألف دينار. ذكر ذلك ابن حَبِيب وغيره. ثم إنَّ يزيد بن المهلب سهر ليلةً مع الأمير موسى؛ فقال له: P. ٢٢ «يا أبا عبد الرحمن! في كم كُنْتَ تَعْتَدُ، * انت وأهل بيتك، من الموالى والخدام؟ أتكونون في ألف؟» فقال: «نعم! وألف ألف الى منقطع النفس!» قال: «فَلِمَ القَيْتَ بنفسك الى التَّهْلُكَةِ؟ أَفَلا أَقَمْتَ في قَرَارِ عَزِّكَ، وموضع سلطانك؟» فقال: «والله! لو أردتُ ذلك، لَمَا نالوا من أطرافي شيئاً! ولا كُنْتُ آثَرْتُ الله - عزَّ وجلَّ! - ورسوله، ولم أَرَّ الخروج عن الطاعة!» وقيل إنَّ سليمان بن عبد الملك، بعد ما افْتَدِي منه موسى، دعا يوماً بطِيسٍ من ذهب؛ فراه موسى ينظر اليه. فقال له: «يا أمير المؤمنين! إِنَّكَ لتعجبُ من غير عجب! والله! ما أَحْسِبُ أَنَّ فيه عشرة آلاف دينار! والله! لقد بعثتُ الى أخيك الوليد بَتُّورٍ من زَبَرَجَدٍ أخضر كان يصبُّ فيه اللبن فيخضَرُ؛ ولقد قُوِّمَ بمائة ألف دينار! ولقد أَصَبْتُ كذا وكذا!» وجعل يُكثِرُ عليه في ذلك حتى بهت الأمير من قوله.

وكان مَوْلِدُ موسى بن نُصَيْرٍ سنة ١٩، ووفاته سنة ٩٨. فكان عمره تسعاً وسبعين سنة. وفي سنة ٨٨، ولي إفريقيا؛ فأقام عليها أميراً وعلى الأندلس والمغرب كلَّه نحو ثمان عشرة سنة، الى أن مات. وممَّا ذُكِرَ في وفاته، أَنَّهُ حَجَّ م. سليمان. فلَمَّا وصلا المدينة، قال موسى بن نُصَيْرٍ لأَصْحَابِهِ: «لَيْمَوْتَنَ بعد غد رجلٌ قد ملأَ ذِكْرُهُ المشرق والمغرب!» فمات موسى في ذلك اليوم¹.

1) Ce dernier membre de phrase manque dans A

ولاية محمد بن يزيد إفريقية والمغرب

قال الواقدي: ثم إن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك قال لرجاء بن حيوة: «أريد رجلاً، له فضل في نفسه، أوليه إفريقية.» فقال له: «نعم!» فمك آيماً. ثم قال: «قد وجدت رجلاً له فضل.» قال: «من هو؟» قال: «محمد بن يزيد مولى قرش.» فقال: «أدخله علي!» فأدخله عليه. فقال سليمان: «يا محمد بن يزيد! اتق الله * وحده لا شريك له! وقم فيما P. ٢٢ ولينك بالحق والعدل! وقد وليتك إفريقية والمغرب كله!» قال: فودعه وانصرف، وهو يقول: «ما لي عذر عند الله إن لم أعذل!»

وفي سنة ٩٧ من الهجرة، استقر محمد بن يزيد بإفريقية بأحسن سيرة وأعد لها. ثم وصله الأمر بأخذ عبد الله بن موسى بن نصير، وتعذيبه، واستئصال أموال بني موسى. فسجنه محمد وعذبه. ثم قتله بعد ذلك. وكان سليمان قد أمره بأخذ أهل موسى وولده وكل من تلبس به، واستئصال أموالهم، وتعذيبهم، حتى يودوا ثلاثمائة ألف دينار. وتولى قتل عبد الله بن موسى خالد ابن أبي^(١) حبيب الفرشي. وأما عبد العزيز بن موسى، فخلع دعوة بني مروان واستبد بأمره لما بلغه ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته. وجاءت الكتب إلى حبيب بن أبي عتبة ووجوه العرب من سليمان بن عبد الملك، يأمرهم بقتله، فقتلوه. وحمل رأسه ورأس أخيه عبد الله حتى وضعا بين يدي أبيهما موسى، وهو في عذابه. فكان فعل سليمان هذا بموسى وبنيه، وقد فعل من الفتح في الإسلام ما فعل، من هفوات سليمان التي لم تزل تنقم عليه.

واستعمل محمد بن يزيد على الأندلس الحر بن عبد الرحمن الشافعي^(٢). وكانت الأندلس إذ ذاك إلى وإلى إفريقية، كما كان أيضاً إلى إفريقية من قبل وإلى مصر. وكان محمد بن يزيد يبعث السرية إلى ثغور إفريقية. فما أصابه فسه عليهم. وكانت ولايته سنتين وأشهرًا.

1) Manque dans A.

2) A. et B. القيسي.

وفي سنة ٩٩، توفي سليمان بن عبد الملك . واستُخلفَ عُمر بن عبد العزيز - رضه - يومَ وفاته . فاستعمل على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، مولى بني مخزوم .

وفي سنة ١٠٠، ولي إسماعيل بن أبي المهاجر إفريقية من قبل أمير المؤمنين عمر بن * عبد العزيز . فكان خيرَ أمير وخيرَ والٍ . وما زال حريصاً على دُعاء البربر الى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه، في دولة عمر بن عبد العزيز . وهو الذي علم أهل إفريقية الحلال والحرام . وبعث معه عُمر - رضه - عشرة من التابعين أهل علم وفضل، منهم عبد الرحمن بن نافع، وسعد^١ بن مسعود الثجبي، وغيرها . وكانت الحمر بإفريقية حلالاً، حتى وصل هؤلاء التابعون ؛ فبينوا تحريمها - رضهم - .

وفيهما استخلف إسماعيل بن أبي المهاجر على الأندلس السَّحَّح بن مالك الخولاني . فكان حلوله بها في رمضان من السنة .

وفي سنة ١٠١، توفي عُمر بن عبد العزيز - رضه - بدير سبعمان، لست خلون من شعبان . فكانت خلافته ستين وخمسة أشهر . وولي الخلافة بعده يزيد ابن عبد الملك . فولى على إفريقية يزيد بن أبي مُسلم، مولى الحجاج بن يوسف وصاحب شُرطته .

وفي سنة ١٠٢، قَدِمَ على إفريقية، والياً عليها، يزيد بن أبي مُسلم . وكان ظُلوماً غشوماً . وكان البربر يحُرُّسونه . فقام على المنبر خطيباً، فقال : « إني رأيت أن أَرسم اسم حَرَسى في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها . فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره « حرسى »، ليُعرفوا بذلك من بين سائر الناس ؛ فإذا وقفوا على أحد، أسرعَ إليها أمرتُ به . » فلما سمعوا ذلك منه، أعنى حَرَسَه، اتفقوا على قتله، وقالوا : « جَعَلْنَا بمنزلة النصارى ! » فلما خرج من داره الى المسجد، لصلاة المغرب، قتلوه في مُصَلَّاه . فتكلم الناس في رجل

١) سعيد .

يقوم بأمرهم، حتى يأتيهم أمرُ الخليفة. فتراضوا بالمغيرة بن أبي بُردة^١، وكان شجاعاً كبيراً. فقال له ابنه عبد الله: «إنَّ يزيد بن أبي مُسلم قُتِلَ بحضرتك. P. ٢٥
فإن قُمتَ بهذا الأمر، اتَّهمتَ بقتله! ولاكن الرأي أن تراضى لمحمد بن أوس الأنصاري!» وكان غازياً بصفيلية. فلم يلبث إلا يسيراً حتى قدم بغنائم قد أصابها. فقلدوه أمر إفریقیة. فكتب الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حدث من الأمر. فاستعمل على إفریقیة بشر بن صفوان.

ولاية بشر بن صفوان إفریقیة

هو بشر بن صفوان بن تویل^٢ بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن سراحيل ابن عزيز بن خالد. وُلِيَ إفریقیة سنة ١٠٣. فاستنصفى بقايا آل^٣ موسى بن نصير، ووجد بعد ذلك الى يزيد بن عبد الملك. فألفاه قد هلك.

وفي سنة ١٠٥، هلك يزيد بن عبد الملك في ربيع الأول. وولى هشام ابن عبد الملك. فردَّ بشر بن صفوان الى إفریقیة. فلما قدمها، ولى على الأندلس عبسة بن سحيم الكلبي. ثم إنَّ بشر بن صفوان غزا بنفسه صفيلية. فأصاب بها سبياً كثيراً، وفل الى القيروان. فلما حضرته الوفاة، قالت جاريته: «وَلَا شَهَانَةَ الْأَعْدَاءِ!» فقال لها: «قُولِي لِلْأَعْدَاءِ لَا يَمُوتُ^٤!» واستخلف العباس بن باضعة الكلبي.

وفي سنة ١٠٧، ولى بشر بن صفوان على الأندلس مجبي بن سلمة الكلبي. فقدمها في شوال. وفي هذه السنة اختلط أمر ولاية مصر اختلاطاً كثيراً. وفي سنة ١٠٩، توفى بشر بن صفوان والى إفریقیة بمدينة القيروان؛ فكانت ولايته سبع سنين. وبقي نائبه على القيروان حتى وصل وال من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك.

١) B. برودة.

٢) A. et B. نوفل.

٣) B. مال.

٤) B. لا يموتوا.

P. ٢٦ * ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي إفريقية والمغرب

وهو ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين. فقدم إفريقية سنة ١١٠ في ربيع الأول. فدخل القيروان فجأة، وذلك يوم الجمعة. فألقى خليفة بشر بن صفوان قد تهيأ لشهود الجمعة، ولبس ثيابه. فقبل له: «هذا عبيدة قد قدم أميراً!» فقال: «لا حول ولا قوة الا بالله! هكذا تقوم الساعة بغتة!» وألقى بنفسه؛ فاحملته رجلاه. ودخل عبيدة؛ فأخذ عمال بشر وأصحابه؛ فحبسهم وأغرمهم وعذب بعضهم.

وفي سنة ١١٠، ولي عبيدة بن عبد الرحمن المذكور عثمان بن أبي نسعة على الأندلس؛ فقدمها في شعبان.

وفي سنة ١١١، قدم على الأندلس، والياً أيضاً من قبل عبيدة بن عبد الرحمن صاحب إفريقية والمغرب كله، حذيفة بن الأحوص القيسي. وقيل: الأشجعي. وذلك في غرة محرم من السنة المذكورة.

وفي سنة ١١٢، ولي عبيدة المذكور على الأندلس أيضاً الهيثم بن عبيد الكناني؛ فقدمها في محرم أيضاً من هذه السنة. ثم توفي سنة ١١٤. فكانت ولايته سنتين وأياماً. ولما أخذ عبيدة عمال بشر وأصحابه، وأغرمهم، وعذبهم، كان فيهم أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي. وكان شريفاً في قومه، مع فصاحة وبراعة. وكان ولي في إفريقية ولايات كبيرة في أيام بشر بن صفوان؛ فعزله عبيدة ونكّل به؛ فقال [طويل]:

P. ٢٧ * أَفَأَنْتُمْ بَنِي مَرْوَانَ قَيْساً دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنْصِفُوا حَكَمَ عَدْلُ
كَأَنَّكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ تَمَّ لَهُ الْفَضْلُ
تَعَامَيْتُمْ عَنَّا بَعِينَ جَلِيَّةٍ وَأَنْتُمْ كَذَا مَا قَدْ عَلِمْنَا لَنَا فَعْلُ^١

1) On a suivi pour ces trois vers le ms. A.; ils se présentent ainsi dans B.:

أَبَادَتِ بَنُو مَرْوَانَ قَيْساً دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ يَعْدِلُوا حَكَمَ عَدْلُ
كَأَنَّكُمْ لَمْ يَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَنْ كَانَ تَمَّ لَهُ الْفَضْلُ
تَعَامَيْتُمْ عَنَّا كَأَنْ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ صَدِيقاً وَأَنْتُمْ مَا رَعَيْنَا لَنَا فَعْلُ

وبعث بهذه الأبيات الى الخليفة هشام بن عبد الملك . فأمر هشام بعزل عبيدة من إفريقية والمغرب . ففعل منه واستخلف عقبة بن قدامة ، وذلك في شوال سنة ١١٤ . فكان ملك عبيدة بإفريقية أربع سنين وستة أشهر . وتوجه الى الشام سنة ١١٤ بهديا وتُحف عظيمة . وبني خليفته على القيروان ستة أشهر .

وفي سنة ١١٢ ، كان عمال إفريقية والأندلس الذين كانوا في السنة قبلها . ثم ولي الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي . فغزا الروم ، واستشهد مع جماعة من عسكره ، سنة ١١٥ ، بموضع يُعرف ببلاط الشهداء . وفيها أصاب الناس مجاعة عظيمة .

• ولاية عبيد الله بن الحبحاب إفريقية والمغرب كله

P. ٢٨

وهو مولى بني سلول . وكان رئيساً نبيلاً ، وأميراً جليلاً ، بارعاً في الفصاحة والخطابة ، حافظاً لأيام العرب وأشعارها ووقائعها . فقدم إفريقية في ربيع الآخر من سنة ١١٦ . وهو الذي بنى المسجد الجامع ودار الصناعة بتونس . وكان أول الأمر كاتباً . ثم تناهت به الحال الى ولاية مصر وإفريقية والأندلس والمغرب كله ، فاستخلف على مصر ابنه القاسم ، واستعمل على الأندلس عقبة ابن الحجاج السلولي ، واستعمل على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه إسماعيل ، ثم عمر بن عبد الله المرادي .

وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري غازياً الى السوس الأقصى . فبلغ أرض السودان ، ولم يفايله أحد إلا ظهر عليه ، ولم يدع بالمغرب قبيلة إلا داخلها وأصاب من السبي أمراً عظيماً . ووجد جارينتين ليس لئكل واحدة منهما إلا ثدي واحد . ثم رجع سالماً ظافراً . فغزا صقلية وظهر بأمر لم ير مثله .

ثم إن عمر بن عبد الله المرادي ، عامل طنجة وما والاها ، أساء السيرة

وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر. وزعم أنهم فتحوا المسلمين؛ وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله؛ وإنها كان الولاة يُخَمِّسون من لم يجب للإسلام. فكان فعله الذميمة هذا سبباً لنقض¹ البلاد ووقوع الفتن العظيمة السودانية إلى كثير القتل في العباد. نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله²!

فلما علم البربر خروج حبيب بن أبي عتبة إلى بلاد الروم، نفصوا^{٣٠} P. الطاعة * لعبيد الله بن الحبحاب بطنجة وأقاليمها، ونداعت برابر المغرب بأسره. فنارت البربر بالمغرب الأقصى؛ فكانت أول ثورة فيه وفي إفريقيا في الإسلام.

وفي سنة ١٢٢، كانت ثورة البربر بالمغرب؛ فخرج ميسرة المدغري، وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة؛ فقتله. وثارت البرابر كلها مع أميرهم ميسرة الحفير. ثم خاف ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حُدَيْج، وزحف إلى إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب إلى السوس؛ فقتله. ثم كانت وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل إفريقيا، يطول ذكرها. وكان بالمغرب جيش قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج، ولم عدد كثير وشوكة كبيرة، وهم برغواطية. وكان السبب في ثورة البربر وقيام ميسرة أنها أنكرت على عامل ابن الحبحاب سوء سيرته كما ذكرنا. وكان الخلفاء بالمشرق يستحثون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عامل إفريقيا؛ فيبعثون لهم البربريات السنيات. فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب، مناهم بالكثير، وتكاف لهم أو كلفوه أكثر مما كان. فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة. فحشدت البرابر على عاملهم؛ فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب.

وكان لعبيد الله بن الحبحاب أولاد قد اعجبتهم أنفسهم. فقدم عقبة بن الحجاج عليهم. وكان أبو عقبة قد أعنى الحبحاب والد عبيد الله. فلما دخل

1) Manque dans A.

2) Ce membre de phrase est omis dans B.

عُقْبَةَ عَلَى عَمِيدِ اللَّهِ، قَامَ إِلَيْهِ، وَأَعْظَمَهُ، وَأَقْعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ. فَلَمَّا خَرَجَ عُقْبَةُ مِنْ عِنْدِهِ، أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَوْلَادُهُ؛ فَقَالَ لَهُمْ: «مَا رَأَيْكُمْ؟» قَالُوا: «أَنْ تَعْطِبَهُ شَيْئًا وَتَصْرِفَهُ عَنَّا! فَلَا يَكْسِرُ شَرَفَنَا!» فَقَالَ لَهُمْ: «نَعَمْ!» فَلَمَّا كَانَ فِي غَدٍ، أَمَرَ النَّاسَ؛ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَدَخَلَ عُقْبَةُ فِي جُمْلَتِهِمْ*. فَقَامَ إِلَيْهِ، P. ٤ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَوَقَفَ قَائِمًا. فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ غَرَّبَتْهُمْ غَرَّةُ الشَّيْطَانِ لِعِزَّةِ السَّلْطَانِ، وَأَرَادُوا أَمْرًا أَخْرَجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْكَرُوا مَا رَأَوْا مِنْ بَرِّىْ هَذَا الرَّجُلِ! وَإِنَّمَا أُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ مَوْلَايَ، وَأَنَّ أَبَاهُ أَعْتَنَى أَبِي! وَأَنَا أَكْرَهُ كَيْفَ تَمَنَّى أَمِيرُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ! - شَيْئًا بِهِ عَلَيَّ!» ثُمَّ خَيَّرَ عُقْبَةَ فِي وَلايَةِ مَا شَاءَ مِنْ سُلْطَانِهِ؛ فَاخْتَارَ الْأَنْدَلُسَ؛ فَوَلَّاهُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ١١٦. وَأَقَامَ بِهَا إِلَى سَنَةِ ١٢١. وَقَامَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُطَيْبٍ الْفَهْرِيُّ؛ فَخَلَعَهُ. وَقِيلَ: بَلْ هُوَ اسْتَخْلَفَهُ.

رَجَعَ الْخَبَرُ إِلَى مَيْسَرَةَ الْمَدَغَرِيِّ، رَأْسِ الصُّفَرِيَّةِ^١، أَمِيرِ الْغَرْبِ: لَمَّا بَلَغَ عَمِيدُ اللَّهِ بْنُ الْحَبَّابِ قَتْلَ عَامِلِهِ وَوَلَدِهِ، كَتَبَ إِلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ، بِأَمْرِهِ بِالرَّجُوعِ مِنْ صِفِيلِيَّةَ، لِيَأْخُذَ فِي الْحَرَكَةِ مَعَ أَهْلِ إِفْرِيْقِيَّةَ إِلَى مَيْسَرَةَ. وَوَلَّى ابْنُ الْحَبَّابِ عَلَى عَسْكَرِ إِفْرِيْقِيَّةَ وَأَشْرَافِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ خَالِدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ الْفَهْرِيَّ. فَشَخَّصَ إِلَى مَيْسَرَةَ، وَوَصَلَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي إِثْرِهِ. وَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى عَبَرَ وَادِي شَلَفَ، وَهُوَ نَهْرٌ بِمَقَرَّةِ نِجْهَرَتْ. ثُمَّ قَدِمَ حَبِيبٌ؛ فَتَزَلَّ عَلَى حِجَارِ الْوَادِي الْمَذْكُورِ؛ فَلَمْ يَبْرَحْ مِنْهُ. وَمَضَى خَالِدٌ مِنْ فُورِهِ حَتَّى لَقِيَ مَيْسَرَةَ بِمَقَرَّةَ مِنْ طَنْجَةَ؛ فَاقْتَتَلَ مَعَهُ قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يُسْمَعْ قَطُّ بِمِثْلِهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ مَيْسَرَةَ إِلَى طَنْجَةَ فَأَنْكَرَتْ الْبَرْبَرُ عَلَيْهِ سَوْءَ سِيرَتِهِ وَتَغْيِيرَهُ عَمَّا كَانُوا بَايَعُوهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الرَّقِيقِيُّ: وَكَانَ مَيْسَرَةَ قَدْ تَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ، وَبَوَّعَ عَلَيْهَا؛ فَقَتَلُوهُ وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ بَعْدَ خَالِدِ بْنِ حَمِيدِ الزَّنَاتِيِّ. فَالْتَقَى خَالِدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ بِالْبَرْبَرِ؛ فَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ. فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ غَشِيَهُمْ خَالِدُ بْنُ حَمِيدِ الزَّنَاتِيِّ مِنْ خَلْفِهِمْ

1) Manque dans B.

بمسكر عظيم ؛ فتكاثر عليهم البربر ؛ فانهزم العرب وكره خالد بن ابي حبيب
 P. ٤١ أن يهرب ؛ فالتقى بنفسه ، هو وأصحابه ، الى الموت * أنفة من الفرار¹ . فقتل ابن
 أبي حبيب ومن معه ، حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد . فقتل في تلك
 الوقعة حماة العرب ، وفرسانها ، وكمائتها ، وأبطالها ؛ فسويت الغزوة غزوة
 الأشراف ؛ فانتقضت البلاد . وبلغ أهل الأندلس ثورة البربر ؛ فوثبوا على
 أميرهم ؛ فعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن . فاختلفت الأمور على ابن العجاج ؛
 فاجتمع الناس عليه وعزلوه . وبلغ ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك فقال :
 « والله ! لأغضبن لهم غصبة غريبة ولا بعثن لهم جيشاً أوله عدى وآخره عدى ! »
 ثم كتب الى ابن العجاج بقدومه عليه ؛ فخرج في جمادى الأولى من سنة ١٢٢ .

ولاية كلثوم بن عياض إفريقية ومقاتلته مع أمير الغرب خالد بن حميد الزناني

لما بلغ هشام بن عبد الملك انتفاض البلاد الغربية والأندلسية ، بعث
 كلثوم بن عياض هذا الى إفريقية ، وعقد له على إثني عشر ألفاً من أهل
 الشام . وكتب الى والي كل بلد أن يخرج معه بن معه . فصارت عمال مصر
 وإطرابلس وبرقة معه حتى قدم إفريقية في رمضان سنة ١٢٢ . فكتب عن
 القيروان . وكان على طلائعه بلج بن بشر الفشيري ابن عمه . فلما وصل بلج ،
 قال لأهل إفريقية : « لا تغلقوا أبوابكم ، حتى يعرف أهل الشام منازلكم . »
 ومع ذلك كلام كثير يغيظهم به . فكتبوا الى حبيب بن أبي عتبة ، يعرفونه
 بمقالة بلج . فكتب الى كلثوم : « إن ابن عمك السفهه قال كذا وكذا . فأرحل
 بمسرك عنهم ، وإلا حولنا أئنة الخيل اليك ! » فكتب كلثوم يعتذر اليه ويأمره
 P. ٤٢ أن « يقيم بشلف حتى يقدم عليه . فاستخلف كلثوم على القيروان عبد الرحمن بن

1) Manque dans A.

عُقْبَةُ الْغَفَّارِيِّ، وسار حتى وصل عَسْكَرَ حَيْبٍ، فرفضه، واستهان به؛ وسبَّ بَلْجُ بنِ بَشْرِ لَحْيَبٍ وتنقَّصه، وقال: «هذا الذي يُحَوِّلُ أَعْنَةَ الْخَيْلِ الْبِنَا!» فقام اليه عبد الرحمن بن حبيب، وقال: «يا بَلْجُ! هذا حَيْبٌ! فإذا شئتَ، فَأَعْرِضْ لَهُ لِلْمُقَابَلَةِ!» وصاح الناسُ: «السَّلاحُ! السَّلاحُ!» قال أهلُ إفريقية إلى نَاحِيَةٍ، ومعهم أَهْلُ مِصْرَ. ثُمَّ سعى بينهم في الصلح. فكان هذا الاختلاف سَبَبَ هلاكهم، مع سوء رأى كُثُومٍ وبلج.

ولمَّا قدم كُثُومٌ على وادي سُوءٍ، وهو في ثلاثين ألفاً، قال ابنُ الْقَطَّانِ: فيهم عشرة آلاف من صُلُبِ بَنِي أُمَيَّةَ، وعشرون ألفاً من سائر العرب. فتوجَّه اليهم خالد بن حُمَيْدُ الزَّنَانِيُّ الذي تولى الأمر بعد مَيْسَرَةَ. فوجَّه كُثُومٌ بَلْجاً ليلاً، ليُوقِعَ بالبربر. فسرى ليلته، وأوقع بهم عند الصباح؛ فخرجوا إليه عُرَاةً، فهزموه ووصلوا إلى كُثُومٍ. فأمر بديدبان فَنُصِبَ له، وقعد عليه. ثُمَّ نشب القتال، وفعدت البربر تحت الدَّرَقِ، وناشبت الخيلُ الخيلَ، وكشفت خيلُ العرب خيلُ البربر؛ ثُمَّ انكشفت خيلُ العرب، والتفت الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ. فكان صَبْرٌ وفتالٌ. وخالطت خيلُ البربر ورجالُهم كُثُوماً وأصحابه. فقتل كُثُومٌ، وحبيب بن أبي عُبَيْدٍ، وسليمان بن أبي المهاجر، ووجوه العرب. فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس، وهزيمة أهل مِصْرَ وإفريقية إلى إفريقية.

قال ابنُ الْقَطَّانِ: لَمَّا بعث هشام بن عبد الملك كُثُوماً والياً على إفريقية والمغرب، أمره بالجدِّ والاجتهاد في أمرها، إذ كان بنو أُمَيَّةَ يجدون في الدرايات¹⁾ أَنَّ مُلْكَ الْفَائِزِينَ عليهم لا يُجَاوِزُ الزَّابَ. فتوهموا أَنَّهُ زَابُ مِصْرَ، وإنَّما كان زَابُ إفريقية. وعهد إليه في سَدِّهَا وَضَبْطِهَا، وعهد إن * حَدَّثَ ٤٣ : بِكُثُومٍ حَدَّثُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ أَخِيهِ بَلْجُ مَكَانَهُ. فدارت بينه وبين البربر حروبٌ، هزموا في بعضها كُثُومٌ بن عياض وقتلوه، وصار أمر العرب بإفريقية إلى بَلْجٍ بالعهد المذكور. ولجأ فلهم إلى سَبْنَةَ، وبَقِلُوا بِهَا حَتَّى ضَاقَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ؛ فَكَاتَبَ

بَلَجَ وَأَصْحَابُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنَ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ، وَسَأَلُوهُ إِدْخَالَهُمُ الْأَنْدَلُسَ. فَلَمْ يَأْمَنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَمَطْلَهُمْ بِالْمِيرَةِ وَالسُّفُنِ. ثُمَّ اضْطُرَّ إِلَى إِدْخَالِهِمُ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ ذَلِكَ، لَسَبَبِ أَشْرَحُهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَهُوَ مَوْضِعُهُ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ. فَكَانَتْهُمْ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ إِقَامَةَ سَنَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ عَنْهَا. فَرَضُوا بِذَلِكَ؛ وَكَانُوا نَحْوَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ عَرَبِ الشَّامِ.

وَلَمَّا دَخَلُوا الْأَنْدَلُسَ وَأَقَامُوا فِيهَا سَنَةً، تَرَفَّهُوا بِهَا. فَأَمَرَهُمُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، كَمَا اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ. فَامْتَنَعُوا، وَقَتَلُوا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنَ، وَاسْتَوْلَى بَلَجٌ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، وَبَقِيَ بِهَا أَحَدُ عَشَرَ شَهْرًا، أَمِيرًا. وَقَدْ شَرَحْنَا أَمْرَهُ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي.

وَقَالَ الرَّقِيقُ: لَمْ يَنْهَزْ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيْقِيَّةٍ إِلَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ؛ فَإِنَّهُ جَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَقَالَ لِأَمِيرِهَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنَ: «هُؤُلَاءِ أَهْلُ الشَّامِ يَقُولُونَ: ابْعَثْ لَنَا مَرَكَبَ نَجُوزُ فِيهَا، وَهُمْ، إِنْ جَازُوا إِلَيْكَ، لَمْ نَأْمَنْهُمْ عَلَيْكَ!» فَلَمَّا أَجَازَهُمُ إِلَيْهَا، مَا لَبَثُوا فِيهَا إِلَّا سَنَةً حَتَّى وَثَبُوا عَلَيْهِ مَعَ بَلَجٍ. فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ اثْنَتَا عَشْرَةَ وَقِيعَةً، كُلُّهَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنَ حَتَّى قَتَلَهُ بَلَجٌ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ١٢٤، قُتِلَ بَلَجٌ بِالْأَنْدَلُسِ، وَوَلَّيَهَا ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْعَامِلِيُّ، أَقْعَدَ أَصْحَابُ بَلَجٍ مَكَانَهُ بِمَا عَاهَدَ بِهِ هِشَامُ إِلَيْهِمْ، وَبَايَعُوهُ. فَثَارَ فِي أَيَّامِهِ بِقَايَا الْبَرْبَرِ بَارِدَةٌ؛ فَغَزَاهُمْ ثَعْلَبَةُ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا * وَأَسَرَّ مِنْهُمْ نَحْوَ الْأَلْفِ، وَانْصَرَفَ إِلَى قُرْطُبَةَ. فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ. وَفِيهَا كَانَ ابْتِدَاءُ ظَهْرِ بَرَّغَوَاطَةَ.

ذِكْرُ بَرَّغَوَاطَةَ وَارْتِدَادِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ^١

قَالَ ابْنُ الْفُطَّانِ وَغَيْرُهُ: كَانَ طَرِيفٌ مِنْ وَلَدِ شِمْعُونِ بْنِ إِسْحَاقَ - عَمِّ - وَإِنَّ الصُّمَّرِيَّةَ رَجَعَتْ إِلَى مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانَ لِتَهْبِئِهَا وَاسْتِبَاحَتِهَا فِي ثَلَاثِ مِائَةِ

1) Ce chapitre manque dans B.

ألف من البربر مع أمير منهم. وكانوا قد افسسوا بلاد إفريقية وحربها وأموالها؛ فهزمهم الله تعالى بأهل القيروان، وهم في إثني عشر ألف مقاتل، نصرهم الله تعالى عليهم؛ وخبرهم طويل، يمنع من إيراده هنا خيفة التطويل. وكان طريف هذا من جملة قواد هذا العسكر؛ واليه تُنسب جزيرة طريف. فلما هزمهم الله بأهل القيروان، وتفرقوا، وقتل من قتل منهم، ونشئت جمعهم، سار طريف إلى تامسنا، وكانت بلاد بعض قبائل البربر. فنظر إلى شدة جهلهم؛ فقام فيهم، ودعا إلى نفسه. فبايعوه وقدموه على أنفسهم. فشرع لهم ما شرع، ومات بعد مدة. وخلف من الولد أربعة. فقدم البربر ابنه صالحاً. فأقام فيهم على الشرع الذي شرعه أبوه طريف. وكان قد حضر مع أبيه حرب ميسرة الحفيرة ومغرور بن طالوت الصُفريين، الذان كانا رأس الصُفريّة. فادّعى أنه أنزل عليه قرآنهم، الذي كانوا يقرءونه؛ وقال لهم إنه صالح المؤمنين، الذي ذكره الله في كتابه العزيز. وعهد صالح إلى ابنه إلياس * بديانته، وعلمه P. ٤٥ شرائعه، وفقهه في دينه، وأمره ألا يظهر الديانة حتى يظهر أمره، وينتشر خبره، فيقتل حيث يشاء من خالته. وأمره بمالاة أمير المؤمنين بالأندلس. وخرج صالح إلى المشرق، ووعده أنه يرجع في دولة الساج من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدجال فإن عيسى - عم - يكون من رجاله وأنه يصلي خلفه. وذكر في ذلك كلاماً نسبته إلى موسى - عم - ¹⁾. فولى بعد خروجه إلى المشرق ابنه إلياس خمسين سنة. فكتب شريعته إلى سنة ١٢٧٣. فخرج عن ذلك كله من أمر صالح وابنه أن ابتداءه كان في هذه السنة، أو التي قبلها؛ وما يأتي بعدها من السنين، إذ خمسون سنة آخرها سنة ١٧٣، مبدؤها سنة ١٢٤ أو نحوها؛ والله أعلم.

1) تعالى الله عن قوله: A. ajoute ici.

ولاية حنظلة بن صفوان إفريقية والمغرب كله

ولما بلغ أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك قتل كلثوم بن عياض وأصحابه، بعث الى إفريقية والمغرب حنظلة بن صفوان الكلابي. وكان عامله على مصر، ولأه عليها سنة ١١٩. فقدمها في شهر ربيع الآخر منها. فبعث اليه أهل الأندلس أن يبعث اليهم عاملاً؛ فوجه اليهم أبا الخطار حسام بن ضرار الكلابي. فصار في البحر من تونس الى الأندلس، والياً عليها. فقدمها في رجب. وسأذكر خبره في أخبار الأندلس إن شاء الله.

ومن أخبار حنظلة أمير إفريقية مع أمراء بعض القبائل الغربية: وذلك لما استقر حنظلة بالقيروان، لم يمكث فيها إلا يسيراً، حتى زحف اليه عكاشة P. ٤٦ الصفرى الخارجى، في جمع * عظيم من البربر؛ وزحف أيضاً الى حنظلة عبد الواحد بن يزيد الهوارى في عدد عظيم. وكانا ائترقا من الزاب. فأخذ عكاشة على طريق مجانة. فترل بالقيروان، وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال. وعلى مقدمته أبو قرّة المغيلي. فرأى حنظلة أن يعجل قتال عكاشة، قبل أن يجتمعا عليه. فرحف اليه بجماعة أهل القيروان. فالتقوا بالقرن؛ وكان بينهم قتال شديد. فهزم الله عكاشة ومن معه؛ وقُتل من البربر ما لا يحصى كثرة. وقيل إن حنظلة، لما رأى ما دهمه من البربر، قال لأصحابه: «نستمد أمير المؤمنين!» فقال له شاب جميل الوجه: «بل، نخرج الى عدونا حتى يحكم الله بيننا!» فعزم حنظلة، وخرج. فهزم الله عكاشة في خبر طويل.

قال عبد الله بن ألى حسان: فأخرج حنظلة كل ما كان في الخزائن من السلاح، وأحضر الأموال، ونادى في الناس. فأول من دخل عليه، رجل من يعصب. فقال له: «ما اسمك؟» فقال: «نصر بن ينعم!» قال: فتبسم حنظلة كالملكذب له وقال له: «بالله! اصدق!» فقال: «والله! ما لي اسم غير ما قلت لك!» فتفاءل به وقال: «نصر وفتح!» فأعطى الناس، وخرج

لمقابلة الصُفَرِيَّة، وهم الخَوَارِج. فكان بينه وبينهم حربٌ يطول ذكرها؛ فالتحم فيها القتال، وتداعى الأبطال، ولزم الرجالُ الأرض؛ فلا تسمع إلا وقع الحديد على الحديد، وتفاوض الأيدي بالأيدي. وكانت كسرةً على ميسرة العرب؛ ثم انكسرت ميسرة البربر وقليهم؛ ثم كرت العرب على ميمنة البربر؛ فكانت الهزيمة. وسبق إلى حنظلة رأسُ عبد الواحد، وأخذ عكاشة أسيراً؛ فأتى به إلى حنظلة؛ فقتله وخرَّ لله ساجداً.

وقيل إنه ما علم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها. * أراد حنظلة أن P. ٤٧ يُحصي من قتل؛ وأمر بعدهم. فما قدر على ذلك. فأمر بقصَب؛ فطرح قصبةً على كل قبيل. ثم جمعت النصب، وعدت؛ فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً. وكانوا صُفَرِيَّةً يستحلون النساء وسفك الدماء.

وكتب بذلك حنظلة إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك. فسرَّ بذلك سروراً عظيماً. وكان الليث بن سعد يقول: «ما [من] غزوة كنت أحب أن أشهدها، بعد غزوة بدر، أحب إلى من غزوة القرن والأصنام»
وفي سنة ١٢٥، توفى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بعلّة الذبحة. وعُمّاله في هذه السنة هم الذين كانوا في السنة قبلها؛ ومن جهلهم حفص بن الوليد على مصر، وحنظلة بن صفوان على إفريقية والمغرب، وأبو الخطار على الأندلس. ثم استخلف بعد الوليد بن يزيد، يوم موت هشام بن عبد الملك، وذلك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر.

وفي سنة ١٢٦، توفى الوليد بن يزيد مقتولاً، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، قتله يزيد بن الوليد المسمى بالنافض واستخلف يزيد. ولم يكن في أيامه في هذه السنة بإفريقية أمرٌ. وبويع بدمشق وجعل العهد بعد لابنه إبراهيم. وتوفى في ذى الحجة من هذه السنة؛ واستخلف إبراهيم بن يزيد؛ فأقام نحو شهر ونصف. ثم خلع نفسه لمرwan الجعدي. فقيل إنه نبش على يزيد بن الوليد وأخرجه من قبره وصلّبه.

انتزاع عبد الرحمن بن حبيب الفهري بإفريقية وبعض أخباره

P. ٤٨ كان عبد الرحمن بن حبيب هذا قد هرب الى الأندلس * عند هزيمته من الواقعة التي قُتل فيها أبوه حبيب بن أبي عتبة بن عتبة بن نافع، مع كلثوم بن عياض. فلم يزل، وهو بالأندلس، يُحاول أن يتغلب عليها. فلم يمكنه ما أراد، الى أن وجه حنظلة أبا الخطار إليها؛ فخاف على نفسه، وخرج مُستترًا؛ فركب البحر الى تونس؛ فنزل بها، وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٧. فدعا الناس الى نفسه؛ فأجابوه. وأراد حنظلة الخروج اليه، والزحف لفتاله. ثم كره قتال المسلمين. وكان ذا وَرَع ودين؛ فوجه الى حنظلة جماعة من وجود إفريقية يدعونه الى مراجعة الطاعة. فلما قدموا عليه، أوثقهم في الحديد، وأقبل بهم الى القيروان، وقال: «إن رمى أحدٌ من أوليائهم بحجر، قتلته!» وكانوا وجوههم وروساءهم. فلما رأى حنظلة ذلك، دعا الناضى والعدول، وفتح بيت المال؛ فأخذ منه ألف دينار، وترك الباقي، وقال: «لا أتلّس منه إلا بقدر ما يكفيني ويبلغني!» ثم شخص عن إفريقية في سنة ١٢٩، في جمادى الأولى. وأقبل عبد الرحمن حتى دخل القيروان، ونادى مُناديه: «لا يخرج أحدٌ مع حنظلة، ولا يشيعه أحد!» فرجع عنه الناس خوفاً من عبد الرحمن. ولما ١ قفل حنظلة الى المشرق، دعا على عبد الرحمن وعلى أهل إفريقية، وكان مُستجاب الدعوة. فوقع الوباء والطاعون بإفريقية سبع سنين، لا يكاد يرتفع إلا مرة في الشتاء ومرة في الصيف.

وقال بعض المؤرخين إن مروان بن محمد الجعدي بعث الى عبد الرحمن ابن حبيب بولايته على إفريقية بعد تغلبه عليها.

ولما ولي عبد الرحمن، ثار عليه جماعة من العرب والبربر. ثم ثار عليه

1) Lacune de quelques mots dans A.

عروة بن الوليد الصَّدْفِيُّ؛ فاستولى على تونس، وثار عليه عَرَبُ الساحل،
 وقام عليه ابن عَطَّاف الأَزْدِيُّ. وثارَت * البربر في الجبال. وثار ثابت P. ٤٩
 الصَّنْهَاجِيُّ بياضة؛ فأخذها. فخرج إليه إلياس بن حبيب، أخو عبد الرحمن،
 في ستمائة فارس؛ ولم يُظْهِرْ أَنَّهُ خرج إليه، بل أعمل الحيلة مع أخيه في ذلك.
 ولَمَّا وصله الجاسوسُ، وقال: «إِنَّ القومَ آمِنُونَ غافلون»، خرج العسكر اليهم؛
 فقتل ابن عَطَّاف وأصحابه، وأمن عبدُ الرحمن بن حبيب في قتل البربر،
 وأمنح الناس بهم، وابتلاهم بقتل الرجال صبراً، يُوَلَّى بالأسير من البربر،
 فبأمر من بينهم بتحريم دمه بقتله؛ فيقتله. وكانت بإفريقية حروبٌ ووقائع
 يطول ذكرها.

وكان عبد الرحمن بن حبيب قد كتب إلى مروان بن محمد، وأهدى إليه
 الهدايا. فكتب إليه مروان، يأمره بالقدوم عليه. ثم ضعف أمر بني أمية
 بالمشرق، واشتغل مروان بحرب السَّوْدَةِ. فأقام عبد الرحمن بالقيروان، حتى
 كانت سنة ١٢٥. فغزا تِلْيسَانَ، وخلف ابنه حبيباً على القيروان؛ فظفر
 بطوائف من البربر، وعاد إلى القيروان. ثم أغزى صِغْلِيَّةَ. ثم بعث إلى
 سَرْدَانِيَّة؛ فقتل من بها قتلاً ذريعاً؛ ثم صالحوه على الجزية. وبعث إلى إِفْرَنْجِيَّة؛
 فأتى بسبيها؛ ودوَّخ المغرب كله، وأذل من به من القبائل، لم يهزم له عسكرٌ،
 ولا رُدَّتْ له راية. وداخل جميع أهل المغرب الرعب والخوف منه.

وقُتِلَ مروان بن محمد بالمشرق، وزالت دولة بني أمية. وبقي عبد الرحمن
 ابن حبيب أمير إفريقية والمغرب. وهرب جماعة من بني أمية خوفاً من بني
 العباس، ومعهم حرُّمهم. فتزوج منهم عبدُ الرحمن وإخوته. وكان فيمن قدم
 ابنان للوليد بن يزيد؛ وكانت ابنة عمهما عند إلياس بن حبيب، فأنزلها
 عبدُ الرحمن في دار؛ ثم احتال في بعض الليالي؛ فاطلع عليهما من موضع
 خفي، وهما على نبيذ، ومولاهما يستقيهما، إذ قال أحدهما: «أبطن عبد الرحمن
 * أَنَّهُ يبني أميراً معنا، ونحن أولادُ الخليفة!» فلما سمع هذا منه، انصرف. ثم P. ٥٠

دعاها، وأظهر لها بشراً، حتى أتاهما من أخبرها أن عبد الرحمن سمع كلامهما. فركبا جملتين وهربا. فبعث عبد الرحمن الخيل في طلبهما؛ وأدركا. فأمر بضرب أعناقهما. وكانت ابنة عيها عند إلياس؛ فقالت له: «قتل أختانك. وانت صاحب حربيه وصاحب سيفه! وجعل العهد من بعدك حبيب ولد! فهذا تمأون بك!» ولم تنزل به حتى اجتمع رأي إلياس وأخيه عبد الوارث على قتل أخيها عبد الرحمن. وهاودها على ذلك جماعة من أهل القيروان على ما يأتي ذكره.

وفي سنة ١٢٧، كان دخول عبد الرحمن بن حبيب هذا إفريقية ودعاؤه لنفسه، كما تقدم. وفيها كان انتزاع ثوبة بن سلامة بالأندلس، وبويع بها. وكان قد هزم أبا الخطار سنة ١٢٥. وتم له الأمر في هذه السنة، لاكن لا بعهد من بني أمية، ولا من بني العباس، بل عنوة بالسيف. وأقام معه الصميل؛ فكان السلطان لثوبة والأمر للصميل.

وفي سنة ١٢٨، هلك أمير الأندلس ثوبة في شعبان؛ فكانت دولته نحو سنة، حسبما أذكر ذلك في أخبار الأندلس، إن شاء الله. فبقيت الأندلس دون أمير أربعة أشهر. فاجتمع الناس على الصميل بن حاتم؛ فوقع نظره ونظرهم على تقديم يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

وفي سنة ١٢٩، استقل يوسف الفهري بولاية الأندلس؛ فكانت ولايته إياها عشر سنين: فلما من سنة من هذه السنين إلا ويمكن أن يكون له فيها غزو، إذ قالوا إنه واصل الجهاد؛ وسيأتي ذكره وخبره في خبر الأندلس، إن شاء الله.

وفيها كانت بالأندلس حروب ووقائع وغلاظ في السعير. وقيل إن ولاية يوسف كانت في صفر من هذه السنة، وإنهم كتبوا لعبد الرحمن * بن حبيب عامل القيروان؛ فأنفذ إليه عهد بولاية الأندلس.

وفي سنة ١٣٠، كان استيلاء أبي مسلم على مَرُو، وتفريقه كلمة العرب،

واختياره البائنة لنصرتة، وتشريدُه المُضَرَّية. وكان له غزوات ومواقعات؛
وعبد الرحمن بن حبيب أميرُ إفريقية كذلك، في حروب ووقائع مع البربر.
وفي سنة ١٢١، كان استيلاء أبي مُسلم على خراسان، وعامِلُ مِصْر وإفريقية
والأندلس على ما كان عليه قبل ذلك. وفيها بنى عبد الرحمن بن حبيب سورَ
مدينة إطرابلُس، وانتقل الناسُ إليها من كلِّ مكان.

وفي سنة ١٢٢، كانت الوقعة التي هزم فيها الأمويون مع ابن هُبيرة،
وفتحُ العباسية للكوفة. ثمَّ اتَّصلت الولايات العباسية، والفتوح للبلاد الشرقية،
وخروجها عن الأموية واحداً بعد واحد. فقتل مروان بن محمد الجعدي في
هذه السنة، وانقطعت الدولة الأموية. وكانت دولتهم ٩١ سنة وتسعة أشهر
 وخمسة أيام. وهُم أربعة عشر رجلاً: منها أيام ابن الزبير تسع سنين واثنان
 وعشرون يوماً. ثمَّ تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم، وهرب عبد الرحمن
 ابن معاوية إلى الأندلس. فبايعه أهلها ونجددت لهم بها دولة استمرت إلى بعد
 الأربع والعشرين والأربعائة. فانقطعت دولتهم ست سنين أو نحوها، من هذه
 السنة إلى حين دخول عبد الرحمن الأندلس. وجددها في سنة ١٢٧. فإن
 صحَّ أنَّ عهدَ عبد الرحمن بن حبيب، صاحب الفيروان وإفريقية من قبل بنى
 أمية، وصلَّ إلى يوسف بن عبد الرحمن المتغلب على الأندلس، الذي أدخل
 عبد الرحمن إليها وهو أميرها، فعلى هذا، كانت لهم دولة متصلة بالأندلس.
 فتأمل هذا: فإنه، إن صحَّ، نكتة غريبة وفائدة عجيبة.

قال أبو محمد بن حزم: وانقطعت دولة بنى أمية. وكانت على * علائها P. ٥٢
 دولة عربية، لم يتخذوا قاعدة ولا قصبة، إنما كان سُكْنَى كلِّ أمير^(١) منهم في
 داره وضيعته التي كانت له قبل خلافته، ولا كلفوا المسلمين أن يحاطبواهم
 بالعبودية وللملك ولا تفيل يد^(٢) ولا رجل، إنما كان غرضهم التولية والعزل
 في أفاصي البلاد؛ فكانت عمالهم وولائهم في الأندلس، وفي الصين، وفي

١) امرئ A.

٢) أرض A.

السِّند، وفي خُرَّاسان، وأرمينية، واليمن، والشَّام، والعِراق، ومِصرَ، المَغْرِب،
وسائر بلاد الدنيا⁽¹⁾، ما عدى الهِنْد⁽¹⁾.

انتقل الأمر إلى بني العباس في هذه السنة. قال ابن حزم في جملة كلامه
أيضاً: فكانت دولتهم أعجيبَةً: سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجمُ
خُرَّاسان على الأمر، وعاد الأمر مُلكاً عضوضاً كِسْروياً، إلَّا أنَّهم لم يُعلنوا
بسبِّ أحدٍ من الصحابة - رضوان الله عليهم! - واقتربت في دولة بني العباس
دعوة المسلمين وكنيتهم؛ فتغلَّبت على البلاد طوائف من الخوارج والشيعة
والمعتزلة ومن ولد إدريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب - رضى الله عنهم أجمعين! - ظهوروا في المَغْرِب الأقصى،
وتملكوا فيه. ومنهم من ولد معاوية تغلبوا على الأندلس، وكثير من غيرهم أيضاً.
وفي خلال هذه الأمور، تغلَّبت الكفرة على أكثر بلاد الأندلس وأكثر بلاد السِّند.
وفي سنة ١٢٢ المذكورة، كان المؤثِّلون للعمال⁽²⁾ بالبلاد أربعة أمراء: وهم
مروان بن محمد، وأبو سلمة الخلال، وأبو مُسلم، وأبو العباس السفاح. فأما
مروان، فعزل الوليد بن عُروة⁽³⁾ عن المدينة، ولأها أخاه عيسى؛ وأما أبو
سلمة، فاستعمل محمد بن خالد على الكوفة إلى أن ظهر أبو العباس السفاح
ظهوراً تاماً؛ وأما أبو مُسلم، فهو كان السلطان الأعظم الذي لا يُردُّ أمره؛
وهو الذي قدَّم محمد بن الأشعث على فارس، وأمره أن يأخذ عمال أبي
سلمة فيضرب أعناقهم؛ ففعل ذلك؛ وأما * أبو العباس، فوجه بعد ذلك
إسماعيل بن عليّ والياً على فارس، وأخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان؛
وولي أخاه يحيى بن محمد بن عليّ على الموصل⁽⁴⁾؛ وولي على مصر أبا عون عبد
الملك بن يزيد؛ وولي على إفريقية عبد الرحمن بن حبيب لأنَّه، لما بلغته
بيعة أبي العباس، كتب إليه بالسمع والطاعة؛ فأقره⁽⁵⁾.

1-1) Manque dans A.

2) A. ajoute ici: وغيرهم.

3) B. عقبة.

4) A. ajoute ici: وولى سائر البلاد الشرقية.

5) Manque dans A.

وفي سنة ١٢٢، ولى أبو العباس السفاح عمه سليمان بن علي البصرة وأعمالها والبحرين وغير ذلك؛ وولى عمه إسماعيل على الأهواز، وولى عمه داود المدينة، وولى عماله سائر البلاد الشرقية؛ وإفريقية والأندلس على ما كانت عليه.

وفي سنة ١٢٤، بعث أبو العباس السفاح موسى بن كعب في اثني عشر ألفاً لقتال منصور بن جمهور من المنتزعين على بني العباس؛ فسار إليه حتى لحقه بأرض الهند؛ فهزمه ومن كان معه، ومضى؛ فأت عطشاً في الرمال. وفيها كان أيضاً العزل والولايات بالمشرق. وبقي على مصر أبو عون، وعلى إفريقية عبد الرحمن بن حبيب، وعلى الأندلس يوسف النهري.

وفي سنة ١٢٥، كانت غزوة عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية صقلية؛ فسي وغنم. وغزا أيضاً سردانية، وصالحهم على الجزية. وغزا أرض البربر بجهة تلمسان. ومدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، وهي دار مملكة زناتة. قال البكري^(١): بنو يغمراسن من هؤارة يعندون في ستين ألفاً. وتلمسان دار مملكة زناتة^(٢) على قدم الزمان، متوسطة بلاد القبائل من زناتة وغيرهم، ومقصد التجار؛ ونزلها محمد بن سليمان من ذرية علي بن أبي طالب - رضه -.

ومن ذريته أبو العباس عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان الذي بنى P. ٥٤ مدينة جراوة.

ونسب زناتة: قال أبو البجد المصلي، وعلي بن حزم، وغيرها: إن زناتة هم أولاد جانا بن بجي بن صولات بن ورتاج^(٢) بن ضري بن سفكو بن قيداد ابن شعبا^(٣) بن مادغيس بن هود^(٤) بن هرسق بن كداد بن مازيغ. وذكروا أن ضري هو ابن وزجيج بن مادغس بن بر؛ فولد ابن برنوس. وولد برنوس كُتامة، ومَصْوُودَة، وأُورِيَة، ووَزْدَاجَة، وأُوزِيغَة؛ فولد أُوزِيغَة هُؤارة، ومن قبيل هُؤارة بنو كهلان ومليّة؛ فولد بجي جذانا وسنجان ووزسطيف؛ فولد جذانا وزسيج؛ فولد وزسيج مَرِين؛ فولد مَرِين نَجْدَة ونَمالة؛ فولد وزسطيف

هـ.ك. أ. ٤) كعبلا. أ. ٣) ورتاج. ب. وزنّاج. أ. ٢) Manque dans B. ١-١)

وَزَكُونَة وَمِكْنَسَة؛ وولد ضرى أيضاً تَهْرِيْت؛ وولد تَهْرِيْت مَطْبَاظَة، وَمَدَغْرَة،
وَصَدِيْنَة، وَمَغِيْلَة^(١) وَمَلْزُوْزَة، وَمَذْيُوْنَة؛ وولد وزجيج لاوى الكبير؛ وولد
لاوى الكبير^(١) لاوى الصغير، وَمَغْرَاوَة، وإيْفَرْن^(٢)؛ وولد لاوى الصغير^(٢)
نَفْرَاو^(٣)؛ وولد نَفْرَاو^(٣) يطوفت؛ وولد لاوى الصغير أيضاً كطوف؛ وولد
كطوف ونبطط؛ فولد ونبطط سَدْرَانَة؛ وكانت سَدْرَانَة إخوان بنى مَغْرَاوَة
لأُمِّهِمْ؛ وكان أولاد مَغْرَاوَة وبنى يَنْرَن من أعظم بطون زَنَانَة.

قال رُجَار في كتابه: كان بنو مَرِيْن يسكنون وراء تِلْمَسَان؛ وهم من زَنَانَة،
من ولد جانا بن يحيى بن ضريس بن لولا بن نَفْرَاو بن بتر بن قَيْس غِيلَان
ابن الياس بن مُضَر. قال: وبنو مَرِيْن من العَرَب الصَّرِيْحِيُون.

وفي سنة ١٢٦، كان ابتداء أبي العباس السَّفَّاح مُحَاوَلَة القَدْر بِأَبِي مُسْلِم،
وظَفَرُ أَبِي مُسْلِم من حَاوَلَ ذلك، وقتله لهم؛ وذلك في خبر طويل^(٤). وقيل:
P. ٥٥ بل كان ابتداء تلك المحاولة في سنة ١٢٥ قبلها^(٤). وقدم * أبو مُسْلِم في هذه
السنة على أبي العباس مستأذناً في الحج؛ فهِمَّ أبو العباس بقتله؛ ثمَّ انثنى عن
ذلك. وحجَّ أبو مُسْلِم وأبو جعفر.

وفيها توفي أبو العباس السَّفَّاح في ذى الحجة، بعد أن ولى العهد لأخيه
أبي جعفر المنصور؛ فاستوسقت له الأمور، وبابعه الجمهور.

وفي سنة ١٢٧، كان قدومُ أبي جعفر المنصور من مَكَّة^(٥)، وتتمُّ بيعته؛
فدخل أبو جعفر الكوفة وصلى الجمعة؛ ووافاه كتابُ أبي مُسْلِم بالحيرة؛ ثمَّ
شخص أبو مُسْلِم الى الأنبار.

وفيها انتزى عبد الله بن عليّ على ابن أخيه وامتنع من بيعته؛ فبعث اليه
أبو جعفر أبا مُسْلِم؛ فخاربه. وفيها قتل المنصور أبا مُسْلِم. وكَيْفِيَّةُ ذلك في
[تأريخ] أخبار المَشْرِق.

1—1) Manque dans A.

2—2) Manque dans A.

3—3) Manque dans A.

4—4) Manque dans B.

5) Manque dans A.

بقية أخبار عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية

لما صار الأمر إلى أبي جعفر المنصور، كتب إلى عبد الرحمن يدعوهُ إلى الطاعة. فأجابهُ، ودعا له، ووجههُ إليه بهدية كان فيها بُزاةٌ وكتابٌ^(١)، وكتب إليه^(٢): «إِنَّ إفريقية اليوم إسلاميةٌ كُلُّها، وقد انقطع السبُّ منها». فغضب أبو جعفر وكتب إليه يتوعده. فلما وصل إليه الكتاب، غضب غضباً شديداً؛ ثم نادى: «الصلاة جامعة!» فاجتمع الناس؛ وخرج عبد الرحمن في مطرف خزي، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم أخذ في سب أبي جعفر، وقال: «إني ظننتُ أَنَّ هذا الخائن يدعو إلى الحق ويقوم به، حتى تبين لي خلافُ ما بايعته عليه من إقامة العدل! وإني الآن قد خلعتُه، كما خلعتُ نعلِي هذا!» وقذفه من رجله. ثم دعا بخلع السود وأمر بنخريتها^(٣)، وقال: «هذا لباس أهل النار في النار^(٤)!» قال الرقيق: «كان قد لبسها قبل ذلك، ودعا فيها لأبي جعفر؛ ففُطِعتْ قطعاً وأُحرِقتْ. وقال ابن القطان: كان عبد الرحمن بن حبيب يُظهرُ الطاعة لأبي جعفر، ويدعوه له على المنابر، إلا أَنَّهُ لم يلبس السود، وقال: «إِنَّ هذا لباس أهل النار في النار!» ثم خلعه ونبذ طاعته^(٥). وحقَّ غريب أَنَّ خلعه لطاعة أبي جعفر كان في هذه السنة^(٦).

مقتل عبد الرحمن

كان عبد الرحمن يُوجه أخاه غازياً؛ فإذا ظفر، كتب عبد الرحمن بالفتح، ويزعم أَنَّ ابنه كان يتولى الفتوح. وكان قد ولَّاه عهداً؛ فعمد إلياس إلى قتل أخيه عبد الرحمن، وشاور في ذلك أخاه عبد الوارث؛ فأجابهُ. ودعوا إلى ذلك قوماً من أهل القيروان من العرب على أَن يقتلوا عبد الرحمن، ويؤمروا إلياس بن حبيب، وتكون الطاعة لأبي جعفر. وكان عبد الرحمن ولي أخاه

1—1) Manque dans A.

2—2) Manque dans A.

3—3) Manque dans B.

إلياس تونُس، وودَّعه للخروج إليها؛ وعبد الرحمن إذ ذاك مريضٌ. فدخل عليه، وهو في غلالةٍ ورداء، وابنٌ له صغيرٌ في حجره؛ ففقد طويلاً، وعبد الوارث بغمزه. فلما قام يودَّعه، أكبَّ عليه ووضع السكَّين بين كنفَيْهِ حتَّى وصل إلى صدره؛ ثمَّ رَدَّ يده على السيف؛ فضربه، وخرج هارباً دهشاً. فقال له أصحابه: «ما فعلتَ؟» قال: «قتلته!» قالوا: «ارجع! فخرَّ رأسه!» فرجع وحزّه. وثارت الصيحةُ. وأخذ إلياس أبواب دار الإمارة؛ وسمع ابنه حبيبُ الصيحة؛ فأخبر بقتل والده؛ فاخفى؛ ثمَّ تحامل على وجهه إلى باب تونُس، أحد أبواب القيروان؛ فخرج منه ومضى إلى عمِّه عمران بن حبيب، وهو والي تونُس لوالديه. فكانت ولايةُ عبد الرحمن بن حبيب إفريقيةَ عشرَ سنين وسبعة أشهر. وكان أوَّلَ نائِبٍ متغلَّبٍ على بلاد إفريقية.

* ولاية إلياس بن حبيب إفريقية

P. ٥٧

ولما قتل أخاه، وُلِّيَ أمور إفريقية والقيروان، وحبيبٌ عند عمِّه عمران بتونُس. فأخبره بخرابه، ولحقَ بهما مَوَالِيهما وعبيدُها من كلِّ ناحية. فخرج إلياس، وأتاه حبيبٌ وعمرانُ بنَ معهما؛ فهما بالقتال. ثمَّ اصطَلَحوا على أن يعودَ عمران إلى ولاية تونُس وصُطْفُورَة والحزيرة، ويكونَ حبيبٌ على قَنْصَة وقسْطِلِيَّة، وإلياس لسائر إفريقية والمغرب. ومضى إلياس مع أخيه عمران إلى تونُس؛ فوثب عليه إلياس، وبعث به إلى الأندلس. وولَّى على تونُس محمدَ ابن المَغيرة، وانصرف إلى القيروان؛ فبلغه عن حبيب أخبارُ كَرِهَها. فعلم ذلك حبيبٌ؛ فدرسَ له من زَيْنٍ له الخروج إلى الأندلس؛ ففعل، ووجهَ معه شقيقَه عبد الوارث ومن أحبَّ من مَوَالِيه. فركبوا البحر، وقد تعذَّرتْ بهم الريح؛ فكتب حبيبٌ إلى إلياس يُعْلِمُه بأنَّ الريحَ رَدَّتْه، ووقفوا بطَبْرَقَة. فكتب إلياس إلى عامله بها يُعَدِّرُهُ من أَمْرِهِ. فسمع به موالى عبد الرحمن وأهل طاعته؛ فاتوا إليه من كلِّ ناحية، وطرقوا سليمان بن زياد عامل إلياس لبلاد،

وهو في معسكره بحارس حبيباً . فأسروه ، وشدوا وثاقه ، وركبوا الى حبيب ؛
فأخرجوه الى البر .

ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلياس وتغلبه على بلاد إفريقية

لما خرج حبيب هذا الى البر ، واجتمعت عليه أهل طاعة أبيه ، ظهر أمره ،
وشاع ذكره . وتوجه الى الأربس ؛ فأخذها . وبلغ خبره الى * إلياس ؛ فخرج P. ٥٨
يريدته ، واستخلف على القبروان محمد بن خالد القرشي . فلما قرب إلياس منه ،
تخاربا حرباً خفيفة . فلما أمسى حبيب ، أوقد النيران ليطن الناس أنه مقيم .
ثم سرى ؛ فأصبح بجلولاً . ثم نفذ الى القبروان ؛ فاستولى عليها . ثم رجع إلياس
في طلبه ؛ ففسد عليه من كان معه ، وتقوى حبيب وخرج اليه في جمع عظيم .
فلما التقيا ، ناداه حبيب : « لِمَ نقتل صائعتنا ومواليها ، وهم لنا حصن ! ولاكن
أبرز أنا وأنت : فأينا قتل صاحبه ، استراح منه ! » فناداه الناس : « قد أنصفك
يا إلياس ! » فخرج كل واحد منهما الى صاحبه ، ووقف أهل العسكر ينظرون
اليهما ؛ فقطاعنا حتى تكسرت قناتها ؛ ثم تضاربا بسبوفهما ، وعجب الناس من
صبرها . ثم ضرب إلياس حبيباً ضربة ^(١) في ثيابه ودرعه ، ووصلت الى جسده ؛
وضرب حبيب عمه إلياس ضربة ^(٢) أسقطته . ثم أكب عليه ؛ فحز رأسه ، وأمر
برفعه على رمح ، وأقبل به الى القبروان . فدخلها وبين يديه رأس عمه ورؤوس
أصحابه ، فيهم عم أبيه محمد بن أبي عبدة بن عقبة ، ورأس محمد بن البغيرة
القرشي وغيرها من وجوه العرب . وذلك في عام ١٢٨ ؛ فكانت ولاية إلياس الى
أن قتل نحو سنة وستة أشهر .

وفي سنة ١٢٨ . قام البربر بإفريقية على حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب .
وبما قتل حبيب عمه إلياس ، هرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه

من عسكر إلياس أخيه الى بطن من البربر، يُقال لم وَرَفْجُومَة من نَفْزَة، لاجئين اليهم. فقتلوا عليهم، وأميرهم عاصم بن جميل. فكتب اليه حبيب يأمره بتوجيههم اليه. فلم يفعل. فزحف اليه حبيب؛ ولقيه عاصم، ومعه كل من هرب من حبيب. فاقتلوا؛ وانهزم حبيب. وكان إذا خرج اليهم، استخلف على القَيْرَوَان P. ٥٩ آبا كُرَيْب القاضى. فكتب بعض * أهل القَيْرَوَان الى عاصم وأشياخ وَرَفْجُومَة، وظنوا أنهم يُوفون لهم بالعهد، وأظهروا لهم أنهم إنما يريدون أن يدعوا لأبي جعفر. فزحف عاصم بن جميل وأخوه مكرم بن كان معهم من البربر، ومن لجأ اليهم من العرب، بعد أن هزموا حبيباً، وساروا الى ناحية قابس، حتى انتهوا الى القَيْرَوَان. فلما دنا بعضهم من بعض، خرج جماعة من عسكر عاصم؛ فقتلوا منهم أناساً. وتفرق الناس عن القاضى أبي كُرَيْب، ورجعوا الى القَيْرَوَان، ولم يعلموا ما يحل بهم من البربر. وثبت أبو كُرَيْب في نحو ألف رجل من أهل الدين، مسسلين للموت. فقاتلوا حتى قُتل أبو كُرَيْب وأكثر أصحابه. ودخل وَرَفْجُومَة القَيْرَوَان؛ فاستحلوا المحارم، وارتكبوا الكبائر. ونزل عاصم بمُصَلَّى رَوْح. ثم استخلف على القَيْرَوَان عبد الملك بن أبي الجعد اليفرنى، وسار الى حبيب، وهو بفابس. فانهزم حبيب وأحق بجبل أوراس. فسار اليه عاصم؛ فهزمه حبيب، وقتله مع جملة من أصحابه. وأقبل حبيب الى القَيْرَوَان؛ فخرج اليه عبد الملك بن أبي الجعد؛ فاقتلوا؛ فانهزم حبيب وقُتل في المحرم من سنة ١٤٠. فكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب نحو عشرين وأشهرًا، وولاية أخيه إلياس سنة وستة أشهر¹.

ثم تغلب على إفريقية بعض القبائل الصُفْريَّة بعد قتل حبيب وعاصم؛ فدخلوا القَيْرَوَان وربطوا دوابهم في المسجد الجامع، وقتلوا كل من كان من قُرَيْش، وعذبوا أهلها. وأساعت وَرَفْجُومَة لأهل القَيْرَوَان سوء * العذاب، وندم الذين استدعواهم أشد ندامة. ثم قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السَّحج

1) A ajoute ici: وكان حبيب ثائراً غالباً.

المَعَارِثُ، وكان نائراً متغلباً خرج من إطرابلس بعد ما كان استولى عليها، يريد القَيْرَوَان لقتال وَرَجُومَة. فالتقى معهم وفاتلهم. ثم هزمهم وتبعهم يقتلهم. ثم انصرف الى القَيْرَوَان؛ فولى عليها عبد الرحمن بن رُسْتَم صاحب بيهزت بعد ذلك. ومضى أبو الخطاب الى إطرابلس. وكانت مدة هذه الأهوال والفتن التي اختصرناها هنا مجتمعة في نحو ثلاثة أعوام.

وفي سنة ١٢٩، كان الفداء بين أبي جعفر المنصور والروم؛ فاستنفذ المنصور منهم أسارى المسلمين. ولم تكن بعد ذلك صائفة للمسلمين الى سنة ١٤٦.

وفي سنة ١٤١^(١)، كان ابتداء بناء سِجْلَمَاسَة. وفيها^(٢) كان خروج أبي الخطاب الى القَيْرَوَان لقتال وَرَجُومَة؛ فخرج اليه واليها عبد الملك؛ فخذاه أهل القَيْرَوَان وانهزموا عنه؛ فقتل عبد الملك وأصحابه في صفر. وكان تغلب وَرَجُومَة على القَيْرَوَان سنة وشهرين.

وفي سنة ١٤٢، أقبل أبو الأحوص العجلي بالمُسَوْدَة. فخرج اليه أبو الخطاب. فالتفوا ببِقْدَاس^(٣) على شاطئ البحر؛ فانهزم أبو الأحوص وأصحابه، واخوى أبو الخطاب على عسكرهم. ورجع أبو الأحوص الى مِصْر، وانصرف أبو الخطاب الى إطرابلس. وكانت إفريقية كلها في يديه الى أن وجه المنصور ابن الأشعث.

^(٤) وفي سنة ١٤٣، اتصل بابي الخطاب أن ابن الأشعث^(٤) يريد القَيْرَوَان. فخرج اليه في زهاء مائتي ألف؛ فعسكر بهم في أرض سُرْت. واتصل ذلك بهمد بن الأشعث.

وفي سنة ١٤٤، ولي إفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي.

1) A.: ١٤٠.

2) A. سنة ١٤١.

3) Cette vocalisation est fournie

par B. 4—4) Manque dans B.

ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية¹⁾

لما غلبت الصفريّة على إفريقية، بعد أن قتلت وزّجومة من قتلت من
 P. 71 قُرْبَش وغيرهم، * خرج جماعة من عَرَبِهَا إلى المنصور يستنصرون به على البربر،
 ويصفون له ما نالهم منهم. فولى أبو جعفر ابن الأشعث مِصْرَ. فوجه أبا الأخوص.
 فهزمت البربر كما تقدّم. فكتب أبو جعفر إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه؛
 فخرج إلى إفريقية في أربعين ألفاً، عليها ثمانية وعشرون فائداً. فالتقوا بآبي
 الخطّاب؛ وكان قد جمع أصحابه في كلّ ناحية؛ ومضوا في عدد عظيم. فضاقت
 دَرَعُ ابن الأشعث بقاء آبي الخطّاب لما بلغه كثرة جيوشه. ثمّ إنّ زَنَانَةَ وهُوَارَةَ
 تنازعت فيما بينهما، وانتهت زَنَانَةُ أبا الخطّاب في ميله مع هُوَارَةَ. فنارقه جماعة
 منهم. وبلغ ذلك ابن الأشعث؛ فسرّ به ورحل إليه. فاقتتلوا قتالاً شديداً؛
 فانهزم البربر. وقتل أصحاب آبي الخطّاب وأبو الخطّاب. فظنّ ابن الأشعث
 ألاّ بقية بعد آبي الخطّاب. ثمّ طلع عليهم أبو هريرة الزناني في سنة عشر ألفاً.
 فتلقاهم ابن الأشعث؛ فهزمهم وقتل بعضهم؛ وذلك في ربيع الأوّل من السنة.
 ووجه ابن الأشعث برأس آبي الخطّاب إلى بغداد. ولما انتهى إلى عبد الرحمن
 ابن رُسْتَمٍ قتل آبي الخطّاب، ولّى هارباً إلى موضع تِهْرَت. فاخططها ونزلها.
 وأخذ أهل القَيْرَوَان عَمَلَهُ عليها؛ فأوثقوه في الحديد وولّوا على أنفسهم عمرو بن
 عثمان القرشيّ، إلى أن وفد عليهم ابن الأشعث ودخل القَيْرَوَان غُرّة جمادى
 الأولى من السنة.

وفي هذه السنة، أمر ابن الأشعث ببناء سور القَيْرَوَان في ذى القعدة. وكان
 تمامه في رجب سنة ١٤٦. وضبط ابن الأشعث إفريقية وأعمالها، وأمّن في كلّ
 من خلفه من البربر بالقتل. فخافوه وأذعنوا له بالطاعة. ثمّ ثار عليه عيسى بن
 موسى بن عجلان، كان أحد جنده، في جماعة من قوّاده. فأخرجوا ابن

1) Ce titre manque dans A.

الْأَشْعَثُ مِنَ الْقَيْرَوَانِ * من غير قتال. فكان خروج ابن الأشعث من القيروان P. ٦٢ في ربيع الأول سنة ١٤٨. فكانت ولايته بها ثلاثة أعوام وعشرة أشهر، في خلافة أبي جعفر المنصور.

وفي سنة ١٤٥، اشتغل ابن الأشعث ببناء سور القيروان. وأخصصت بلاد إفريقية. وكان قد بعث إلى زويلة وودان؛ فافتحهما وقتل من بهما من الأباضية. وقتل عبد الله بن حبان الأباضي؛ وكان رأس أهل زويلة. وسكن ابن الأشعث أحوال أهل إفريقية في هذه السنة. فلم تكن بها حركة له.

^(١) وفي سنة ١٤٦، استتم ابن الأشعث بناء سور مدينة القيروان. وفيها أيضاً استتم المنصور بناء بغداد، ولازم العمل فيها، وانتقل إلى سكنائها في شهر صفر من هذه السنة ^(١).

وفي سنة ١٤٧، كان الأمير على مصر يزيد بن حاتم، وعلى إفريقية محمد ابن الأشعث الخزاعي. وليس هو محمد بن الأشعث ^(٢) الكندي ابن أخت عائشة - رضاها.

وفي سنة ١٤٨، ثار الجند على محمد بن الأشعث ^(٢) بإفريقية، وسألوه الخروج عنهم. فخرج في ربيع كما تفلّم ذكره. ثم اتفق الجند على تولية عيسى بن موسى الخراساني.

ثورة ^(٣) عيسى بن موسى بالقيروان وبعض بلاد إفريقية

فتغلب عليها بعض العرب والجند من غير عهد من المنصور، ولا رضى منه، ولا تراض من العامة؛ وذلك في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٨ المذكور. فكانت مدته ثلاثة أشهر.

1-1) Manque dans B.

2-2) Manque dans B.

3) B. ; تولية.

ولاية الأغلب بن سالم التميمي

P. ٦٢ لما بلغ المنصور ما كان من امر قواد الجند البصريّة * وصرفهم محمد بن الأشعث، بعث الى الأغلب بن سالم بن عقّال التميمي عهدّه بولايته، في آخر جمادى الآخرة من السنة المؤرّخة. فاستقامت له الحال. وكان من أهل الرأى وذوى المشورة. ووصله كتاب المنصور بعد كتاب العهد، يأمره بالعدل في الرعيّة، وحسن السيرة في الجند، وتحصين مدينة القيروان وختدّفها، وترتيب حرسها ومن يترك فيها إذا رحل الى عدوّه، وغير ذلك من أموره. وسنة ١٤٩ لم يكن فيها حركة.

وفي سنة ١٥٠، ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم؛ وسبب ذلك أنّ أبا قرّة الصّفريّ خرج في جمع كبير من البربر؛ فسار اليه الأغلب في عامّة القواد الذين معه، وخلف على القيروان سالم بن سّودة. فلما علم أبو قرّة أنّ الأغلب قرب منه، هرب، وتفرّق أصحابه. وقدم الأغلب الزاب، وعزم على الرحيل منه الى تلمسان، فاعده زناتة؛ ثمّ الى طنجة. فكره الجند المسير معه، وقالوا: «قد هرب أبو قرّة الذي خرجنا اليه!» وجعلوا ينسلّون عنه الى القيروان. فلم يبق معه إلّا نفرٌ يسيرٌ من وجوههم. وكان الحسن ابن حرب بنونس. فلما خرج الأغلب يريد أبا قرّة، كاتب جميع القواد. فلحق به بعضهم، وأقبل معهم الى القيروان؛ فدخلها، وأخذ سالم بن سّودة عاملاً؛ فحبسه. وبلغ الخبر الأغلب؛ فأقبل في عدّة يسيرة، وكتب اليه، يُعرّفه بفضل الطاعة، ويبال المعصية. فأعاد الجواب الى الأغلب؛ وفي آخره [وافرا]:

أَلَا قُولُوا لِأَغْلَبَ غَيْرَ سُوءٍ مُغْلِقَةً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ
* بَأَنَّ الْبَغْيَ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ عَلَيْكَ وَقُرْبُهُ لَكَ شَرٌّ قُرْبٍ
فَإِنْ لَمْ تَسْتَنْبِ لِنَتَالِ سَلْبِي وَعَفْوِي فَأَذْنُ مِنْ طَعْنِي وَضَرْبِي

P. ٦

وأقبل الأغلب بحث السير بعد ما مضى الى قايس؛ وقدم رسول المنصور

عليه بكتاب منه اليه وإلى الحسن بن حرب، يدعو الحسن إلى الطاعة . فلم يقبل .
فأقبل اليه الأغلب . فاقتتلوا ، وانهزم الحسن ومضى راجعاً إلى تونس ؛ ودخل
الأغلب القيروان . ثم حشد الحسن وسار في عدة عظيمة إلى القيروان . ثم إن
الأغلب ، لما بلغه قدوم الحسن اليه ، جمع أهل بيته وخاصته ، وخرج اليه . فأصابه
سهم ، فمات منه في شعبان من السنة المؤرخة . فكانت ولايته سنة واحدة وثمانية أشهر .

ولاية عمرو بن حفص بن قبيصة إفريقية

ثم ولي إفريقية¹ عمرو بن حفص بن قبيصة سنة ١٥١ . وكان شجاعاً P. ٦٥
بطلاً . وسبب ولايته أن أبا جعفر ، لما بلغه قتل الأغلب بن سالم ، وجهه في نحو
خمسمائة فارس . فأقام بالقيروان ثلاث سنين وأشهرًا من ولايته ، والأمور له
مستقيمة . ثم سار إلى الزاب ، واستخلف حبيب بن حبيب بن يزيد بن المهلب .
فحلت إفريقية من الجند ، وثار بها البربر . فخرج اليهم حبيب والتقى معهم ؛
فهزموه وهزموا عسكر إطرأس معه . فاشتدت الفتنة بإفريقية واشتعل نارها .
وأتاها أمراء القبائل من كل فج ، واجتمعوا في اثني عشر عسكرياً ، ونوجهوا
إلى الزاب ، وليس مع عمرو بن حفص إلا خمسة عشر ألفاً وخمسمائة . وكان
أمراء المغرب في ذلك الوقت وروساؤهم أبو قرّة الصُفْري في أربعين ألفاً ،
وعبد الرحمن بن رستم الأباضي في خمسة عشر ألفاً ، وأبو حاتم في عدد كثير ،
وعاصم السدْراني في عدد كثير : قيل في ستة آلاف ، والمصور الزناني في عشرة
آلاف ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصُفْري في ألّنين سوى جماعات
أخر . قال الرقيق : لم أذكرهم .

فلما رأى عمرو بن حفص ما أحاط به من العساكر بمدينة طينة بالزاب ،
جمع قواده ، فاستشارهم ، وقال لهم : « إني أريد مُناهضة هذا العدو ! » فأشاروا
عليه ألا يبرح² من مدينة طينة ، وقالوا له : « أخرج منا من أردت إلى

1) B. المغرب .

2) B. يخرج .

عدوك ولا تخرج انت ا فإنيك، إن أُصِبت، تَلِفَ المَغْرِبُ وفَسَدَ ا» فوجه عمرو الى أبي قُرّة مالا كثيرا وكسّى^(١) كثيرة، على أن ينصرف عنه. فقال: « لا حاجة لي بذلك ا» فانصرف الرسول بذلك الى أخيه. فدفع له بعض المال والياب على أن يعمل في صَرْف أخيه أبي قُرّة والصفريّة الى بلادهم. فعَمِل في ليلته تلك، واجتمع بأهل العسكر؛ فلم يعلم أبو قُرّة حتى انصرف عنه أكثر أهل العسكر. P. 76. فلم يجد بُدّا من اتّباعهم.

فلما انصرف الصفريّة، وجه عمرو الى ابن رُسْتَم عسكراً؛ وكان في تهودا. فانهزم ابن رُسْتَم، وقُتل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف. ووصل منهزماً الى تِهْرْت. ورجع عمرو بن حفص الى الفَيَرَوَان؛ فجعل يُدخل اليها كل ما يصلحه من الطعام والمرافق وعدّة الحصار. ثم أقبل أبو حاتم في جموعه حتى نزل عليه. وكثرت الفتن ببلاد إفريقية. ويقال إنّ عدّة من حاصر الفَيَرَوَان مائة ألف وثلاثون ألفاً. وكان ابن حفص يخرج اليهم في كل يوم، فيُحاربهم. فلم يزلوا كذلك حتى ضاق أمرهم، وأكلوا دوابهم وكلابهم وسنانيرهم،^(٢) وماتوا جوعاً^(٢). وانتهى الملح عندهم أوقية بدرهم. واضطرب على ابن حفص أمره وساءت خلقه، وبلغه أنّ يزيد بن حاتم بعثه أمير المؤمنين في ستين ألفاً لنصرة الفَيَرَوَان. فقال: « لا خير في الحياة بعد أن يقال: يزيد أخرجه من الحصار ا إنها هي رقة وأُبعث الى الحِساب ا» وخرج؛ فجعل يطعن ويضرب حتى قُتل في النصف من ذي الحجة من سنة ١٥٤. ولم يُعط الحال تفصيل هذه السنين من سنة ١٥١ الى ١٥٣ بعدها سنة سنة: فأجملت أمرها هنا إجمالاً مختصراً،^(٣) يُغنى عن إعادتها في كل واحدة منها^(٣).

ولما قُتل عمرو بن حفص، بايع الناس أخاه جميل بن حفص بالفَيَرَوَان. فلما طال عليه^(٤) الحصار، دعاه الاضطراب الى مُصالحته أي حاتم. على أن يجعله وأصحابه لا يخضعون طاعة سلطانهم، ولا يزعون سوادهم. فعصب أبو حاتم.

اشدّ B. 4) Manque dans B. 3-3) Manque dans A. 2-2) Manque dans A. 3) يُغنى

وأُحرق أبواب القَيْرَوَان، وتَلَمَّ سورها، ودخلها. ولما دخل أبو حاتم القَيْرَوَان، أخرج أكثر أهلها الى الزاب. ثم بلغه قدوم يزيد بن حاتم؛ فتوجه للقائه نحو إطرابلس، واستخلف على القَيْرَوَان عبد العزيز الماعري. فقام عليه عمر بن عثمان؛ وقتل أصحاب أبي حاتم. * فزحف اليهم أبو حاتم الى القَيْرَوَان؛ فاقتتل معهم. وتوجه P. ٦٧ أبو عثمان الى تَوْس؛ ورجع أبو حاتم الى إطرابلس، حين بلغه قدوم يزيد ابن حاتم. فقيل إنه كان بين العرب والبربر، من لدن قاتلهم عمرو بن حفص الى انقضاء أمرهم، ثلاثمائة وخمس وسبعون وقبعة.

وفي سنة ١٥١، ولي المنصور عمرو بن حفص المتقدم الذكر إفريقية. فقدمها في صفر في خمسمائة فارس. وكان قد ولي إفريقية سنة ١٥٠، بعد موت الأغلب، المخارق بن غفار الطائي، استخلفه الأغلب على القَيْرَوَان؛ واجتمع الناس عليه في رمضان؛ فوجه الخيل في طلب الحسن بن حرب؛ فهرب من تَوْس الى كُتامة. فأقام شهرين، ورجع الى تَوْس؛ فخرج اليه من بها من الخيل؛ فقتل الحسن بن حرب.

وفي سنة ١٥٢، كان ما تقدم ذكره على الجملة بإفريقية وفيها عزل المنصور يزيد بن حاتم عن مصر، ولأها محمد بن سعيد. وكان سائر عماله الذين كانوا في السنة قبلها.

وفي سنة ١٥٣، قال الطبري: قتل عمرو بن حفص؛ قتله أبو حاتم الأياضي، وأبو غادي، ومن كان معهما من البربر؛ وكانوا فيما ذكر ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً، ومعهم أبو قرّة البفري، أمير تلمسان، في أربعين ألفاً. وكان يُسلم عليه بالخلافة. هكذا ذكر ابن القَطَّان في «نظم الجُمان»^(١). وقد تقدم أن قتل عمرو بن حفص كان في سنة ١٥٤. ذكر ذلك الرقيق وابن حمّاد وغيرهما^(٢).

قال الرقيق وعريب: وفي سنة ١٥٣، زحف أبو قرّة من تلمسان في جمع

كبير من البربر الى القيروان؛ فصالحه^١ عمرو بن حفص، وانصرف. وفيها نارت البربر بإطرابلس، وقدموا أبا حاتم الأباضي؛ واسمه يعقوب بن كليب. وفي سنة ١٥٤، قال عريب: استخلف عمرو بن حفص على طَبْنَة المَهْنَأ بن المَخَارِق^٢، وخرج عمرو الى القيروان؛ فأقبل اليه أبو حاتم الأباضي الى أن قتل عمرو كما تقدّم ذكره. ولما بلغ المنصور قتل عمرو، بعث الى إفريقية يزيد ابن حاتم، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي سنة ١٥٥، قال الطبري: فيها افتتح يزيد بن حاتم إفريقية، وقتل أبا غادى وأبا حاتم؛ واستقامت بلاد المغرب، ودخل يزيد بن حاتم القيروان. وفيها انصرف أبو حاتم الأباضي من إطرابلس الى القيروان؛ ثم قدم يزيد.

ولاية يزيد بن حاتم إفريقية والمغرب

هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب؛ وكان يكنى أبا خالد. ولأه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور العباسي. وحاله في كرمه، وجوده، وشجاعته، وبُعْدِ صيته، ونفاذ رأيه، وتقدمه، معروف غير مُنكَر^٣. وكان كثير الشبه بجده المهلب ابن أبي صفرة في حروبه وكرمه. وكان له أولاد مذكورون بالشجاعة والإقدام. ويقال إنه انتهى ولد المهلب ثلاثاً ولد من الذكور والإناث، من مات منهم ومن عاش. وكان أبو جعفر المنصور عالماً ببلاد إفريقية؛ وكان لا يبعث اليها إلا خاصته. وكان يزيد هذا حسن السيرة. فقدم إفريقية، وأصلحها، ورتب أسواق القيروان، وجعل كل صناعة في مكانها. ولم تزل البلاد هادئة الى أن نارت عليه البربر. فزحف لهم وأوقع بهم. وله فيهم ملاحم مشهورة. وفيه قيل: «شَتَان ما بين اليزيديين!» يعنى يزيد بن سليم ويزيد بن حاتم. ومن شعر ربيعة فيه في قصيدة [طويل]:

1) Manque dans A.

2) Blanc dans B.

3) B. نكير.

• حَلَفْتُ بَيْنَا غَيْرَ ذِي مَثْوِيَةٍ بَيْنَ امْرِئِ آلِي وَلَيْسَ بَأَثَمِ P. ٦٩
لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْبَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَغْرَابِ حَاتِمِ

وقدم يزيد على إفريقية، ومعه من كل جند من الشام والعراق وخراسان؛ فقتل أولاً إطرابلس؛ وسار إليه أبو حاتم؛ فزحف إليه يزيد، واقتتل معه قتالاً شديداً. فانهزم أبو حاتم وقتل هو وكثير من أصحابه. وأتبع سائرهم؛ فقتل من أدرك منهم. واستعمل يزيد على إطرابلس سعيد بن شداد، وحينئذ نهض إلى القبروان؛ فدخلها يوم الإثنين لعشر بقين لجمادى الآخرة من هذه السنة. وفي هذه السنة، أنكرت الصُفَرِيَّةُ المَجْتَمِعَةُ بِسِجْلَمَاسَةَ على أميرهم عيسى بن يزيد أشياء؛ فشدوه وثاقاً، ووضعوه على قُنَّةِ جَبَلٍ؛ فلم يزل كذلك حتى مات، وقدموا سَمْعُو بن وَاسُول بن مدلان المِكْنَاسِيَّ جَدَّ مِذْرَارِ.

وفي سنة ١٥٦، بعث يزيد بن ^(١) حاتم العلوي بن سعيد المهلبِيَّ مدداً للمخارق بمدينة طُبْنَةَ بالزاب، ودخل قلعة ^(٢) حَبَابَ بجبل كُتَامَةَ؛ وهرب عبد الرحمن بن حبيب عنها. وقتل العلوي جماعة ممن أدرك فيها. ثم انصرف إلى القبروان.

وثار على يزيد بن حاتم أبو مجي بن قرياس الهَوَارِيُّ بناحية إطرابلس؛ واجتمع إليه كثير من البربر. وكان بها عبد الله بن السَّيْطِ الكِنْدِيُّ قائداً ليزيد؛ فالتقوا على شاطئ البحر، واقتتلوا قتالاً شديداً؛ فانهزم أبو مجي وقتل عامة أصحابه. ونهضت إفريقية ليزيد بن حاتم، وضبطها.

وفي سنة ١٥٧، جدد يزيد بناء المسجد الجامع بالقبروان. وكان غاية في الجود والحسن. وفيها توفي أبو جعفر المنصور، في ذي الحجة من السنة المورخة.

• وفي سنة ١٥٨، ولي الخلافة المهدي: بويغ يوم مات أبو جعفر بمكة - شرَّفَهَا P. ٧٠
الله! - بعهد من أبيه، وذلك يوم السبت لست خلون لذي الحجة. واستنفل بالملك والخلافة في هذه السنة. وكان أديباً، جواداً، محباً لأهل الأدب والشعر.

وقد ذكرنا بعض أشعاره وأخباره في تأريخ المشرق، والغرض هنا ذكر أخبار المغرب الأقصى والأوسط.

وفي سنة ١٦٢، توفى أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، القاضي بالقيروان؛ وصلى عليه أمير إفريقية يزيد بن حاتم، وتمثل بهذا البيت لما رأى ازدحام الناس عليه [بسيط]:

يا كعبُ ما راحَ من قومٍ ولا ابتكروا إلاَّ والسوتِ في آثارهم حادى
وكان مرضه أنه أكل حوتاً وشرب عليه لبناً على مائدة يزيد؛ وكان قد
جاوز تسعين سنة؛ فهلك من ليلته.

وفي سنة ١٦٣، أمر المهدي بجي بن خالد بن برمك أن يكون كاتباً لابنه
هارون، وقال له: «إني اخترتك ولأنتك الكتابة.» وأمر له بمائة ألف درهم،
معمونة على سفره مع هارون ابنه.

وفي سنة ١٦٥، أغزى المهدي ابنه هارون إلى بلاد الروم، في خمسة
ونسعين ألفاً؛ بمائة ألف ألف من العين، وبعشرين ألف ألف من الورق.
فبلغ خليج البحر على القسطنطينية؛ وأذعن له الروم بالجزية تسعين ألف دينار
في كل سنة. وانصرف بخمسة آلاف من الأسرى والغنائم.

وفي سنة ١٦٦، قدم هارون ابن أمير المؤمنين من غزونه هذه؛ وقدمت
الروم بالهدية والجزية. وفيها سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داوود. وكان
قد فوّض إليه أمور خاصته^(١).

وفي سنة ١٦٩، توفى المهدي بن المنصور - رحمه الله! - واختلف في سبب
موته: فقيل مسموماً غلطاً، وقبل غير ذلك. واستُخلف ابنه موسى الهادي.

وفي سنة ١٧٠، توفى موسى الهادي في ربيع الأول، وهو ابن ست وعشرين
P. ١ سنة ونصف؛ فكانت خلافته سنة * وشهرين. واستُخلف هارون بن
محمد الرشيد.

١) أمر خلافته A.

وفي سنة ١٧١، توفي أمير إفريقية يزيد بن حاتم، وكان خاصاً بأبي جعفر المنصور؛ وتولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب: منها أرمينية، والسند، ومِصر، وأذربيجان، وغير ذلك. وكانت ولايته مِصر سنة ١٤٤ إلى سنة ١٥٢. وكان حسن السيرة بإفريقية؛ امتدحه كثير من فحول الشعراء؛ فأجزل لهم العطاء.

قال الزبير بن بكار عن حدثه من الشعراء، قال: «كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه». فلما ولّاه المنصور مِصر، أخذ على طريق المدينة؛ فلقبه. فأنشد منذُ خرج من مسجد رسول الله - صلعم - إلى مسجد الشجرة. فأعطاه رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار. هكذا ذكر الرقيق. ومما قيل فيه [كامل]:

يا واحد العرب الذي دانت له فحطان فاطية وساد نزارا
إني لأرجو إذ بلغتك سالماً ألا أكابد بعدك الأسفارا

وفيه قيل [طويل]:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى إذا عدّ في الناس المكارم والمجد^١

^٢ وقوله: «لشتان ما بين اليزيديين» مثل يُمثل به في كل ناحية على لسان كل سائر^٢. وكان على ربيعة الشاعر دية؛ فأعطاه عشر ديات، ووصله، وأحسن إليه. وكان سخياً. ومن قول يزيد بن حاتم - رحمه الله! - [بسيط]:

ما يالف الدِرهَ المضروبُ خرقتنا إلا لماماً يسيراً ثم ينطلق
بمرّ مرّاً عليها وهي تلفظهُ إلى امرؤ لم يحالف خرقتي^٣ الورق

* ومن أخباره بإفريقية - رحمه الله! - روى أن بعض وكلائه زرع فولاً P. ٧٢ كثيراً في بعض رياضاته. فقال له: «يا ابن اللخاء! أتريد أن أعبر بالبصرة؛

١) Le second hémistiche est ainsi donné par B.: يزيد زريع والأغر بن حاتم.

٢) (صرتي pour صرتي) A. 3) وهو مثل سائر: قول العرب: شتان ما بين اليزيديين B. 2-2

فِيُقَالَ: يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ بِإِفْلَاقِيٍّ!» ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُبَاحَ لِلنَّاسِ. وَخَرَجَ أَيْضاً يَوْماً فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْقَيْتَوَانِ مُتَنَزِّهاً؛ فَنَظَرَ إِلَى غَنَمٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ لَابَنِهِ. فَزَجَرَهُ عَلَيْهَا، وَأَمَرَ بِذَبْحِهَا وَأَنْ يُبَاحَ لِلنَّاسِ؛ فَانْتَهَبُوهَا، وَأَكَلُوهَا، وَجَعَلُوا جُلُودَهَا فِي كُدْيَةٍ؛ فَهِيَ تُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِكُدْيَةِ الْجُلُودِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ١٧١؛ فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فِي بَعْضِ خِلَافَةِ الْمَنْصُورِ، وَخِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ كُلِّهَا، وَبَعْضِ خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

ولاية داوود بن يزيد بن حاتم إفريقية

اسْتَخْلَفَهُ أَبِيهِ فِي مَرَضِهِ؛ فَأَقَامَ وَالِيّاً بِإِفْرِيقِيَّةٍ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا، بِحَارِبِ أُمَرَاءِ قِبَائِلِ الْبَرَبِ مُحَارِبَةً عَظِيمَةً. وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَوَاقِفُ كَثِيرَةٌ فِي جِبَالِ بَاجَةِ وَغَيْرِهَا. وَقَامَ عَلَيْهِ نُصَيْرُ بْنُ صَالِحِ الْأَبَاضِيِّ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ بْنُ يَزِيدٍ؛ فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً. فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ بْنَ يَزِيدٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ؛ فَهَرَبَ الْبَرَبُ أَمَامَهُمْ؛ فَتَبِعَهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ. وَأَقَامَ دَاوُدُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ عَمُّهُ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَغْرِبِ.

ذكر ابتداء الدولة الهاشمية بالبلاد الغربية،

وَهُمْ الْأَدَارِسَةُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ!

اتَّفَقَ جَمَاعَةُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ دُخُولَ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضَهُ - إِلَى الْمَغْرِبِ كَانَ فِي سَنَةِ ١٧٠. وَهُوَ إِدْرِيسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ * بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ - رَضَهُ -. وَكَانَ دُخُولُهُ فِي إِمَارَةِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ إِفْرِيقِيَّةٍ، وَإِمَارَةِ هِشَامِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ بِقَرْطَبَةِ، وَأَوَّلِ ظَهْوَرِ بَنِي مُدْرَارٍ بِسِجْلَمَاسَةِ. وَكَانَ نَزْوُلُهُ بِوَادِي الزَّيْتُونِ، بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِمَدِينَةِ الْبَلَدِ. وَكَانَ وَصُولُهُ مَعَ مَوْلَاهُ رَاشِدٍ.

وقال البكري في «المجموع المُنْتَرِق»: «وكان نزوله بوليلي؛ وهي اسم طُنْجَة باللسان البزري. وذكر محمد بن يوسف أنها كانت على مسافة يومٍ من موضع فاس الآن. وكانت مدينةً أَرْزِيَّةً؛ وبها مات إدريس - رضه - . وكان سَبَبُ وصول إدريس إلى المغرب، على ما ذكره الرَّقِيقُ والنَّوْفَلِيُّ في «المجموع المُنْتَرِق»، وغيرهما من المؤرخين، وذلك أَنَّ الحسين^(١) بن علي بن حسن^(٢) ابن حسن بن حسن^(٣) بن علي بن أبي طالب - رضه - كان قد قام بالمدينة أيام موسى الهادي؛ ثمَّ خرج إلى مكة في ذي الحجة سنة ٦٩، وخرج معه جماعة من إخوانه وبنو عمِّه، منهم إدريس وبجى ابنا عبد الله بن حسن. وبلغ ذلك الهادي؛ فولَّى حربَه محمد بن سليمان بن علي. وكانت الواقعة بفتح؛ فقتل الحسين^(٤) ابن علي وأكثر أصحابه. وأفلت إدريس هذا الداخل إلى المغرب؛ فهرب^(٥) إلى مصر؛ وكان على بريدها واضح، مَوْلَى صالح بن المنصور؛ فعمله على البريد إلى أرض المغرب. فوقع بمدينة وِليلة من أرض طُنْجَة؛ فاستجاب له من بها من قبائل البزير. ولما ولي الرشيد وبلغه أمره، بعث إلى واضح؛ فضرب عنقه، ودسَّ إلى إدريس الشماخ مَوْلَى الهادي؛ فخرج حتَّى وصل وِليلة، وذكر أَنَّهُ مُنْطَلَبٌ من شِيعَتِهِم العلوية، ودخل^(٦) إلى إدريس؛ فَأَنَسَ* به وأطمأنَّ إليه. ثمَّ إِنَّه P. ٧٤ شكا له عِلَّةً في أسنانه؛ فأعطاه سُنُوناً مَسْهُوماً قانلاً، وأمره أن يستنَّ به عند طلوع الفجر؛ فأخذه منه. وهرب الشماخ من تحت ليلته. فلما طلع الفجر، استنَّ إدريس، وأكثر منه في فيه^(٧)؛ فسقطت أسنانه^(٨)، ومات من وقته. وطُلِبَ الشماخ؛ فلم يُظَفَّرْ به؛ وقَدِمَ على الرشيد؛ فولَّاه بريد^(٩) مصر. هكذا ذكر الرَّقِيقُ في كتابه.

وفي سنة ١٧٢، اجتمعت القبائل على إدريس بن عبد الله من كلِّ جهة ومكان؛ فأطاعوه وعظَّموه وقَدَّموه على أنفسهم، وأقاموا معه مُغْتَنِبِينَ بطاعته،

١) الحسن. B.

٢) حسين. B.

٣) Manque dans B.

٤) الحسن. B.

٥) فوق. A.

٦) A. et B. ورحل:

٧-٧) Manque dans B.

٨) مَوْلَاهُ يُرِيدُ. A.

وَمُنْشَرِّفِينَ بِخِدْمَتِهِ طُولَ حَيَاتِهِ. وَكَانَ^(١) رَجُلًا صَالِحًا^(٢)، مَالِكًا لَشَهَوَاتِهِ، فَاضِلًا فِي ذَاتِهِ، مُؤَثِّرًا لِلْعَدْلِ، مُقْبِلًا عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ.

وَفِي سَنَةِ ١٧٢، كَانَ خُرُوجُهُ بِعَسَاكِرِ الْقَبَائِلِ الْغَرِيبَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بِلَادِ السُّوسِ الْأَقْصَى، وَدَخَلَ مِائَةً فِغْنَمٍ وَسَبِيٍّ وَرَجَعَ إِلَى الْغَرْبِ سَالِمًا غَنَمًا.

وَفِي سَنَةِ ١٧٤، تَوَجَّهَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى رِبَاطِ تَارَا^(٣) لَمَّا قُتِلَ مِنْ حَرَكَةِ السُّوسِ^(٤)، فَوُجِدَ فِي جَبَلِهَا مَعْدِنُ الذَّهَبِ. وَأَجَابَهُ جَمِيعُ الْقَبَائِلِ الْغَرِيبَةِ، وَأَطَاعُوهُ، وَبَايَعُوهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَلَّتْ لَهُ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ.

وَلَايَةُ رَوْحِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمَهَلَّبِ إِفْرِيقِيَّةِ

وَلَاَهُ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّشِيدِ، فَقَدِمَهَا فِي سَنَةِ ١٧١. وَكَانَ لَهُ وَلَايَاتٌ كَثِيرَةٌ: فَحُجِبَ الْمَنْصُورُ، ثُمَّ وَلَاَهُ الْبَصْرَةَ، وَوَلَّى الْكُوفَةَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ، وَوَلَّى السِّدَّ وَطَبَرِسْتَانَ وَفَلَسْطِينَ وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَنَظَرَ رَجُلٌ إِلَى رَوْحِ ابْنِ حَاتِمٍ وَاقِفًا فِي الشَّمْسِ عِنْدَ بَابِ الْمَنْصُورِ، فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ طَالَ وَقُوفُكَ فِي الشَّمْسِ!» فَقَالَ لَهُ: «لِيَطُولَ بِذَلِكَ^(٣) وَقُوفِي فِي الظِّلِّ!» وَتَوَقَّى لَهُ ابْنٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَهُوَ ضَا حَكٌّ، فَتَوَقَّفُوا عَنْ تَعْزِينَتِهِ، فَعَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَأَنْشَأَ يَقُولَ [طَوِيل]:

P. ٧٥ • وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا تَغْفِيضُ دُمُوعُنَا عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قُصِمَ^(٤) الظَّهْرُ
وَقَبْلَ إِنَّهُ بَعَثَ لِكَاتِبِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، وَوَقَّعَ إِلَيْهِ: «إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِكَذِّاءٍ، لَا أَسْتَقِلُّهَا إِلَيْكَ تَكْثِيرًا، وَلَا أَسْتَكْثِرُهَا تَمَنُّنًا، وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ بِهَا رَجَاءً بَعْدُ. وَالسَّلَامُ!»

وَكَانَ رَوْحٌ أَكْبَرَ سِنًا مِنْ أَخِيهِ يَزِيدَ وَأَكْثَرَ وَلَايَةً. وَعِنْدَ مَا يَطُولُ جُلُوسُهُ بِالْقَيْرَوَانِ، رُبَّمَا خَطَرَ عَلَيْهِ النَّعَاسُ مِنَ الضَّعْفِ وَالشَّافَةِ. وَكَانَ يُكْنَى أَبَا خَالِدٍ.

1-1) Manque dans A.

2-2) Manque dans B.

3) B. بك.

4) A. قسم.

توفي ليلة الأحد لسبع بقين من رمضان المعظم من سنة ١٧٤؛ فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

ولاية نصر بن حبيب المهلبى إفريقية

وكان صاحب البريد وأبو العتبر القائد قد كتب^١ الى الرشيد، فى جملة من كتب اليه من القواد، يعلمانه بضعف روح بن حاتم وكبره، وأنهما لا يأمان موته عن قريب، وإفريقية ثغر كبير لا يصلح بغير سلطان. وكان نصر هذا على شرطة يزيد بن حاتم ببصر وإفريقية؛ وكان محمود السيرة. فكتب الرشيد عهده، وبعثه به سرًا اليه. فلما مات روح، بويع قبيصة ابنه فى المسجد الجامع، وأجمع الناس على بيعته. وكان الفضل بن روح عاملًا فى الزاب؛ فركب أبو العتبر وصاحب البريد بعهد أمير المؤمنين هارون الى نصر ابن حبيب؛ فأوصلاه اليه، وسلمنا عليه بالإمارة، وركبا معه الى * المسجد فيمن ٧٦ معها، حتى أتيا قبيصة، وهو جالس على الفراش. فأقاماه، وأقعدا نصر بن حبيب، وأعلمنا الناس بأمره. وقُرئ الكتاب الواصل من أمير المؤمنين هارون الى نصر بن حبيب على الناس؛ فسمعوا وأطاعوا. وكان ذلك فى العشر الأواخر لرمضان المعظم من عام ١٧٤. فحسنت سيرته، وعدل فى أحكامه. فولى سنتين وثلاثة أشهر.

وفى سنة ١٧٥، عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام ولاية عهد المسلمين من بعده، وأخذ عليه بيعة القواد والجند، وسماه بالأمير؛ وله يومئذ خمس سنين.

وفى سنة ١٧٦، ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بالديلم، واشتدَّت شوكتُه، وقوى أمره؛ فاغتم الرشيد لذلك. ولم

1) A. et B.: وكان نصر هذا قد كتب. On suit ici la leçon de Dozy, d'après Nuwairi.

يكن في تلك الأيام يشرب النبيذ؛ فصرف إليه الفضل بن مجي في خمسين ألف رجل؛ فانهزم مجي بن عبد الله.

وفي سنة ١٧٧، ولي إفريقية الفضل بن رَوْح بن حاتم، ولَّاه أمير المؤمنين الرشيد عليها، وكتب بعزله نصر بن حبيب، وأن يقوم بأمر الناس المهلب ابن يزيد إلى أن يقدم الفضل. فكان قدومه في محرم من هذه السنة. ولما قدم الفضل، ولي ابن أخيه المغيرة ثونس؛ وكان غير ذي تجربة ولا سياسة للجُهور؛ فاستخف بالجند، وسار بهم سيرة فبيحة؛ فاجتمعوا، وكتبوا كتاباً لعنه الفضل، يخبرونه بما صنع المغيرة فيهم، وفتح سيرته؛ فتناقل الفضل عن جوابهم. فقالوا: «كل جماعة لا رأس لها لا ينجح سعيهم ولا مطلبهم!» فقال بعضهم: «أشير عليكم بعبد الله بن عبد ربه بن الجارود.» فانطلقوا إليه وقالوا له: «قد رأيت ما صنع بنا المغيرة؛ وقد خاطبنا عنه؛ فلم يصُلنا جوابه. وانت المنظور P. إليه، * والمعول في الأمور عليه؛ ونحن نصير أمرنا إليك، ونعتمد فيه عليك.» فقال لهم: «ليس لي من الجواب إلا النصيحة لي ولكم، وأنا أخاف على نفسي وأقع بالعافية؛ وإن كان أمر، كنت فيه كأحدكم.» فقالوا له: «ما لك من هذا بُدًا!» فقال لهم: «أعطوني من بيعتكم ما أئني به!» فبايعوه وأطاعوه.

وفي سنة ١٧٨، ثار الجند على أمير إفريقية الفضل بن رَوْح بن حاتم، وقدموا ابن الجارود ثونس. ثم ساروا إلى المغيرة، وهو بدار الإمارة^(١)؛ فقالوا له: «الحق بصاحبك أنت ومن معك!» وكتب للفضل بن رَوْح: «من عبد الله بن الجارود. أما بعد، فإننا لم نخرج المغيرة خروجاً عن الطاعة، ولا كن لأحداث أحدثها فينا، ظهر فيها فساد الدولة. فعجل لنا من ترضاه^(٢) يقوم بأمرنا؛ وإلا نظرنا لأنفسنا!» وكتب الفضل إلى عبد الله بن الجارود: «أما بعد، فإن الله يُجرى قضاءه على ما أحب الناس أو كرهوا، وليس اختياري أن أُولى عليكم! فاختراروا لأنفسكم! ولاكن أوجه اليكم عاملاً.» فوجه عبد الله

١) A. ajoute بها.

٢) ترضيه B.

ابن محمد الى ثونس. فلما وصل اليها، قال لم ابن الجارود: «كيف تصنعون ذلك، وانتم قد أخرجتم ابن أخيه وشتنتموه؟ والله! ما بعثه اليكم إلا ليطيبكم⁽¹⁾، حتى ترجعوا عن رأيكم؛ فإذا اطمانتم أخذتم⁽²⁾ واحداً بعد واحداً» قالوا له: «فأرأيك؟» قال: «الذي ذكرت لكم». فخرجوا حتى النفل بالعسكر الواصل مع العامل من قبل النفل⁽³⁾ أمير إفريقية والقيروان⁽³⁾ بموضع الزيتون؛ فدفعوه عن أنفسهم، وجرى بين الجند كلام كثير يطول ذكره، الى أن وقعت الحرب بين ابن الجارود وعسكر النفل؛ فهزمهم ابن الجارود * وأتبعهم الى القيروان؛ فترل عليها. فاجتمع النفل مع بني عمه وخاصته، P. ٧٨ وتشاور معهم في أمره. فاضطرب الأمر عليه، ولم يصح له أمرٌ فلما أصبح، أقبل عبد الله بن عبد ربه بن الجارود في عسكره، والنفل في دار الإمارة مع أصحابه. وكان بعض القواد على الأبواب؛ فلما قرب ابن عبد ربه منها، فتحوها له؛ فدخل أصحابه، لا يدافعهم أحدٌ، ونزل ابن عبد ربه خارج المدينة؛ ثم دخل دار الإمارة؛ فأمن النفل وأصحابه؛ ثم أمرهم بالخروج الى قايس وقال لهم: «إني لا آمن أصحابي عليكم، ولاكن أوجه معكم من يوصلكم⁽⁴⁾ الى قايس». فوجه لهم أبا الهيثم في جماعة، وأخذ عليه الأيمان ألا يسلم النفل. فخرج النفل معه، مع ثلاثة من بني عمه وبعض أصحابه من باب آخر. فقال لهم البواب: «اخرجوا، يا كلاب النار! لا رحمكم الله!» فقال النفل عند ذلك: «لا إله إلا الله! لم يبق أحدٌ إلا صار علينا، حتى من اعتقناه!» وسار ليلته ونهاره حتى دنا الغروب؛ فسمع طبلًا؛ فقال: «ما هذا؟» فقالوا: «فلان جاء بمائة فارس، بعثه ابن الجارود اليك لأنه خاف عليك الجند!» ثم سمع طبلًا آخر؛ فإذا هو منصور بن هاشم. فقال له: «ما جاء بك؟» فقال: «كذا وكذا». ثم سمع طبلًا آخر؛ فإذا هو صاحب شرطة ابن عبد ربه بن الجارود؛ ففيل للنفل: «إذاً» جاء ليردك! وذلك أنه أشار على ابن

١) A. ليطيبكم. 2) A. أخذكم. 3-3) Manque dans B. 4) B. يدخلكم. 5) B. إياه.

المجارود جماعة من أصحابه أن: «[لَنْ] تتركوا الفضل يدخل إطرابلس لئلا يفوم الناس معه ويرجع إلى القيروان». فنادى مُناديه: «من كان من طاعة ابن المجارود، فَلْيَنْعِزْ!» فانعزل الناس. ولم يبق مع الفضل أحد. فردوه إلى القيروان، بعدما خلوا عن المُقَلَّب وجميع الناس الذين كانوا مع الفضل إلا محمد بن هشام والفضل بن يزيد؛ فانطلقوا بها حتى جعلوا^١ في الدار معه. ثم قُتِلَ الفضل بن رُوح في شعبان من سنة ١٧٨؛ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر؛ فكانت دولة المَهَالِبة بإفريقية ثلاثاً وعشرين سنة^١. وثار ابن المجارود في جمادى الآخرة من سنة ١٧٨؛ فكانت له مع البربر وقائع عظيمة؛ ثم أمَّنه الرشيد^٢؛ فأجاب إلى الطاعة.

وفي سنة ١٧٩، كتب ابن المجارود المُتَغَلَّب على إفريقية إلى يحيى بن موسى، وهو إطرابلس، أن: «أقدم القيروان: فَإِنِّي مُسَلِّمُ اليك سلطانها!» فخرج يحيى بن موسى بن معه، في محرم؛ فلما بلغ قايس، تلقاه بها عامة الجند من القيروان، ومعهم النضر بن حفص، وعمرو بن معاوية. فخرج ابن المجارود من القيروان، واستخلف عليها المُنَزَّج بن عبد الملك؛ فكانت أيام ابن المجارود سبعة أشهر.

وأقبل يحيى بن موسى والعلاء بن سعيد مُتَسَايِفَيْنِ إلى القيروان؛ فسيفه العلاء إليها؛ فقتل بها جماعة من أصحاب ابن المجارود؛ فبعث إليه يحيى بن موسى أن يُفَرِّقَ جموعه إن كان في الطاعة. فأمر من كان معه أن ينصرفوا إلى مواضعهم. ورحل العلاء إلى إطرابلس؛ وكان ابن المجارود قد وصل إليها قبل وصول العلاء؛ فلقى بها يَقْطِين بن موسى؛ فخرج معه سائراً إلى المشرق؛ فلحقوا هَرَثَمَة بن أعين قد وصل بولاية إفريقية. وقد كان العلاء كتب إلى هَرَثَمَة يُعَلِّمه بأنه هو الذي أخرج ابن المجارود من إفريقية؛ فأجازه بمجازة سنبة. وكان يحيى بن موسى قدَّمه هَرَثَمَة. ولما لقي هَرَثَمَة ابن المجارود، سيَّره إلى أمير المؤمنين الرشيد.

1-1) Manque dans B.

2) أعطاه الرشيد الأمان A.

• ولاية هَرَثَمَة بن أَعْيَن إفريقية

ولاه عليها أمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ فقدم الفَيَرَوَان غُرَّة ربيع الآخر ؛ فأتى الناس ، وسكّهم ، وأحسن اليهم . قال ابن حمّاد : وصل هَرَثَمَة في جيش كثيف ، حتّى نزل تِهْمَزْت ؛ فخرج اليه ابن الجارود ، واقتتل معه ؛ فهزم ابن الجارود ، وطاعت البربر لهَرَثَمَة ، وانصرف راجعاً الى الفَيَرَوَان . وهو الذى بنى القصر الكبير المعروف بالْمَنْسْتِير . قاله الرَّقِيق .

وفى سنة ١٨٠ ، كانت الزلزلة العُظْمَى بأرض مِصْر ، وسَقَطَ رأسُ منار الإسكندرية .

قال الرَّقِيق : لما رأى هَرَثَمَة بن أَعْيَن ما رأى من الخلاف بإفريقية ، وسوء طاعة أهلها ، طلب الاستعفاء ؛ فكتب اليه الرشيد بالفدوم عليه ؛ فرجع الى المشرق ^(١) . وهو الذى بنى سور إطرابلس ^(٢) .

ولاية محمد بن مُقاتِل العِكِّي إفريقية

وفى سنة ١٨١ ، ولّى أمير المؤمنين الرشيد على إفريقية محمد بن مُقاتِل بن حكيم العِكِّي ؛ فقدمها فى رمضان . وكان رضيع الرشيد ؛ وكان أبوه من كبار أهل دولته . وكان محمد هذا غير محمود السيرة ؛ فاضطرب أمره ، واختلف عليه جنده . ولو لم يكن من سوء سيرته ، وفيح ما يوثر عنه من أخباره ، إلّا إقدامه على عابد زمانه ووريع عصره البهلُول ^(٢) بن راشد ، فضربه بالسياط ظلماً وحسباً ، فكان ذلك سبب موته . ومن أخباره أنّه اقتطع أرزاق الجند ، وأساء السيرة فيهم وفى الرعيّة ؛ فشئى الفائدُ فلاح فى أهل خراسان وأهل الشام ؛ فلم يزل بهم حتّى اجتمع رأيهم على مَخْلَد بن مُرّة الأزدي . وخرج على العِكِّي تمام بن نعيم التميمي ؛ وكان عامله بتونس .

1-1) Manque dans B.

2) A. البهلوان.

* ثورة تَمَّام بن نَمِيم التَّمِيمِيَّ عَلَى مُحَمَّد بن مُقَاتِل العَكِّي

وفي سنة ١٨٢، زحف تَمَّام بن تُوُس مع جماعة القَوَاد والأَجْنَاد من أهل الشام وخراسان، متوجّهاً إلى القَيْرَوَان، في النصف من رمضان. فخرج إليه العَكِّي؛ فتقاتلا. فانهزم العَكِّي ورجع إلى القَيْرَوَان؛ فتحصّن في داره التي بناها، وترك دار الإمارة. وأقبل تَمَّام؛ فنزل بعسكره خلف باب أبي الربيع. فلما أصبح تَمَّام، فُتِحَتْ له الأبواب؛ فدخل القَيْرَوَان يوم الأربعاء لحمس بقين من رمضان سنة ١٨٢؛ فأمن تَمَّام العَكِّي على دمه وأهله وماله. فكانت ولايته، إلى أن أخرجه تَمَّام من القَيْرَوَان، ستين وعشرة أشهر. ثم ولّى إفريقية أبو الجَهْم تَمَّام بن نَمِيم التَّمِيمِيَّ. وكان نائراً متغلباً من غير عهد من الرشيد؛ وهو جدُّ أبي العَرَب بن نَمِيم صاحب التواليف. فدخل القَيْرَوَان؛ وخرج العَكِّي منها بأمانه، ومشى لإطرابلس. ولحق به قوم من أبناء خراسان، منهم طَرْحُون صاحب شرطته؛ فاجتمع رأيهم على أن يدخلوه؛ فدخلها. وأقام تَمَّام مُلْك القَيْرَوَان؛ فنهض إليه إبراهيم بن الأَغْلَب من الزاب؛ وكان أميراً عليه. فلما بلغ تَمَّاماً إقباله إليه، سار إلى تُوُس؛ فدخل ابن الأَغْلَب القَيْرَوَان، وانتدر المسجد الجامع، وصعد المنبر؛ وكان فصيحاً بليغاً؛ فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة العَكِّي مُحَمَّد بن مُقَاتِل، وأنه هو أميرهم المُقَدَّم عليهم من أمير المؤمنين. وكتب إلى العَكِّي يخبره بما فعل في حقّه، ويؤكد عليه في الوصول. فأقبل راجعاً، حتّى دخل هو ومن معه القَيْرَوَان. فمضى يوماً في أزقتها؛ فنادته امرأة من طاقها، تقول له: «اشكر إبراهيم * بن الأَغْلَب! فهو الذي ردّ عليك مُلْك إفريقية!» فكبر ذلك عليه. وكان تَمَّام بن نَمِيم بتُوُس. فقال لأصحابه: «إن إبراهيم بن الأَغْلَب قد ردّ المُلْك على العَكِّي. والذين مع العَكِّي قد ملّثوا رُعباً من وقعتنا بهم؛ وإذا بلغهم خروجي من تُوُس، يُسلمونه ويصلون إلى! ومع هذا فإن العَكِّي حسود؛ لا بدّ أن يخالف إبراهيم بن الأَغْلَب

فما يشير به عليه.» وكان الناس يقولون: «استرحنا من العيكي؛ فردّه إبراهيم علينا! فالموت خير لنا من الحياة في سلطان العيكي!» فنزع الناس الى تمام بن نعيم التميمي. فلما رأى كثرة من معه، طابت نفسه لقتال العيكي. فكتب تمام الى العيكي: «أما بعد، فإن إبراهيم بن الأغلب لم يبعث اليك فيردك من كرامتك عليه، ولا للطاعة التي بظهرها للخليفة؛ ولاكن كره أن يبلغ اليك أخذه البلاد فترجع اليه؛ فإن منعك، كان مخالفاً لأمر المؤمنين؛ وإن دفعها اليك، كان ما فعله لغيره، فبعث اليك لترجع؛ ثم يُسلمك الى القتل. وغداً تعرف ما جرّبت من وقعنا لك بالأمس!» وفي آخر كتابه [طويل]:

وما كان إبراهيم من فضل طاعة يرد عليك المملك لاكن إنقتلا
فلو كنت ذا عقل وعلم بكيد لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا

فلما وصل كتابه الى محمد بن مقاتل العيكي. قرأه ودفعه الى ابن الأغلب؛ فقرأه وضحك، وقال: «قاتله الله! ضعفت رأيه!» وكتب اليه ابن العيكي: «من محمد بن مقاتل الى الناكث ابن نعيم. أما بعد، فقد بلغني كتابك، ودلني على قلة رأيك. وفهمت قولك في إبراهيم؛ فإن كانت نصيحة، فليس من خان الله والخليفة مقبول منه ما نصح به! وإن كانت خديعة، فأقبح الخدائع ما قطن له!» وفي آخر كتابه [طويل]:

«وإني لأرجو إن لفيت ابن أغلب غداً في المنايا أن تفل وتفتلا P. ٨٢
نلا في فتى يستصحب الموت في الوغى ويخفى بصدر الرميح عزاً مؤثلا

وأقبل تمام من توتس بعسكر عظيم؛ وأمر ابن العيكي من كان معه من أهل الطاعة بالخروج اليه، مع إبراهيم بن الأغلب؛ فتقاتلوا قتالاً شديداً؛ فانهزم تمام، ورجع الى توتس. وانصرف ابن العيكي الى القيروان، وأمر إبراهيم ابن الأغلب بالمسير الى توتس.

وفي سنة ١٨٤، خرج العسكر من القيروان لحصار توتس وقتال تمام؛

وذلك في محرم منها. فلما بلغ تماماً إقباله، طلب الأمان منه؛ فأمنه إبراهيم، وأقبل به الى القيروان، يوم الجمعة، لثمان خلون من المحرم المذكور.

ولاية إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي إفريقية

وصَلَّه عَهْدُ الرِّشِيدِ فِي الْعَشْرِ الْوَسْطِ لِحِمَادِي الْأَخِيرَةِ مِنْ سَنَةِ ١٨٤؛ وَقَالَ لَهُ فِيهِ: «قَدْ تَقَدَّمَ لَكُمْ بِإِفْرِيْقِيَةِ أُمْرٌ». وَكَانَ الرِّشِيدُ وَلَاةَ بِلَادِ الزَّابِ، وَهِيَ بِلَادُ الْحَجَرِيدِ، وَابْنُ الْعَكِّيِّ عَلَى إِفْرِيْقِيَةِ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ فَتِيحاً، أَدِيباً، شَاعِراً، خَطِيباً، ذَا رَأْيٍ وَنَجْدَةٍ وَبَأْسٍ وَحَزْمٍ وَعِلْمٍ بِالْحُرُوبِ وَمَكَايِدِهَا، جَرِيءُ الْخَنَانِ، طَوِيلُ اللَّسَانِ، لَمْ يَلِ إِفْرِيْقِيَةَ أَحْسَنُ سِيرَةٍ مِنْهُ، وَلَا أَحْسَنُ سِيَاسَةٍ، وَلَا أَرَأْفُ بَرِيعَةٍ، وَلَا أَوْفَى بَعْدٍ، وَلَا أَرْعَى لِحُرْمَةِ مَنْهُ. فَطَاعَتْ لَهُ قَبَائِلُ الْبَرْبَرِ، وَنَهَدَتْ إِفْرِيْقِيَةَ فِي أَيَّامِهِ. وَعَزَلَ الْعَكِّيَّ عَنْهَا، وَاسْتَقَامَتْ الْأَحْوَالُ بِهَا.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ سَمِعَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَوَهَبَ لَهُ جَلَالِجَلْ أُمِّ وَلَدِهِ لِمَكَانِهِ مِنْهُ. وَلَقَدْ قَالَ * اللَّيْثُ يَوْمًا: «لَيْكُونَنَّ لِهَذَا الْفَتَى شَأْنًا!» وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ فَضَائِلُ جَمَّةٌ وَمَآثِرُ حَسَنَةٍ. وَكَانَ لَهُ مَعَ رَاشِدِ أَمِيرِ الْغَرْبِ مَوْلَى إِدْرِيسَ الْحَسَنِيِّ مَوَاقِفٌ وَمَحَارِبَةٌ؛ وَكَانَ رَاشِدٌ قَدْ عَلَا أَمْرُهُ.

وَمِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ قَدْ خَلَّفَ أَهْلَهُ بِمِصْرَ [بَسِيطُ]:

مَا سِرْتُ مِثْلًا وَلَا جَاوَزْتُ مَرَحَلَةً إِلَّا وَذَكَرْتُكِ يَشْنَى دَائِمًا عُنْفَى
وَلَا ذَكَرْتُكِ إِلَّا بَيْتَ مَرْتَفِعًا أَرْغَى النُّجُومَ كَأَنَّ الْمَوْتَ مُغْتَبَى^(١)

وَلَمَّا مَلَكَ إِفْرِيْقِيَةَ، قَمَعَ أَهْلَ الشَّرِّ بِهَا وَضَبَطَ أَمْرَهَا. وَكَانَ لَهُ مَعَ بَرْبَرِهَا حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا. وَأَحْسَنَ إِلَى عَرَبِ جِيْشِهَا^(٢).

وَفِي سَنَةِ ١٨٥، شَرَعَ إِبْرَاهِيمُ فِي بِنَاءِ مَدِينَةِ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ؛ وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ دَارَ الْأُمَرَاءِ بَنِي الْأَغْلَبِ. وَكَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقَيْرَوَانِ؛ وَكَانَ قَدْ

١) معننى A.

٢) (فريشا ms.) قريش A.

اشترى موضعه من بني طالوت؛ فبناه ونقل إليه السلاح والعُدَد سرّاً، وسكّن حوله عِيْبَتَهُ وأهل الثقة به من خَدَمَتِهِ. وكان حافظاً للقرآن، عالماً به. وثار عليه الكنديُّ بُتُوْسٌ؛ وكانت له معه وقائع وافقت مُحَارِبَةَ المأمون للأمين، بعد موت الرشيد. وفيها، قال الطَّبْرِيُّ: وَقَعْتُ بالمسجد الحرام صَاعِقَةً؛ فقتلت رجلين.

وفي سنة ١٨٦، حَجَّ بالناس هارون الرشيد. وأخرج معه ابْنَتَهُ مُحَمَّدًا الأمين، وعبد الله المأمون، وقَوَادِهِ، ووزرائه، وقُضَاةَهُ؛ وولّى عهد عبد الله. قال الطَّبْرِيُّ: وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد في شعبان سنة ١٧٢، وسَمَّاهُ الأمين، وضمَّ إليه الشام والعراق في سنة ١٧٥؛ ثُمَّ بَوَّعَ لعبد الله المأمون بالزَّقَّةِ في سنة ١٨٢؛ وولَّاه من حدَّ هَمْدَانَ إلى آخر المشرق. ولما قَضَى مَنَاسِكَه في هذه السنة، كتب للمأمون كتابين: أَحَدُهُمَا (١) على محمد (١) بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم * ما وُلِّيَ عبد الله من الأعمال، وما P. ٨٥ صِيَّرَ له من الضياع والأموال؛ والآخِرُ نسخة البيعة التي أخذها لعبد الله على محمد وعلى الخاصَّةِ والعامة. وأشهد بذلك في البيت الحرام، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد. وأشهد عليهما جماعة من حضر من بني هاشم وغيرهم. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُعْلَقَ الكتاب في الكعبة. فلما عُلِقَ، وقع؛ فقيل: «إِنْ هَذَا لِأَمْرٍ سَرِيعٍ انتقاضه (٢) قبل تمامه (٢)!»

وفي سنة ١٨٧، كان قَتْلُ الرشيد لجعفر بن يحيى، وإيقاعه بالبرامية؛ والوالى على إفريقية إبراهيم بن الأغلب كما كان (٣).
وفي سنة ١٨٨، كان غزو إبراهيم بن جبريل أرض الروم؛ وجهه الخليفة هارون، ودخل أرض الروم من دَرَبِ الصَّفَصَاف؛ فخرج للقائه البَطْرِيقُ نَقُورُ؛ فورد عليه من ورائه أَمْرٌ صَرَفَهُ عن لقائه؛ فانصرف ومَرَّ بفوم من

1-1) Manque dans A.

2-2) Manque dans B.

3) Manque dans A.

المسلمين؛ فخرجوا عليه، وانهزم، وقتل من الروم أربعون ألفاً وسبعمئة، وأخذ لهم أربعة آلاف دابة.

وفي سنة ١٨٩، كان شخص الرشيد إلى الرّئي: وبعث حسينا الخادم إلى طبرستان بالأمان لمرزبان صاحب الديلم؛ وقدم عليه؛ فأمنه وأمن غيره. وقال أبو العنارية في خرّجه هارون هذه [سريع]:

إِنَّ أَمِينَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ حَقَّ بِهِ الْبُرُّ إِلَى مَوْلِدِهِ
لِيُصْلِحَ الرّئى وَأَقْطَارَهَا وَيُسْطِرَّ الْخَيْرَ بِهَا مِنْ يَدِهِ

وفيهما كان الفداء بين المسلمين والروم؛ فلم يبق في أرض الروم مسلم إلا فدي.

وفي سنة ١٩٠، فتح الرشيد هرقلة من مدائن الروم. قال شيل الترجمان: لما فتح الرشيد هرقلة، رأيت على بابها لوح رخام مكتوب فيه بلسانهم؛ فجمعت P. ٨٦ أَقْرَأُهُ، والرشيد ينظر إلى، وأنا لا أشعر؛ فإذا فيه: «يَا بَنَ آدَمَ! غَافِصِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ إِمْكَانِهَا، وَكُلِّ الْأُمُورِ إِلَى وَلِيِّهَا؛ وَلَا يَحْمِلَنَّكَ ١) إِفْرَاطُ السُّرُورِ عَلَى الْمَأْتِمِ، وَلَا تُحْمِلْ نَفْسَكَ هَمَّ يَوْمٍ لَمْ يَأْتِ! فَإِنَّهُ، إِنْ يَكُ مِنْ أَجَلِكَ وَبَقِيَّةِ عَمْرُكَ، يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ! فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَغْرُورِينَ بِجَمْعِ الْمَالِ! فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا جَائِعاً لِبَعْلِ خَلِيلَتِهِ، وَمُقْتَرّاً عَلَى نَفْسِهِ تَوْفِيراً لِحَزَانَةِ غَيْرِهِ!»

وفي سنة ١٩١، ولي الرشيد هرنبة بن أعين غزو الصائفة، وضم إليه ثلاثين ألفاً من جند خراسان. وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس في الثغور. ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة بالمشرق إلى سنة ٢١٥.

وفي سنة ١٩٢، توفي هارون بن محمد الرشيد - رحمه الله - بطوس من أرض خراسان، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة. واستخلف محمد الأمين ابنه. ولما صار الأمر إلى الأمين، أقر إبراهيم بن الأغلب على إفريقية؛

١) يجعلنك. A.

فبقى بها الى أن توفى بالقَيْرَوَان في العشر الآخر من شَوَّال من سنة ١٩٦ ؛
وعمره ست وخمسون سنة ، وولايته إفريقية اثنا عشرة سنة وأشهر .

ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلِب إفريقية^(١)

وفي سنة ١٩٦ ، ولي عبد الله بن إبراهيم بن الأغلِب إفريقية . وذلك أنه ،
لما مات إبراهيم بن الأغلِب ، كان ابنه عبد الله هذا غائباً بمدينة إطْرَابُلُس ؛
فقام له أخوه زيادة الله بالأمْر ، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وجميع
رجاله وخدمته ، وبعث اليه بذلك .

وفي سنة ١٩٧ ، قدم أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلِب من
إطْرَابُلُس ؛ فتلّاه أخوه زيادة الله ، وسلم الأمر اليه . وحمل عبد الله في إمارته
على أخيه زيادة الله حملاً شديداً ؛ وكان يتنفّضه ، ويأمر نُدْماءه بإطلاق
الستهم بسية ، وزيادة الله مع ذلك يُظهر له التعظيم والتبجيل^(٢) والصنع الجميل ،
ولا يُظهر له تغيراً ، ولا يُظهر عليه منه أثر . وقد كان عبد الله بن إبراهيم
أراد أن * يُحدث جوراً عظيماً على رعيته ؛ فأهلكه الله قبل ذلك . وكان من P. ٨٧
أجمل الناس وجهاً ، وأقبحهم فعلاً ، وأعظمهم ظلماً ، أحدث بإفريقية وجوهاً
من الظلم شنيعة ، منها أنه قطع العُشْرَ حباً ، وجعله ثمانية دنانير للقفيز^(٣)
أصاب أولم يُصِبْ ، وغير ذلك من الظلم والمغارم والمظالم^(٤) . فاشتد على
الناس ذلك .

وفي سنة ١٩٨ ، قُتِلَ الأمين بن الرشيد : قتله ابن طاهر عامل أخيه المأمون ؛
وذلك لخمس بقين من المحرم . واستخلف أخوه المأمون ؛ فأقر عبد الله بن
الأغلِب على إفريقية . ولما قدم حفص بن حميد الصالح على إفريقية ، ومعه قوم
صالحون من الجزيرة ، فصدوا اليه^(٥) ؛ فوعظوه في أمر الدين ومصالح المسلمين .

1) Ce titre manque dans A. 2) A. التسهيل. 3) B. للقفير. — Manque dans A.

4) Manque dans A. 5) B. السلطان آبا العباس.

فتهاونَ بهم؛ فخرجوا مغمورين، يريدون الفَيَرَوَان؛ وكان هو في القَصْر القديم. فلما وصلوا وادى النَّصَّارِين، قال لهم حَنْص بن حَمِيد: «قد يئسنا من المخلوق؛ فلا نياس من المخلوق! فَسَلُّوا المولى وَأَضْرَعُوا اليه في زوال ظلمه عن¹ المسلمين! فَإِنْ قُبِحَ في الدعاء، فقد أُذِنَ في الإجابة!» فتوضَّأ جميعُهُم، وساروا الى كُذْيَةِ مُصَلَّى² رَوْح. فصلَّى بهم حَنْص ركعتين، ودعوا الله أَنْ يَكْفَ عن المسلمين جور أَبِي العَبَّاس، ويُرْجِعَهُم من أَيَّامه. فيقال إِنَّ قَرْحَةً خرجت له تحت أُذنه، فقتلته في السادس من دعاء القوم. وقال من حضر غَسَلَهُ أَنَّهُ، لما كُشِفَ عنه ثيابه، ظَنَّ أَنَّهُ عَبْدٌ أَسود بعد جماله، وذلك بسوء فعالة. وكانت وفاته ليلة الجمعة لسِتِّ خَلون من ذى الحِجَّة من سنة ٢٠١؛ فكانت دولته خمسة أعوام وأشهرًا.

وفي سنة ٢٠١، كان تقديم أهل بغداد منصور بن المهدي أميراً عليهم، P. ٨٨ خَدِيمًا لِلْأُمُون، الى أَنْ يَقْدَمَ أو يَقْدِمَ. وكانت وقائع قَبْلَ ذلك وبعده. * وفيها مات ابن الأَغْلَب كما ذكرناه، وولى أخوه زيادة الله ساعة موته.

ذكر ولاية زيادة الله بن الأَغْلَب إفريقية وبعض أخباره

كُنْيَتُهُ: أَبُو مُحَمَّد. وهو أَوَّل من اسمه زيادة الله ممن ولى من بني الأَغْلَب. بويح يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحِجَّة؛ فأساء السيرة في الجند، وسفك فيهم الدماء، واشتدَّ غلهم في كلِّ وجه. فنار عليه زياد بن الصَّقْلِيَّة بَفَحَصَ أَبِي صالح؛ فأخرج اليه سالم بن سَوَّادَة؛ فهزمه سالم. ثم ثارت العامة عليه أَيْضًا؛ وذلك أَنَّ زيادة الله كان أَغْلَظَ على الجند، وأمعن في سفك دمائهم، والاستخفاف بهم؛ وحمله على ذلك سوء ظنه بهم، لوثوبهم على الأمراء قبله وخلافهم على أبيه. وكان أَكْثَرَ سفكه وسوء فعله إذا سكر، وكثُر الخَوْضُ عليه. وخالفت عليه الجند وغيرهم؛ فكانت بينه وبينهم حروبٌ ووقائع، حتَّى خاف على

1) B. ضَرَّه على.

2) Manque dans A.

نفسه ؛ فحَصَّن القَصْر القديم ، وبقي فيه ، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .
 وفي سنة ٢٠٢ ، توجَّه الأَغْلَب بن إبراهيم بن الأَغْلَب الى المشرق ، خوفاً
 من أخيه زيادة الله ؛ وذلك أَنَّ الأَغْلَب كان شقيق أبي العباس عبد الله بن
 إبراهيم ؛ وكان أبو العباس ، طُولَ ولايته ، يَتَنَصَّص زيادة الله ويأمر نُدَماءه
 بإطلاق آلستهم فيه . فلما صار الأمر الى زيادة الله ، جاءه الأَغْلَب ؛ فاستأذنه في
 الخروج الى الحج ؛ فأذن له زيادة الله ؛ فخرج الأَغْلَب ، وخرج معه ابنا أخيه :
 محمد المكنى بأبي فِهر ، وإبراهيم المكنى * بأبي الأَغْلَب ، وهما إذ ذاك صغيران ؛ P. ٨٩
 فحجَّ ، وأقام بالمشرق . وكان وزير زيادة الله والقائم بأمره الأَغْلَب بن عبد الله
 المعروف بقلبون .

وفي سنة ٢٠٣ ، كانت ولاية أبي عبد الله أسد بن الفرات بن سنان ، مولى
 بني سُليم ، قَضَاء القَيْرَوَان ؛ وهو ممن سمع من مالك بن أنس . فلما ولي أسد
 القضاء ، ضاق أبو مُحَرَّر^(١) القاضي إذ تشرك معه ؛ ولم يُعَلِّمْ قبلهما قاضيان في
 وقت واحد .

وفي سنة ٢٠٤ ، لم يكن فيها ولا في التي بعدها خبرٌ يُجْتَلَب .

وفي سنة ٢٠٦ ، غزا المسلمون جزيرة سَرْدَانِيَّة ، وعليهم محمد بن عبد الله
 التميمي ؛ فأصابوا ، وأصيب منهم ؛ ثم قتلوا .

وفي سنة ٢٠٧ ، ثار زياد بن سَهْل على زيادة الله بن الأَغْلَب ، وزحف
 الى حرب باجة ؛ فحاصرها أياماً . فأخرج اليه زيادة الله العساكر ؛ فهزموا زياداً ،
 وقتلوا من وجدوا معه^(٢) ، على الخلاف^(٢) ، وغنموا الأموال . وفيها كانت وفاة
 اليَسَع بن أبي القاسم صاحب سِجِلْمَاسَة ، وتقديم أهلها على أنفسهم أخاه إلياس
 المُتَصَرِّف بن أبي القاسم الذي كانوا خلعهوه .

وفي سنة ٢٠٨ ، ثار عمرو بن معاوية التَّبَسِّي على زيادة الله بن إبراهيم
 بالقَصْرَيْن^(٣) ، وتغلَّب على تلك الناحية ؛ وكان عاملاً لزيادة الله . وكان له ولدان ،

١) أبو محمد A.

2-2) Manque dans B.

3) A. et B. بالفصر .

يُقال لأحدهما حُبَاب والآخر سَجْمَان^(١). فقال له ابنه حُبَاب: «إِنَّكَ دَخَلْتَ
 فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ وَعَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلْهَلَاكِ، وَلَسْتَ مِنْ رِجَالِ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا يَنْفَعُكَ
 عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ! فَرَايَجِعْ أَمْرَكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ!» فَضْرَبَهُ مَائَتَيْ سَوْطٍ
 P. ٩٠. وَنَادَى عَلَى الْخَلَافِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ زِيَادَةَ اللَّهِ جَيْشًا كَثِيفًا حَاصِرَهُ أَبَآمًا، ثُمَّ
 نَزَلَ هُوَ وَوَلَدَاهُ عَلَى أَمَانَ، وَجِئَ بِهِمْ إِلَى زِيَادَةَ اللَّهِ؛ فَأُلْفِيَ عَلَى شَرَابٍ مَعَ
 قَوْمٍ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ فَأَمَرَ بِجَسَمِهِمْ حَتَّى يَرَى فِيهِمْ رَأْيَهُ؛ وَدَخَلَ إِثْرَ ذَلِكَ
 مُضْحِكًا لَهُ، يُقَالُ لَهُ أَبُو عَمَّارٍ؛ فَقَالَ لَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ: «مَا يَقُولُ النَّاسُ، يَا أَبَا
 عَمَّارٍ؟» فَقَالَ: «يَقُولُونَ: إِنَّهَا مَنَعَكَ أَنْ تَقْتُلَ عَمْرُو بْنُ مُعَاوِيَةَ مَخَافَةَ أَنْ
 تَشَبَّ الْفَيْسِيَّةَ عَلَى عَمَلِكَ بِمِصْرٍ!» فَوَقَعَ كَلَامُهُ بِقَلْبِ زِيَادَةَ اللَّهِ. ثُمَّ شَرِبَ
 سَاعَةً وَالتَفَتَ إِلَى غُلَبُونَ وَزِيرِهِ؛ فَقَالَ: «انْقُلْ عَمْرُو بْنُ مُعَاوِيَةَ وَوَلَدَيْهِ مِنْ
 حَبْسِكَ إِلَى حَبْسِي!» فَفَعَلَ. فَلَمَّا كَانَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ، أَقْبَلَ زِيَادَةُ اللَّهِ إِلَى
 السَّجْنِ، وَبِيَدِهِ السَّيْفُ؛ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَصْرِهِ؛ فَدَعَا
 بِحُبَابٍ وَسَجْمَانَ ابْنَيْ عَمْرُو. فَأَمَرَ بِحُبَابِ أَنْ يُقْتَلَ؛ فَقَالَ: «إِنِّي الْأَمِيرُ، إِنِّي
 مَظْلُومٌ! وَقَدْ بَلَغْتُكَ نَصِيحَتِي لِأَبِي فَيْكَ حَتَّى ضَرَبَنِي بِالسَّيَاطِ». فَقَالَ: «أَجَلٌ!
 قَدْ كَانَ ذَلِكَ! وَلَا كُنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْلُصُ لِي!» وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ. وَاسْتَبَقَى
 الْأَصْغَرَ، وَهُوَ سَجْمَانُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، دَعَا بِتُرْسٍ؛ فَوَضَعَ فِيهِ الرَّاسَيْنِ، وَدَعَا
 بِسَجْمَانَ؛ فَقَالَ: «أَتَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّاسَيْنِ؟» فَقَالَ: «أَعْرِفُهُمَا! وَلَا خَيْرَ فِي
 الْحَيَاةِ بَعْدَهُمَا!» فَأَمَرَ زِيَادَةُ اللَّهِ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، وَجَعَلَ رُؤُوسَهُمَا فِي تُرْسٍ،
 وَشَرِبَ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ^(٢) مَعَ أَهْلِ^(٢) مَنَادَمَتِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٩، نَارَ مَنْصُورَ الطُّنْبُذِيِّ^(٣) بَتُونُسَ. فَأَخْرَجَ زِيَادَةُ اللَّهِ مُحَمَّدَ
 ابْنَ حَمَزَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارَسٍ مُسَلَّحِينَ، وَأَوْصَاهُ بِكُتُبَانِ حَرَكَتِهِ حَتَّى يَبْغَتْ^(٤) مَنْصُورًا
 بَتُونُسَ، فَيَقْبِضَ عَلَيْهِ وَيَأْتِي بِهِ مَصْفَدًا. فَسَارَ ابْنُ حَمَزَةَ إِلَى تُونُسَ؛ فَأُلْفِيَ

1) A. سَجْمَانُ corrigé en سَجْمَانُ.

2-2) Manque dans A.

3) A. الطنبرى. B. العبدى.

4) A. et B. يبعث.

منصوراً غائباً في قصره بطَنْبُذَة. فنزل دار الصِّناعَة، ووجَّه إليه شَجَرَة بن عيسى
 الفاضل، في أربعين * شيخاً من أشباخ تُوُس، ينادي الله ويرغبه في الطاعة. ٩١
 ويُعرفه بما له في ذلك من الحظ في دينه ودنياه. فتوجه شَجَرَة بن عيسى مع
 المشايخ إلى منصور؛ فدعوه إلى الطاعة. فقال منصور: «ما خلعتُ بدأً. ولا
 أحدثُ حدثاً! وأنا سائرٌ معكم إلى زيادة الله؛ ولا كن أقبولوا عليّ يومئذ،
 حتى أُعِدَّ لكم ما يُصلحكم.» فأقاموا معه؛ ووجَّه إلى ابن حمزة والذين معه
 بقر وغنم وعلف وأحمال قَهْوَة، وكسب إليه: «إني قادمٌ عليك بالغداة مع
 الفاضل شَجَرَة.» فركن ابن حمزة إلى قوله، وذبح البقر والغنم، وأكل هو والناس
 الذين معه، وشربوا. فلما أمسى منصور، أخذ الفاضل والذين معه؛ فحبسهم في
 قصره؛ وأخذ دوابهم؛ فجعل عليها أصحابه، وجمع خياله وأشياعه، وزحف إلى
 تُوُس؛ وأمر أصحابه ألا يُسمع لهم حسٌّ ولا حركة حتى يصيروا إلى دار
 الصِّناعَة. وسار حتى إذا كان بالقرب من دار الصِّناعَة، أمر بالطبول، فضربت.
 وأمر أصحابه، فكبروا؛ فوثب ابن حمزة ومن كان معه، والنعم القتال عامة
 الليل. وكثر الناس عليهم؛ فقتل من كان مع ابن حمزة، ولم يسلم منهم إلا من
 سبح في البحر؛ وذلك يوم الإثنين لخمس بقين من صفر.

وأصبح منصور؛ فاجتمع إليه المجند، وقالوا له: «نحن لا نثق بك، ولا
 نأمنُ أن يستنزلك^١ السلطان بدنياء وماله، فتميل له؛ ولاكن إن أحببت
 أن تقوم بنصرك، فأخضب يدك في دماء أصحاب السلطان وأهل بيته!»
 فوجه حينئذٍ عن عامل زيادة الله على تُوُس، وهو إسماعيل بن سالم بن سُفيان،
 وعن ولد محمد؛ فأمر بقتلهما معاً.

فلما اتصل الخبر بزيادة الله، وما كان من قتل رجاله وعامله، عقد
 لغلَّبون وزيره على عسكر جليل، وقال: «والله! لئن انهزم واحدٌ منكم، لأجعلنَّ
 عقوبته ما فرَّ منه وهو * السيف!» فسار غلَّبون في العاشر لربيع الأول حتى ٩٢

١) يستنزلك A.

وصل الى سبخة توتس؛ فخرج اليهم منصور الطنبُذِيُّ في تعبئة عباها لنفسه؛ فاقْتتلوا ملياً. ثم حمل منصور حملة كانت فيها هزيمة غلبون وأصحابه، لعشر بقين من ربيع الأول؛ وسار منهزماً الى زيادة الله؛ فاعتذر غلبون عن الهزيمة، وحلف أنهم نصحوه واجتهدوا، ولا كنّ قضاء الله لا يرد. ويتوالت القواد على أعمال إفريقية، كل فائد على بلدة يضبطها، ويمتنع فيها من عقوبة زيادة الله التي نَوَّعَدهم بها. واضطربت إفريقية ناراً، ورى الجند كلهم الى منصور الطنبُذِيِّ أَرَمَةً أمورهم وولّوه على أنفسهم. وقدم غلبون على زيادة الله؛ فأعلمه بما كان من أمره ونقل^(١) الجند. فكتب اليهم زيادة الله صكوك أمان، وبعث بها اليهم؛ فلم ينقلوا بها منه، وخلعوا الطاعة.

ولما ظهر منصور، واجتمع اليه بتوتس جميع الجند والحشود والوفود من كل جهة ومكان، فزحف بهم من توتس؛ فوصل الى القيروان لحمس خلون من جمادى الأولى. فركب اليه الفاضيان أبو محرز وأسد؛ فكان بينهما وبينه كلام لم يفد. وخندق منصور الطنبُذِيُّ على نفسه؛ فكانت بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة. ثم رحل منصور من خندقه، ونزل منزلاً آخر؛ وأخذ منصور في إصلاح سور القيروان؛ فولاه أهل القيروان وحاربوا معه. فدامت الحرب بين منصور وبين عسكر زيادة الله على القيروان أربعين يوماً. ثم زحف زيادة الله على تعبئة عباها لنفسه قلباً وميمنةً. فلما رأى ذلك منصور، هاله وراعه. والنقت الفئتان؛ فاقْتتلوا اقْتِتالاً شديداً؛ فانهزم منصور وولّى هارباً، وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً، في منتصف جمادى الأخيرة. وانتهى زيادة الله الى القيروان؛ P. ٩٣ فأمر برفع القتال. ونمادى منصور في هزيمته الى أن دخل قصره بتوتس، والناس لا يشعرون. وعفا زيادة الله عن أهل القيروان، وصنع عن جميعهم، غير أنه جعل عقوبتهم هدم سور القيروان، حتى ألصقه بالأرض.

وفي سنة ٢١٠، كانت وقعة سيية، وهي مدينة؛ وذلك أنّ الجند الذين تقدّم ذكرُ ثيارتهم^(٢) ومنعهم لأجل الهزيمة التي طرأت عليهم، كان قائدُهم عامر بن

1) A. et B. ونقل (voir Corr., p. 14).

2) ثيارهم A.

نافع. وأقر^١ زيادة الله على الجيش محمد بن عبد الله بن الأغلب؛ فالتفوا هنالك لعشر بقين من المحرم؛ فانهزم ابن الأغلب وقتل، ونمادت الهزيمة الى القبروان من ضحى النهار الى بعد صلاة العشاء؛ فاغتم لذلك زيادة الله، وأخذ فى ضمّ الرجال وبذل الأموال. وكان عيالُ الجند بالقبروان؛ فلم يعرض لهم زيادة الله. ثم إن الجند سألوا منصوراً أن يجتال فى نقل عيالاتهم من القبروان؛ فرحف بهم منصور اليها، ونزل على القصر نحو ستة عشر يوماً؛ فلم يكن بينه وبين زيادة الله فيها قتال؛ وأخرج الجند حرمهم عن القبروان. ثم انصرف منصور الى تونس، ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلا قايس والساحل ونقراوة وإطرابلس؛ فإنهم تمسكوا بطاعته، ولم ينقصوه شيئاً من جبايته. وملك منصور جميع عمل زيادة الله، وضرب السكة باسم نفسه.

وكتب الجند الى زيادة الله: «أرحل^٢» عن إفريقية. ولك الأمان فى نفسك ومالك!» فشاور زيادة الله أهل بيته وخدمته، وقد ضاق به الأمر؛ فقال له سفيان بن سواده: «مكتبى ممن أشتق بهم، أقدمُ بهم الى نقراوة.» فانتقى له مائة فارس؛ فأعطاهم، وسار بهم الى نقراوة. فدعا بربرها الى نصرته. فأجابه. فأقبل عامر بن نافع فى * الجند^٣ نحو نقراوة؛ فلما وصل الى ^{١٢٩} قسطلية^٤، جمع ألف أسود، ومعهم النُّوس والمساخى. وخرج بهم الى نقراوة؛ فقتل بقبُوس. وبلغ ابن سواده قدومه؛ فخرج اليه، واقتتل معه؛ فانهزم الجند، وقتل منهم عددٌ كثيرٌ. ورجع عامر الى قسطلية، فأقام بها ثلاثة أيام. بجى أموالها ليلاً ونهاراً، حتى كمل له من ذلك ما أراد، وسار نحو القبروان. وفى سنة ٢١١، قام عامر بن نافع على منصور الطُمُذى. وكان حاسداً له لأنَّ منصوراً كان يتوعده على الشراب؛ فعمل عليه عامر مع الجند؛ فلم يشعر منصور، وهو بقصره بطُنْدَة، حتى زحف اليه عامر من نُّوس؛ فحاصره. فرأسه منصور، وطلب منه الأمان. على أن يتوجه فى سفينة الى المشرق. فأجابه الى

١) A. واستقر. Blanc dans B.

2) A. أن خـ.

3) Manque dans A.

4) A. قسطلية.

ذلك وخرج منصور في أوّل الليل مستخفياً؛ يريد الأُرُس. فلما أصبح عامر،
 قفا أثره وأثر من كان معه، حتّى أدركهم. فاقتتل معهم؛ فانهزم منصور، ودخل
 الأُرُس؛ فتحصّن بها؛ فحاصره عامر فيها. فلما ضاق الحصار بأهلها، قالوا
 لمنصور: «إمّا أن نخرج عنّا، وإلّا دفعناك الى عامر!» فرغب منهم أن
 يُنهّلوه حتّى يعمل في الخلاص لنفسه. فأرسل الى عبد السلام بن النّرج
 (وكان من وجوه الجند) يسأله الاجتماع به. فأتاه. فقال له منصور من أعلى
 السور: «بهذا كان جزائي منكم، يا معشر الجند! وقد علمتم أنّ قياي على القوم
 إنّها كان من أجلكم. فإذا صار الأمر الى ما صار اليه، فأحبّ أن تسعى في
 أمانى وخلاصى؛ وأخرج عنكم الى المشرق!» فأجابه عبد السلام الى ما سأل؛
 واستعطف له عامر بن نافع؛ فأبغضه في ذلك. ثمّ وجه عامر منصوراً مع خيل،
 وأمر مقدّمهم سرّاً أن يعرجوا به الى مدينة جرّبة، ويحبسه بها. ففعل ذلك؛
 وحبس منصور هنالك. فلما علم عبد * السلام بهذه الغدرة من عامر، حقد عليه؛
 وكان بياجة مع أصحابه، وكان هاشم أخو عامر والياً عليها، فأخذه، وحبسه،
 وكتبوا الى أخيه عامر: «إمّا أن تخلّي عن منصور، وإلّا قتلنا أخاك!» فكتب
 اليهم عامر: «إني لستُ أخلي عن منصور! فأصنعوا بهاشم ما شئتم! فسنعلمون
 عاقبة أمركم!» فلما جاءهم كتابه، أطلقوا هاشماً. وأمر عامر بضرب عنق منصور
 وأخيه حمّدون. واستقامت الأمور لعامر بن نافع.

وفي سنة ٢١٢، أغزى زيادة الله صِفْلِيَّة. واجتمع له سبعون مركباً، حمل
 فيها سبعمائة فرس. وعرض القاضي أُمّد بن الفُرات نفسه على زيادة الله في
 الخروج للغزو؛ فولّاه على الجيش، وأقرّه على القضاء مع القيادة؛ فخرج معه
 أشراف إفريقية، من العرب، والمُجند، والبربر، والأندلسيين، وأهل العلم
 والبصائر، وذلك في حفل عظيم وعدّة جليّة في ربيع الأوّل. فساروا الى
 حصون الروم ومُدُنهم؛ فأصابوا سيّاً كثيراً، وسائّة كثيرة، وكراعاً. وكثرت
 الغنائم عند المسلمين. واحتلّ القاضي أسد بن معه على مدينة سرقوسة، وحاصرها

برًا وبحرًا، وأحرق مراكبها، وقتل جماعة من أهلها. وجاءته الأمداد من إفريقية والأندلس وغيرها.

وفي سنة ٢١٢، توفى عامر بن نافع على فراشه. فلما بلغ موته زيادة الله، قال: «اليوم وضعت الحرب أوزارها!» فاستأمن بنوه الى زيادة الله؛ فأمنهم. وفيها توفى إدريس بن إدريس الحسني. فقام بأمر فاس والبربر ابنه محمد؛ فولى أخاه البصرة وطنجة وما يليهما، وولى سائر إخوته بلاد الغرب^(١). ذكر مدينة البصرة بالغرب. كانت قبل مدينة كبيرة أزلية، تعرف ببصرة الكنان، لأنهم كانوا يتبايعون، في بدء أمرها، في أكثر تجارتهم بالكنان. وتعرف أيضاً بالحمراء، لأنها حمراء التراب. وكان سورها مبنياً بالحجارة والطوب. ولها عشرة أبواب. ولجامعها سبع بلاطات. وبها حمامان كبيران. ومقبرتها الكبرى* في شرقها، والأخرى في غربها، وهي التي تعرف بمقبرة P. ٩٦ قضاة. وماؤها زقاق، وشربهم من بئر عذب كبير على باب المدينة، يعرف ببئر أبي ذلفاء. ونساء البصرة مخصصات بالجمال الفائق، والحسن الرائع، ليس بأرض المغرب أجمل منهن؛ وفيهن يقول أحمد بن قنح التيهري^(٢)، في قصيدة مدح بها أبا العيش^(٣) الحسنی [كامل]:

ما حاز كلَّ الحُسن إلا قينةً بصريّةً في حُمرٍ وبياضِ
الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها هيفاء غير مُفاضِ

وأُسست البصرة في الوقت الذي أُسست فيه أصيلاً أو قريباً منه. ومنها الى قصر كُتامة، وهو قصر عبد الكريم، مرحلة؛ ومنها الى مدينة جنّارة مرحلة. وقيل إنها كانت قرية على وادي سبو، بينها وبين فاس مرحلة^(٤). ومن مدينة البصرة طريق آخر الى فاس؛ فمنها الى ورغة مرحلة؛ ثم الى وادي ماسنة^(٥) مرحلة، وهي مدينة عيسى بن حسن الحسني المعروف بالحجّام^(٦)؛ ثم الى مدينة

1) جهات البربر. 2) أبا عيسى. 3) وادي ملوية: voir Corr., p. 15.

4—4) Manque dans B.

سداك، وهى قاعدة خَلُوف بن مُحَمَّد المَغِيلِيّ؛ ثُمَّ الى فاس. فذلك سبعُ مراحل. وفي هذه السنة، تُوَفِّي أَسَدُ بن الفُرَات في رجب منها، وهو محاصرٌ اسْرَقُوسَة. فلما تُوَفِّي، هربت رَهْنُ الروم التي كانت عنده، ووقع الموتُ في عسكر المسلمين؛ فاغتموا لذلك، وولوا على أنفسهم الجَرَاوِيَّ^١.

وفي سنة ٢١٤، تُوَفِّي القاضي أَبُو مُحَرَّر الكِلَابِيّ. وفيها وصل من الأندلس الى صِقِلِيَّة نحو ثلاثمائة مركب، فيها أصبغ بن وَكَيْل المعروف بفرغلوش^٢. وبلغ المسلمين المحصورين بها خبرُ وصولهم؛ فاستغاثوا بهم؛ فوعدوهم بالغوث^٣.

وفي سنة ٢١٥، كان غَزْوُ * فرغلوش الواصل في المراكب الى صِقِلِيَّة هو والقواد الذين معه؛ فأخذوا القلاع، وسبوا، وغنموا في بلاد الروم. ثُمَّ سُلِّوا إغاثة من كان من المسلمين بها؛ فأجابوهم الى ذلك على أن يكون أمر الناس الى فرغلوش. فساروا الى ذلك، وأخذوا في طريقهم القلاع، وأغاروا حتى انتهوا الى ميناو^٤. فنزحزح مخنف من كان بها من المسلمين، وحرقوا المدينة وهدموها، وانتقلوا عنها. وسار المسلمون الى غلوالية^٥؛ فحاصروها وتغلبوا عليها. واعتل جماعة من المسلمين بها، وأخذهم الوباء، ومات فرغلوش وغيره من القواد. فرحل المسلمون وركب العدو إشرهم؛ فقتل منهم خلق كثير في خير طويل. ثُمَّ أخذوا في إصلاح مراكبهم، قافلين الى الأندلس. وفيها ولي سعيد بن إدريس مدينة نكور.

وفي سنة ٢١٦، كانت وقعة بين مُطِيع السُّلَمِيّ^٦ وإسماعيل بن الصَّهَّامَة بإفريقية؛ فاقتتلا بن معهما. فهزم مُطِيع وقتل، وانهزم أصحابه. وولى أبو فُهر صِقِلِيَّة.

وفي سنة ٢١٧، توجه أبو فُهر مُحَمَّد بن عبد الله التميمي من إفريقية الى صِقِلِيَّة، وهرب عثمان بن قُرْهَب عنها.

1) A. الجوارى (voir *Corr.*, p. 15); B. donne la leçon adoptée, avec l'orthographe الجراوى. 2) Vocalisation donnée par B. 3) A. بذلك. 4) Correction d'Amari (A. مينا; en blanc dans B.); voir *Corr.*, p. 15. 5) B. غلوالية. 6) A. السهمي.

وفي سنة ٢١٨، قام بمدينة تُونُس فَضْل بن أَبِي العَنَبَر بعد هزيمته لحبل
زيادة الله؛ فضبطها لنفسه. وسار إليه أَبُو فِهْر مُحَمَّد بن عبد الله بن الأَغْلَب
في جيش كثيف، حتَّى افتتحها وقتل فيها عَبَّاس بن الوليد الفقيه الصالح.

وفي سنة ٢١٩، آمَنَ زيادة الله كُلَّ من طلب الأمان مِمَّن تفلَّت من تُونُس
وخرج عنها وقتَ دخول أَبِي فِهْر لها. فأَمَنهم، وسكنت أحوالهم. وكان [فيهم]
عَدُ الرحمن وعلِيُّ ابنا أَبِي سَلَمَة وأبو العَرَاف^١، وكانوا شعراء فصحاء؛ فأَنشد
عبد الرحمن مديحاً له فيه؛ فلما انقضى إنشاده، * قام يعقوب بن يحيى الشاعر^٢ ٩٨
يُحَرِّض زيادة الله على بني أَبِي سَلَمَة وأبي العَرَاف بهذه الايات [وافر]:

تَسْمَعُ أَهْلُ الْمَلِكِ الْمُعَانُ قَوَافِي فِي مَعَانِيهَا السَّيَّانُ
يَنِمُّ أَمَانٌ مِّنْ خَضَبِ الْعَوَالِي وَلَيْسَ لِشَاعِرٍ أَبَدًا أَمَانُ
لِأَنَّ قَوَافِي الْأَشْعَارِ تَسْقَى عَلَى الْأَيَّامِ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ
وَقَدْ يُرْجَى لِحَرْحِ السَّيْفِ بُرْمٌ وَلَا بُرْمٌ لِمَا جَرَحَ اللِّسَانُ

فلم يلتفت زيادة الله الى قوله؛ وأمضى لهم أمانهم. وقال لأبي العَرَاف:
«ما منعك أن تستأمن إلينا قبل هذا الوقت؟» قال: «أيها الأمير! كنتُ
مع قَوْمِ حَبْقَى، يُؤَلُّونَ كُلَّ يومٍ وإلياً، ويعزلون آخر. فرجوتُ أن تكون لي معهم
دَوْلَةٌ!» فضحك زيادة الله، وقال: «قد عفوتُ عنك!»

وفي سنة ٢٢٠، ولي أحمد بن أَبِي مُحَرِّز قضاة إفريقية. وفيها أغزى مُحَمَّد
ابن عبد الله بن الأَغْلَب صاحبُ صِفْلِيَّة. فالتقى بالمشركين؛ فانهزموا أمامه.
وانصرف بالغنائم الى بَلَرَم. وكانت بِصِفْلِيَّة في هذه السنة غزوات كثيرة
للمسلمين برّاً وبحراً، وكذلك بالأنْدَلُس.

وفيها وصل ابن الأَغْلَب الى بَلَرَم، قاعدة صِفْلِيَّة، وإلياً عليها، في
رمضان، بعد أن رأى شِدَّةً في البحر، وعطبت له مراكبُ، وحُطِمَتْ^٢ له أخرى؛

1) A. الغراب ou الغراف.

2) A. وعطبت (voir *Corr.*, p. 15). Ce membre de phrase manque dans B.

وأصاب له النصارى حرّاقَةً من مراكبه. وجاهدَهم محمدُ بن السِّدِّى فى حرّاقات؛ فاتبعهم حتّى حال الليل بينهم.

وفى سنة ٢٢١، توفى قاضى صِفِيلِيَّة ابن أبى مُحَرِّز. وكان قد أوصى أخاه عِمْرانَ أن يَكُنم موته حتّى يَكْفِنَه وَيُصَلِّيَ عليه، خوفاً أن يَكْفِنَه زيادة الله وَيُصَلِّيَ عليه. ففعل عِمْران ذلك. فلما حُمِلَ نعشه وُخِرَجَ به من داره، أقبل خَلْفَ الفتى بِسِكِّ كثير وأَكْفان من قَبْلِ زيادة الله. فقال له عِمْران: «قد كَفَّنَاهُ.» P. ٩٩ فذَرَّ خَلْفَ المسك الذى كان معه عليه. وَحُمِلَ الى المصلّى؛ فحضر * زيادة الله دفنه، وعزّى أخاه عنه، وقال: «يا أهل الْفَيَّرَوَان! لو أَرَادَ الله بِكُمْ خيراً، لَمَّا خَرَجَ ابن أبى مُحَرِّز من بين أظهركم!» وكان زيادة الله يقول: «ما أُبَالَى ما قَدِمْتُ عليه يومَ الْقِيَامَةِ وفى صحيفتى أربع حسنات: بُنْيَانُ الْمَسْجِدِ الْحَاجِمِ بِالْفَيَّرَوَان، وَبُنْيَانُ قَنْطَرَةِ أَبِي الرَّبِيع، وَبُنْيَانُ حِصْنِ مَدِينَةِ سُوسَة، وَتَوَلَّيْتُ أَحْمَدَ بنَ أَبِي مُحَرِّز قاضى إِفْرِيقِيَّة!» وولى الْقَضَاءَ بعد ابن أبى الْحِجَوَاد. وفى هذه السّنة، ابتدأت الْفِتْنَةُ بِسِجْلِمَاسَة بين مَيِّمُون وأَخِيهِ، ابْنِ الْمُنْتَصِر ابن الْبَسَع.

وفى سنة ٢٢٢، كانت غزوة صِفِيلِيَّة للمسلمين الى ناحية جبل النار؛ فَأَصَابُوا وَغَنَمُوا وَقَتَلُوا سَالِمِينَ غَانِمِينَ. وفيها فتح المسلمون حصن مدنار^١ وَمَعَاوِيلَ كَثِيرَةً فى غزوة الْمَنْفُضَل بن يَعْقُوب، أَغْرَاهُ أَبَاها أَبُو الْأَغْلَب^٢؛ وَغَزْوَةً أُخْرَى لَعَبْدِ السَّلَام بن عبد الْوَهَّاب، أَغْرَاهُ أَيْضاً أَبَاها أَبُو الْأَغْلَب؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَدُوُّ؛ فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَأُصِيبَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ. وَأُسِّرَ عَبْدُ السَّلَامِ حتّى قُدِّىَ بعد ذلك.

وفى سنة ٢٢٢، توفى زيادة الله بن إبراهيم بن الْأَغْلَب صاحب إِفْرِيقِيَّة، يوم الثلاثاء لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَجَب، وهو ابن إحدى وخمسين سنة. فكانت ولايته إحدى وعشرين سنة، وسبعة أشهر، وثمانية أيام.

١) مدَنان.

٢) زيادة الله.

ولاية أبي عقبال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية

وهو الملقَّب بجَزَر^١، فلما ولي، أَمَّن الناس وأحسن إليهم وإلى الجند، وغيرَ أحدائاً كثيرة كانت قبله، وأجرى على العُمَّال أرزاقاً واسعة وصلات جزلة. وقبض أبدنهم عن الرعيَّة، وقطع النيد من * الفَبْرَوَان، وعاقب على بيعه P. 100 وشربه. وتوفى في العشر الأواخر لربيع الآخر سنة ٢٢٦، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر وأياماً.

وفي سنة ٢٢٤، كانت وقعة إفريقية بين عيسى بن ريعان الأزدي، وقد أخرجه السلطان لذلك، وبين آونة وزواغة ومكناسة. فقتلهم عن آخرهم بين قفصة وقسطيلية. ذكر ذلك ابن الفطَّان.

وفيها، قدَّم أهل سجلماسة ميمون بن مدرار. وأخرجوا أخاه. فلما استقر الأمر لميمون، أخرج أباه مدرار وأمه إلى بعض قرى سجلماسة. وفي سنة ٢٢٥، كانت وفاة أبي جعفر موسى بن معاوية الصمادحي، مولى آل جعفر^٢، وكان ممن روى عنه سخَّون.

وفي سنة ٢٢٦، توفى أبو عقبال الأغلب بن إبراهيم في ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر، وولايته ابنه أبي العباس يوم موت أبيه.

ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم

ابن الأغلب إفريقية

كانت ولايته في أولها ساكنة، والأمور معندة. وقد أخذ أحمد بن الأغلب كثيراً من أموره. وكان محمد بن قنبل العلم، ذكر أن رجاء الكاتب كان يوماً بين يديه، فكتب محمد «لحم ضي» بضاد مسقوطة. فلما خلا المجلس، قال له كاتبه: «أبد الله الأمير! الضي يكتب بظاء مرفوعة». فقال له محمد: «قد

^١ بجَزَر. A. 1.

^٢ أبي جعفر. A. 2.

علمنا فيه اختلافاً: فأبو حنيفة يجعله بالظاء، ومالك يجعله بالضاد. « فعجب المحاضرون من قوله. وكان عقياً لا يولد له. وكان مظفراً في حروبه.

وفي سنة ٢٢٧، توفى أبو محمد عبد الله بن أبي حسان البحصي فقبه إفريقية؛ ولقى مالِكاً، وسمع منه. وسأله زيادة الله في السبذ؛ فقال له: «كَمْ دِيَّةُ الْعَقْلِ؟» قال: «ألف دينار!» قال: «أصلح الله الأمير! يعمد الرجل P. ١ * الى ما قيمته ألف دينار، فيبيعه بنصف دِرْهَم!» فقل له: «إنه يعود ويرجع!» فقال: «أصلح الله الأمير! بعد كَشْفِهِ سَوْءَتِهِ، وإبدائه عَوْرَتَهُ، وضرب هذا وشتم هذا!»

وفي سنة ٢٢٨، كانت إفريقية هادئة ساكنة. قال عريب وغيره: لم يكن في إفريقية في هذه السنة خبر يذكر، ولا في السنتين بعدها.

وفي سنة ٢٣٠. توفى بهلول بن عمرو بن صالح الفقيه؛ سمع من مالك وطبقته.

وفي سنة ٢٣١، كانت ثورة أحمد بن الأغلب على أخيه محمد واستيلائه^١ عليه؛ وذلك أن أحمد نواذ مع جملة من الموالى الى موضع؛ فتوافوا هنالك وقت الظهر؛ فقصدوا الى مدينة القصر القديم، وقد خلا الباب من الرجال. فدخلوا، وأغلقوا الباب؛ ثم ساروا حتى أغلقوا الأبواب الأخرى. ثم هجموا على أبي عبد الله بن علي بن حميد الوزير؛ فأمر أحمد؛ فضربت عنقه. ووقع القتال بين رجال محمد بن الأغلب وبين رجال أحمد بن الأغلب، وجعل أصحاب أحمد يقولون لأصحاب محمد: «ما لكم تقاتلوننا؟ نحن في طاعة محمد ابن الأغلب. إنما قمنا على أولاد علي بن حميد الذين أفقروكم واستولوا على أموال مولاكم دُوكم! واما نحن ففي الطاعة!» فلما سمعوا ذلك، أوقفوا عن القتال. ولما نظر محمد الى ما دهمه من غير استعداد، فعد في مجلسه الذي يقعد فيه للعامة. وأذن لأخيه أحمد والرجال الذين معه في الدخول عليه.

١. واستيلائه B. C. A. 2. وإيرائه الى أهله A. 1.

فدخلوا بسلامتهم. فكانت بينهما معاشة. ثم حلّفاً ألا يغدر أحدهما بصاحبه، واصطُلحا. واعتدلت الأمور لأحمد بن الأغلّب إلا اسم الإمارة فقط. وقبض أحمد على من شاء، واستنصفى من أراد، وعذب من أحب، وأعطى الرجال وجى الأموال، واستوزر نصر بن حمزة.

وفي سنة ٢٢٢، ظفر محمد بن * الأغلّب بأخيه أحمد، وحبسه؛ ورجع له ١٠٢ سلطانه. وقام معه في ذلك جماعة من بنى عمه ومواليه. وسفى التّوآيين، واحتال عليهم حتى دخل المدينة. وحارب أخاه طول الليل، وأطلق من كان في حبس أخيه؛ فاستمدّ بهم؛ ووصل أهل الفيرّوان حتى أنفذ جميع ما في خزائنه من الأموال والكسب. ثمّ نفا محمد بن الأغلّب أخاه الى المشرق؛ فمات بالعراق. وفيها عزل عبد الله بن أبي الجواد عن القضاء؛ فقال سحنون لمحمد بن الأغلّب: «أيها الأمير، أحسن الله جزاءك! فقد عزّلت فرعون هذه الأمة رجلاً رها وظالمها!» وابن أبي الجواد حاضر، ولحيته تضطرب على صدره؛ كان تامّ اللحية.

وفي سنة ٢٢٢، ولي سحنون بن سعيد بن حبيب التّوخّي الفقيه (واسمه بد السلام، إنما سمّي بسحنون لحدة ذهنه) القضاء بإفريقية، بعد أن راجع محمد^١ بن الأغلّب في ذلك عاماً كاملاً، وهو يأبى عليه، حتى حلف له الأيمان المؤكّدة، وأعطاه العهود المغلّظة أنّه يُطلق يديه على أهل بيته وقربته خدمته وحاشيته، وينفّذ عليهم الحقّ، أحبوا أو كرهوا.

وفيها كانت ثورة سالم بن غلبون وقتله؛ وذلك أنّه كان والياً على الزّاب. مزله محمد بن الأغلّب. فأقبل سالم يريد الفيرّوان. ثمّ عدل في بعض ربه الى الأربس مظهرًا للخلاف؛ فمنعه أهلها من دخولها. فسار الى باجة دخلها وضبطها. فأخرج اليه ابن الأغلّب خفاجة بن سفيان في جيش كثيف؛ زل عليه، وحاربه أياماً؛ فهرب سالم بن غلبون في الليل؛ فاتبعه خفاجة؛

١) رادّ لمحمد.

فلحقه لما أصبح، وقتله، وحمل رأسه إلى محمد بن الأغلب. وكان ابنه أزهري محبوباً عنده؛ فأمر بضرب عنقه.

وفي سنة ٢٢٤، ثار عمرو بن سليم النجيبى بتونس؛ فأخرج إليه ابن الأغلب P. ١٠٢ خفاجة بن سفيان؛ فأقام عليه بقية هذه السنة؛ * ثم انصرف عنه من غير ظفر. وفيها مات عبد الله بن أبي الجواد في سجن سحنون. وكانت ورثة ابن القلأط يطلبونه بخمسمائة دينار وديعة، واستظهروا بخطه: فأنكر الوديعة والخط. فكان سحنون يخرجهم كل جمعة؛ فإذا استمر على الإنكار، ضربه عشرة أسواط وأرادت زوجته فداءه بما لها؛ فامتنع سحنون إلا أن يعترف ابن أبي الجواد بأن هذا مال الأيتام أو عوضاً عنه. فأبى ابن أبي الجواد. فإزالت تلك حاله إلى أن مرض؛ فمات. فشنع الناس على سحنون أنه قتله. وكان يقول بخلق القرآن. وفي سنة ٢٢٥، كانت وقعة؛ بمقربة من تونس، بين المنتزى في العا الفارط عمرو بن سليم المعروف بالقويع¹. وبين محمد بن موسى المعروف بعريان الذي استنقذه ابن الأغلب بحبس لمحاربته؛ ففرغ كثير من موالى ابن الأغلب إلى القويع. فوفعت على محمد بن موسى هزيمة، وأسير أحد قواده، بعد أن انكسرت رجله؛ ثم طعنه ولد القويع طعنة كان فيها حتفه؛ وقتل كثير من أصحابه. وانصرف باقي الجيش إلى ابن الأغلب مغلولين. واشتدت شوكة القويع. وفي سنة ٢٢٦، كانت وقعة بين عمرو بن سليم القويع المنتزى بتونس وبين خفاجة بن سفيان، فأبى جيش محمد بن الأغلب؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم القويع، وقتل أصحابه مقتلة عظيمة. وأدرك القويع؛ فضربت عنقه وحمل رأسه إلى محمد بن الأغلب؛ فوصل قاتله، وكساه، وأحسن إليه. ودخ خفاجة مدينة تونس بالسيف، يوم السبت لعشر خاؤون من ربيع الأول؛ وس فيها، وانصرف بالجيش إلى القيروان؛ فكساه ابن الأغلب.

1) A. et B. écrivent ici et plus loin القويع. La restitution adoptée pour ce briquet (= «alouette huppée»); cf. Dozy, *Suppl.*, s. v°. قيع) paraît s'imposer.

* ولاية العباس بن الفضل - رحمه الله ! - جزيرة صِفْلِيَّة P. ١٠٤.

لما توفى صاحبُ صِفْلِيَّةِ أبو الأَعْلَبِ إبراهيم بن عبد الله بن الأَعْلَبِ، قدّم أهلها على أنفسهم العباس بن الفضل هذا؛ وكتبوا الى محمد بن الأَعْلَبِ بالخبر. فأقرّ العباس، وكتب اليه بعهد بولاية صِفْلِيَّة. فجاهد كثيراً، وغزا طويلاً. وكان له في الروم مواقف أذلّهم بها.

وفي سنة ٢٢٧، ولي حبيب بن نصر التميمي المظالم بالقيروان بتقديم القاضي سحنون آياه عليها. وفيها أغزى العباس بصِفْلِيَّة أرض الروم؛ فغنم غنائم عظيمة، وسبى سبياً كثيراً، وأداخ¹ بلادهم.

وفي سنة ٢٢٨، أغزى العباس بن الفضل صاحبُ صِفْلِيَّةِ الروم؛ فقتل الله المشركين. وبعث العباس برؤوسهم الى مدينة بلرم، وأقام ينتسف زروعهم، وبطأ أرضهم، ويسبى من ظفر به منهم. ثم قفل الى صِفْلِيَّة.

وفي سنة ٢٢٩، كان الجهاد بصِفْلِيَّة في غزوة العباس بن الفضل في الصائنة؛ فأفسد زروع النصارى، وبث السرايا في كل موضع، وغنم قصر يانة وقطانية وسرقوسة وغيرها؛ وحاصر مدينة بنبرة² سنة أشهر حتى صالحوه على سنة آلاف رأس قبضها منهم. وقفل الى حضرة بلرم، وفتح مدينة سبرينة³.

وفي سنة ٢٤٠، توفى الفقيه سحنون - رحمه الله ! - وفيها كان الجهاد أيضاً بصِفْلِيَّة: غزا العباس بن الفضل صاحبها بلاد الروم؛ فسبى، ونكى، وخرّب، وانتسف، وبث السرايا؛ فغنموا غنائم عظيمة.

وفي سنة ٢٤١، غزا العباس بن الفضل أيضاً الروم بصِفْلِيَّة؛ فأفسد زروعهم، وبث السرايا في أراضيهم؛ فغنمت غنائم كثيرة. وأقام في جبل مانع ثلاثة أشهر، * يضرب كل يوم حول يانة؛ فيقتل ويصيب، وتتوجه سراياه، P. ١٠٥.

سهرنة A. — Leçon de B. (Santa Severina). 3) بنبرة B. 2) وأدلع B. 1)

فتغتم في كلّ جهة . وأغزى أخاه عليّ بن الفضل في البحر؛ فأصاب وغتم،
وانصرف برووس كثيرة^(١).

وفي سنة ٢٤٢، توفّي أبو العباس محمد بن الأغلب، صاحب إفريقية،
للبلتين خلنا من المحرم؛ فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر واثني
عشرة يوماً. ومات، وهو ابن ستّ وثلاثين سنة. وولى بعده ابن أخيه.

ولاية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب إفريقية

ولها، وهو ابن عشرين سنة. وكان حسن السيرة، كريم الأخلاق والأفعال،
من أجود الناس وأسمحهم وأرفقهم بالرعية، مع دين واجتناب للظلم، على
حدّاته سنّه وقلة عمره. وكان يركب في ليالى شعبان ورمضان، وبين يديه الشع؛
فيخرج من النصر القديم، ويمشي حتّى يدخل من باب أبي الربيع، ومعه دوابّ
بالدراهم. فكان يعطى الضعفاء والمساكين حتّى ينتهي الى المسجد الجامع
بالقيروان؛ فيخرج الناس اليه، يدعون له.

وفيها ولي القضاء بإفريقية أبو الربيع سليمان بن عمران بن أبي هاشم
الملقب بخروقة.

وفيها كان الجهاد بصقليّة: غزا صاحبها العباس بن الفضل الروم بالصائفة؛
فغتم وسبى؛ وانتقل^(٢) من حصن^(٢) الى حصن؛ ففتح أكثرها، وصالحه بعض
أهلها.

وفي سنة ٢٤٣، كان الجهاد بصقليّة: * غزا العباس بن الفضل صاحبها
بالصائفة؛ فسبى وغتم؛ وصالحه أهل قصر الحديد، بعد أن حاصرهم شهرين،
بخمسة عشر ألف دينار؛ وصالحه أهل حصن شلفودة^(٣) على أن يخرجوا منه
ويهدمه؛ ففعل ذلك.

١) B. omet tout le développement relatif à l'année 241, en se bornant à dire à son sujet: (٢٤٠ سنة) بعد سنة ٢٤٠. 2-2) Manque dans A. 3) A. et B. سلعودة.

وفي سنة ٢٤٤، غزا العباس صاحب صِفْلِيَّة أرض الروم؛ فغنم غنائم كثيرة.
 وخرج أخوه في مراكب في البحر الى جزيرة إقْرِيطش؛ فقتل وسى وغنم. ثم
 دارت على المسلمين جَوْلَةٌ؛ فقتل منهم، وأخذت لهم عشرون مركباً.

وفي سنة ٢٤٥، أخرج أبو إبراهيم بن الأغلَّب صاحب إفريقية مالا كثيراً
 لحفر المَواجِل، وبنيان المساجد والقناطر، لكَلِمَةٍ كانت منه على سُكْرِ.

وفي سنة ٢٤٦، كان حَفَرُ المَاجِل الكبير على باب نُؤس. وفيها نُوفى أبو
 خَاف الزاهد، واسمه مطروح بن قَبس. وكان عابداً زاهداً.

وفي سنة ٢٤٧، كان بالْقَيْروان سَيْلٌ عظيمٌ كسر القنطرة؛ فأمر صاحب
 إفريقية بإصلاحها. وفيها نُوفى عبد الرحمن بن عبد رَيو؛ وكان مُسْتَجَابَ الدعوة.
 وفيها، نُوفى العباس بن الفضل صاحب صِفْلِيَّة، في جمادى الأولى لثلاث خلون
 منها؛ وولى عمه أحمد صِفْلِيَّة؛ ولأه أهلها، وكتبوا بذلك الى صاحب إفريقية
 أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلَّب؛ فجاء كتابه بإثباته.

وفي سنة ٢٤٨، كَمِلَ بناء مأجل باب نُؤس الكبير؛ وتَمَّت الزيادة في
 جامع القَيْروان؛ وكَمِلَ إصلاح قنطرة باب أبي الربيع. وفيها، كانت غزوة رَباح؛
 فأصاب وغنم؛ ثم دارت عليه وفيعة، أُخِذَتْ فيها طَبُولُهُ وأَعْلَامُهُ؛ ثم أُسِرَ قَوْمٌ
 من أصحابه؛ ثم تَراجَعَ وافتتح مدينة جبل أبي مالك، وسبى جميع ما كان فيها،
 وأحرقها، وبثَّ سرايا كثيرة؛ فأصاب وغنم.

وفي سنة ٢٤٩، نُوفى أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلَّب صاحب

* إفريقية، يومَ الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خَلَّتْ من ذى القعدة؛ فكانت ولايته ١٠٧
 سبع سنين وعشرة أشهر ونصفاً. ومات، وهو ابنُ ثمانٍ وعشرين سنةً.

ولاية زيادة الله بن محمد بن الأغلَّب بن إبراهيم

ابن الأغلَّب إفريقية

ولى يوم وفاة أبي إبراهيم، في ذى القعدة؛ فكتب الى خفاجة بِامضاء

ولايته وخلع عليه. وكان أبو محمد زيادة الله هذا عاقلاً،¹ حليماً، حسن السيرة، جميل الأفعال، ذا رأى ونجدة وجود وشجاعة. وهو الثاني ممن اسمه زيادة الله في بني الأغلب. ولم تطل في الملك مدته، فتكون له أخبار توشح وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من ذي القعدة من سنة ٢٥٠؛ فكانت دولته سنة واحدة وسبعة أيام.

ولاية أبي الغرائيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب

ولي سنة ٢٥٠. وهو ابن أخي زيادة الله المتوفي قبل. ولي يوم السبت لعشر بقين من ذي القعدة، ولقب بأبي الغرائيق لأنه كان بهوى صيدها، حتى بنى قصراً يخرج إليه لصيدها، أنفق فيه ثلاثين ألف مثقال من الذهب. وكان مسرفاً في العطاء، مع حسن سيرة في الرعية. ثم غلبت عليه اللذات والاشتغال بها؛ فلم يزل كذلك طول مدته. ولم تكن له همة في جمع مال. فلما مات، لم يجد أخوه في بيت المال شيئاً يذكر. وكانت ولايته حروباً أكثرها على ما يأتي ذكره.

وفي سنة ٢٥١، كانت غزوة السرية المعروفة بسرية ألف فارس؛ وذلك أن خفاجة صاحب صفيلة غزا قصر يانة؛ فأفسد زروعه. وسار إلى سرقوسة؛ فقاتل أهلها. ثم رحل عنهم، وأخرج ابنه محمداً اليهم في سرية؛ فكين لهم، وقتل منهم ألف فارس؛ فسميت تلك السرية سرية ألف فارس.

وفي سنة ٢٥٢، بنى محمد بن حمدون الأندلسي المعافري الجامع الشريف بالقيروان المنسوب إليه: بناءً بالأجر والجص والرخام، وبنى فيه رجباً للماء. وغزا خفاجة صاحب صفيلة أرض الروم، وافتتح حصوناً كثيرة؛ ثم مرض مرضاً شديداً؛ فانصرف في محمل إلى بلكرم.

١) عاملاً. A.

وفي سنة ٢٥٢؛ قال ابن القَطَّان: عريت هذه السنة من أخبار إفريقية؛ فلم يكن فيها خبرٌ مشهورٌ يُجْتَلَب.

وفي سنة ٢٥٤، غزا خَفَاجَة صاحبُ صِفْلِيَّة بِطَرِيقاً وصل من القُسْطَنْطِينِيَّة، في جمع كبير، في البرِّ والبحر؛ فانهزم البَطْرِيْق بعد قتال شديد، وقُتل من أصحابه آلافٌ كثيرة، وأُخذ لهم سلاحٌ وخيلٌ. ودخل خَفَاجَة الى سِرْقُوسَة وغيرها؛ فغنم غنائم كثيرة، ورجع الى بَلَرَم فأعدَّته أوَّلَ يوم من رجب.

وفي سنة ٢٥٥، خرج خَفَاجَة صاحبُ صِفْلِيَّة للغزو؛ فلقَّبه العدوُّ في جمع كبير؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ فقتل شُجَاعٌ من شُجَعَان المسلمين؛ فانكسروا لقتله. فسار خَفَاجَة الى سِرْقُوسَة؛ فامتنعت منه؛ فأقام عليها، وأفسد زرعها. وفيها تُوُفِّي خَفَاجَة؛ وذلك أَنَّهُ، لما أكمل غزاه المذكورة، قتل من سِرْقُوسَة، يريد بَلَرَم؛ فأدلى ليلاً؛ فاغتاله رجلٌ من عسكره، وطعنه طعنةً مات منها، وذلك أوَّلَ يوم من رجب. وهرب الذي طعنه الى سِرْقُوسَة. وحُبل خَفَاجَة الى بَلَرَم؛ فدُفن بها. فوُلِّي أَهْلُ صِفْلِيَّة وَلَدُ مُحَمَّدًا، وكتبوا بذلك الى الأميرِ مُحَمَّد بن أحمد ابن الأَغْلَب أبي الغرائق؛ فكذب اليه بالولاية، وخلع عليه.

وفي سنة ٢٥٦، تُوُفِّي مُحَمَّد بن سَحْنُون النَّوْخِي؛ وكان فقيهاً وورعاً - رضى

الله عنه

وفي سنة ٢٥٧، ولى القضاء * بإفريقية عَبْدُ اللَّهِ بن أحمد بن طالب، ١٠٩ صارفاً لسليمان بن عِمْران. وفيها، تُوُفِّي صاحبُ صِفْلِيَّة مُحَمَّد بن خَفَاجَة، قتلَهُ خَدَمُهُ نهاراً لثلاث خلون من رجب، وكتبوا أمره؛ فلم يُعرف قتله إلا بعد يوم لهروب الخَدَم؛ فأخذوا وقتل بعضهم. فوُلِّي صِفْلِيَّة أحمد بن يعقوب بتقديم ابن الأَغْلَب أبيه. وولى على الأرض الكبيرة عَبْدُ اللَّهِ بن يعقوب؛ فكانت لهما في هذا العام غزوةٌ أوقعا فيها بالمشركين. ولم يكن بإفريقية في سنة سبع خبرٌ يُذكر.

وفي سنة ٢٥٨، تُوُفِّي أحمد بن يعقوب صاحبُ صِفْلِيَّة، وولى ابنه الحسين مكانه. وأقرَّه صاحبُ إفريقية عليها.

وفي سنة ٢٥٩، ولي سليمان بن عمران قضاء إفريقية، وعزل عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي عنه. وفيها غزا صاحب صفائية سرقوسة، فصالحه أهلها على أن يُخرجوا إليه من أسرى المسلمين الذين كانوا عندهم ثلاثمائة وستين أسيراً.

وفي سنة ٢٦٠، كانت المجاعة العامة بالشرق والمغرب، والوباء، والطاعون. وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن عبدوس الفقيه العالم، الذي دُون «المجموعة»؛ وكان مُجَابِّ الدعوة.

وفي سنة ٢٦١، توفي أبو الغرانيق محمد بن أحمد بن الأغلب ليلة الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى من هذه السنة؛ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر ونصفاً، في دولة المُسْتَعِين بالله، والمُعْتَز، والمُهَنْدِي، والمُعْتَمِد في بعض أيامه.

ولاية إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب

ورِصْنَةُ ولايته أَنَّ أبا الغرانيق كان عهد لابنه أبي عقال، واستحلف أخاه P. 11 إبراهيم بن أحمد ألا يُنَارِعَه في ملكه بخمسين * يَمِيناً. فلما مات أبو الغرانيق، أتى أهل القَيْرَوَان إلى إبراهيم بن أحمد، وهو إذ ذاك والٍ على القَيْرَوَان. فقالوا له: «قُمْ، فأدخل القصر؛ فأنت الأمير!» وكان إبراهيم قد أحسن السيرة فيهم. فقال لهم: «قد علمتم أَنَّ أَخِي قد عقد البيعة لابنه، واستحلفني خمسين يَمِيناً ألا تُنَارِعَ وَلَدَهُ ولا أَدْخُلَ قَصْرَهُ.» فقالوا له: «تكون أميراً في دارك بالقصر القديم، ولا تُنَارِعَ وَلَدَهُ! فنحن كارهون لولايته ومبايعون لك! وليس في أعناقنا له بيعَةٌ!» فركب من القَيْرَوَان، ومعه أكثر أهلها؛ فخاربوا أهل القصر حتى دخل إبراهيم داره؛ فبايعه مشايخ أهل إفريقية ووجوهها؛ وبايعه جماعة بني الأغلب.

وفي سنة ٢٦٢، توفي أبو زَيْد شَجَرَة بن عيسى القاضي بتونس؛ وكان من

خيار القضاة؛ له مناقب كثيرة؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة. وفيها أُسِّسَتْ قلعة مدينة نَس، أسَّسها البحرِيُّون من أهل الأندلس.

وفي سنة ٢٦٢، ابتدأ إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ببناء مدينة رَقادة.

وفي سنة ٢٦٤، كمل بناء القصر المعروف بالفَنْج، وانتقل إليه إبراهيم ابن أحمد. وقَتَلَه للموالى بالقَصْر القديم لأنهم ثاروا عليه. وفيها فُتِحَتْ سَرْقُوسَة يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ لرمضان؛ وقُتِل فيها أكثر من أربعة آلاف عُلج؛ وأُصِيب فيها من الغنائم ما لم يُصَبَّ بمدينة من مدائن الشِّرك؛ ولم يَنْجُ من رجالهم أحدٌ. وكان مُقامُ المسلمين بِصِفْلِيَّة عليها إلى أن فُتِحَتْ تسعة أشهر؛ وأقاموا بعد فتحها شهرين؛ ثم تَهَدَّمَتْ. وفيها، قُتِل صاحبُ صِفْلِيَّة جعفر ابن محمد. قتلَه غلمانُه مع الأغلب بن محمد بن الأغلب، المُلقَّب بِخُرْج الرُّعُونَة، وأبى عِفَالِ الأغلب بن أحمد؛ وكانا محبوسَيْن عنده؛ فتَوَلَّى خُرْج الرُّعُونَة بَلَرَم ١١١ وضبطها؛ فوثب أهلها عليه وعلى أبي عِفَالِ ومن اتَّصل بهما؛ فأخرجوهم من صِفْلِيَّة إلى إفريقية.. وولى الحسن بن رِبَاح ١ صِفْلِيَّة.

وفي سنة ٢٦٥، غزا صاحبُ صِفْلِيَّة الحسن بن رِبَاح ١ الصائفة إلى طَرْمِين؛ ودارت بينه وبين مُشْرِكِي صِفْلِيَّة حربٌ قُتِل ٢ فيها من المسلمين؛ ثم كانت لهم الكَرَّة على المشركين؛ فهزموهم، وقتلوه، وقتلوا بِطَرِيفَهُم.

وفي سنة ٢٦٦، كان النَّحْطُ العَظِيمُ والغلاءُ المُفْرِطُ بِإفريقية. وفيها أغرى صاحبُ صِفْلِيَّة الروم؛ فالتقى في البحر بِمراكبهم، وهم في نحو مائة وأربعين مركباً؛ فدارت بينهم حربٌ شديدةٌ حتَّى أَسْلَمَ المسلمون مراكبهم وأخذها الروم. وانصرف من كان في تلك المراكب إلى بَلَرَم؛ فأقاموا بها شهوراً يَبْثُون السَّرايا، ويغنمون أرض الروم المجاورين لهم.

وفي سنة ٢٦٧، ولى عبد الله بن أحمد بن طالب التميميُّ القضاء، صارفاً لسلطان بن عِمْران عنه. وفيها ولى الحسن بن العباس ٣ جزيرة صِفْلِيَّة. وفيها

١) A. رياح.

٢) A. بيل (? نيل). Voir *Cocq.* p. 16.

٣) Manque dans B.

كانت فتنة وَلَد ابن طُولُون، حين أَرَاد التغلب على إفريقية. وها أَنَا أَذْكَرُ
فِصْنِهِ الى أَن هُزِم. وذلك أَنَّ العَبَّاسَ^١ بن أحمد بن طُولُون، وَلَدَ صاحب
مِصْر، قدم في هذه السنة في ثمانمائة فارس وعشرة آلاف راجل من سُودَان أبيه
على خمسة آلاف جمل الى مدينة بَرْقَة، في ربيع الآخر، يُريد إفريقية، والتغلب
عليها، وإخراج بني الأَغْلَب عنها. وحمل مع نفسه من بيت مال مِصْر ثمانمائة
جمل دنانير ذهباً، فأعطى أَصحابه الأرزاق بها. وقيل إِنَّ مبلغ ما حمل من المال
ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار. ومعه أَبُو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب
مُكَبَّلًا، لَأَنَّهُ أَظهر الامتناع من الخروج معه؛ وكان * أَشار عليه بِأَن يُوَخِّر
التقدُّم الى إِطْرَابُلسَ حتَّى يُصايع البربر؛ فقال: «أَخشى أَن تقدِّمَ العساكرُ
من الشَّام قبل إحكام هذا الأمر» (يعني عساكر أبيه، لَأَنَّهُ كان نائراً على أبيه)
ويكون أيضاً في ذلك فُسْحَةٌ لإبراهيم بن أحمد، فيتمهِّل في الاستعداد. ولاكنِّي
أَمْضى على فَوْرِي هذا؛ فَأَتِي كَبْدَةَ وإِطْرَابُلسَ فجاءَ؛ ثُمَّ أَخَذُ في استمالة البربر
بعد ذلك بالعطاء والإفضال، وأبعدُ من مِصْر؛ فلا يقوم لأحمد بن طُولُون
(يعني أَباه) أَمَلٌ في مُطالَبَتِي لِبُعْدِي عنه!« وخرج يريد كَبْدَةَ؛ فَأَتَصَلَ خَبْرَهُ
إبراهيم بن أحمد؛ فَأَخْرَج اليه أحمد بن قُرْهُبٍ في ألف وستمائة فارس، خيلاً
مُجَرَّدَةً لا رجل فيها، وأمره^٢ بِإِعْدَادِ^٣ السَّيْرِ وَالسَّرَى بالليل، حتَّى دخل إِطْرَابُلسَ
فل وصول العَبَّاسِ بن أحمد بن طُولُون الى كَبْدَةَ. ثُمَّ أَحْشَدَ ابنُ قُرْهُبٍ مَنْ
أمكنه من جند إِطْرَابُلسَ وبربرها؛ ثُمَّ بَادَرَ الى كَبْدَةَ، ودخلها. وأقبل العَبَّاسُ
ابن طُولُون، وقد صنَّعَ له بِرْقَة خمسة آلاف بُندٍ؛ فجعل له على كلِّ جمل راجلاً
ببَنْدِهِ. وزحف بثمانمائة فارس وخمسة آلاف راجل. فالتقى به أحمد بن قُرْهُبٍ
على خمسة عشر ميلاً من كَبْدَةَ، وقد تأخَّرت الجمال بالرجالة أَصحاب المنود؛
فلم يكن بينهم إِلَّا مَنَاقِشَةٌ بسيرة حتَّى انهزم أحمد بن قُرْهُبٍ، وهو يظُنُّ أَنَّ مَنْ

1) Manque dans B. 2) Manque dans A. 3) La correction de Dozy (Corr.,
p. 16: بِإِعْدَادِ) paraît inutile, cette expression étant courante chez les chroniqueurs
arabes occidentaux.

نَاشَهُ الْفِتَالُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ طُولُونَ كَانُوا مُقَدِّمَةً لِلْجَيْشِ . وَوَصَلَ أَحْمَدُ بْنُ قُرْهَبٍ إِلَى إِطْرَابُلُسَ مِنْهَزِمًا . وَرَكِبَ الْعَبَّاسُ بْنُ طُولُونَ إِثْرَهُ حَتَّى نَزَلَ إِطْرَابُلُسَ ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، وَنَاصِيَهُمُ الْحَرْبَ . وَأَقَامَ مُحَاصِرًا لَهَا ثَلَاثَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا . فَتَعَدَّى بَعْضُ سُودَانِهِ عَلَى بَعْضِ حُرَمِ الْبَوَادِي ، وَهَتَكُوا السِّتْرَ^١ ؛ فَاسْتَعَاثَ أَهْلُ إِطْرَابُلُسَ بِأَبِي مَنْصُورٍ صَاحِبِ نُفُوسَةٍ ؛ فَقَامَ مُحْتَسِبًا وَنَاصِرًا جِبْرَانَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَزَحَفَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ رِجَالِ نُفُوسَةٍ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ * P. ١١٢ طُولُونَ ؛ فَتَنَاشَوْهُ الْحَرْبَ ؛ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبِ : « مَا الرَّأْيُ ؟ » فَقَالَ لَهُ : « بِرَقَّةٍ خَلَّفْتَهُ ! » وَأَخَّحَ أَهْلُ نُفُوسَةٍ فِي مُحَارَبَةِ ابْنِ طُولُونَ ؛ فَانْهَزَمَ ، وَخَرَجَ إِلَى بَرَقَةِ بَعْدَ انْتِهَابِ أَهْلِ إِطْرَابُلُسَ لِجَمِيعِ عَسَاكِرِهِ . وَلَمْ يَتَلَبَّسْ النُّفُوسِيُّونَ مِنْهُ بِشَيْءٍ ، بَلْ تَوَرَّعُوا عَنْهُ . وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ قَدْ حَشَدَ الْأَجْنَادَ ، وَضَرَبَ حُلَى نِسَائِهِ دَنَانِيرَ وَدِرَاهِمَ ، إِذْ لَمْ يَبْقَ أَبُو الْغُرَانِيْقِ مَالًا . ثُمَّ خَرَجَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُ إِطْرَابُلُسَ ؛ فَلَقِيَهُ خَبْرُ هَزِيمَةِ ابْنِ طُولُونَ ؛ فَبَحَثَ ابْنُ الْأَعْلَبِ عَنِ الْأَمْوَالِ ، وَأَخَذَهَا مِنْهُ وَجَدَتْ عَنْدهُ ؛ فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ يَبِيعُ مَتَاعَيْهِ ابْنِ طُولُونَ سِرًّا بِمَا أَمَكَّنَهُ ، خَوْفًا أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُ .

وَفِي سَنَةِ ٢٦٨ ، كَانَ قَتَلَتْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَعْلَبِ بِأَهْلِ الزَّابِ ؛ فَقَتَلَهُمْ وَقَتَلَ أَطْفَالَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُفْرِ ؛ فَأُلْقُوا فِيهَا . وَفِيهَا عَزَلُ صَاحِبِ صِفْلِيَّةِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَوَلِيَّهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ .

وَفِي سَنَةِ ٢٦٩ ، تُوُفِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَفْصِ النَّزَّاهِ ؛ وَكَانَ جَهَنِيًّا^٢ . وَكَانَ يَقُولُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ ؛ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ ؛ فَهَبُّوا بِقَتْلِهِ .

وَفِي سَنَةِ ٢٧٠ ، تُوُفِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عِمْرَانَ الْقَاضِي مَقْلُوجًا . وَتُوُفِيَ حُسَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ . وَتُوُفِيَ أَبُو حَاتِمِ هَشَامُ بْنُ حَاتِمِ النَّقِيبِ ؛ وَكَانَ مُجَابِدَ الدَّعْوَةِ .

وَفِي سَنَةِ ٢٧١ ، تُوُفِيَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ صَاحِبِ صِفْلِيَّةِ . وَوَلِيَّهَا سَوَادَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَفَاجَةَ التَّمِيمِيَّ .

١) الْحَجَبِ . A.

٢) ذِلَالًا . B.

وفي سنة ٢٧٢، أغزى سَوَادَة صاحبُ صِقْلِيَّة سَرايا إلى بلاد الروم؛ فغنمت وانصرفت. وفيها كانت وقائع بين المسلمين وبين بَطْرِيق جاء من القُسْطَنْطِينِيَّة، يُقال له نجفور، في عسكر كبير؛ فدخل مدينة سيرينة، وخرج منها المسلمون بأمان إلى صِقْلِيَّة.

وفي سنة ٢٧٣، وثب أهل بَلَرَم على سَوَادَة بن محمد صاحب صِقْلِيَّة P. ١١٤ وعلى أخيه وبعض رجاله؛ فوجهوهم * مفيد بن إلى إفريقية. واجتمع أهل البلد على أبي العباس بن علي؛ فولّوه على أنفسهم.

وفي سنة ٢٧٤، كان وصول أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بجَبَشِي. وفيها توفى أحمد بن حُدَيْر بإفريقية؛ وله سماعٌ من سَحْنُون^١. وفي سنة ٢٧٥، كانت لأهل صِقْلِيَّة على المشركين صَوْلَة؛ فقتل فيها من المشركين أكثر من سبعة آلاف؛ وغرق نحو من خمسة آلاف، حتّى أخلى الروم كثيراً من المدن والمحصون التي تُجاور المسلمين. ووصلت سرايا المسلمين إلى الأرض الكبيرة؛ فسبّت وانصرفت. وكانت بإفريقية هِجَة تُعرف بثَوْرَة الدراهم^٢.

ثورة الدَّرَاهِم على إبراهيم بن أحمد

وذلك أنّ إبراهيم بن أحمد ضرب الدراهم الصّحاح، وقطع ما كان يُتعامَل به من النِطْع. فأنكرت ذلك العامّة، وغلّفلوا الحوانيت، ونالّوا، وصاروا إلى رقّادة، وصاحوا على إبراهيم؛ فحبسهم في الجامع. واتّصل ذلك بأهل القَيْرَوَان؛ فخرجوا إلى الباب، وأظهروا المدافعة^٣. فوجّه إليهم إبراهيم بن أحمد وزيره أبا عبد الله بن أبي إسحاق؛ فرموه بالحجارة وسبّوه. فانصرف إلى السلطان إبراهيم بن أحمد؛ فأعلمه بذلك. فركب إبراهيم إلى القَيْرَوَان، ومعه حاجبه نصر بن

1) Cet alinéa manque dans B.

2) Cette phrase manque dans B.

3) B. الموافقة.

الصَّصَامَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْحِجْدِ؛ فَنَاصَبَهُ أَهْلُ الْفَيْرَوَانِ الْفِتَالِ. فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ
 ابْنُ أَحْمَدَ إِلَى الْمَصْلَى؛ فَتَزَلَّ، وَجَلَسَ، وَكَفَّتْ أَصْحَابُهُ عَنْ قِتَالِهِمْ. فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِهِ
 مَجْلِسُهُ، وَهَدَأَ النَّاسُ، خَرَجَ إِلَيْهِ الْفَقِيهَ الزَّاهِدَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُغِيثٍ؛
 فَكَانَ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ^(١) كَثِيرٌ. وَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْوَزِيرَ مَدِينَةَ
 الْفَيْرَوَانِ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ مُغِيثٍ؛ فَشَقَّ سِمَاطَهَا وَسَكَّنَ أَهْلَهَا. فَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 أَحْمَدَ إِلَى رَقَادَةٍ، وَأَطْلَقَ الْمُحْبُوسِينَ بِالْجَامِعِ. وَانْقَطَعَتِ النُّفُودُ وَالْقِطْعُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ
 إِلَى الْيَوْمِ؛ * وَضَرَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ دَنَابِيرَ وَدَرَاهِمَ سَمَّاءِهَا الْعَاشِرِيَّةَ، فِي كُلِّ ١١٥ P.
 دِينَارٍ مِنْهَا عَشْرَةَ دَرَاهِمَ.

وَفِيهَا، عَزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ طَالِبِ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ قَضَاءِ إِفْرِيقِيَّةَ
 وَحَبَسَهُ؛ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ مَسْمُومٍ، أَكَلَهُ فِي الْحَبْسِ؛ فَمَاتَ مِنْ فُورِهِ فِي
 رَجَبٍ. وَاسْتَنْفَضَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ دُونِ بْنِ أَبِي ثَوْرٍ؛ وَكَانَ
 جَدُّهُ طَحْنَانًا؛ وَكَانَ يَكْتُبُ اسْمَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّعِينِيُّ.
 وَفِي سَنَةِ ٢٧٦، كَانَ الْجِهَادُ بِصِفِّيَّةَ فِي غُرُورَةِ سَوَادَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى طَرْمِينٍ؛
 فَحَاصَرَهَا. وَفِيهَا حَبَسَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ كَاتِبَهُ مُحَمَّدَ بْنَ حَيُّونَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ
 الْبَرِيدِيِّ^(٢)؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ مِنَ السِّجْنِ [بَسِيطُ]:

هَبْنِي آسَاتُ فَأَيِّنَ الْعَفْوُ^(٣) وَالْكَرَمُ
 إِذْ قَادَنِي نَحْوُكَ الْإِذْعَانُ وَالسَّدَمُ
 يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَيْهِ أَمَّا
 تَرَشُّ^(٤) لِيَصِبَ نَهَاهُ^(٥) عِنْدَكَ الْقَلَمُ
 بِالْغَتِّ فِي السَّخَطِ^(٥) فَأَصْنَحْ صَنْحَ مُقْتَدِرٍ^(٦)
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَمُوا رَحِمُوا

1) A. القتال (sic): cf. Corr., p. 16. 2) B. الفریدی. 3) A. الفضل.

4-4) A. لمن قد نعاه. 5) Leçon d'Ibn al-Abbar (Notices, p. 146, n. 4). A. et

B. الخط. Voir Corr., p. 16. 6) B. مقدرة.

قال: فلما قرأ إبراهيم بن أحمد أبياته، قال: «يكتب اليّ: «هنيئاً أسأت!» وهو قد أساء! أمّا إنّه لو قال [وافر]:

وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ آسَأْنَا فَهَبْنَا لِدِكْرَامِ الْكَاتِبِينَ

لَعَنَتُ عَنْهُ! «ثمّ أمر - قبحه الله! - به؛ فجعل في تابوت حتى مات - رحمه الله تعالى!

وفي سنة ٢٧٧، قتل إبراهيم بن أحمد حاجبه نصر بن الصمصامة بان ضربه خمسمائة سوط؛ فلم ينطق بكلمة، ولا تحرك من موضعه؛ ثمّ أمر بضرب عنقه. فقال لمن حوله: «لا تظنّوا أنّي أجزع من الموت!» ووعدهم أنّه يفتح يده ويغلقها ثلاث مرّات بعد ضرب عنقه. ففعل. فأخبر إبراهيم بذلك؛ فتعجب، وأمر بشق بطنه شقّاً لطيفاً، ويؤتى إليه بقلبه. فنظر منه الى منظر عجيب، وذلك P. 117 أنّه كان فائتاً¹ في كبك؛ ووُجِدَت فيه شعرات نابذة في أكثر أجزائه.

وفي سنة ٢٧٨، كانت ولاية أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب للمظالم، وولاية محمد بن الفضل صفليّة، وعرض ديوان الخراج على سودة النصرانيّ على أن يسلم؛ فقال: «ما كنت لأدع ديني على رياسة أمّالها!» فقطع بنصفين وصلب.

وفي سنة ٢٧٩، كانت ولاية محمد بن الفضل صفليّة. ودخل حضرة بامر لليلتين خلّتا من صفر.

وفيها، قتل إبراهيم بن أحمد من أهل إفريقية من قتل بطراً² وشهوة. فمن قتل في هذه السنة: إسحاق بن عمران المتطّيب المعروف بسهم ساعة؛ قتله وصلبه؛ ومنهم حاجبه فتح، ضربه بالسياط حتى مات. وقتل فيها جميع فتيانه؛ وسبب ذلك أنّه كان كثير الإصغاء الى قول المنجّمين والكهنة؛ وكانوا قالوا له إنّ يقتله رجل ناقص العقل، وإنّه يمكن أن يكون فتى؛ فكان إبراهيم، إذا

1) Leçon fournie par B. -A.: فائتاً.

2) Manque dans A.

رَأَى أَحَدًا مِنْ فِتْيَانِهِ، فِيهِ حَرَكَةٌ وَنَشَاطٌ وَجِدَّةٌ، يَنْفَلِدُ سَيْفًا، قَالَ: «هَذَا هُوَ صَاحِبِي!» فَيَقْتُلُهُ. فَلَمَّا قَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَقَعَ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ قَدْ اسْتَفْسَدَ^١ إِلَيْهِمْ؛ فَضَمَّهُ الْمَحْذَرُ مِنْهُمْ إِلَى قَتْلِ جَمِيعِهِمْ؛ فَقَتَلَهُمْ فِي هَذَا الْعَامِ، وَاسْتَخْدَمَ عَوَضًا عَنْهُمْ السُّودَانَ. ثُمَّ عَرَضَ لَهُمْ مِنْهُ مَا عَرَضَ لِلْفَتَيَانِ الصَّقَالِيَةِ: فَقَتَلَ السُّودَانَ أَجْمَعِينَ. وَفِي سَنَةِ ٢٨٠، كَانَ الْإِيْفَاعُ بِرِجَالٍ بَلَزَمَةٍ؛ وَفِصَّتُهُمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ ابْنَ الْأَغْلَبِ كَانَ قَدْ حَارَبَهُمْ وَاسْتَقَدَّمَ مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ رَقَادَةَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَبْطَالِهِمْ؛ فَأَنْزَلَهُمْ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ، وَبَنَى لَهُمْ دَارًا كَبِيرَةً نَشْتَمِلُ عَلَى دُورٍ تَرْجِعُ إِلَى بَابٍ وَاحِدٍ، وَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا. فَلَمَّا سَكَنُوا وَاطْمَأَنَّنُوا، جَمَعَ ثِقَاتُ رِجَالِهِ لِأَخْذِ أَرْزَاقِهِمْ؛ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِصَاحِبَةِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، رَكِبَ إِلَى دَارِ الْبَلَزَمِيِّينَ فِي الْمَجْدِ؛ فَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، بَعْدَ أَنْ دَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ إِلَى * وَفَتْ الْعَصْرِ. وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ انْقِطَاعِ دَوْلَةِ بَنِي الْأَغْلَبِ، إِذْ كَانَ P. 117 أَهْلُ بَلَزَمَةٍ فِي نَحْوِ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ وَالْمَجْدِ الدَّخِلِينَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ عِنْدَ افْتِتَاحِهَا وَبَعْدَ؛ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ قَبْسٍ، وَكَانُوا يُدْلُونَ كُتَامَةً. فَلَمَّا قَتَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ، اسْتَطَالَتْ كُتَامَةُ، وَوَجَدَتْ السَّبِيلَ لِلْقِيَامِ مَعَ الشَّبْعِيِّ عَلَى بَنِي الْأَغْلَبِ. وَفِيهَا، كَانَ تَمْنَعُ الْبِلَادِ وَمُخَالَفَتُهَا عَلَى السُّلْطَانِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ، وَانْتِزَاعُ مِنْهُ أَنْتَزَى عَلَيْهِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ تُوُسَ وَالْحَزِيرَةِ وَالْأُرْبُسَ وَبَاجَةَ وَقَمُودَةَ خَالَفُوا عَلَيْهِ وَقَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ رِجَالًا مِنَ الْمَجْدِ وَغَيْرِهِمْ، لِأَنَّ السُّلْطَانَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ أَخَذَ عِيْدَهُمْ وَخِيْلَهُمْ، وَجَارَ عَلَيْهِمْ؛ فَصَارَتْ إِفْرِيقِيَّةٌ عَلَيْهِ نَارًا مُوقَدَةً، وَلَمْ يَبْقَ يَدٌ مِنْ أَعْمَالِهَا إِلَّا السَّاحِلَ وَالشَّرْقَ إِلَى إِطْرَاسُوسَ. فَخَفِرَ حَنْبَرًا حَوْلَى رَقَادَةَ، وَانْصَبَ عَلَيْهِ أَبْوَابُ حَدِيدٍ، وَجَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ ثِقَاتَهُ، وَفَرَّبَ السُّودَانَ مِنْ قَصْرِهِ؛ وَقَدْ كَانَ جَمْعُ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ سُودَ.

وَفِيهَا، كَانَتْ وَقَائِعُ انْجَلَتْ عَنْ فَتْحِ تُوُسَ عَنْوَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ قَمُودَةَ تَمَرَكُوا لِقِتَالِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ؛ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مَبِينُونًا الْحَبَشِيِّ. فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى

1) Manque dans B.

انهزموا، وقتل جماعة منهم؛ ثم فعل ذلك أهل تُوس؛ فهزمهم ميمون أيضاً، وهزم أهل الجزيرة وصطفورة، وقتل منهم كثيراً، حتى سبق القتل في العجل إلى النيروان. ثم دخلت تُوس بالسيف، لعشر يقين من ذى الحجة؛ فانهبت الأموال، وسببت الدرية، واستحلت الفروج. ومما كان بإفريقية في هذا العام، دخول أبي عبد الله، داعية الشيعة، ^(١) إفريقية، ونزوله بكنامة منها ^(٢). فلندكر الآن متداً أمره مختصراً، إلى أن استقل بالملك. ^(٣) ثم نرجع إلى ما كنا بصدده ^(٤).

ابتداء الدولة العبيدية الشيعية

قال الوراق: لم نزل الشيعة منذ مات علي بن أبي طالب - رضه -
 P. 118 * تدعو إلى إمام معصوم، يقوم بالحق، على زعمهم؛ فتُرسل دُعاة إلى سائر النواحي،
 فلا ينجح لهم سعى. ثم تفاوضوا وتراسلوا على أن تُرسلوا داعياً إلى المغرب،
 يدعو الناس إلى الدين بحب أهل البيت؛ ويكاتبوا بذلك من سائر الآفاق.
 فاخاروا منهم رجلاً ذا فهم، وفصاحة، وجدال، ومعرفة، يُسمى أبا عبد الله
 الصنعائي، وجمعوا له مالاً يتقوى به على سفره. فسار أبو عبد الله هذا إلى موسم
 الحج ليجمع به مع من يهتج تلك السنة من أهل المغرب، ويدوق أخلاقهم،
 ويطلع على مذاهبهم، ويتحيل على نيل الملك بضعيف ^(١) الحيل. ^(٢) فسُبحان مُقدّر
 المقدور. ومحكم الأمور. كيف يشاء! لا إله إلا هو! ^(٣) فلما وصل للموسم، لا للحج،
 لأن الحج ليس من مذهبهم الفاسد، بل تكلف حضوره ليتسبب في مراده؛ فرأى
 في الموسم قوماً من أهل المغرب؛ فلصق بهم وخالطهم. وكانوا نحو عشرة
 رجال من قبيل كُتامة، مُلتفتين على شيخ منهم. فسألهم عن بلادهم؛ فأخبروه
 بصنعتهم؛ وسألهم عن مذهبهم؛ فصَدَّقوه عنه. فتكلم أبو عبد الله الداعي في
 مذهب؛ فوجد الشيخ يبيل في مذهبه إلى مذهب الأماضية النكارة؛ فدخل

1-1) Manque dans A.

2-2) Manque dans A.

3-3) A. ضعيف.

4-4) Manque dans B.

عليه من هذه الشبهة. ولم يزل يستدرجهم ويخْلِبهم بما أُوسى من فضل النّسان
والنعيم بالجدل. الى أن سبهم عفوهم بسحر بيانه. فلما حان رجوعهم الى بلادهم،
سألوه عن أمره وشأنه؛ فقال لهم: «أنا رجل من أهل العراق، وكنت أخدم
السلطان؛ ثم رأيت أن خدمته ليست من أفعال البر؛ فتركها وصرت أطلب
لمعيشة من المال لئلا أخل بالدين؛ فلهذا أريد أن أذهب الى بلاد مصر؛
فسألت أسن تثنى ذلك مأثراً حسناً؛ فذكر لي بلاد مصر». فقالوا له: «ونحن
سائرون الى مصر. وهي * طرفنا. فكُنْ في صحبتنا اليها!» ورجعوا منه في ذلك. ١١٩
فصحبتهم في الطريق. فكان يُحَدِّثهم، ويميل بهم الى مذهبه، ويلقى اليهم الشيء
بعد الشيء، الى أن أُشربت قلوبهم محبته؛ فرغبوا منه أن يسير الى بلادهم
ليعلم صيانتهم. فاعتذر لهم بعد الشقة. وقال: «إن وجدت مصر حاجتي،
أقمت بها، وإلا فرُبما أصحبكم الى القَيْرَوان». فلما وصلوا مصر. غاب عنهم
بكأنه يطلب بغية. ثم اجتمعوا به وسألوه؛ فقال لهم: «لم أجد بهذه البلاد ما
أريد». فرغبوه أن يصحبهم؛ فأنعم لهم بذلك. فكانوا في صحبته الى أن وصلوا
القَيْرَوان؛ فراودوه على أن يصل معهم الى بلادهم. وضمنوا له ما أراد من تعليم
الصبيان. فقال لهم: «لا بد لي من المئام بالقَيْرَوان، حتى أَطْبِبَ فيها حاجتي.
فإن اتفق لي فيها غرضي. وإلا نهضت اليكم». وكان شيخهم أحرصهم عليه
وأكرمهم له؛ فوصف له منزله وموضعه من قبيلة كُتامة؛ فأقام بالقَيْرَوان يتعرف
أخبار القبائل حتى صحَّ عنه أن ليس في قبائل إفريقية أكثر عدداً، ولا أشدَّ
شوكةً، ولا أصعب مراماً على السلطان، من كُتامة.

فلما تقرر ذلك عند، نهض نحو صاحبه الشيخ الكُتامي؛ فاشتري بغنة شهباء،
ودخل الطريق مع الرفقة حتى قرب من موضع الشيخ صاحبه؛ فعدل اليه^(١). ومرَّ
في الطريق بأنديرٍ واليفر فيه ندرس الزرع،^(٢) ورجل كهل من أهل كُتامة^(٣) جالس
فيه مع ابنه؛ فقرب منهما. وسلَّم عليهما. فقاما اليه، ورحبا به. ورغبا منه في التزول

١) عن الطريق A. ٢) كهل من كُتامة A. ٣) ٢-٢

عدها؛ فأجابهما الى ذلك؛ فأنزلوه وأكرموه. فقال الداعي للرجل: «ما اسم ولدك هذا؟» قال: «سَآم». قال: «وما اسمك انت؟» قال: «مُعَارِك». فقال في نفسه: «تمَّ أمرنا إن شاء الله، لكن بعد معارك!» ثمَّ أراد الداعي الانصراف؛ فصرفوه مع امرأة تدُّله على الطريق، لأنَّ الحرب كانت بينهم وبين بني عَمَّهم. فسار حتى نزل * في منزل من منازل كُتامة. فأتى المسجد، وفيه مُعَلِّمٌ يُعَلِّمُ الصبيان. فقام اليه المُعَلِّمُ، وسَلَّمَ عليه، وهو راكِبٌ على بغلته الشهباء⁽¹⁾؛ فجعل المُعَلِّمُ يُطِيلُ النظر اليه؛ فاستراب لذلك أبو عبد الله، ونزل عن الدابة، ودخل المسجد. ثمَّ دعا المُعَلِّمُ؛ فقال له: «لقد رأيتك تنظر الى كثيراً وإلى البغلة». فقال له: «ذلك لَسَبَبٍ أنا أقوله لك، وذلك أنَّه كان فيما تقدَّم رجلٌ من كُتامة كاهِنٌ، يُقال له فَيَلَتِي؛ وكان، إذا رأى تَفَاتُهم، يقول لهم: إنَّما ترون الحرب إذا جاءكم الرجلُ الشرقيُّ صاحبُ البغلة الشهباء. فلما رأيتك، تذكَّرتُ قوله». فلما وقر ذلك في سمعه، استبشر. وكان ذلك و⁽²⁾ الذي قبله من⁽²⁾ الفأل تنويعاً له على أمره،⁽³⁾ وزيادة إقدام، لولا هو، لم يقدر أن يتجاسر على شيء منه. فسبحان مُسَبِّبِ الأسباب⁽³⁾!

فسار أبو عبد الله الداعي حتى وافي منزل الشيخ صاحبه الكُتاتِي؛ فقصده الى المسجد⁽⁴⁾، ونزل به، وفيه مُعَلِّمٌ يُعَلِّمُ الصبيان، وعند أبناء الشيخ صاحبه. فلما حان وقت الظهر، أَدَّنَ المُعَلِّمُ؛ فسمع الشيخ الأذان، فخرج الى المسجد⁽⁴⁾؛ فرأى أبا عبد الله؛ فسَلَّمَ عليه، وعانقه. فلما أراد المُعَلِّمُ الدخول المحراب، أخره عنه الشيخ، وقدَّم أبا عبد الله الداعي. فلما انقضت الصلاة، قام معه الى منزله، وبالح في إكرامه، وتحدَّث معه الى أن حانت صلاة العصر؛ فخرج معه للصلاة. فاستراب مُعَلِّمُ الصبيان بذلك؛ فترك ذلك المسجد والتعليم فيه، وانصرف. وصار أبو عبد الله في ذلك المسجد يُصَلِّي ويُعَلِّمُ الصبيان. واجتهد

1) A. بغلة شهباء.

2-2) Manque dans B.

3-3) B. donne simplement:

ليَقْضَى اللهُ أَمْرًا كان مفعولاً.

4-4) Omis dans B.

في تعليم الأولاد، فجمعوا له أربعين ديناراً، وزاد عليها الشيخ، وأتى بها إلى أبي عبد الله؛ فدفعها له، واعتذر له من ذلك. فتركها أبو عبد الله أمامه، وردَّ يده إلى كيس كان معه، وصَبَّ منه خمسمائة دينار أمام الشيخ، وقال له: «لستُ بِمُعَلِّمِ الصِّبْيَانِ! إِنَّمَا الْأَمْرُ مَا أَخْبَرَكَ بِهِ! فَاسْمَعْ! إِنَّمَا *نَحْنُ أَنْصَارُ ١٢١. أَهْلِ الْبَيْتِ، وَقَدْ جَاءَتِ الرَّوَايَةُ فِيكُمْ يَا أَهْلَ كُتَامَةِ! إِنَّكُمْ أَنْصَارُنَا، وَالْمُقِيمُونَ لِدَوْلَتِنَا؛ وَإِنَّ اللَّهَ يُظْهِرُ بِكُمْ دِينَهُ، وَيُعِزُّ بِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ! وَإِنَّهُ سَيَكُونُ إِمَامٌ مِنْهُمْ أَنْصَارُهُ، وَالْبَازِلُونَ مُهْجَتَهُمْ دُونَهُ؛ وَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَفْتِحُ بِكُمْ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَيَكُونُ لَكُمْ أَجْرُكُمْ مُضَاعَفًا: فَيَجْتَمِعُ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!» فقال له الشيخ: «أَنَا أَرْغَبُ فِيهَا رَغْبَتِي فِيهِ، وَأَبْذُلُ فِيهِ مُهْجَتِي وَمَالِي، أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي؛ وَأَنَا أَطْوَعُ الْبَيْتَ مِنْ يَدِكَ: فَمُرْ بِمَا شِئْتَ، أَمْتَلْهُ!» فقال له: «ادْعُ الْخَاصَّةَ مِنْ بَنِي عَيْتِكَ، الْأَقْرَبَ فَلَا قَرَبَ!» فقال: «نعم!» فنظر الشيخ فيما قاله، وبيَّتَ دَعْوَتَهُ فِي أَقَارِبِهِ وَمَنْ يَخْتَصُّ بِهِ.

وجاء شهر رمضان. فقال أبو عبد الله للشيخ: «إِنَّ رَمَضَانَ قَدْ جَاءَ؛ وَمَذْهَبُنَا أَنَّهُ لَا تُصَلَّى التَّرَاوِيعُ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِنَّمَا سَنَّهَا عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَنَحْنُ نَطْوِلُ (١) الْقِرَاءَةَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَنَقْرَأُ بِالسُّورِ الطُّوَالِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ عِوَضًا عَنِ التَّرَاوِيعِ.» فقال له الشيخ: «أَنَا طَائِعٌ لَكَ. فَافْعَلْ مَا تُرِيدُ!» وبلغ خبرُ هذه الصَّلَاةِ وَلُغَمٍّ مِنْ أَخْبَارِ هَذَا الدَّاعِي إِلَى بَعْضِ مَنْ اتَّصَلَ بِمَنْزِلِ الشَّيْخِ وَبِأَخِيهِ. فَسَارَ أَخُو الشَّيْخِ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ وَهَذَا الْمَشْرِقِيُّ الَّذِي أَفْسَدَ دِينَكَ، وَغَيَّرَ مَذْهَبَكَ؟» فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «أَنَا أَدْعُوكَ لِلْأَمْرِ الَّذِي دَخَلْتُ فِيهِ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تَتَقَلَّدَ مَا تَقَلَّدْتُهُ، وَإِنَّمَا أَنْ لَا تَلْقَانِي بِلُغَمٍّ مَنْ قَدْ بَلَغَتْ خَيْرُهُ وَفَضْلُهُ وَدِينُهُ!» فَانصَرَفَ عَنْهُ أَخُوهُ مُغْضَبًا. وَانفَرَدَ الشَّيْخُ مَعَ سَائِرِ الْجَمَاعَةِ؛ فَوَصَفَ لَهُمْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، حَتَّى تَمَكَّنَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِهِمْ (٢). ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَيْهِمْ (٢)، وَقَالَ لَهُ: «كَلِّمَهُمْ! يَا أَبَا عَبْدِ

١) وَأَنَا أَطْوِلُ A. 2-2) Manque dans A., qui ajoute: في نفوسهم. وقد تقرر تعظيمه في نفوسهم.

الله!»، فكلمهم بلسانه، وقال لهم: «انتم أنصارُ أهل البيت وشيعته!» حتى خلب عقولهم بحلاوة لفظه. فلم يبرحوا حتى دخلوا في دعونه.

P. ١٢٢ ثم * إِنَّ أَخَا الشَّيْخِ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ، يَفْخُرُ عَلَيْهِ بِمُعَلِّمِ أَوْلَادِهِ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَيَطْلُبُ مُنَاطَرَتَهُمَا. فَتَوَاعَدُوا لِذَلِكَ. وَلَمَّا حَانَ الْوَعْدُ، جَاءَ أَخُو الشَّيْخِ بِمُعَلِّمِهِ وَأَبْنَائِهِ؛ وَبَلَغَ أَخَاهُ مَجِيئُهُ؛ فَأَتَى بِجَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ مِمَّنْ دَخَلَ فِي مَذْهَبِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا نَحْنُ اجْتَمَعْنَا. اضْرِبُوا انْتِمَ عَلَى قَبْطُونِ أَخِي كَأَنَّكُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ!» وَأَمَرَ جَمَاعَةً أُخْرَى؛ فَكَمَنْتَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ. فَبَيْنَمَا أَخُو الشَّيْخِ مَعَ مُعَلِّمِهِ وَأَوْلَادِهِ، إِذْ صَرَخَتْ صَارِخَةٌ مِنْ نَحْوِ قَبْطُونِهِ؛ فَأَسْرَعَ يَرْكُضُ إِلَى نَاحِيَّتِهِ؛ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الْكَمِينَ؛ فَخَبَطُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ، وَبَرَكُوهُ عَقِيرًا. وَبَلَغَ الشَّيْخَ خَيْرَ قَتْلِ أَخِيهِ. فَبَادَرَ كَأَنَّهُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَجَاءَهُ بَنُو عَمِّهِ يُعْزُونَهُ فِي أَخِيهِ؛ فَذُبِحَتِ الْبَقَرُ. وَصَنَعَ طَعَامًا لِنَفْسِ عَمِّهِ، وَنَعَى لَهُمُ أَخَاهُ،^١ وَأُحْتَالَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ^٢، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِفَ بِطَاعَةِ الدَّاعِي. فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَأَقَامَ هَذَا الشَّيْخُ فِي حَرْبٍ مَعَ قَوْمِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مَدَّةً مِنْ سَبْعَةِ أَعْوَامٍ، إِلَى أَنْ وُفِّدَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، جَمَعَ بَنِي عَمِّهِ وَقَرَابَتَهُ. وَقَالَ لَهُمْ: «أَوْصِيكُمْ بِهَذَا الرَّجُلِ أَلَّا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ!» وَأَوْصَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَقَضَى نَجْبَهُ. فَالْتَزَمَتْ كُنُفُهُ الطَّاعَةَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَدَخَلَتْ قِبَائِلُ كَثِيرَةٍ فِي دَعْوَتِهِ. فَصَبَّرَ لَهُمْ دَبْلَانًا، وَالزَّمَهُمُ الْعَسْكَرِيَّةَ. وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لَا أَدْعُوكُمْ لِنَفْسِي، وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ لَطَاعَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، الَّذِي صَفَّنَاهُ كَذَا وَكَذَا.» وَوَصَفَ لَهُمْ مِنْ كَرَامَاتِهِ مَا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ. فَكَانَتْ تَصْخُ عَنْهُمْ؛ وَيَقُولُ لَهُمْ: «هُوَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَا مُنْصَرِّفٌ بَيْنَ بَدْيِهِ إِذَا ظَوَّرَ!» يَعْنِي عَيْنُ اللَّهِ. وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهُ قَطُّ. وَإِنَّمَا يَسْمَعُ أَخْبَارَهُ مِنْ شَيْوخٍ^٢ الشَّيْعَةِ. وَكَانَ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ اعْتِقَادًا

1-1) Manque dans B. 2) ملوك B.

صحيحاً، لا مِرْيَةَ فيه، الى أن صنا له أمرُ البربر؛ فارل * الحواضر، وهم ١٢٤ مَلِكُ إفريقية، وانزعها من يديه.

وفي سنة ٢٨١، أمر إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية ميموناً الحبشي^(١) أن يسير الى تونس، فيقتل بها جماعة من بني تميم وغيرهم؛ فقتلوا وصلبوا على بابها. فوفد أكابر أهل تونس مع ميمون الحبشي^(٢)؛ فكسا السلطان ميموناً الخنز والوشى والديباج، وطوّقه بالذهب، وحمله على فرس، وصرفه الى تونس من غده. وفيها خرج السلطان إبراهيم بن الأغلب الى تونس، لثمان خلون من رجب؛ فاستوطنها.

وفي سنة ٢٨٢، انعقد الصلح بين أهل صِفْلِيَّة والروم لأربعين شهراً، على إخراج ألف أسير من المسلمين، وعلى أن تكون عندهم رهائن الإسلام في كل ثلاثة أشهر ثلاثة^(٣) من العرب وثلاثة من البربر. وفيها قدّم إبراهيم بن الأغلب بنيه على بلاد إفريقية.

وفي سنة ٢٨٣، رجع إبراهيم بن أحمد من تونس الى رَقَادَة. وخرج أبو منصور أحمد بن إبراهيم الى إطرابلس. وخرج أبو بحر بن أدّهم الى مصر. وفيها كانت وقعة نفوسة؛ وذلك أنّ إبراهيم بن أحمد اعترضته نفوسة بين قايس وإطرابلس، ومنعته الجواز؛ وكانوا في زهاء عشرين ألف رجل، لا فارس معهم. فناصرهم الحرب، وقاتلوه قتالاً شديداً حتى هزموه، وقتلوا أكثرهم. ثم نادى الى مدينة إطرابلس؛ فقتلوا بها أبا العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب، وكان أديباً ظريفاً، له تواليف؛ وسبّ قتله أنّ المعتضد بالله العباسي كتب الى إبراهيم بن أحمد يُعَنِّفه على جوره وسوء فعله بأهل تونس، ويقول له: «إن انتهيت عن أخلاقك هذه، وإلا، فسليم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله!» ثم نهض من إطرابلس الى ناوَرْغا؛ فقتل بها خمسة عشر رجلاً، وأمر بطبخ رؤوسهم، مظهرًا أنّه يريد أكلها، هو ومن معه من

١-١) A. الحبشي.

2) Manque dans A.

رجاله؛ فارتاع أهل العسكر منه، وقالوا: «قد خُوِطَ!» فانفضَّ الناسُ عنه P. ١٢٤ فلما رأى ذلك، * خشي أن يبقى وحده. فرجع الى تونس؛ فجعل عقوبة من انفضَّ عنه غُرْمَ ثلاثين ديناراً؛ فسَيَّ غُرْمَ الهاريين.

وفي سنة ٢٨٤، كانت وقعة بفسوسة لأبي العباس بن إبراهيم؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر منهم نحو ثلاثمائة. فلما وصل بهم الى والد إبراهيم بن أحمد، دعا بهم. فقترب اليه شيخ منهم؛ فقال له إبراهيم: «أتعرف علي بن أبي طالب؟» فقال له: «لعنك الله! يا إبراهيم، على ظلمك وقتلك!» فذبحه إبراهيم، وشقَّ عن قلبه، وأخرجه بيده، وأمر أن يُفعلَ ببقية الأسارى كذلك، حتى أتى على آخرهم، ونُظِمَتْ قلوبهم في حبال، ونُصِبَتْ على باب تونس

قصة ابن الأغلب مع الشيخ الصالح أبي الأحوص

وذلك أنَّ أبا الأحوص أحمد بن عبد الله المكفوف^١ المتعبد، من أهل سوسة، كان زاهداً ورعاً. فلما أكثر إبراهيم بن أحمد الجور والقتل، دعا رجلاً من أهل سوسة، وأملى عليه رسالة الى إبراهيم، كان في فصل منها: «يا فاسق! يا جائراً! يا خائن! قد حدثت عن شرائع الإسلام! وعن قريب تُعابن مَقْعَدَكَ من جهنم، وسترد، فتعلم!» وبعث به اليه. فلما قرأه، غضب وبعث الى أبي الأحوص من قال له: «عذرناك لفضلك ودينك! ولاكن ابعث الى الذي كتب الكتاب. وبالله لئن لم تفعل، لأقتلن فيه من أهل سوسة كذا وكذا، ويكون إثمُ ذلك في عنقك!» فقال أبو الأحوص للرسول: «قل له: لئن قتلت ألفاً، لا يكون إثمهم إلا عليك! ولو عمِلْتَ ما عمِلْتَ، ما أعلمتُك بالرجل. فتبَّ الى خالفك، وأرجع عن جورك!» فأمسكه الله عنه^٢، ومات أبو الأحوص في هذه السنة.

وفي سنة ٢٨٥، كانت فتنة بصفليّة، بين عربها وبربرها؛ وفي خلال ذلك،

١) A. المكنوفى B. Manque dans B.

٢) A. فامسك عنه

وردت كُتُب ابن الأَغلَب يدعوهم الى الرجوع للطاعة، ويؤمِّنهم أجمعين، حاشى
أبا الحسن * بن يزيد وولديه والحَضَرى؛ فنقبض عليهم، وبعث بهم الى ان ١٢٥. ١.
الأَغلَب. فأما أبو الحسن، فإنه تناول سماً، فمات من ساعته. وصُلِبَ جُثَّتُهُ.
وقُتل ولداه. وجعل إبراهيم من يَضاحك الحَضَرى ويُهزله؛ فقال له: «ليس
هذا وَقْتَ هَزَل!» وأمر به؛ فقتل بالمقارع بين يديه

وفي سنة ٢٨٦، سخط إبراهيم بن الأَغلَب على جماعة من فتيانه وقتلهم.
وفيها، كانت وقعة بين أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأَغلَب وبين
بنى بَلطَيط بيسكرة؛ ففرَّق جموعهم، وقتل عدداً كثيراً منهم، وأصلح ما كان
الناث هنالك.

وفي سنة ٢٨٧، كانت بِصِفَلِيَّة مَلْحَمَةٌ كَبِيرَةٌ: وذلك أَنَّ أبا العباس عبد
الله بن إبراهيم بن أحمد أخرجه أبوه بالأسطول مُصْلِحاً لها؛ فأسرع الى بَلَرَم
يُومِن أهلها. فأناه قاضياً في جماعة من أهلها؛ فحبسهم عند نفسه وصرف الفاضى.
ثمَّ وجَّه اليهم ثمانية مشايخ من أهل إفريقية؛ فحبسهم مكافأةً لفعله في مشايخهم.
ثمَّ زحفوا اليه وحاربوه؛ فانهمزموا. وقتل منهم عددٌ كثيرٌ ودُقَّت لهم سُنُنٌ. وتنادت
هزيمتهم الى بَلَرَم. ثمَّ زحف اليهم، فحاربهم على باب بَلَرَم، وقتل منهم عدداً
كثيراً؛ وطلبوه بالأمان؛ فأمنهم. ودخلها لعشر بقين من رمضان من السنة.

وفي سنة ٢٨٨، أخرج إبراهيم بن أحمد وله أبا عبد الله في جيش كثير
الى الزاب. وفيها. أغزى أبو العباس صاحبُ صِفَلِيَّة؛ فدخل مدينة رُبَّة^١ عنوةً،
وغنم فيها غنائم كثيرة؛ واستأمنت له حصون، وأعطوه الجزية.

وفي سنة ٢٨٩، أظهر صاحبُ إفريقية إبراهيم بن أحمد التوبة لما استقام
أمر أبي عبد الله الداعى بكنامة. فأراد إبراهيم بن أحمد أَنْ يُرَضِيَ العامة،
ويستميل قلوب الخاصة بفعله؛ فردَّ المظالم، وأسقط القبالات، وأخذ
العُشْرَ طعاماً؛ وترك لأهل الضياع * خراجَ سنة، وسماها سنة العدل؛ ١٢٦

١) A. et B. رُبَّة. Correction proposée par Amari et suivie par Dozy (Reggio).

وَأَعْنَى ¹⁾ مَالِيكِهِ، وَأَعْطَى فُقَهَاءَ الْفَيْرَوَانِ وَوُجُوهَ أَهْلِهَا أَمْوَالًا عَظِيمَةً لِيُفَرِّقُوهَا فِي الضَّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ فَاسْتَوْكَلَتْ وَأُعْطِيَتْ مِنْ لَا يَسْتَحْفُهَا، وَأُنْفَقَتْ فِي اللَّذَاتِ، وَصُرِفَتْ فِي الشَّهَوَاتِ. وَقَدِيمٌ وَلَدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ صِغْلِيَّةٍ مُسْتَدْعَى؛ نَأْسَلُ إِلَيْهِ أَبُوهُ الْمُلْكُ؛ فَوَلَّى أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى الْكُورِ مِنْ أَحَبِّ.

وَمِنْ أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ عَلَى الْجُمْلَةِ وَوَفَاتِهِ

كَانَ مَوْلَدُهُ يَوْمَ الْأَضْحَى سَنَةَ ٢٢٧²⁾. وَتَوَفَّى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الْمَوْخِذَةِ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَسَبَقَ مَيِّتًا إِلَى جَزِيرَةِ صِغْلِيَّةٍ؛ فَدُفِنَ بِهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ مَوْتِهِ. وَكَانَ عُمُرُهُ اِثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ ³⁾ سَنَةً، وَمُدَّةُ وِلَايَتِهِ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَاِثْنَيْ عَشْرَةَ يَوْمًا. وَأَقَامَ فِي أَوَّلِ وِلَايَتِهِ سَبْعَةً ⁴⁾ أَعْوَامٍ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُ مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ وَحَمِيدِ الْأَفْعَالِ. ثُمَّ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ، وَأَخَذَ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ. ثُمَّ صَارَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَزِيدَادُ تَغْيِيرًا وَسُوءَ حَالٍ. ثُمَّ اشْتَدَّ نَكَادُهُ ⁵⁾؛ فَأَخَذَ فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ وَحُجَّابِهِ، حَتَّى أَنَّهُ قَتَلَ ابْنَهُ الْمُكَنَّى بِأَبِي الْأَغْلَبِ، وَقَتَلَ بَنَاتِهِ وَأَتَى بِأُمُورٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ. وَكَانَ كَثِيرَ الْمَلَلِ، شَدِيدَ الْحَسَدِ. وَكَانَتْ لَهُ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ سِيرَةٌ حَسَنَةٌ، وَأَفْعَالٌ مَحْمُودَةٌ؛ ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ خِلَاطُ سَوْدَاوِيٍّ؛ فَتَغَيَّرَ، وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ كَمَا ذَكَرْنَا. فَقِيلَ إِنَّهُ افْتَقَدَ مَنَدِيلًا صَغِيرًا، كَانَ يَسْجُ بِهِ فَمَهْ، وَكَانَ سَقَطٌ مِنْ يَدِ بَعْضِ جَوَارِيهِ؛ فَأَصَابَهُ خَادِمٌ لَهُ، فَقَتَلَ بِسَبِيهِ ثَلَاثَةَ خَادِمٍ. وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ لَوْلَا ظَنُّ مَنْ بِهِ؛ فَضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا. وَقَتَلَ إِخْوَتَهُ ثَمَانِيَةً؛ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَكَانَتْ أُمُّهُ * إِذَا وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ، أَخَفَّتْهَا وَرَبَّتْهَا، لئَلَّا يَقْتُلَهَا، حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهَا مِنْهُمْ سِتُّ عَشْرَةَ جَارِيَةً، كَانَتْهُنَّ الْبُدُورُ؛ فَقَالَتْ لَهُ

1) B. وَأَعْنَى. 2) A. et B. ٢٣٠, ce qui n'est pas possible: Ibrahim mourut

en 289 à l'âge de 52 ans, ainsi qu'il est dit un peu plus bas. 3) A. وَأَرْبَعِينَ (sic).

4) A. سِتَّة. 5) A. نَكَرَهُ.

يوماً، وقد رأت منه رِقَّةً: «يا سيدي، قد ربيتُ لك وصائف ملاحاً، وأحبُّ أن تراهنَّ.» قال: «نعم.» فلما رآهنَّ، قالت له: «هذي بنتُك من فلانة، وهذي بنتُك من فلانة!» حتَّى عدَّتهُنَّ. فلما خرج من عند أمِّه، قال لخدم له أسود: «امضي اليهنَّ وجئني برووسهنَّ.» فوقف، استعظماً لذلك. فقال له: «امضي وإلاَّ قدَّمْتُك قبالهنَّ!» فلما دخل على أمِّه، كبر ذلك عليها، وعظَّم في قلبها، وقالت له: «راجعهُ!» فقال لها: «لا سبيل إلى ذلك!» فقتلهنَّ وأخذ رووسهنَّ، وجاء بها إليه معلَّقة بشعورهنَّ؛ فطرحها بين يديه - قبَّحه الله! - وأدخل كثيراً من فتيانه الحمام وأغلق عليهم باب البيت السُّخْن؛ فاسلوا فيه جميعاً. وأخباره كثيرة في هذا المعنى؛ ذكرها الرِّفِيق وغيره.

وفي سنة ٢٨٩ المذكورة، استرجع أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد المال الذي أخرجه أبوه إلى الفقهاء ووجود الناس ليُفَرِّقوه في المساكن؛ فرجع معظَّمه، وقال لمشايخ إفریقیة: «اغتنمتم الفرصة في المال لمرَضِ الأمير» أبي، ومغيبى عنه! وفيها، شَخَصَ أبو عبد الله الأحولُ بن أبي العباس إلى مدينة طَبْنَة إلى مُحاربة الشيعي. وفيها، تساقطت النجوم لثمان بقين من ذى القعدة؛ فسُمِّيَت السنة سنة النجوم؛ فهذه السنة ثلاثة أسماء: سنة العُدُل، وسنة الجَوَر (سمّاها العامة بذلك)، وسنة النجوم.

وفي سنة ٢٩٠، كتب أبو العباس بن إبراهيم إلى العُمال ليأخذوا له البيعة، لأنَّ أباه فَوَّضَ إليه، ونحَلَّ له عن الملك، واشتغل بالعبادة؛ وذلك قبل أن يبلغه وفاة أبيه.

١٢٨ * ولاية أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد وسيرته

وذلك أنَّه أظهر النفسُف. والجلوس على الأرض، وإنصافَ المظلوم؛ وجالسَ أهل العلم. وشاورهم. وكان لا يركب إلاَّ إلى الجامع؛ فقال قوم: «إنَّ

أهل النجوم أمروه بذلك!» وقال قوم: «به وسوسة!» وكتب الى ابنه زيادة الله، يستحثه في القدوم عليه من صفائية، لأنه وشى به اليه أنه يريد الانتزاء عليه. فقدم زيادة الله على أبيه لعشر بقين من جمادى الأخيرة؛ فقبض أبو العباس ما كان معه من الأموال والعُدَّة، وحبس زيادة الله في بيت داخل داره، وحبس ناساً من أصحابه.

مقتل أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد

قُتل يوم الأربعاء، ليوم بقى من شعبان؛ فكانت ولايته بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً، ومن يوم أفضى اليه أبوه الأمر سنة واثني وخمسون يوماً. وكان قتله على ما أُرُصُّه: وذلك أنه خرج من الحمام الى دار خالتيه، واستلقى على سرير خنزران. ووضع تحت رأسه سيفاً، ونام بعد أن أخرج كل من كان في الدار غير فتيتين كان يشقُ بهما. فلما نام، تأمرا على قتله وقالوا: «هذه فرصة في تقديم اليد عند زيادة الله! فنطقتُه من أسره، ونسرح من أبيه. وبلى مكانه، ونفوز بالحطوة عنه.» فتقدم أحدهما، فاستلَّ السيف الذي كان تحت رأسه، وضربه به ضربة قطع عنقه ولحيته، حتى نفذ الى السرير. ومضى الفتى الآخر الى ناحية من الدار؛ فارفق الحائط، ونفذ الى زيادة الله، وأعلمه P. 129 أن أباه قُتل؛ فظن⁽¹⁾ أنها مكيدة عليه. فقال له: «إن كنت صادقاً، فأرني الرأس!» فانصرف مُسرِعاً، وروى اليه بالرأس⁽²⁾ فعند ذلك صدَّقه⁽²⁾.

ولاية زيادة الله بن أبي العباس عند الله

ابن إبراهيم بن أدهم بن الأغلب

وذلك أن زيادة الله، لما صحَّ عنه قتل أبيه، ورأى الرأس بين يديه،

1) Ici débute le fragment de 'Arib (ms. de Gotha) utilisé par Dozy.

2-2) Manque dans B.

كسر قيوده، وبأدَرَ خوفاً أن يَشْعُرَ بالأمر أحد من أَعِامِهِ، فَبَسِيفَهُ^(١). فلما صار زيادة الله في الدار، أرسل في عبد الله بن الصائغ وفي أبي مُسْلِمٍ منصور بن إسماعيل، (وهما ممن كان سجين معه نهمته^(٢)) وفي عبد الله بن أبي طالب. فلما دخلوا عليه، قال لهم: «انظروا لي ولأنفسكم!» فقالوا له: «أُرْسِلْ في أَعِامِكَ على لسان أبيك، وفي وجوه الرجال والقواد». فأرسل فيهم، ودفع اليهم الصلّات، وأخذ عليهم البيعة، وأمر أن يُنَادَى بتوُس: «من كان هاهنا من الجند، فَلْيُصَوِّفِ باب الأمير!» فركبوا بأسلحتهم. فأمر بإدخالهم واحداً واحداً: يدخل الرجل، فيبايع، ويُعطى خمسين مثقالاً. ففعل ذلك بالوجوه. وكتب ذلك اليوم كتاب بيعته؛ فقرأ بتوُس على منبر جامعها []. وأخذت له البيعة على العامة بها. وكتب إلى العُمّال * (بالبلاد) بأن يأخذوا له البيعة على ١٢٠ من قِبَلِهِمْ. فلما قرب العشاء، نُودِيَ في الجند: «أصبحوا لأخذ عطياتكم!» ومطلّ غومته^(٣) بالانصراف [عنه] إلى الليل. ثمّ آكلهم أجمعين، وأدخلهم في شينى^(٤)، ووكل بهم ثِقَاتَهُ، وأمرهم أن يعضوا بهم إلى جزيرة الكُفْرَاث، وهي على اثني عشر ميلاً من مدينة توُس؛ فضربت هناك رقابهم، ليلة السبت لثلاث خلون لرمضان. وأصبح الجند والموالي من غد ذلك اليوم لأخذ الصلّات. فلما مضى صدر من النهار، قيل لهم: «انصرفوا! فإنه يوم شغل!» ثمّ أتوا^(٥) من الغد؛ فدفعوا. فلم يزالوا يترددون إلى أن^(٦) بردت قلوبهم وملوا الاختلاف^(٦). ولما كمل الأمر لزيادة الله، دعا بالفتيين الذين قتلوا أباه. فأمر بهما؛ فقطعت أيديهما وأرجلهما، وصلبا على باب القيروان وباب الجزيرة من

1) A. فيبدره.

2) A l'exemple de Dozy, on signalera entre parenthèses () les passages du *Bayan* qui ne figurent pas dans le ms. de 'Arib; entre crochets [] les passages importants de 'Arib qui ne figurent pas dans les mss. du *Bayan*. Le ms. de Gotha sera signalé dans les notes de l'appareil critique par l'initiale G.

3) A. et B.: وأمر غومه.

4) A. et B.: شيطي.

5-5) G.

في اليوم الثالث؛ فاعتذر اليهم ودفعوا إلى الغد حتى

6) B. برئسوا.

أبواب تونس. وقتل أيضاً زيادة الله عمه أبا الأغلب الزاهد الساكن بسوسة^(١)
^(٢) وقتل أخاه أبا عبد الله الأحول، بعد أن استقدمه من طَبْنَة^(٢).

وولي زيادة الله الوزارة [والبريد] عبد الله بن الصائغ؛ [وولي أبا مسلم
 منصور بن إسماعيل ديوان الخراج]؛ وولي قضاء القيروان حمّاس^(٣) بن مروان
 ابن سَمَاك الهمداني، وكان [ورعاً]، عالماً بمذهب مالك [وأصحابه]؛ فعدل في
 أحكامه، ولم يكن يهيب أحداً في ولايته [ونظره]. وفيها، مات محمد بن محمد بن
 النّرج البغدادي، مولى بني هاشم، وكانت له عناية وطلب؛ ومات محمد بن أبي
 ١٣١. ١. * المنهال، وكانت له رئاسة بإفريقية. وفيها، قُتل ابن القياد إذ اتهمه زيادة
 الله بأنه أشار على أبيه بأدبه وحبسه. وفيها، مات حسين بن محمد بن سليمان،
 وكان ثقة في الحديث والرواية، وسمع أبوه من سفيان بن عيينة.

وفي هذه السنة، أُسِّسَتْ مدينة وهران، على يد محمد بن أبي عون بن
 عبدون^(٤) وجماعة من الأندلسيين.

[وفيها، مات علي بن الهيثم المحدث، وإبراهيم بن عثمان القرشي التونسي،
 وكانا من أهل الرواية والعلم.]

وفي سنة ٢٩١، ولي^(٥) محمد بن زيادة الله العهد، وأخذت البيعة له
 بذلك^(٥). [وفيها، قُتل هذيل النّظي، صاحب ديوان الخراج؛ وقُتل ابن المنبت
 الملقب بالعجل. وفيها، توفي محمد بن زُرْزُور الفقيه الفارسي، وكان على مذهب
 أبي حنيفة، وكان حافظاً لبيباً، ونظر في النجوم والحساب، وخُوطب في عقله؛
 فكان إذا قيل له: «يا زوانغي!» يهيج وينشط.] وولي علي بن أبي الفوارس

وبعث فتوحاً الرومي في خمسين فارساً إلى أخيه G. (2-2) في مدينة سوسة G. 1)
 أبي عبد الله الأحول؛ فأقبل به إلى زيادة الله؛ فقتله وقت وصوله إليه.

3) Orthographe fournie par Abu l-'Arab, *Tubakūt*, éd. Bencheneb, p. ١٥٣.

4) G. عبدوس.

5-5) G. زيادة الله ابنه محمد العهد، وكتب إلى العمال باخذ البيعة له.

[الشمسي] عمالة الفيروان؛^(١) ثم عُزل عنها، ووليها أحمد بن مسرور. وولي إبراهيم بن حبشي الشمسي قتال أبي عبد الله الشيعي^(٢).

[وفيها، مات أبو جعفر أحمد بن داود الصواف، مولى ربيعة؛ وكان فاضلاً، من رجال سحنون؛ وكان في حديثه يقول الشعر؛ ثم تركه. وفيها، خرج الحسن بن حاتم إلى العراق رسلاً من عند زيادة الله بهدانا وطُرف]. وولي الحسن بن أبي العيش بن إدريس بن محمد* بن سليمان بن عبد الله بن حسن P. ١٢٢ [ابن الحسن] بن علي بن أبي طالب (- رضى -) عمل جراحة لوفاة أبيه أبي العيش. ورفع^(٢) زيادة الله فقهاء إفريقية إلى مدينة تونس. مستظهِراً بهم على أبي عبد الله الشيعي؛ [فاجتمعوا عند عبد الله بن الصائغ صاحب البريد]، وتفاوضوا^(٣) في أمره؛ وقال لهم ابن الصائغ: «إِنَّ الأمير يقول (لكم) : هذا الصنعاني الخارج علينا مع كُتامة يلعن أبا بكر وعمر - رضىهما - - ويزعم أَنَّ أصحاب النبي - صائم - ارتدوا بعده^(٤). وَيُسَوِّى أَصْحَابَهُ: الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَخَالِفُهُ فِي مَذْهَبِهِ: الْكَافِرِينَ، أَوْ يَبِيحُ دَمَ مَنْ خَالَفَ رَأْيَهُ!» فإظهار الفقهاء لعنه والبراءة منه، وحرّضوا الناس على قتاله، وأفتوهم بهجاءه. (وأرسل زيادة الله هديةً للعباسي، فيها عشرة آلاف مثقال، في كلِّ مثقال منها عشرة مثاقيل، وكتب في كلِّ مثقال هذين البيتين [كامل]:

يا سائراً نَحْوَ الْخَلِيفَةِ قُلْ لَهُ أَنْ قَدْ كَفَاكَ اللَّهُ أَمْرَكَ كُلَّهُ

بزيادة الله بن عبد الله سَيِّفُ اللَّهِ مِنْ دُونِ الْخَلِيفَةِ سَلُّهُ

وفي سنة ٢٩٢، [قدم أبو مسلم منصور بن إسماعيل بن يونس لإصلاح

وبرز إبراهيم بن حبشي بن عمر الشمسي من الأربس لقتال أبي عبد الله الشيعي. G. 1-1
في جيش عظيم من أجداد إفريقية. ذُكر أَنَّ فيه أربعين ألف مقاتل؛ ثم عُزل علي بن أبي الفوارس عن عمالة الفيروان ووليها أحمد بن مسرور الخال.

2) A. et B. وجمع. 3) G. وتفاوضوا. 4) A. et B. ajoutent: ! ولعن من يلعنهما !

5) A. et B. ajoutent: ! لعن الله من استنقصهم !

مدينة رَقَادَة، ورفع ما وهى فيها؛ وأنشأ مركباً على ماجل القَيْرَوَان، وسُمِّي الزَّلَاج. وقدم زيادة الله من تونس في شهر ربيع الآخر؛ فنزل على الماغل الكبير بالقَيْرَوَان. وفيها، ضُرب الخَالُ وطُوف بمدينة القَيْرَوَان مخشياً على بغل بياكاف. P. ١٢٣ وفيها، ظهر النجم * ذو الذَوَابَةِ في الجَدَى بجهة الشمال، بقرب بنات نعش، وذلك في رجب. وفيها] كانت ^(١) وقعة على عسكر السلطان ^(٢)؛ وذلك أَنَّ أبا عبد الله (الداعي). لما علم بخروج العسكر اليه، [وكترة من معه من وجوه الرجال وأنجاد العرب والموالي، وما معه من العُدَّة والآلات الحرب، ارتاع لذلك، وأخذ في] حشد كُتامة؛ وكان حشده بغير ديوان، إِنَّمَا (كان) يكتب الى رؤساء القبائل؛ فيحشدون من يَليهم ^(٣)، طاعة له ورغبة فيه. وكان لا يريد في كتابه اليهم على أَن يقول: «(إِنَّ) الوعد يوم كذا في موضع كذا!» وَيَصْرُخ صارخ بين يديه: «حرام على من تخلف!» فلا يتخلف [عنه] أَحَدٌ من كُتامة؛ فاجتمع له منهم ما لا يُحصى [كثرة]. وتأهب لملاقاة إبراهيم بن حبشي؛ فالتقى مع إبراهيم بن حبشي أمير العسكر بَكِينُونَة ^(٣). فكانت بينهما ماحمة عظيمة، تطاعنوا [فيها] بالرماح حتى تخطمت، وتجالدوا بالسيوف حتى تقطعت، [من أول النهار الى آخره]. ثم انهزم إبراهيم، ووقع القتل في أصحابه؛ فذهب كثيرٌ منهم، ونجا باقهم [في ظلمة الليل] واشتغلت [عنهم] كُتامة بالغنيمة والأموال والسلاح والسروج واللُجُم وضروب الأمتعة. وهى أولُ غنيمة أصابها الشيعي وأصحابه؛ فلبسوا أثواب الحرير، وتقلدوا السيوف المحلاة، وركبوا بسروج النضّة واللُجُم المذهبة؛ [وكثر * عندهم السلاح]؛ فشرفت أنفسهم، وتحققت آمالهم، وصحَّ عندهم ما كان الشيعي يَعِدُّهم به (من النصر)، [وييسر لهم الآمال فيه من التأييد لهم والنصر والغلبة لعدوهم]. ووقع الوَفَى على أهل إفريقية، وداخلهم [الوهن و] الحُزْز.

١-٢) G.: وفيه كونة بين أبي عبد الله الشيعي وإبراهيم بن حبشي بن عمر التميمي.

٢) A. et B. اليهم.

٣) Leçon fournie par A. et B. (vocalisation). G. écrit كونة.

وكتب أبو عبد الله الداعي إلى عبيد الله (الشيعي)، وهو [يومئذ] بسجلماسة،
 (١) يُعَلِّمه بالفنح (١)، ووجه إليه بمال كثير (٢) [مع قوم من أهل كُتامة سرًّا].
 وذكر رجل من بني هاشم بن عبد المطلب، يُسمى بأحمد بن محمد بن عبد
 الله بن جعفر بن عبد الله بن علي بن زيد بن ركانة بن عبدون بن هاشم،
 كان مع عبيد الله بسجلماسة، قال: «وصلني عبيد الله بمال كثير من دنائير لا
 يوجد في ذلك البلد؛ فكثرت نِعْجِي منها. فلما رأى متى ذلك، وعلم متى ما
 أوجب نِفْتَه بي واستنامته إلى، قرأ على كتاب أبي عبد الله بالفنح، وأمرني
 بكتان الخبز، وألا أُبدل حالتي الأولى، ولا أُغَيِّر حليتي وملبسي؛ وقال لي:
 «إِنَّ علينا عيوناً ورُقباء؛ فلا يَطْلَعُوا مِنَّا على تبدل حال، واستفادة مال!»
 وفيها، مات أبو سهل فُرات بن محمد العبدِيُّ الفقيه، سمع من سَخَنُون. وعبد
 الله بن أبي حَسَّان، وموسى بن معاوية، وغيرهم بإفريقية، ورحل إلى المشرق؛
 فسمع من رؤساء أصحاب مالك؛ وله لسانٌ طويلٌ، ومعرفةٌ بالأنساب؛ وكان
 أعلم الناس بالناس، وأوقع الناس في الناس، حتَّى نُسب إلى الكذب. وفيها،
 ولد محمد بن يوسف الوراق بالقيروان (٣).

وفي سنة ٢٩٢، [أخرج زيادة الله بن عبد الله * بن الأغلب جيشاً إلى ١٢٥
 الأُرْس، لمحاربة أبي عبد الله الشيعي، وولى عليه مُدْلِج بن زَكْرِيَّا، وأحمد
 ابن مسرور الخال؛ فخالفا عليه يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأخيرة،
 ووافيا بالعسكر مدينة القيروان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى
 الأخيرة؛ فخرج إليهما الغوغاء من القيروان، ودافعوها. وكبى بِمُدْلِج فرسه؛ فقتل
 من ساعته، وقتل معه ابن بربر (٤)، وصلبا على باب رَقَّادة. وقد كان زيادة

١-٢) G. هذه الوقعة ومنع ما قتل فيها من الرجال وأصاب فيها من الأموال.

٢) A. et B. omettent tout le récit qui suit jusqu'à l'année 293 et ajoutent seulement: «سَرَّ عبيد الله ذلك ولم يُسَيِّرْ إِلَّا مَنْ وثق بكتمانِه عليه».

٣) G. بربر (sans points diacritiques).

الله برز لقتال مدلج، حتى أتاه الخبر بقتل العانة له؛ فكتب بذلك فتناً قرئ بالفيروان وأعمالها. وكان سبب خلافه على زيادة الله أنه حكم عليه في منية له كانت تُعرف بالجليدية، وسجل عليه فيها القاضي حماس بن مروان؛ فاضطغن ذلك، وجعله سبباً الى الخلاف عليه.

وفيها، ورد كتاب المكنى بالله، يحث أهل إفريقية على نصرته زيادة الله، ومحاربة الشيعي. وقرئ كتابه على الناس. وفيها، كسفت الشمس كلها، وصلى القاضي حماس بن مروان بالناس صلاة الكسوف في الجامع. وفيها [خرج زيادة الله [بن عبد الله] الى [مدينة] الأرس؛ [فتزل بغريبها، واجتمعت اليه عساكر كثيرة]، وأعطى بها الأموال جُزافاً بالصحاف، كيلاً بلا وزن، لكل رجل صفقة توضع له في كسائه دنائير [وبجمل على فرس]؛ ثم يخرج (الرجل)، فلا يرى بعدها. فأنفق فيها أموالاً جسيمة، وبذل مجهوده في الإحسان الى الرجال. (والشيعي مع ذلك يزيد ظهوراً). [ووجه عساكر الى باغية، وشك مدينة طنبنة وشحنها بالرجال، وقدم عليها حاجبه أبا المقارع حسن بن أحمد بن نافذ مع شبيب بن أبي شداد القمودي وخفاجة العبسي؛ وكانوا من أهل البسالة، وأمرهم بشن الغارات على كُتامة؛ فكانت بينهم وقائع، قُتل فيها كثير من الفريقيين.

وفيها، ولي قضاء مدينة رقادة محمد بن عبد الله المعروف بابن جبال¹؛ وكان مولى لبني أمية، ولم يكن عنده علم ولا ورع، وإنما عني به عبد الله بن الصائغ؛ وكانت فيه غفلة شديدة وضعف؛ وقيل إنه باع نفسه في حديثه من تين أيام الشدة؛ ثم أثبت بعد ذلك حرّيته، وانطلق. وشهدت عنه بيّنة بأن امرأة وكلت ولدها؛ فقال لهم: «وكلتته وهي بالغ؟» قالوا له: «هو ابنها! أصلحك الله! فكيف لا تكون بالغاً!» وضحكوا عليه؛ فاستحى.

1) G.: جبال. La véritable orthographe est fournie par Abu l-Arab, *Ṭabaḥūt*, p. 197.

وفيها، قدم أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي المتطّيبُ على زيادة الله من المشرق مع أبي الحسن بن حاتم؛ فوصل إليه وهو بالأُرُس. قال إسحاق: «فدخلتُ على زيادة الله ساعة وصولي، ورأيتُ مجلسه قليلَ الوُفَار، كثيرَ اللّهُو. فابتدأني بالكلام ابن حَبِيش المعروف باليوناني؛ فقال لي: «تقول إنّ الملوحة تَحْلُو؟» فقلت له: «نعم!» قال: «وتقول إنّ الحلاوة تَحْلُو؟» قلت له: «نعم!» فقال لي: «فالحلاوة هي الملوحة، والملوحة هي الحلاوة!» فقلت له: «إنّ الحلاوة تَحْلُو بلطافة وملائمة، والملوحة تَحْلُو بعنف وقوّة.» فتبادى على المُكَابرة في ذلك، حتّى قلت له: «تقول إنّك حتّى والكلب حتّى؟» قال: «نعم!» قلت له: «فانت الكلبُ والكلبُ أنت!» فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً. قال: فعلتُ أنّ رغبته في الهزل أكثر من رغبته في الجدّ.» [

وفي هذه السنة، تغلّب أبو عبد الله الداعي على مدينة بَلَزْمَة وعلى [مدينة] طَبْنَة، ودخلهما بالأمان في آخر ذي الحِجّة، وبها أبو المقارِع، [حسن بن أحمد] وإلى زيادة الله وعامله عليهما [مع صاحبيه المذكورين قَبْلَ هذا. وكان بهما جُبَاةٌ على ضروب المَغَارِم]؛ فأتوه بما في أيديهم من الجباية؛ * فقال لأحدهم: P. ١٢٧ «من أين جمعتَ هذا المال؟» فقال له: «من العُشُر.» [فقال أبو عبد الله: «إنّما العُشُرُ حُبُوبٌ، وهذا عَيْنٌ!» ثمّ قال لقوم من ثِقَات طَبْنَة: «اذهبوا بهذا المال، فليُرَدَّ على كلّ رجل ما أُخِذَ منه، وأعلموا الناس أنّهم أُمّنَاهُ على ما يخرج الله لهم من أرضهم؛ وسنّةُ العُشُورِ معروفة في أخذهِ وتفرّقهِ، على ما ينصّه كتاب الله - عز وجلّ!» ثمّ قال لآخر: «من أين هذا المال الذي بيدك؟» قال: «جَبَيْتُهُ من اليهود والنصارى جزيةً عن حَوْلٍ مضى لهم.» فقال: «وكيف أخذته عينا، وإنّما كان يأخذ رسول الله - صلّم - من المَلِكِ ثمانية وأربعين درهماً، ومن المتوسّط أربعة وعشرين درهماً، ومن الفقير اثني عشر درهماً!» فقال له: «أخذتُ العَيْنَ عن الدراهم بالصرف الذي كان يأخذهُ عمَر - رحمه الله! -» فقال أبو عبد الله: «هذا مالٌ طَيِّبٌ!» ثمّ أمر أحد الدعاة بأن

يفرّقه على أصحابه، وقال لمن أتاه بمال الخراج: «هذا مال لا خير فيه، ولا قبالة ولا خراج على المسلمين في أموالهم!» ثم أمر ثقات أهل طَبْنَة برده على أهله، وقبض مال الصدقة من الإبل والبقر والغنم، بعد أن قيل له إنها قبضت الأنعام على الأسنان الواجبة في الصدقات، ثم بيعت وجمعت أثمانها. فرضى بذلك وجوّزه. فلما نظر أهل طَبْنَة الى فعله، سرّوا به ورجلوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة. وانتشر فعله في جميع نواحي إفريقية؛ فتأفت أنفسهم اليه، P. ١٢٨ وكتبوه، ودخلوا في طاعته^(١). وبلغ ذلك زيادة * الله؛ فاغتم [به] غمّاً شديداً، [وأخذ في حشد الرجال والاستكثار منهم]، وأمر بلعة الشيعي على المنابر [وفيها، قدم على زيادة الله ابن الطُّبْنِي من بغداد. وفيها توفي أبو جعفر محمد بن الحسين المَرْوَزِي بحزيرة صِفْلِيَّة؛ وكان فقيهاً، وإثم بالكذب؛ وتوفي فيها محمد بن الحسين الأزدي الفقيه؛ وكان مذهبه مذهب أهل العراق؛ وكان من أهل الخير؛ وعُرض عليه القضاء؛ فلم يقبله. وفيها، مات محمد بن نصر المتعبد؛ وكانت له رواية؛ ومحمد بن أبي حميد السوسي؛ وزيدان بن إسماعيل الأزدي؛ وكانا من الثقات في العلم.]

وفي سنة ٢٩٤، [خرج إبراهيم بن حَبِشِي بن عمر من الأُرْبُس بالعسكر لمُلافاة أبي عبد الله الشيعي بمدينة طَبْنَة، في النصف من الحرّم. وفيها، عُزل عبد الله ابن محمد بن مُفَرِّج المعروف بابن الشاعر عن قضاء قَسْطِلِيَّة، وُرفِع الى زيادة الله، وهو بالأُرْبُس، مُخَشَّياً؛ فأمر بضربه وتقييده، وحُبَس بحبس الأُرْبُس؛ وذلك أن وجه قَسْطِلِيَّة رفعوا عليه الى زيادة الله، وتظلموا منه، وكتب الى عامله بعزله وتخشيبه ورفعوا الى بابه؛ فقدم الكتاب، والعامل غائب؛ وتبادر بعض القوم الذين رفعوا عليه الى مجلس القضاء الذي كان فيه؛ فسوّوه وهو بالبسط اليه؛ فأمر غلمانه بأخذهم وضربهم وفيدم وحبسهم؛ ثم قدم العامل،

فأنكر ذلك عليه. وردّه. 1) Le récit qui précède est ainsi résumé dans le B. in: «مناء على ما يُخرج الله من أرضهم. وفعل هذا مع غيره فسّر بذلك أهل طَبْنَة وانتشر صيته في البلاد؛ فكاتبه الناس ودخلوه.»

وقد نذ فيهم كلها أحب؛ فأوثقه حديدًا، وخشبه، ووجهه الى زيادة الله؛
فضربه بالدرّة، وحبسه؛ وذلك للنصف من المحرم.]

وفيها، انصرف زيادة الله من الأُرُس الى رَقَادَة، واستخلف على الجيش
بالأُرُس إبراهيم بن أحمد بن أبي عقال. وبنى زيادة الله سور مدينة رَقَادَة
بالطوب والطوباني، والتزم التنزّة على البحر وغيره، وإتباع اللذات، ومنادمة
• العيارين والشطّار والزّمارّة والضّرّاطين. وكان إذا فكر في زوال ملكه وغلبة ١٢٩ P.
عدوّه على أكثر مواضع عمله، يقول لُدُمائه: «املاً واسقني! من القرن يكفيني!»
واشتدّ كلفه بغلام له يسمّى بخطّاب؛ فكتب اسمه في سكّة الدنانير والدرهم؛ ثمّ
وجد عليه، فحبسه وفبده؛ فغنت له جارية تسنّعظنه على خطّاب [بسيط]:

يا أيّها الملك المبيّون طائرُه رفقا فإنّ يد المعشوق فوق يدك
كم ذا النجلد والأحشاء خافنة أعيدك فك أن تسطو على كبدك

فرضى عن خطّاب، وأعاده الى منزله. وكان إذا أظهر الغمّ بأمر الشيعي،
أخذوا له في التسلّي؛ فغنت جارية له يوماً [كامل]:

إصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرح وحرز مرّة لا الحزن دام ولا السرور

فقال لها: «صدّقيني!» وأمر لها بصلّة.

وفيها، استعفى حمّاس بن مروان عن النضاء بالقيروان؛ فعوفى، وولى
زيادة الله مكانه محمد بن جيمال؛ فلم يزل قاضياً الى أن هرب زيادة الله.
وفيها، دخل أبو عبد الله الشيعي مدينة باغية بالأمان، في شعبان؛ فعظم غمّ
زيادة الله بذلك، واستشار ابن الصائغ في أمره؛ فقال له: «ارحل الى مصر
سرّاً، واستخلف على إفريقية قائداً تجعل اليه أمر العساكر، وتترك له الأموال.»
فنظر في ذلك، وأمر بشراء خمسمائة جمل لرحيله. ثمّ ظهر له خطأ هذا
الرأى، وخشى قيام الناس عليه وثورتهم به؛ فامسك. وشعر إبراهيم بن حبشيّ

ابن عمر بما كان همّ به زيادة الله من الهرب؛ فنعرض له حتى أدخله قصر البحر، وأراه ما زخرفه له فيه، وقال: «يا سيدي! أين هذه البنية من قصر جدك القديم، الذي صبر فيه على المحصار أعواماً كثيرة. وقد أبغضه جُلُّ أهل P. 140. بلد! وقام عليه رؤساه جند؛ فبقى مقبلاً فيه، وضابطاً له * حتى أظهره الله عليهم، ومكّنه منهم! فكيف بك، وقد كثر مالك، وأحكك رجالك؟ وأهل إفريقية معك! وإنما خرج عليك شيخ لا يعرف مكانه في البربر، وأنت في حصن متبع! والله يدفع عنك! فدع ما يقال لك! فإنك الظافر بجول الله وقوته، إن شاء الله!» فأصغى زيادة الله إلى قوله، وسرّ بما سمع منه، وجعل يرسل الرجال والأموال إلى الأربس، وهو أقصى نفوذه. فكانت خيل أبي عبد الله الشيعي تغير على الأربس من باغية، وخيل زيادة الله تغير على باغية من الأربس.

وفيهما، قدم حبشي وابن أبي حجر وابن عباس من بلد الروم، ومعهم رسول صاحب القسطنطينية. وكساهم زيادة الله، وأنزل الرسول في الملعب، بقرب رقادة، وجمع الناس للمباهاة بهم؛ فكان جمعاً عظيماً. وفيها، ضربت القباب والأخبية حولاً مدينة رقادة، وأخذ أهل مدينة القيروان بالعسس حولها والمبيت في الأخبية المضروبة جوارها. وجدّد زيادة الله الحشد، ورغب الناس بالأموال. وفيها، توفي محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي النفي. وفيها، ولى قرهّب الحجابة في شعبان (1).

وفي سنة ٢٩٥، خرج زيادة الله إلى مدينة تونس في شهر محرم، (ابحاول أموره فيها). [وفيها، استسقى القاضي أبو العباس بن جسيمال الناس، يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر. وفيها عزل ابن أبي الوليد عن الصلاة، وولى

1) Pour la chronique de cette année, le Bayān se borne au court résumé suivant: وفي سنة ٢٩٤، اشتغل زيادة الله بالاستمطار واللذات والهنف، وهمّ بالفرار إلى مصر خوفاً من الداعي؛ ثم انتنى عن ذلك، وخيل الداعي تغير على الأربس في أكثر الأيام من باغية، وخيل زيادة الله تغير من الأربس على باغية.

مكانه ابن يزيد للنصف من شهر ربيع الآخر. وفيها، توفي أبو الحسن بن حاتم
الرسول الى بغداد، في شوال. وفيها توفي * أبو موسى عيسى بن مسكين القاضي؛ P. 121
فصلى عليه أبو جعفر أحمد بن خالد السهمي في قبره بالساحل. و[فيها] توفي
[أبو عياش] أحمد بن موسى بن مُخَلَّد [الغبي]؛ وكان ينتمي الى غافق؛ وكان
من أصحاب سَعْنُون بن سعيد؛ وكان زاهداً، ورعاً، متعبداً، فاضلاً، واعظاً
بما في كتبه، كثير الحكاية؛ سمع منه بشر كثير من أهل القيروان؛ ودُفِنَ
بباب سلم. وفيها، مات سعيد بن إسحاق الغبي، مولى كلب؛ وكان من رجال
سَعْنُون بن سعيد؛ وسمع من جماعة من شيوخ إفريقية؛ وكان كثير الرباط
والرواية والجمع للحديث؛ وكان مولده سنة ٢١٢].

وفي سنة ٢٩٦، وصلت خيل [أبي عبد الله الشيعي] (الداعي) الى قَسْطِلِيَّة،
وانهزم أبو مسلم منصور بن إسماعيل، [وشيب بن أبي الحارم؛ وانقبضا] الى
[مدينة] تَوَزَّر؛ وانسطت الخيل [هنالك، وأحرقت القرى]، وأفسدت ما مرّت
به [من النعم]. وكان أبو عبد الله قبل ذلك قد أمر أصحابه بالكف عن الغارات،
والأيربوا مكانهم؛ فأقاموا نحو شهرين لم تظهر لهم حركة، حتى قيل فيه إنه
مريض؛ وقيل: بل مات. ولما وصل الخبر بانسباط جيوش أبي عبد الله الى
زيادة الله، هاله وراعه، وارتجبت الحاضرة، واضطربت أحوال الحند. ونسوا
من البلد، وخافوا على ذرارهم وأهليهم السي والاسترقاق. وجعل عبد الله بن
الصائغ يقول لزيادة الله: «هذا من تضيع الشيخ السوء أبي مُسْلِم ومن سوء
نظره!» وكان ابن الصائغ كاتباً لأبي مُسْلِم في أيام إبراهيم بن أحمد؛
فسدت الحال بينهما؛ ولم يزل يرفع على أبي مُسْلِم يومئذٍ؛ حتى عُزل. ثم لما
دارت هذه الدائرة بقَسْطِلِيَّة، وانهمز * عنها أبو مُسْلِم، نسب ذلك ابن الصائغ ١٢٢
اليه، وأوقد زيادة الله عليه وأغراه به، حتى كتب الى شيب بن أبي الحارم،
يأمره بضرب عنق أبي مُسْلِم وصلبه يوماً وليلة؛ ثم بدفه. ونعت اليه من
ثقاته من يحضر تنفيذ ذلك فيه. فلما وصل الكتاب الى شيب، اغتم، ولم يجد

بداً من التنفيذ؛ فدفَعَ الكتاب إلى أبي مُسْلِمٍ، وهو معه يومئذٍ بتَوَزَّرَ، وقال له: «عَزَّ عَلَيَّ مَا وَرَدَنِي فِيكَ!» فلما قرأه أبو مُسْلِمٍ، قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»¹! خُدَعَ الصَّبِيُّ الْأَحْمَقُ، وَذَهَبَ مُلْكُهُ! ثُمَّ قَبَضَ بِيَدِ الْبَسْرِيِّ عَلَى لَحْيَتِهِ، وَصَفَعَ بِالْيَمَنِ قَفَا نَفْسِهِ صَفْعَاتٍ، وَقَالَ: «هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَأَطَاعَ الْأَدَمِيِّينَ، وَسَفَكَ الدَّمَاءَ الْحَرَمَةَ! أَمَا وَاللَّهِ! لَوْ تَرَكْتُهُ، وَلَمْ أُشِرْ عَلَيْهِ بِقَتْلِ عَمُومَتِهِ وَإِخْوَتِهِ، وَشَغَلْتُهُ بِهِمْ، مَا دَارَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِهِ مَا دَارَ!» ثُمَّ قَالَ لَشَيْبٍ: «امْهَلْنِي أَتَوَضَّأُ وَأُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، أَخْتَمُ بِهِمَا عَمَلِي!» ففعل وصلى ودعا وبكى. ثُمَّ قَدَمَ؛ فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ وَصُلْبَ، وَدُفِنَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي؛ وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ مِنْ صَفَرٍ². وَفِيهَا، تَوَفَّى أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ أَبِي رِخْدَاشٍ صَاحِبُ الْمَظَالِمِ أَيَّامَ ابْنِ عَبْدِون. وَفِيهَا، مَاتَ أَبُو عِفَالٍ بْنُ خَيْرِ الْفَقِيهِ، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَكُتِبَ لِابْنِ عَبْدِون أَيَّامَهُ عَلَى الْفَضَاءِ.

ذِكْرُ خُرُوجِ بَنِي الْأَغْلَبِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ³

وَفِيهَا، زَحَفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيُّ إِلَى الْأُرْسُ وَنَازَلَهَا، وَبِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي
 P. 14. الْأَغْلَبِ فِي عَسَاكِرِ إِفْرِيقِيَّةِ وَجُمْهُورِ أَجْنَادِهَا؛ * فَفَاتَلَهَا⁴] حَتَّى أَخَذَهَا عُنُودًا
 وَدَخَلَهَا [بِالسَّيْفِ] لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ جَمَادَى الْأَنْبَرَةِ. فَهَرَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي
 الْأَغْلَبِ (وَالِيهَا)، [وَنَجَا] فِي جَمَاعَةٍ [مِنَ الْفُؤَادِ وَالْجُنْدِ]. وَلَجَأَ أَهْلُ الْأُرْسِ وَمَنْ
 كَانَ اجْتَمَعَ فِيهَا مِنْ فُلَّالِ الْعَسْكَرِ إِلَى جَامِعِهَا. [وَرَكِبَ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا].
 وَقَتَلَمُ الشَّيْبِيُّ (- لَعَنَهُ اللَّهُ!) - أَجْمَعِينَ، [حَتَّى كَانَتْ الدَّمَاءُ تَسِيلُ مِنْ أَبْوَابِ
 الْمَسْجِدِ، كَمَا يَسِيلُ الْمَاءُ مِنْ وَابِلِ الْغَيْثِ]. وَقِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ [دَاخِلَ الْمَسْجِدِ]

1) Cor., II, 151.

2) Ainsi résumé par le Bayān: وفعل به مسلم وصلبه.

3) G. ajoute: وهروب زيادة الله من رقادة.

4) Bayān: ونازل أبو عبد الله الداعي الأرس.

ثلاثين ألف رجل . [وكان قتلهم] من [بعد صلاة] العصر الى آخر الليل . فلما أصبح ، و[قد] فرغ من القتل والذهب والسبي ، [نادى بالرحيل] ، وانصرف الى [مدينة] باغاية ، [إذ خشى أن يحاشد عليه أهل إفريقية] .

(هروب زيادة الله من رقّادة)

[وأتصل الخبر بزيادة الله في اليوم الثاني ، وهو يوم الأحد لخمس بقين من جمادى الآخرة ؛ فسقط ما بيده^١ ، و] علم أنّه خارج عن ملكه . وجعل ابن الصائغ [يظنّ الخبر] ، و[يكذبه له] ، ويظهر أنّ الفتح كان لهم على الشيعي . وبرز على أبواب مدينة رقّادة : «من أراد اللحق وجزيل العطاء ، الفارس عشرون ديناراً ، والراجل عشرة دنانير ، فليحلق بقصر الأمير !» فلما سمع الناس ذلك ، بدر اليهم سوء الظنّ ، وعلموا أنّ الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله^٢ ، وماجوا* فيما بينهم . وجعلت الخاصّة وأهل الخدمة يفرّون من رقّادة . [فلما رأى ١٤٢ : ذلك زيادة الله] ، أخذ في شدّ الأحمال بما خفّ من الجواهر والمال ، وحرّك خاصّته للخروج معه . فلما كان وقت صلاة العتمة [من] ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ، ركب فرسه ، وتقلّد سيفه ، وقدم الأحمال تمرّين يديه ، هارباً [على عيون أهله وحرمه وولده] . فأخذت جارية من جواربه عوداً ، ووضعت على صدرها ، وغنّته لتحرّكه على حملها معه ؛ فقالت [منسرح] :

لم أنسَ يوم الوداع موقفها وجفنها في دموعها غرق
وقولها ، والركاب سائرة : «تركنا سيّدى وتنطيق
أستودعُ الله ظبيّة جرعت للبين والبين فيه لي حرق !»

فدمعت عينا زيادة الله عند سماعها ؛ وشغله سوء الموقف وضيق الحال عن حملها معه . وخرج عن مدينة رقّادة متوجّهاً الى مصر في تلك الليلة الأوّل ،

١) Bayān : وذلك أنّه لما أنّصل به ما كان بالأريس .

٢) Bayān : فلم ينفعه ذلك ، وعلم الناس صعّة الخبر .

ومعه وجوه رجاله وفتياناه وعبيده، [وأخذ طريق الجادة] حتى لحق بمدينة إطرابلس. وكان عبد الله بن الصائغ يتقلد جميع أموره، [وينظر على أهل خدمته]؛ فواطأ خزان الأموال على اقتطاع ثلاثين حملاً من المال، في كل حمل ستة عشر ألف مثقال؛ فواعدم موضعاً يجتمع فيه معهم؛ فأخطووه في الليل، وخرجوا إلى مدينة سوسة؛ فقبض عليها [ابن] الهمداني عاملها، وخرنها [في قصر الرباط] بسوسة، حتى صارت إلى الشيعة. وأصبح الناس من ليلة خروج زيادة P. ١٤٥ الله [هارباً] إلى مدينة رقادة؛ فانتهبوها، وأخذوا من [بقايا] أموال بني الأغلب [ومتاعهم] و[صنوف ال]آنية [من] الذهب والنضة ما لا يحيط به وصف. [ورجع القوي يأخذ من الضعيف ما سبقه إليه. والهارب أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، المعروف بخزر، ابن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن غفال التميمي]. وكانت ولايته [بإفريقية] خمس سنين وأحد عشر شهراً وأربعة أيام. وكانت إمارة^١ بني الأغلب بإفريقية مائة (سنة)، وإحدى عشرة سنة، (وثلاثة أشهر).

[ثم إن إبراهيم بن أبي الأغلب، المنهزم من الأربس، أقبل إلى القيروان فبين بقي معه من القواد. فنزل بدار الإمارة، وبعث في وجوه الناس، وجعل يظهر عندهم عتب زيادة الله، ويأخذ في انتقاصه، وأنه أسند أمر المسلمين إلى من كان يسعى في زوال ملكه. وقال للناس: «إن كُتامة منسدون في الأرض. ناصحوا الله ولهذا الدين، وأمدوني بالرجال والأموال!» وحضر صلاة الظهر؛ فسلم على رأسه بالإمارة؛ ثم اجتمع إليه الناس وقالوا له: «بلدنا لا يعرف الفتن، ونحن لا نقوم بالحرب؛ وأنت لم تستطع دفع كُتامة بالعماكر والسلاح والمال! فكيف نقوى نحن على دفعهم بأموال الرعية؟» ثم صاح الناس به: «لا طاعة لك علينا، ولا بيعه في أعناقنا! فأخرج عنا!» فركب فرسه، وشهر سيفه، ودفع النرس، ونجا هارباً حتى خرج من باب أبي الربيع، ولحق بزيادة الله.

١) دولة B.

وركب عبد الله بن الصائغ في البحر يُريد المشرق؛ فألقاه البحر بمدينة
إطربلس، وبها زيادة الله. فأَتَى إليه به؛ فقرَّبه وأَدْنَاهُ، وعاتبه في فراره عنه؛
فاعتذر إليه ابن الصائغ بما أخذه من الحيرة والخوف؛ فهمَّ زيادة الله باستحيائه؛
فأشار إليه كلُّ من معه من أهله وقَوَّاده بقتله؛ فامر راشدًا الأسود * بضرب P. ١٤٦
عنه؛ فقتله. وكان يحكي عليُّ بن إسماعيل بن عمران المنطبيُّ أنَّ عبد الله بن
الصائغ كان، إذا رأى راشدًا الأسود قبل ذلك، اربدَّ وجهه؛ وإذا ذُكر له،
تنكَّر سروره، حتَّى يعرف ذلك كلُّ من حضره. قال: فسألته يوماً عن ذلك؛
فقال لي: «تحدَّثني نفسي أنَّ مَلَكَ الموت يقدم عليَّ في صورة راشد الأسود.
عند قبضه لروحي؛ فإذا رأيته، لم أملك من الصبر شيئاً!»

ذكر دولة الشيعة

وبلغ أبا عبد الله الشيعيَّ هروبُ زيادة الله. فتحرَّك من الأربس يريد
القيروان. فهال الناس أمره، وخافوه على أنفسهم. وخرج إليه الفقهاء ووجوهُ
الناس؛ فقطع بهم محبوسُ بن عبد ربِّه الهواريُّ بموضع يُعرَف بِخَصِّ باروقس.
بين مدينة جَلُولَا وحمام السَّرايِق؛ وذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى
الأخيرة؛ فانصرفوا أَقْبَحَ انصراف، وكتبوا إلى أبي عبد الله. يذكرون ما دار
عليهم، ويعتذرون بذلك إليه، ويسألونه أن يجدَّ لهم موضعاً يلقونه؛ فأجابهم:
«موعدكم ساقية ممس يوم السبت.» وبعث أبو عبد الله غُرَوِيَّ بن يوسف
الملوسيَّ بقطيع من الخيل لضبط مدينة رَقَّادة، وتخصيص ما أدرك بها من
الأموال؛ فنزل عليها يوم الجمعة لانسلاخ جمادى الأخيرة؛ فألقى الناس بين
داخل وخارج؛ فأمر الحارج ألاَّ يعود، والداخل بالخروج فارغاً. ولم يكن منه
إلى الناس إلَّا خيرٌ. وفيها¹⁾ أقبل إلى مدينة رَقَّادة في سبعة عساكر، [وعدد من]

1) Le Bayân, omettant ce qui précède, commence ici son récit, sous le titre:
ذكر دخول أبي عبد الله الشيعيَّ مدينتي رَقَّادة والقيروان وحاله بهما؛، فلما بلغه هروب
السلطان، أقبل إلح.

١٤٧. فيها، * [على ما ذكر،] ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل. فوصل إليها يوم السبت
 غُزَّة رجب؛ فخرج إليه أهل القَيْرَوَان [من النَهَاء والوجوه وجيلَة التجَّار؛] فالتفوا
 به [على ساقية مَس.] وسَلَموا عليه، وأظهروا [له] الرغبة في دولته، وسألوه
 الأمان؛ فأمنهم، [وصوب فعلهم]، ووعدهم بالإحسان والعدل [فيهم؛] وكان قد
 وعد قبل ذلك قَوَاد كُثَامَة ورجالها بأن يُوَكِّلهم القَيْرَوَان ويسلط أيديهم فيها،
 ويُقطعهم جميع أموال أهلها. فلما سمعوا بأمنته للقوم، ساءهم ذلك، وكلموه فيه،
 وذكروه ما كان وعدهم به. فتلا عليهم: وَأُخْرَى لَمْ نَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ
 بِهَا. ^(١) وقال لهم: «هي القَيْرَوَان». فقبلوا قوله. وسَلَموا لأمره. ^(٢) ثم تقدَّم
 بانزال عساكره حولاً مدينة رَقَادَة؛ فدخلها، وفارئى بقرأ بين يديه: «هُوَ
 الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ^(٣)»
 (إلى آخر) الآية، (وبقرأ): «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ^(٤)» إلى آخر السورة.
 ونزل بالقصر المعروف بقصر الصَّخْن. وبعث غَرْوِيَه ^(٥) بن يوسف إلى مدينة
 سوسة؛ فأمن أهلها، وأناه بالثمانية والعشرين الحمل ^(٦) من المال التي [كانت
 مخزونة بقصر الرباط المتقدم ذكرها]، وأمن من أَلْفَنِي بالقَيْرَوَان من بني
 الأغلِب وقوادهم الذين تخلفوا عن زيادة الله؛ وأمر بقتل السودان من موالي
 بني الأغلِب. [وقتل إبراهيم بن بربر ^(٧) بن يعقوب التميمي المعروف بالقوس،
 ١٤٨. فقتل خنفاً، إذ كانوا * هموا بالوثوب عليه. وقال أبو عبد الله: «ما أمنتُ
 بأفريقية حتى قتلتُ القوس! ^(٨)»] وبعث أبو عبد الله (الشيعة) إلى إطرابُلُس؛
 فأثنى منها بأخيه أبي العباس المخطوم، وكان بها محبوساً، وبأبي جعفر الخَزَرِي ^(٨)،
 وبأُم عبيد الله الشيعة، وكانت هنالك مع الخَزَرِي ^(٨)؛ فقدموا عليه. وكان أبو
 العباس [المخطوم] عجولاً، كثير الكلام، ضعيف العقل؛ فأراد أن يبنى من القَيْرَوَان

1) Cor., XLVIII, 21.

2) Cor., LIX, 2.

3) Cor., XLIV, 24.

4) B. عروية.

5) A. et B. حملاً.

6) A. et B. ثقف بها.

7) G. بربر (sans points diacritiques); cf. *supra*, p. ١٢٩, dern. ligne et note 3.

8) B. الجزري.

١ كل من يذهب من الفقهاء مذقَب أهل المدينة^١؛ فلم يُجِبْهُ (أخوه) [أبو عبد الله] إلى ذلك. وولى [أبو عبد الله] (الشيعة) على [مدينة] القَيْرَوَانِ الحَسَنَ بن أحمد [بن علي بن كُليب المعروف بـ] ابن أبي خَنْزِيرٍ، وأمره بقتل من خرج ليلاً أو شرب مُسْكراً، [أو حملة، أو وُجد عنده]. وولى على مدينة القَصْرِ القديم خَلَفَ بن أحمد بن علي [بن كُليب]، (أخا) ابن أبي خَنْزِيرٍ، وأمره بمثل ذلك. وأمر بأن يُزاد في الأذان [بعد «حَيَّ على الصلاة»] «حَيَّ على خير العمل»؛ وأسقط من أذان الفجر «الصلاة خير من النوم». وأمر بجمع ما انتهب من [الأموال بـ] مدينة رَقَادَةَ، وضمَّ عبيد زيادة الله، ووقف جواربه، وولى النظر في ذلك أحمد بن فَرْوُخ الطُّنَّي [الأحْدَب]. وولى (على) السَّكَّةَ أبا بكر [الفيلسوف المعروف بـ] ابن الفُؤُودِي، ونقش فيها: «الحمد لله ربِّ العالمين» [وسُمِّيت السَّيِّدِيَّة]. وكان نقشُ خاتم أبي عبد الله: «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ! إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ!»^٢ وفي الخاتم الذي بطبع به السَّجَلَات: «وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^٣. ووسم في أفخاذ الخيل: «المُلْكُ لله!» وكتب في بنوده: «سَبَّهَزُمُ الْجَمْعُ»^٤ ووسم في أظفار الدُّبَرِ^٥. وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ [إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً]^٦. وآيات كثيرة من القرآن في هذا المعنى. وأمر باله لاة على علي بن أبي طالب في الخطب بآثار الصلاة على النبي - صلعم - أو على فاطمة، والحسن، والحسين. وأظهر التشيع في علي ومعاذة من قدم عليه من أصحاب النبي - عليه السلام! - [وفيها،] ولى [أبو عبد الله] (على) قضاء مدينة القَيْرَوَانِ محمد بن عمرو ابن يحيى ابن عبد الأعلى [المَرْوَزِي] من جُند خُرَاسَانَ، يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان؛ ففقد في الجامع، وأمر بإسقاط صلاة الأشْفَاعِ^٧ في [شهر] رمضان؛ [واحتجَّ في ذلك على الفقهاء، وأنكر عليهم الاقتداء بفعل

١-١) A. et B.: المالكِيَّة.

2) Cor., XXVII, 79.

3) Cor., VI, 115.

4) Cor., LIV, 45.

5) Cor., XVII, 83.

6) A. et B. التَّوَارِج.

عمر بن الخطاب في القيام، وتركهم الاقْداء بفعل علي بن أبي طالب في زيادة «حتى على خير العمل» في الأذان، وقال لم: «اعملوا بذهب أهل البيت واتركوا الفضول». فلما كان [في] أول يوم من شهر رمضان، [أقبل المروزي الى المسجد الجامع؛ ف]وجد في حائط المسجد في القبلة، في موضع جلوسه، مكتوباً: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ أَوْ سَعَىٰ فِي خَرَابِهَا»^(١) الى آخر [الآية]. فلما رآه، سأل القومة هل رأوا من جلس في ذلك الموضع؛ فقالوا: «لا» [فأمر بمحوه، وانتقل عن الجلوس بذلك الموضع]. ووقف يوماً على المروزي رجلٌ مُحَنِّقٌ [خليع]، والناس حوله؛ فقال له: «قد اظفقت لنا - أياك الله! في قطع قيام شهر رمضان. فلو احتلت لنا في ترك صيامه، لكفيتنا مؤونته كلها!» فقال له المروزي: «اذهب عني، يا ملعون!» وأمر بدفعه. وأمر أبو عبد الله (الشيعة)^(٢) وجوه كُتامة بدعوة الناس الى مذهبهم من التفضيل لآل علي والبراء ممن سواه؛ فدخل في ذلك معهم كثير من الناس^(٣)؛ فلذلك سببت دعوتهم الشريق، لاتباعهم رجلاً من (أهل) المشرق.

(ذكر توجه الداعي الى سِجْلَمَاسَة واجتماعه بعبيد الله الشيعي بها)
ولنظر أبو عبد الله في إقامة الجيوش والاستعداد للغزو الى سِجْلَمَاسَة. وكان بها عبيد الله الشيعي، وابنه أبو القاسم، محبوسين. وكان أبو عبد الله (الداعي) يدعو الى عبيد الله (الشيعي)، ويزعم أنه الإمام من آل علي. فلما كمل له ما أراد من^(٣) جيوشه وجهازه وعدده وآلات سفره^(٣)، استخلف على إفريقية أخاه أبا العباس، وأبا زاكى تمام بن معارك [الأجالي^(٤)]. ثم خرج من رقادة يوم الخميس للنصف [من شهر] رمضان، في جموع^(٥) كالدَّبْيِ المنتشر^(٥) ومعه وجوه رجاله وأهل دعوته؛ [وفهم إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بأبي

الناس على الشيعة 2-2) A. et B. 1) Cor., II, 108.

كثرة 5-5) A. et B. 4) A. الأجالي. استيلائه على الملك 3-3) A. et B.

اليسر الكاتب، وزیاد بن خلفون المنطبي مولى بنى الأغلب. وغزا معه أحمد ابن محمد بن سيرين، الفقيه بمذهب أهل العراق، راجلاً، يرى أنه منسب للثواب في طلب الإمام؛ وبهذا السبب ولّى قضاء مدينة بَرْقَة بعد ذلك]. فسار [أبو عبد الله] حتى حلَّ بمدينة تَبَهَرْت؛ فدخلها بالأمان، وقتل بها من الرُّسُيَّة * [يَقْظَان بن أبي اليَقْظَان، و] جماعة [أهل بينه]. وبعث برؤوسهم P. ١٥١ إلى أخيه أبي العباس، [وآبى زاكى خليفته برقادة]؛ وطوّفت بالقيروان، [وأنصبت على باب مدينة رَقَّادَة]. (وانقضت دولة بنى رُسْتَم تَبَهَرْت؛ وكان لها مائة وثلاثون سنة).

ثم ولّى أبو عبد الله على تَبَهَرْت [أبا حميد] دَوَّاس بن صولات اللهبصيّ، وإبراهيم بن محمد [البمانيّ المعروف بـ] الهَوَّارِيّ؛ [وكان يُلقَّب السيد الصغير]. ثم نهض حتى احتلَّ على [مدينة] سِجْلَمَاسَة يوم السبت لست خلون من ذى الحجة. فأحاط بها في جموعه [وجيوشه]، وحاربها يوم الأحد لسبع خلون منه؛ ففتحها في هذا اليوم، وأخرج منها عبيد الله الشيعيّ وابنه أبا القاسم؛ وكانا محبوسين في غُرْفَة عند مَرْيَم بنت مِدْرَار. فلما بصر به أبو عبد الله (الشيعيّ)، ترجّل له، وخضع بين يديه، وبكى من إفراط سروره [به]. ثم مشى أمامه [راجلاً] حتى أنزله [في الفازة]، وسألم إليه الأمر، وقال لمن معه: «هذا هو مولائى ومولاكم! قد أنجز الله له وعده، وأعطاه حقه، وأظهر أمره!» وانتهب [أبو عبد الله] (الشيعيّ) رجاله سِجْلَمَاسَة، وأحرقت. وهرب منها البسّع (صاحبها) في جماعة من بنى عمّه ليلاً؛ فطلبه [أبو عبد الله] (الشيعيّ)؛ فلم يقدر عليه.

[وفيها، مات إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، ودُفِن في داره بأرشقول. وفيها، مات أبو عبد الرحمن بُكر بن حمّاد بن سَهْر بن أبي إسماعيل، وهو زَنَاتِيّ، في سؤال بقلعة ابن حَمَة، بجوفى مدينة تَبَهَرْت، وبها كان مولده * ومنشأه؛ وصلى عليه ١٥٢

موسى بن الفارسيّ النفيّ، وهو يومَ مات ابنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بكرًا الى المشرق في سنة ٢١٧، وهو حدث السن؛ فسبح من الفقهاء وجلّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث وتمييز الرجال، وشاعراً مُفلقاً؛ ومدح المُعْتَصِم، ووصله بصلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب وصريع ودِغِيل وعليّ بن الجهم وغيرهم من شعراء العراق؛ وله أبياتٌ الى المُعْتَصِم، بحرّضه فيها على دِغِيل وهي [طويل]:

أيهجو أمير المؤمنين ورَهْطَه ويمشي على الأرض العريضة دِغِيلُ؟
أما والذي أرسى ثبيراً مكانه! لقد كادت الدنيا لذاك تزلزلُ
ولكنَّ أمير المؤمنين بفضلِه بهم فبعفوا، أو يقول فيسفلُ
فعاتبه حبيب فيه، وقال له: «فَتَلَنَّهُ، والله! يا بكر!» فقال في قصيدته
هذه [طويل]:

وعاتبني فيه حبيبٌ وقال لي: «لسانك مخدور، وسُكّك يفتل!»
وإني، وإن صرفتُ في الشعر منطقى، لأنصف فيما قلتُ فيه وأعدلُ
وفيها مات محمد بن الحسن المعروف بابن وَرْصِد من قَسْطَلِيَّة؛ وكانت له
رحلةٌ وساعٌ من النُّقهاء؛ ومات محمد بن يزيد الفارسيّ من أهل القَيْرَوَان، له
ساعٌ من سَحَنُون ومن ابنه محمد].

وفي سنة ٢٩٧،^(١) غدر قوم من البربر يُعرفون ببني خالد [بالْبَسَع بن مِدرار]،
يأْتونوا به الى أبي عبد الله الشيعي؛ فأمنهم؛ [وذلك في مستهلّ الحَرَم]. وفيها،
ولّى سيّد الله على مدينة سِجْلَمَاسَة إبراهيم^(٢) بن غالب المراتي^(٣)، وترك معه
خمسائه فارس من كُتامة، [ورحل بالعساكر الى إفريقية. وفيها، قُتل بالقَيْرَوَان،
في صفر، إبراهيم بن محمد الضبيّ المعروف بابن البرذون، وأبو بكر بن هُذَيْل،

ظفر الشيعيّ بِالْبَسَع بن مِدرار صاحب سِجْلَمَاسَة؛ A. et B. donne ainsi ce passage: 1-1)
غدره قومٌ من البربر يُعرفون ببني خالد؛ فاستأمنوا به الى أبي عبد الله الشيعي؛ فأمنهم. ونحو ذلك
عبيد الله من سِجْلَمَاسَة الى إفريقية. يختلف سِجْلَمَاسَة إبراهيم..... المراتي B 2)

الفيهان؛ وكانت عندها رواية، وأدب، وتصرفت في فنون من العلم؛ وكان محمد الكلاعي وأصحابه على مذهب أهل العراق، وهو المجاز عند الشيعة إماماً فيه من الترخيص؛ فسعوا بهما إلى أبي العباس المخطوم، وذكروا عنهما أنهما يطعنان في الدولة، ويشوبان علي بن أبي طالب بأبي بكر وعمر وعثمان - رضم - فحبسهما المخطوم؛ ثم أمر ابن أبي خنيزر بقتلهما، بعد أن يضرب إبراهيم بن البرزذون خمسمائة سوط، إذ كان القول فيه أشنع، والسعي عليه أعظم؛ فغلط ابن أبي خنيزر فيهما، وضرب ابن هذيل؛ ثم قتله؛ وقتل ابن البرزذون بلا أن يضربه؛ وذلك في صفر؛ وطيف بهما في سباط القيروان، مجرورين مكشوفين؛ ثم صلبا بعد ذلك. وكتب أبو العباس إلى أخيه بالخبر؛ فعنفه عليه، ولامه فيه، وقال: «قد أفسدت علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة إلى صلاحه!»^(١) و[فيها]، خالف [على أبي عبد الله الشيعي] محمد بن خزر [بن صيلات] (الزنائي)، وأقبل إلى [مدينة] تيهرت [وطع بأخذها، وإخراج دؤاس بن صولات منها، وأن يقطع بأبي عبد الله وعن معه في انصرافهم من سجلماسة]. وباطنه^(٢) على ذلك قوم من أهل تيهرت، يعرفون ببني دبوس^(٣)؛ [فاستدعوه؛ فوشى بهم إلى * دؤاس P. ١٥٤ عامل الموضع؛ فحبسهم في حصن برقجانة^(٤) المعروف بتيهرت القديمة]. وحارب [محمد بن خزر] تيهرت، وتغلب على بعض أرباضها. فلما رأى ذلك دؤاس، هرب إلى ابن حمة صاحب القلعة، ووثب أهل حصن برقجانة^(٤) على بني دبوس عدهم؛ فقتلهم. ودفع أهل تيهرت محمد بن خزر، وحاربوه حتى قتلوه؛ ثم كاتبوا دؤاس؛ فانصرف إليهم. وولى عبيد الله على مدينة سجلماسة إبراهيم بن غالب المزاني، وخلف معه أئني فارس من كتامة. وتوجه عبيد الله وأبو عبد

1) Abrégé dans le *Bayān*. Version B.: الفيهان بعض قضاة المخطوم أبو العباس المخطوم بعض قضاة الفيهان - وعلب أولئك الصالحين وصالحاتها لكونهم لا يفضلون علياً على أبي بكر وعمر - رضم - وعلب أولئك الصالحين والقضاة على باب القيروان. فعنفه أخوه على ذلك حين ورده ذلك.

2) A. et B.: وواقفه. 3) A. دبوس. 4) برقجانة A.

الله نحو إفريقية، ومعهم بنو مِذْرَارٍ وأهلهم مُكَلِّين. فلما بلغوا مدينة أَرْبَا، اتَّصل بهم خير محمد بن خَزَرٍ؛ فساروا نحوه؛ فهرب، ودخل الرمال. وأمر عُبَيْد الله بقتل البَّسَع بن مِذْرَارٍ؛ فقتل. وهو مريض. وفيها، ثار أهل سِجْلَمَاسَة بإبراهيم ابن غالب المزاني عاملها؛ فقتلوه^(١) ومن [كان] معه من الشيعة (ومن كُتامة)؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول، وولَّوا على أنفسهم واسول ابن الأمير ابن مِذْرَارٍ.

التعريف بأمر سِجْلَمَاسَة من حين ابتدائها الى هذه السنة المورَّخة^(٢)

كان أبو القاسم سَعُون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة، ينتجع موضع سِجْلَمَاسَة. ويتردد إليها وكان بَراحاً، يجتمع الناس فيه من قبائل البربر P. ١٥٥ الجاورين له، ينسوقون فيه. فاجتمع * قوم من الصُّفَرِيَّة إلى أبي القاسم، وسكنوا معه هنالك في خيات. ثمَّ شرعوا في البناء في حدود الأربعين ومائة. ثمَّ قدَّموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود، وولَّوه أمرهم. ثمَّ أنكروا عليه أشياء؛ فأخذوه، وشدُّوا وثاقه، وربطوه الى شجرة في رأس جبل، وتركوه حتى مات. ثمَّ ولي أبو القاسم سَعُون المتقدم ذكره؛ قيل إنه ابن واسول؛ وقتل: ابن مدلان؛ فلم يزل والياً عليهم الى ان مات سنة ١٦٨.

ثمَّ ولي الياس بن أبي القاسم، وسُمِّيَ أبا الوزير؛ فبقي ستين؛ وقام عليه أخوه. ثمَّ ولي أخوه البَّسَع بن سَعُون بن مدلان المكناسي في سنة ١٧٠، وسُمِّيَ

1) Le Bayān donne ainsi ce qui précède: وهو في طريقه: وكان عيد الله استصحب في سفره ذلك بنو مِذْرَارٍ وأهلهم مُكَلِّين. فلما كان من ابن خَزَرٍ ما كان، أمر بقتل البَّسَع؛ فقتل وقَتَلَ أهل سِجْلَمَاسَة عامل عبيد الله إبراهيم بن غالب

2) Ce chapitre ne figure pas dans le m^e B.

بالْمُنْتَصِر؛ وكان جَبَّاراً عَنِيداً؛ فظفر بن عاتق من قبائل البربر، وقهرهم،
 وأذلهم، وأظهر الصُفْرِيَّةَ، وأخذ خُمُسَ مَعَادِنِ دَرْعَةِ. وَعَظُمَ قَدْرُهُ فِي ذَلِكَ
 الْوَقْتِ. وموضعُ سِجْلَمَاسَةَ قد عُيِّرَ بالديار دون سور. ثم زاد مُلْكُ الْبِسْعِ المذكور؛
 وأمر ببناء السور، أَسْفَلَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَأَعْلَاهُ بِالطُّوبِ. ففيل إنَّ بناءه كان من
 ماله، لم يُشَارِكْ فِيهِ أَحَدٌ. فسكن سِجْلَمَاسَةَ، وتوفي سنة ٢٠٨؛ فكانت مدته بها
 نحو أربع وثلاثين سنة. ثم ولي ابنه مِذْرَارُ بْنُ الْبِسْعِ، وهو الْمُنْتَصِرُ بْنُ سَمْعُونِ
 الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ؛ فلم يزل والياً عليها إلى أن اختلف الأمر بين ولديه مَيْمُونِ،
 المعروف بابن أروا (وهي أمه)، بنت عبد الرحمن بن رُسْتَمِ صاحب رَهَبَرْتِ) وابنه
 المعروف بابن بَقِيَّةٍ. فتنازعا في الأمر بينهما، وتقاتلا ثلاثة أعوام. فقال مِذْرَارُ * P. ١٥٦
 والدُّهْمَا مع ابنه مَيْمُونِ بْنِ الرُّسْتَمِيَّةِ، وأخرج أخاه ابن بَقِيَّةٍ من سِجْلَمَاسَةَ. فولى
 مَيْمُونُ بْنُ مِذْرَارٍ، وخلع أبوه له نفسه؛ ثم قام عليه أهل سِجْلَمَاسَةَ؛ فخلعوه،
 وأرادوا خلعه عليه وتقديم أخيه ابن بَقِيَّةٍ؛ فأبى أن يتأمر على أبيه؛ فأعادوا أباه
 مِذْرَاراً بعد خلعه؛ ثم سعى أهل سِجْلَمَاسَةَ أَنَّهُ اسْتَدْعَى ابْنَهُ ابْنَ الرُّسْتَمِيَّةِ فِيمَنْ
 أَطَاعَهُ مِنْ دَرْعَةِ؛ فتوجهوا إلى مِذْرَارٍ، وحصلوه؛ ثم خلعوه أيضاً، وقدموا ابن
 بَقِيَّةٍ. فولى أمرهم. فلم يزل والياً عليها إلى أن مات سنة ٢٦٢. وفي دولته مات
 أبوه مِذْرَارُ. ثم ولي الْبِسْعُ بْنُ مَيْمُونِ بْنِ مِذْرَارِ بْنِ الْبِسْعِ بْنُ سَمْعُونِ بْنِ
 مَدْلَانَ الْمَكْنَسِيَّ فِي صَفَرِ سَنَةِ ٢٧٠، وتلقب بِالْمُنْتَصِرِ عَلَى اسْمِ جَدِّهِ؛ وهو الذي
 حُجِّنَ عِيْدُ اللَّهِ بِسِجْلَمَاسَةَ حِينَ عَرَفَ أَنََّّهُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِدَعْوَتِهِ الشَّيْعِيُّ. ثم
 زحف إليه الشَّيْعِيُّ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ؛ وفرَّ أمامه؛ وخرج عِيْدُ اللَّهِ مِنْ سِجْلَمَاسَةَ مِنْ
 حِجْجِهِ، واستولى على المملكة. ثم ظفر به في سنة ٢٩٦؛ فقتله؛ فكانت مدَّةُ الْبِسْعِ
 ابْنِ مِذْرَارِ الْمَذْكُورِ بِسِجْلَمَاسَةَ سَبْعاً وَعَشْرِينَ سَنَةً. وانقرضت دولةُ بَنِي مِذْرَارِ
 بِسِجْلَمَاسَةَ وَمَا وَالِيَّاهَا؛ فكانت مائة سنة ونحو ستين سنة. فولى عليها الشَّيْعِيُّ عَامِلَهُ؛
 فوثب عليه أهلها؛ فقتلوه؛ فكانت مدته بها خمسين يوماً.

ذكر وصول عُبيد الله الشيعي الى رَقَّادَة، ونَبَذَ من أخباره،
وما قيل في نسبه

وفيها، وصل عُبيد الله الى مدينة رَقَّادَة، ومعه ابنه أبو القاسم، (وجعفر بن P. ١٥٧ عليّ الحاجب، وأبو الحسن طيّب بن إسماعيل المعروف * بالحاضن). ولقيه الفقهاء ووجوه أهل القبروان؛ فدعوا له، وهَوَّوْهُ وأظهروا [له] السرور بآيَّامه، وسألوه تجديد الأمان لهم. فقال لهم: «أنتم آميون في أنفسكم (وذراريكم)!» ولم يذكر الأموال؛ [فعاوَدَه بعضهم، وسألوه التأمين لهم في الأموال؛ فأعرض عنهم]؛ فخافه أهل العقل من ذلك الوقت. ودخل [مدينة] رَقَّادَة، [وعليه ثوبُ خَزٍّ أَدَكُنْ، وعمامة مثله، وتحتَه فرسٌ وَرْدٌ؛ وأبو القاسم ابنه خلفه، عليه ثوبُ خَزٍّ خَلُوقِي، وعمامة مثله، وتحتَه فرسٌ أَشْفَرٌ؛ وأبو عبد الله أمام عُبيد الله، وعليه ثوبٌ تَوَقِي، وظِهَارَةٌ كَنَّان، وعمامةٌ، ومندِيلٌ إِسْكَدْرَانِي، وتحتَه فَرَسٌ كُمَيْتٌ، ويده سَبِيَّةٌ يَمْسَحُ بها العرق والغبار عن وجهه؛ والناسُ حوَالِيه وبين يديه أَقْوَاطٌ يُسَلِّمُونَ عليه]. فنزل [عُبيد الله] في القصر المعروف بالصُّخْن، ونزل ابنه بفصر أبي الفَتْح^(١). وتسمَّى عُبيد الله بالمَهْدِيّ.

(واخْتَلَفَ في نسبه: فأدعى هو أَنَّهُ عُبيدُ الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن عليّ بن الحسن^(٢) بن عليّ بن أبي طالب - رضه -^(٣) وهو مذهبُ الحَكَمِ المُسْتَنْصِر بالله الأمويّ^(٤). وقال سائر الناس إِنَّه دَعِيٌّ، وَإِنَّ انتسابه للطالبيين دعوة باطلة؛ وذكروا عن أبي القاسم بن طَبَّاطِبَا العَلَوِيِّ أَنَّهُ قال: «والله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو! ما عُبيدُ الله الشيعي مِنَّا، ولا بيننا وبينه نسبٌ.» وقال مُقَاتِل: هو عُبيدُ الله بن محمد بن عبد الرحمن^(٤) البَصْرِيّ. وقد فضح القاضي أبو بكر ابن الطيّب الباقلانيُّ نَسَبَهُ في «كتاب كَشَفِ الْأَسْرَارِ، وهَتَكَ الْأَسْنَارِ»، وذكر

٢) B. الحسين. ١) A. et B.: واحتلَّ قصرها، ونزل ولك قصرًا آخر بها.

٣-٣) Manque dans B. ٤) B. الرحيم.

أَنَّهُمْ قَرَامِطَةٌ، وَأَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيَّ أَحَدُثَ لَمْ هَذَا الْمَذْهَبُ، وَنَسَبُهُ * هَذَا P. ١٥٨
النسب. وحكى بعضُ المؤرخين أَنَّ جعفر بن عليٍّ كانت له جاريةٌ، فغشيها رجلٌ
من القَرَامِطَةِ، وقبل من اليهود، دفعت له مالاً؛ فكان يهواها وتهواهُ، وقتلت
جعفرًا مولاهما؛ فولدت جدَّ عبيد الله هذا. فمن خفيت عليه هذه الفصة قال
إِنَّهُ عَلَوِيٌّ، ومن عَلِمَهَا عَلِمَ دَعْوَتَهُ وَكَذِبَهُ. والله أعلم! هكذا ذكر ابن
القطان في نسبه).

[و]نش [في] خاتمه: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي
إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(١)». واستحجب^(٢) أبا الفضل جعفر بن
عليٍّ، وأبا أحمد جعفر بن عبيد، وأبا الحسن طيّب بن إسماعيل المعروف
بالخاصين، وأبا سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمُسْلِمِ السَّجِلْمَاسِيِّ. واستكتب أبا
البُسْرِ إبراهيم بن محمد البغداديَّ الشَّيْبَانِيَّ. ووليَّ على بيت المال أبا جعفر
الغَزَرِيَّ، وعلى ديوان الخراج [أبا القاسم] بن القديم، وعلى السَّكَّةَ [أبا بكر
الفَيْلَسُوفُ المعروف بابن] الفُثُودِيَّ، وعلى [العطاء] عَبْدُون بن حُبَّاسَةَ. وعلى
قضاء مدينة رَقَادَةَ أَفْلَحُ بن هارون الملوْسِيَّ. وأقرَّ على [عمالة الفَيْرَوَانِ] الحسن
ابن أَبِي خَنْزِيرٍ، وعلى القضاء بها المَرْوَزِيُّ. [وامرَأُ أَنْ تُقْلَعَ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَوَاجِلِ
وَالْفُصُورِ وَالْفَنَاطِرِ أَسْمَاءُ الَّذِينَ بَنَوْهَا؛ وَكُتِبَ عَلَيْهَا اسْمُهُ]. وأظهر [عبيد الله]
التَّشْيِيعَ [الفَيْحِ، وَسَبَّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّعَ - وَأَزْوَاجَهُ، حَاشَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ، وَالْبَغْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، وَعِمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ، وَأَبِي ذَرٍّ
الْغِفَارِيَّ؛ وَزَعَمَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ - عَمَ - ارْتَدُّوا بَعْدَ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
* سَنَبْنَاهُمْ. ومنع المَرْوَزِيُّ الْفُقَهَاءَ أَنْ يَفْتِيَ أَحَدُهُمْ إِلَّا بِمَذْهَبٍ زَعَمَ أَنَّهُ مَذْهَبُ P. ١٥٩
جعفر بن محمد؛ منه سُقُوطُ الْحِنْثِ^(٣) عَمَّنْ طَلَّقَ بِالْبَيْتَةِ، وَإِحَاطَةُ الْبَنَاتِ بِالْمِيرَاثِ،

1) Cor., X, 35. — A. et B. ne donnent que les deux premiers mots du verset,
suivis de الآية. 2) A. et B. résument ainsi ce qui suit: وَكُنَّا بَابًا وَكُنَّا بَابًا.

وأشياء كثيرة يطولُ ذكرُها. ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر؛ فاستجازه.
وكان فيما مدح به شعرٌ لمحمد البديل، كاتب أبي قُضاة؛ وفيه [بسيط]:

حَلَّ بِهَا آدَمُ وَنُوحُ	حَلَّ بِرَقَّادَةَ الْمَسِيحُ
حَلَّ بِهَا الْكَبِشُ وَالذَّبِيحُ	حَلَّ بِهَا أَحْمَدُ الْمُصَفَّى
وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحُ	حَلَّ بِهَا اللَّهُ ذُو الْمَعَالِي

- لعنه الله، وغضب عليه، وأخزي القائل والمقول فيه! - وكانت أيمان كُتامة
أَوَّلَ دخولهم إفريقية: «وَحَقَّ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، مَوْلَانَا الْمَهْدِيُّ الَّذِي
بِرَقَّادَةِ!» حتَّى كُتِبَ بَعْضُ أَحْدَاثِ الْفَيَّرَوَانِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَتَلَطَّفُوا فِي وَصُولِهَا
إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ؛ وَهِيَ [مَجْنُثٌ]:

الْجَوْرَ فَدَرَضِينَا	لَا الْكُفْرَ وَالْحِمَاقَةَ!
يَا مَدْعَى الْغُيُوبِ	مَنْ كَاتِبُ الْبِطَاقَةِ؟

فاشتد ذلك عليه لما وصل إليه، وكشف سرًّا عن كاتب ذلك؛ فلم ينفع له على
خبر. وفيها، خالفت بلد كُتامة بَيَابَ مع قبائل من البربر، واجتمع إليه عددٌ
عظيمٌ؛ فكتب عبيد الله إلى من تمسك بطاعته من كُتامة، يأمرهم بمحاربتهم.
فقتل أكثرهم، وأخذ بَيَابَ أسيرًا، وقرئ كتاب الفتح بمدينة الفَيَّرَوَانِ. ورجعت
قبيلة زَنَانَةَ إلى تِهْرَتَ، وحاصروا دَوَّاسَ بن صُولَاتَ فيها؛ فأخرج إليهم عبيد الله
قائدًا يُعْرَفُ بِشَيْخِ الْمَشَايخِ؛ فهزم زَنَانَةَ، وقتل كثيرًا منها. وفيها خرج أبو القاسم
سوم الفطر إلى المصلى بمدينة رَقَّادَةَ، وصلى بالناس، وخطبهم؛ وخرج معه أبو عبد
الله الشيعي وجماعة * فَوَادَ كُتامة، وهو أَوَّلَ عيد صلى فيه بإفريقية؛ وقرئ
بذلك كتاب عبيد الله على منبر الفَيَّرَوَانِ وأعمالها].

وفيها، خرج أبو عبد الله الشيعي [مع جماعة من فَوَادَ كُتامة ودُعائهم] إلى
أرض المغرب، لما ظهر فيه من الاتياع، وفساد الطُّرُقِ، وقيام القبائل على
عُماهم؛ فافتتح المَدُنَ، وقتل، وسبي. [ووردت له كُتُبٌ كثيرةٌ بالفتوح؛

فُقِرَتْ بِإِفْرِيقِيَّة. وفيها، مات جَبَلَة بن حَمُود بن جَبَلَة الصَّدَقِي، مولى الإمام عثمان ابن عفَّان - رضه - وكان فقيهاً زاهداً، من رجال سَخْنُون وممن نبذ الدنيا وتركها؛ وكان أبوه من خَدَمَة السلطان وأهل الأموال؛ فَنَابَذَ في حياته، ثُمَّ تَبَرَّأَ من تَرِكْتِه بعد وفاته؛ وكانت تَرِكْتُه نحو ثمانية آلاف مثقال. وفيها، مات دِطَامَة ابن مُحَمَّد النُفَيْه؛ وكان من رجال سَخْنُون، وولِي النُضَاء بِصِفَّةٍ في أَيَّام بني الأَغْلَب. وفيها، مات مُحَمَّد بن عَبْدُون القَاضِي، وأحمد بن مُحَمَّد بن الأَغْلَب التَّيْمِي، وعبد الله بن أَبِي المِنْهَال. وفيها، صَلَّى أبو القَاسِم يوم الأَضْحَى بالناس، وخطب؛ وقُرِئَ بذلك كتابُ عُيَيْدِ اللَّهِ بالتَّيْرَوَان. وفيها، مات مُحَمَّد بن خَالِد القَبْسِيُّ المعروف بابن الطَّرْزِي¹؛ وكان من رجال سَخْنُون؛ ومات أبو السَّيْدَع المَوْدِب النُحْوِي. وفيها، قُتِلَ بِمَدِينَةِ رَقَادَة أَحْمَد بن يَحْيَى بن طَيْب المُنْطَبِيب النُفَيْه بقول أهل العراق.

وفي هذه السنة²، وصل [أبو عبد الله الشَّيْبِيُّ] إلى [مدينة] تَنْس [ونزل بالموضع المعروف بالثَّوْر]، وذلك يوم الجمعة لثلاث بَقِيْنَ من ذِي الحِجَّة. [ف]جمع (إلى نفسه) وجوه كُتَامَة، وتكلَّم معهم في أمر عُيَيْد * الله، وعمل معهم ١٦١. على خلعه، وقال لهم: «إِنَّ أفعاله فيحَة³»، ليست تشبه أفعال المهدي الذي كُنْتُ أَدْعُو إليه. وَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ قد غَاطْتُ فيه، وعرض لي ما عرض لإبراهيم الخليل - عم - إذ جنَّ عليه الليل؛ فرأى كوكباً؛ فقال: «هذا رَأْيِي!» ويجبُ علىَّ وعليكم امتناعه وكشفه عن العلامات [الموجودة في الإمام، المعروفة عند النُّبِيَاء]. وزعم لهم بأنَّ الرواية أَتَتْ أَنَّ بَيْنَ كُنْفَي [المهدي] [مكتوباً]: «المهدي رسول الله، كما بين كُنْفَي النَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه - خَاتَمُ النُّبُوَّة، وَأَنَّ المهدي يَأْتِي بِالآيَاتِ الْبَيِّنَات، ويطبع بخاتمه في الجَنْدَل]. فعقد مع جماعة

1) Orthographe fournie par les *Ṭabaḳāt 'ulamā' Ifriḳiya*, éd. Ben Cheneb, p. 174.

2) A. et B.: ... لما ذلك أَنَّهُ. وفيها كان تغير أبي عبد الله الداعي على صاحبه عُيَيْدِ اللَّهِ وذلك أَنَّهُ لما ...

3) Seulement dans B.

كُتامة على امتحانه إذا انصرفوا (نَحَوَهُ) الى رَقَّادَة ؛ ودخل معهم في [هذا] العقد عَرُوبَة ⁽¹⁾ بن يوسف، (وتعاهدوا على ذلك).

وفي سنة ٢٩٨، تجوَّل ⁽²⁾ أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر، وحارب صَدِيَّة وزَنَانَة، وقتل الرجال، وأخذ الأموال، وسبي الذَّرِيَّة، وأحرق بعض المَدَن بالنار؛ [وكتب بالفتوحات الى عَمِيْد الله؛ ففُرِثَتْ كُتَبُهُ على الناس]. ثم قفل [أبو عبد الله] الى مدينة رَقَّادَة، [بعد أن تجوَّل بالغرب شهوراً كثيرة]. فلما توصل أبو عبد الله الى مدينة رَقَّادَة، أخبر عَرُوبَة بن يوسف عَمِيْد الله الشيعي بما كان من أبي عبد الله في جانبه وقت وصوله الى مدينة تَنَس، وما عمل عليه مع جماعة كُتامة من خلعه؛ فالتزم عَمِيْد الله الاحتراس منه [في سر ⁽³⁾ أمره. وفيها، ولي أبو جعفر البغدادي ديوان الكَشَف، مشتركاً مع عِمْران بن أبي خالد بن أبي سلام. وفيها، مات من الفقهاء المَدَنِيِّين، من أصحاب مَحْنُون، يحيى بن عَوْن * بن يوسف، وعبد الله بن الوليد المعروف بابن المدي ⁽⁴⁾؛ وكان فقيهاً من أهل الانقباض والتحير. وفيها، مات أبو البسر إبراهيم بن محمد الشَّيْبَانِي البغدادي المعروف بالرَّيَاضِي، يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى؛ ودُفِن بباب سالم؛ وكان ظريفاً، أديباً، مُرْسِلاً، شاعراً، حَسَن التَّأْلِيف؛ وقدم الأندلس على الإمام محمد بن عبد الرحمن - رحمه الله! - بكتاب اخترقه اليه على أَلْسِنَة أهل الشَّام؛ فتقبَّله الإمام محمد، وأنزله، ووسَّع عليه، ووَصَّلَه، وأطَّلَعَ على أَنَّ الكتاب مُخْتَرَقٌ مَصْنُوع؛ فلما أراد أبو البسر الانصراف، دُفِع اليه كتابٌ مَخْتومٌ، جواباً عن كتاب أهل الشَّام فيما أَرَى. فلما جاز البحر، فكَّ أبو البسر الكتاب ليقراه؛ فإذا هو بياضٌ، ليس فيه إلَّا: «بسم

P. 172

1) Leçon fournie par B.; paraît préférable à غرويه lu par Dozy. Cette leçon, qui sera adoptée dans les pages suivantes, est d'ailleurs également fournie par Ibn al-Aṭir et Ibn Ḥaldūn. 2) A. تجوَّل. 3) G. سر.

4) الفُنْدُقِي (D.). L'ethnique de ce personnage ne figure pas à la suite de son nom dans les passages d'Abu 'l-'Arab où il est mentionné.

الله الرحمن الرحيم! « فعلم أنَّ نَبِيَّهَ لم يَجُزْ. وَأَنَّ الَّذِي أُعْطِيَ وَحْيِي عن مَكْرَمٍ
 وَفَضْلٍ وَحَيَّاهُ في عَيْنِهِ مَلُوكُ الْأَنْدَلُسِ وَرِجَالُهُ؛ وَحَدَّثَ بِمَا عَرَضَ لَهُ، وَعَجِبَ
 النَّاسُ مِنْهُ. وَكُتِبَ أَبُو الْبَسْرِ لِنَبِيِّ الْأَغْلَبِ حَتَّى انْصَرَمَتْ أَيَّامُهُمْ؛ ثُمَّ كُتِبَ
 لَعُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ. وَلَهُ مَوْلاَتُ حَسَّانٍ فِي فَنُونِ مِنَ الْعِلْمِ، وَمُسَدَّدٌ فِي الْحَدِيثِ،
 وَكِتَابٌ فِي الْقُرْآنِ سَمَّاهُ «سِرَاجُ الْهُدَى». وَلَهُ «كِتَابُ لَقِيبِ الْمَرْجَانِ»، وَرِسَالَةٌ
 «الْوَحِيدَةِ الْمُؤَنَسَةِ»، وَ«قُطْبُ الْأَدَبِ»، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ. وَفِيهَا، اسْتَكْتَبَ
 عُيَيْدُ اللَّهِ أَبَا جَعْفَرٍ [مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ] الْبَغْدَادِيَّ، إِبْدَعَ أَبِي
 الْبَسْرِ، وَقَرَّهَ، وَأَدْنَاهُ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى أَمْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ وَجَمَاعَةِ
 كُتَّامَةٍ؛ فَكَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ رَأْيٌ جَمِيلٌ وَنَفْعٌ عَظِيمٌ. أَوْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ ذَا دِهَاءٍ
 وَفَهْمٍ حَسَنٍ؛ وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ فِي أَيَّامِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ! - P. 174
 فَصَحَّبَ النَّاسَ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْأَدَبِ؛ وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْفَظُ مَنْ جَارَ بِهِ،
 قَاصِدًا إِلَى الْحَقِّ، مِنْ خُلَطَائِهِ بِقُرْطُبَةٍ، وَيُكْرِمُهُمْ.
 وَفِيهَا، خَالَفَتْ هَوَّارَةُ بَاطِرَابُلُسَ، وَقَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَبَا هَارُونَ الْهَوَّارِيَّ؛
 وَزَحَفَ أَيْضًا جَمَاعَةٌ مِنْ زَنَاتِهِ وَلَمَائِهِ¹⁾ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَى مَدِينَةِ إِطْرَابُلُسَ،
 مُحَاصِرِينَ لِأَهْلِهَا. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ عُيَيْدُ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ أَبَا زَاكٍ تَمَّامَ بْنَ مُعَارِكٍ
 [الْأَجَانِيَّ]، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الْغَدْرِ بِعُبَيْدِ اللَّهِ وَالْخَلْعِ لَهُ.
 فَأَرَادَ أَنْ يُبْعِدَهُ [لَمَّا كَانَ يَحَاوِلُهُ عُيَيْدُ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ؛ وَجَيْشٌ مَعَ أَبِي
 زَاكٍ جَيْشًا عَظِيمًا؛ فَحَارَبَهُمْ أَبُو زَاكٍ حَتَّى هَزَمَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ، وَقَتَلَ كَثِيرًا
 مِنْهُمْ؛ وَبَعَثَ بِرُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ وَأَذَانَ مَقْرُطَةً لِمَنْ قَتَلَ؛ فَتَنَصَّبَتْ بِرَقَادَةٍ.

1) A. et B. لَوَاتَةٌ. Le passage est ainsi résumé par le *Bayân*: وفيها حاصر إطرابلس
 هواره وزناته ولواتة وغيرهم من القبائل. فأخرج إليهم أبو زاكٍ تمام بن معارك في جيش عظيم
 فحاربهم حتى قتلهم. وكان مذهبه مذهب أبي عبد الله في الغدر بعبيد الله والخلع له؛ فأراد
 أن يبعدة.

ذَكَرَ قَتْلَ عُيَيْدِ اللَّهِ (الشَّيْعِيِّ) لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ وَأَبِي زَاكٍ

وذلك أَنَّ عُيَيْدَ اللَّهِ كَتَبَ إِلَى [مَافَتُونَ بْنِ دَمَارَةَ الْأَجَانِي] عَامِلِهِ بِاطْرَابُلسَ،
بِأَمْرِهِ بِقَتْلِ أَبِي زَاكٍ [سَهْمَ بْنِ مُعَارِكِ الْأَجَانِي عَلَى بَنِيَّةٍ بَنَاهَا وَبَنَى نَوَاهَا فِي قَتْلِهِ
وَقَتْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ بَعْدَهُ]. فَبِعَثَ عَامِلَ [اطْرَابُلسَ فِي أَبِي زَاكٍ؟] وَكَانَ
عَمَّهُ؛ ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ كِتَابَ عُيَيْدِ اللَّهِ [إِلَيْهِ] بِأَمْرِهِ بِقَتْلِهِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ أَبُو زَاكٍ،
قَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ! نَقَدْ مَا أُمِرْتُ بِهِ!» (فَقَدَّمَهُ) فَضَرَبَ عُنُقَهُ. وَكَتَبَ إِلَى عُيَيْدِ
اللَّهِ بِخَبَرِ قَتْلِهِ مَعَ حَمَامٍ وَصَلَ إِلَى رَقَادَةَ مِنْ سَاعَتِهِ، * [وَذَلِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ] غُرَّةُ
ذِي الْحِجَّةِ [سَنَةِ ٢٩١]. فَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرَ إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ (الشَّيْعِيِّ)، أَمَرَ عُرْوَةَ^١
ابْنَ يُوسُفَ [الْمَلُوسِيَّ]^٢ وَجَبْرِ بْنَ نُهَاسٍ [الْبَيْلِيَّ]^٣ أَنْ يَكْمُنَا خَلْفَ قَصْرِ الصَّخْنِ؛
فَإِذَا مَرَّ بِهِمَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ وَأَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ^٣، طَعَنُوهُمَا بِالرَّمَاكِ حَتَّى
يَمُوتَا. فَكَمُنَا (لَهُمَا) هُنَاكَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ كُتَّامَةٍ. وَبِعَثَ عُيَيْدُ اللَّهِ فِي أَبِي عَبْدِ
اللَّهِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ لِيَحْضُرَا طَعَامَهُ عَلَى [جَارِي] عَادَتِهِمَا [مَعَهُ]. فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْضِعِ
الَّذِي فِيهِ الْكَمِينَ، خَرَجَ عَلَيْهِمَا؛ فَصَاحَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِعُرْوَةَ: «لَا تَفْعَلْ يَا
وَلَدِي!» فَقَالَ [لَهُ] عُرْوَةُ: «أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ مَنْ أَمَرَتِ النَّاسَ بِطَاعَتِهِ، (وَالْخَلَعَتِ
لَهُ مِنَ الْمُلْكِ بَعْدَ نَوَاطِئِهِ)!» ثُمَّ طَعَنَهُ [بِيَدِهِ] طَعْنَةً وَاحِدَةً خَرَّ مِنْهَا صَرِيعًا؛
وَوَقَعَتْ فِي أَبِي الْعَبَّاسِ تِسْعَ عَشْرَةَ طَعْنَةً؛ وَذَلِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَقْتُ الزَّوَالِ،
مُسْتَهْلٌ ذِي الْحِجَّةِ. وَمَكَّنَا صَرِيعَيْنِ [عَلَى صَفِّ الْخَفِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَحْرَا] إِلَى بَعْدِ
الظُّهْرِ؛ ثُمَّ أَمَرَ عُيَيْدُ اللَّهِ بِدَفْنِهِمَا؛ [فَدَفَّنَا فِي الْجَنَانِ؟] وَقَالَ: «رَحِمَكَ اللَّهُ! أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ! وَجَازَاكَ فِي الْآخِرَةِ [بِقَدِيمِ سَعْيِكَ]! وَلَا رَحِمَكَ [اللَّهُ] أَبَا الْعَبَّاسِ!
فَإِنَّكَ صَدَدْتَهُ عَنِ السَّبِيلِ، وَأَوْرَدْتَهُ مَوَارِدَ الْهَلَاكِ!» ثُمَّ قَرَأَ: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ؛ وَإِنَّهُمْ لَيَبْصِطُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ

وَأَخْرَجَهُ مَعَهُ: A. et B. 2-2) غُرْوِيَّة. A. 1)

فَإِذَا قَرَّبَ مِنْهُمَا الدَّاعِيَ وَأَخُوهُ الْمَخْطُومَ. A. et B. 3-3)

وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ^(١)]. وكتب الى الشيعة بالمشرق في أمرهما: «أما بعد، فقد علمتم^(٢) محل أبي عبد الله وأبي العباس من الإسلام. فاستزلهما الشيطان؛ فطهرتهما^(٣) بالسيف! والسلام.» [وحدث الثقة أن أبا عبد الله نام يوماً بحضرة أصحابه، * وعند جماعة من دعاة كُتامة؛ فتحرك في نومه؛ فانكشفت P. ١٦٥ سوءته؛ فنظر بعضهم الى بعض، ولم يقدموا أن يستروه. فمدَّ عروة بن يوسف يده الى الملحفة التي كانت عليه؛ فستره بها. وانبه أبو عبد الله؛ فقال: «من سترني إذا انكشفت؟» فقالوا له: «عروة!» فقال: «هو والله! قاتلي!» فجعل عروة يبكي بين يديه، ويقول له: «يا سيدي! مَرُّ بقتلي!» فقال له: «لا سبيل الى ذلك! لكنك، والله! قاتلي!» فكان الأمر كما ذكرنا^(٤). واحتجب عبيد الله عن كُتامة أياماً؛ ثم أَمَنَهُم وأدخلهم على نفسه مُفْتَرِفِينَ على حَذَرٍ منهم؛ ثم عمل على قتل جماعة منهم؛ فقتلهم بأصناف من القتل. وفيها، خرج سي بن دوقان ورجاه بن أبي قنَّة^(٥) الى لوانة [في عسكر ضخم]؛ فقتلهم، وغنموا أموالهم، وسبوا ذرارهم؛ [وقرئ بذلك كتاب عبيد الله بالفيروان وأعمالها^(٦)].

وفي سنة ٢٩٩، أخرج عبيد الله الى المغرب جماعة من قواده لمحاربة زنانية، في عساكر عظيمة؛ فكانت بينهم وبين زنانية وقعة عظيمة بموضع يُعرف بفلك مديك، قُتل فيها من زنانية عدد لا يُحصى. وفيها، فُتحت مدينة تيهزت؛ وكان^(٥) أهلها قد ناروا على دواس عاملها، وأرادوا قتله^(٦)؛ فهرب [منها] الى تيهزت القديمة، ونحَصَّن بها. وقُتل [فيها] أكثر أصحابه؛ وكانوا في نحو ألف فارس. واستدعوا محمد بن خزر؛ فقدم عليهم، وأدخلوه البلد، وولَّوه، وبرزوا

1) Cor., XLIII, 36—37.

2) A. et B. علمنا.

3) A. et B. فضربتها.

4—4) A. et B. ثم عمل سفرة.

5) A. et B.: وفي سنة ٢٩٩، كانت وقعة بين عساكر عبيد الله وبين زنانية، قُتل فيها من زنانية خلقاً كثيراً. وكانت أيضاً ملحمة بنهرت، وذلك أن...

6) A. et B.: الوثوب به.

إليه بأثم دَوَّاس وعياله و[أكثر] سلاحه؛ ثم خَذَلُوهُ وَخَذَلَهُمْ؛ فزال عنهم،
 P. 166 وانصرف إلى موضعه. ثم أخرج عُبَيْدُ اللَّهِ العساكر إلى * تَبَهَّرَتْ في أعداد
 عظيمة وخلق لا يُحصى كثرة؛ فنزلت عليها يوم الجمعة لانسلاخ المحرم؛ وحارب
 أهلها ثلاثة أيام. ثم أُخِذُوا بِالْكَيْدِ، ودخلت العساكر تَبَهَّرَتْ يوم الثلاثاء
 لأربع خلون من صفر؛ فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والذرية، وانهبوا الأموال،
 وحرقوا المدينة بالنار. وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل. ثم ولَّى عُبَيْدُ
 اللَّهِ تَبَهَّرَتْ مَصَالَةَ بن حَبُوس بن مُنَازِل بن بَهْلُول المِكْنَسِيَّ. وانصرف دَوَّاس
 ابن صُولَات إلى مدينة رَقَّادَةَ. وقتله عُبَيْدُ اللَّهِ بعد ذلك.

أوفيها، كانت بِالْفَيْرَوَان زلازلٌ وهذات؛ وخُصِفَ بقرية في الساحل، تُعرف
 بالنَّيَّاس. وفيها، كانت وقعة كُتامة بِالْفَيْرَوَان يوم الثلاثاء لعشر بقين من
 شعبان؛ فقتل منهم في الأزقة والأسواق أكثر من ألف رجل؛ وذلك أن
 كُتامة كانوا يَسْتَلُون عُبَيْدَ اللَّهِ أن يُطلق أيديهم على نهب الفَيْرَوَان؛ وكان
 يُسَوِّفُهُمْ في ذلك، ويُعَلِّقُ أَطْعَامَهُمْ بِهِ. وَهُمْ يَنْحَامِلُونَ على أهل الفَيْرَوَان
 بالتطاوُل والأذى. حتى شَرِقَ النَّاسُ بِهِمْ؛ فقاموا عليهم في بعض الأيام، بسبب
 استنطال رجلٍ من [جد] كُتامة على رجل من تجار أهل الفَيْرَوَان. فلما دافعه
 عنه، شهروا عليهم السلاح، وأرادوا نهبَ الحوانيت. أفصح أهل الأسواق:
 «الفير! الفير!» فقتل من كُتامة أكثر من ألف رجل. وركب أحمد بن أبي
 خنيزر، صاحب مدينة الفَيْرَوَان، فسكن الناس، وأمر بتغيب القتلى؛ فطُرحوا
 في المراحِض. وأحق مَنْ كان حَوَالَى رَقَّادَةَ من كُتامة ببلادهم. فلما حصلوا
 P. 167 بها، أظهرُوا الخِلاف [على عُبَيْدِ اللَّهِ]، وقَدَّمُوا على أنفسهم * حَدَثًا يُعرف
 بِالْمَارِطِي⁽¹⁾، واسمه كادو بن مُعَارِك، وجعلوه قِبْلَةً يُصَلُّون إليه، وزعموا أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ
 الْمُنْتَظَرُ، وكتبوا كتاباً فيه شريعةٌ زعموا أَنَهَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ⁽²⁾. فتغلب على جميع

1) Cette leçon, fournie par le Bayan, semble préférable à الماروطي adopté par

Dozy, d'après G.

2) On a suivi ici la version fournie par B.

الزباب، وقوى أمره، واشتدت شوكته. فأخرج اليه عبيد الله قواداً حاربهم. [وهرب اليهم أحد القواد، وهو ضولات بن جندة، في نحو مائتي رجل.] ثم أخرج [عبيد الله] ابنه أبا القاسم [إلى بلد كُتامة لمحاربة المارطي؛ ففصل من رفادة يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان.] فافتتح [مدينة] القسطنطينية¹ من أرض كُتامة [وغيرها]. وكانت له على المارطي وقائع. [وهرب من قواد أبي القاسم إلى المارطي رجال؛ ثم آمنهم أبو القاسم ولاطفهم حتى انصرفوا إليه. وفيها، قُتل بالقيروان قوم اتهموا بالميل مع أبي عبد الله الشيعي، إذ نوى الغدر بعبيد الله، منهم محمد بن أبي سعيد الميلي، صاحب السوق، وعبد الله ابن محمد المعروف بابن القديم، ومحمد بن أبي رجّال الباغي؛ وأبو الوهب بن عمرو بن زُرارة العبدري، وجماعة من بني الأغلب وقوادهم. وقُتل أبو إبراهيم المعروف بابن الجاوي القرشي الفهري، وهو القائم على إبراهيم بن أحمد بن الأغلب مع أهل تونس. وفيها، ولد أبو الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي وولي إفريقية سبع سنين.] وفيها، مات زيادة الله [بن] عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب [الهارب [من إفريقية] إلى مصر؛ ودُفن ببيت المقدس.] (وكان، لما فرّ عن القيروان بعباله وماله وألف صقلبي، ترك جارية؛ فغنت له، محرّكة على حمل نفسها [منسرح]:

P. 178 * لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الْوِدَاعِ مَوْقِفَهَا وَجَفْنُهَا فِي دَمْعِهَا غَرِقُ
وَقَوْلُهَا، وَالزَّكَاةُ وَاقِفَةٌ: «تَتْرُكُنِي سَيِّدِي وَتَنْطَلِقُ!»²

قال المظفر³: فحطّ حمل مال، وحملها في مكانه. وقال غريب: فدمعت عيناه؛ واشتغل عنها بما هو فيه؛ فتركها. ووصل إلى مصر؛ فبنى عند عيسى النوسري صاحبها ثمانية آبام، ورحل إلى الرقة؛ فبُيع الدخول إلى بغداد، وأُمِرَ بالانصراف إلى مصر؛ فسبّه بعض عبيده؛ فمات.

1) B. قسطنطينية. 2) Voir *supra*, p. 147, avec une variante à chacun des deux vers. 3) A. الطبري.

[وفيها، مات من الفقهاء المَدَنِيِّين، وأهل العلم باللغة والنحو وفصاحة اللسان، عبدُ الله بن محمد التَّمِيمِيُّ المعروف باليَدِيِّ¹، وهو من وَلَدِ عُبَاد بن كَثِير، مات ابن سبع وثمانين سنة.]

وفي سنة ٢٠٠، خَالَفَ أَهْلُ مَدِينَةِ إِطْرَابُلُسَ على عُيَيْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ²، إِذْ كان قد استعمل عليهم ماقنون بن دُبَّارَةَ الْأَجَّانِي، فَبَسَطَ أَدَى بَنِي عَمَّةٍ من كُتَّامَةٍ على الناس، وتطاولوا إلى الحرم، فَنَحَرَكَ السَّوَادَ، ومدُّوا أيديهم إلى من لقوا من كُتَّامَةٍ، فقتلوه. وهرب ماقنون. وأغلق أَهْلُ إِطْرَابُلُسَ أَبْوابَ المَدِينَةِ، وقتلوا من كان داخلها من كُتَّامَةٍ، وقَدَّمُوا على أَنفُسِهِم مُحَمَّدَ بنَ إِسْحَاقَ، المعروف بابن الفَرَلِينَ، وحقَّقَ ماقنون عُيَيْدَ اللَّهِ³. فأخرج إليهم جيشاً، وحاربهم شهوراً. وفيها، قتل أبو القاسم الشَّيْعِيُّ [من بلد كُتَّامَةٍ] إلى رَقَّادَةَ، ومعه المارطِيُّ الفائز وأصحابه [أَسْرَى]؛⁴ فَتَوَفَّوْا بِالْقَبْرِوَانِ⁴ على الجمال. [وعالِمُ الفلاس الضَّوَالِ P. ١٦٩ المشهورة بالقرون * والمصانع]؛ فَقتلوا بِ[مَدِينَةِ] رَقَّادَةَ. [وفيها، خالفت جزيرة صَقْلِيَّةٌ، وثاروا بِالْحَسَنِ وعلى ابْنَيْ أَحْمَدَ بنِ أَبِي خَنْزِيرٍ العَامِلَيْنِ عليها. وطردها، وانتهى دورها. وأراد أَهْلُ صَقْلِيَّةٍ أَنْ يَقْدِمُوا على أَنفُسِهِم أَحْمَدَ بنَ زِيَادَةَ اللَّهِ بنَ قُرْهَبٍ؛ فامتنع عليهم، وهرب منهم. ونوارى عنهم في غار؛ فاجتمع وجوه أَهْلِ البلد إليه، وسألوه التَّائِمَ عليهم، وأوثقوه من أَنفُسِهِم أَنَّهُمْ لَا يَجْدُلُونَهُ. فتولَّى أَمْرَهُمْ، وكتب إلى الْمُقْتَدِرِ بِبَغْدَادَ أَنَّ يَكُونُ دَاعِيَا لَهُ. وفائماً بأمره بجزيرة صَقْلِيَّةٍ؛ فَأَنفذَ الْمُقْتَدِرُ ذَلِكَ لَهُ، وبعث إليه بِالْوَيْهِ سَوْدٍ. وخالَعَ سَوْدٍ. وطوقَ ذهباً؛ ووصل ذلك إلى أَحْمَدَ بنِ زِيَادَةَ اللَّهِ بنِ قُرْهَبٍ؛ فَسُرَّ بِهِ، وَأَظهرَ الْحَزْمَ والجَدَّ في أَمْرِهِ.]

وفيها، خرج أبو القاسم [بن عُيَيْدِ اللَّهِ] لِمُحَارَبَةِ إِطْرَابُلُسَ. [وفصل من

1) أَلَمْ يَدَقْ؟ Pent-être faut-il rétablir:

2) B. ajoute بِالْمَهْدِيِّ كَذِباً وزوراً

3) وَقتلوا كَثْرَةً من كان بها من كُتَّامَةٍ، وَعَدُّوا ذَلِكَ أَكْبَرَ جِهَادٍ. وخرج إلى: Bayān

4) وَأَدْخَلُوا مَشْهَرَيْنِ: Bayān 4-4 عييد الله منها: فليحق به ...

رَقَادَة يوم الأحد لليلتين خلتا من جمادى الأولى. ووجه إليها عبيد الله في البحر خمسة عشر مركباً حربيةً. فلما وصلت إلى إطرابلس، أخرجوا إليها مراكبهم؛ فحرقوا الأسطول، وقتلوا من فيه. وسار أبو القاسم في البر نحو إطرابلس؛ فأوقع بأهل هَوَارَة؛ ثم نزل على إطرابلس؛ فحاربها [وحاصرها حتى أكلوا البيّنة؛ فرغبوا [إلى أبي القاسم] في الأمان؛ فأمنهم إلا ثلاثة أنفس [اشتراط التحكم فيهم: وهم محمد بن إسحاق الفرثي، ومحمد بن نصر، ورجل يعرف بالحوحمة¹]. فدخل إطرابلس ونحّم فيها. ثم قتل بالعسكر إلى رَقَادَة، وبين يديه الثلاثة الذين تقدّم ذكرهم؛ فطوّفوا بالقيروان على الجمال بالفلائس؛ ثم قتلوا. وفيها، قتل أبو القاسم [بمدينة إطرابلس، عند افتتاحه لها] من كان معه من بني الأغلب [وقوادهم].

وفيها، خرج عبيد الله من * [مدينة] رَقَادَة إلى تونس [وقرطاجنة] ونواحي P. 17. البحر، يرتاد موضعاً ليتخذ دار مملكته. فوقع اختياره على جزيرة جمّة؛ فابتدأ ببنائها، وهي التي تسمى المهدية.

[وفيها، ولي أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي ديوان البريد؛ فلم يزل ينوّل ذلك إلى أن هلك. وفيها، قتل بالقيروان محمد بن أبي أيوب المعروف بأبي العاهة؛ وكان ممن رُفِع عليه أنّه يُحاول القيام على عبيد الله؛ فاخفى؛ وهُدِمت بسببه دُور؛ ثم خرج بنصيحة أظهرها لعبيد الله في أهل القيروان؛ ففعل عنه أياماً؛ ثم قتل. وفيها، قتل من التجار أبناء الأندلسيين بالقيروان أبو جعفر بن خيرون²، صاحب المسجد الشريف والفنادق المجاورة للسجن، بسعى كان للفاضل المروزي³ عليه، وشهادة شهد بها أنّ قلبه وديعة كبيرة؛ فطُوبل بها، وعُذِب حتى مات.]

1) Sic in G.

2) G. حرون (restitution douteuse). On pourrait lire également: جَبْرُون.

3) C'est ainsi qu'il y a lieu de lire cet ethnique, tel qu'il figure dans les *Ṭabaṭāt* d'Abu 'l-'Arab, p. ٢٢٩. Corriger *supra*, p. ١٥١, l. 20; p. ١٥٢, l. 8 et 10; ١٥٩, l. 15.

وفي سنة ٢٠١، أخرج عُبيد الله الشيعي حُباسَة بن يوسف بالجيوش الى المشرق؛ فدخل مدينة سُرْت [بالأمان، وهرب من كان فيها من جُنْد بني العباس؛ وقُرئ بذلك كتاب في الجوامع بإفريقية. ودخل حُباسَة] مدينة أَجْدَايَة بالأمان [أيضاً]، وهرب من كان فيها لبني العباس. ودخل مدينة بَرْقَة. [وكان عُبيد الله يمدُّ حُباسَة بن يوسف بالجيوش؛] فكلَّمها دخل مدينة، P. ١٧١ قتل أهلها، وأخذ أموالهم، وعاث فيهم^١، [وتعلَّل على * أهل العافية منهم، حتى لقد أخذ بَبْرَقَة جماعة كانوا يلعبون بالحمام؛ فأضرم لهم ناراً، وأجلسهم حَوَالِهَا، وأمر بأن تُقَطَّع لحومهم وتُسَوَّى، ثمَّ يطعمونها؛ وقذفهم بعد ذلك في النار، وقال: «إن هذه الحمام كانت تأتِيهم بالأخبار من قِبَل بني العباس!» وبرز بَبْرَقَة: «من أراد العطاء والرزق الواسع، فليأت!» فاكْتَتَبَ عنده جماعة، وأمر العُرفاء من كُتَّامَة بأن يعرفوهم بأعيانهم، ويرقب كل واحد منهم رجلاً من أولئك المُكْتَتِبِينَ عنده؛ ثمَّ أمرهم أن يحضروا بالغداة لِأَخْذِ الأرزاق. فلما حضروا، قتل جميعهم، وكانوا نحواً من ألف رجل؛ فأمر بجمع جُثثهم، ووضع عليها كُرْسِيّاً، وجلس فوقه؛ ثمَّ أدخل وجوه أهل البلد؛ فنظروا الى ما هالم من كثرة القتل؛ ومات منهم ثلاثة من الخوف والرعب. فلما مثل أهل البلد بين يَدَيْهِ، سبَّهم، وقال: «إن لم تحضروني غداً مائة ألف مثقال، قتلنكم أجمعين!» فأحضروه إِيَّاهَا. [ووردت على حُباسَة عساكر عظيمة من مِصْرَ لمحاربتة؛ فدارت بينهم حربٌ عظيمة،] كانت فيها ردعات على حُباسَة؛ ثمَّ انهزمت جيوشُ مِصْرَ، وأتبعهم حُباسَة، وقتل كثيراً منهم.

وفيهما، قتل حُباسَة بن يوسف حارثاً ونزاراً ابْنَيْ حَمَّال المَرَّاتِيّ، في نفر من أبنائهم وبني عِيَمِهِ، بمدينة بَرْقَة، وباع نساءهم، وأخذ جميع أموالهم، إذ كان عُبيد الله الشيعي قد خطر بهم في حين قدومه من مِصْرَ؛ فأدعى أنهم سرقوا له حَمْلَ مالٍ ومناعٍ. فلما طالب ذلك عندهم، قام اليه رجلٌ منهم؛ فشتبه ولطمه؛

١) A. et B. ajoutent والتقى من القوم.

فكان ذلك سبب قتل حُباسة لهم، على ما أمره به عُبيد الله وحده له. ثم إنَّ
 أهل بَرْقة كتبوا إلى عُبيد الله بما دار عليهم من حُباسة، وقتل رجالهم، وسبائه
 نساءهم، وأخذ أموالهم؛ فجاوبهم يعتذر إليهم، ويحلف أنه ما أمر بشيء مما
 ذكروه * إلا في النفر الثلاثة. وكتب إلى حُباسة، يأمره بالرحيل عنهم. فتوجه P. ١٢٢
 بالعساكر نحو مِصْرَ. [فنزل بجبل مفة¹]، وحارب الحصون التي تجاوره حتى
 أخذها، وقتل أهلها، وأخذ أموالهم، وسبى ذرارهم.

[خروج أبي القاسم الشيعي لمحاربة مِصْرَ]

وفيها، خرج أبو القاسم بن عُبيد الله من [مدينة] رَقَّادَة، غازياً إلى مِصْرَ
 [في حشود عظيمة]. وفيها، أحرق محمد بن أحمد بن زيادة الله بن قُرْهَب
 أسطول عُبيد الله الشيعي بمرسى لَمْطَة، وقتل فائده الحسن بن أحمد بن أبي
 خنيزر: قتله محمد بن قُرْهَب ذبحاً بيده، وقطع يديه ورجليه، وأسّر من أصحابه
 [نحو] ستمائة رجل، [وأحرق جميع الأسطول]. وبلغ عُبيد الله ذلك؛ فبعث
 جيشاً [للدفاع عن الأسطول، إذ ظنَّ أنه لم يُحرق]. فخرج أصحاب ابن قُرْهَب
 إليهم، وقاتلهم حتى هزمهم، وغنموا [ما كان في العسكر. وفيها، مات بالقيروان
 أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الحسن البصري القرشي. وفيها، مات بقصر
 الطوب، وهو موضع رباط بجانب سوسة، أبو يونس الزاهد؛ ونفر أهل
 القيروان لشهود جنازته].

وفي سنة ٢٠٢، دخل أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعي مدينة الإسكندرية،
 ومعه حُباسة الفائد. فألفاها خالية، قد هرب أهلها في البحر، بما خفَّ من أموالهم؛

1) Lecture douteuse. Le ms. porte مجل معه (?).

2) Toute la relation de cette année et des suivantes figure dans le *Bayān* sous une forme résumée et dans un ordre parfois différent. La version de A. est plus développée que celle de B. Il ne semble pas utile de fournir ici toutes les variantes qui sont reproduites dans la première édition.

وَأَسْلَمُوا سَائِرَ أَتْقَانِهِمْ . فَاحْتَوَى أَبُو الْقَاسِمِ وَحُبَاسَةَ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ . وَوَصَلَ أَبُو
 P. ١٧٣ الْقَاسِمُ إِلَى الْيَوْمِ ؛ * فَعَسَكَرَ بِهَا حَتَّى قَدِمَ قَائِدُ الْخَلِيفَةِ مُؤْنِسُ الْفَتَى مِنَ الْعِرَاقِ
 لِمُحَارَبَتِهِ . ثُمَّ أَنَّ حُبَاسَةَ [ابن يوسف] هَرَبَ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ ؛ وَكَانَ
 سَبَبُ هَرَبِهِ أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ بَعَثَ إِلَيْهِ مِنَ الْيَوْمِ أَبَا فَرِيدَنْ الْقَائِدَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ
 يَسْتَخْلِفَهُ عَلَى الْجَبُوشِ وَيُلْحِقَ حُبَاسَةَ بِهِ فِي الْيَوْمِ ؛ فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : « لَمَّا
 أَشْرَفْتُ عَلَى أَخْذِ الْبَلَدِ ، يَفُوزُ أَبُو فَرِيدَنْ بِخَيْرِهِ وَذَكَرَهُ ! » فَرَكِبَ حُبَاسَةَ فِي نَحْوِ
 ثَلَاثِينَ فَارَسًا مِنْ بَنِي عِمَّةَ ، وَخَرَجَ هَارِبًا إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ . فَكَتَبَ أَبُو الْقَاسِمِ
 إِلَى عُمَالِ الطَّرِيقِ [بِخَبْرِهِ ، وَأَمَرَهُمْ] بِارْتِصَادِهِ [وَأَخْذِهِ إِنْ مَرَّ بِهِمْ] . وَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ
 عُيَيْدُ اللَّهِ بِذَلِكَ . وَنَزَلَ مُؤْنِسُ الْفَتَى مِصْرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلنَّصَفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛
 فَرَحَلَ أَبُو الْقَاسِمِ [مِنَ الْيَوْمِ ، مَنْصَرَفًا إِلَى] إِفْرِيقِيَّةَ بِمَا خَفَتْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْكَسَى
 وَالسَّلَاحِ . فَضَرَبَتْ جَبُوشُ مِصْرَ فِي سَافَتِهِ ؛ فَأَخَذَتْ مَضَارِيهَ وَسِلَاحًا [كَثِيرَةً]
 وَأَثَانًا . [وَوَصَلَ حُبَاسَةَ إِلَى حُوزِ بَرْقَةِ ؛ ثُمَّ إِلَى نَفَرَاوَةَ] ؛ فَعَثَرَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ؛
 [فَهَرَبَ أَصْحَابُهُ . وَأَخَذَ حُبَاسَةَ ، وَقِيدَ] . وَحُمِلَ إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ ؛ فَحَبَسَهُ ، وَحَبَسَ
 جَمِيعَ أَهْلِهِ . وَ[فِيهَا] ، حَاولَ عَرُوبَةُ الْهَرَبِ [مِنْ سِبْهَرْتِ] ، إِذْ بَلَغَهُ خَبَرُ حُبَاسَةَ
 P. ١٧٤ [وَهَرَبِهِ ؛ وَقِيلَ إِنَّ حُبَاسَةَ كَاتِبَهُ ، وَإِنَّهُ كَانَ يَرْجُو النِّجَاحَ بِهِ * وَالْاِعْتِصَامَ
 بِكَوْنِهِ مَعَهُ . فَلَمَّا أَخَذَ حُبَاسَةَ ، نَفَرَ عَرُوبَةُ وَخَافَ] ؛ فَهَرَبَ بِمَالِهِ . فَظَفَرَ بِهِ [بِجَبَلِ
 أَوْرَاسِ] ؛ فَقُتِلَ ، وَبُعِثَ بِرَأْسِهِ إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ . فَلَمَّا وَصَلَ [الرَّأْسُ] إِلَيْهِ ، [وَعَلِمَ
 النَّوَاطِئَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ حُبَاسَةَ وَبَيْنَ عَرُوبَةَ] ، أَمَرَ بِقَتْلِ حُبَاسَةَ وَجَمِيعِ قَرَابَتِهِ ؛
 [فَأَخْرَجُوا مِنَ السِّجْنِ] ، وَقَطَعَتْ رُؤُوسُهُمْ ، وَكُتِبَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي بَطَائِقَ ، وَعُلِّقَتْ
 مِنْ آذَانِهِمْ ، وَأُدْخِلَتْ إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى رَأْسِ حُبَاسَةَ وَعَرُوبَةَ ؛
 فَقَالَ : « مَا أَعْجَبَ أُمُورَ الدُّنْيَا ! هَذِهِ الرُّؤُوسُ ضَاقَ بِهَا الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ،
 وَحَمَلَتْهَا هَذِهِ الْفَقَّةُ ! » وَأَمَرَ بِطَرَحِهَا بِجَمَاعِ الْاِسْكَنْدَرِيَّةِ سَرًّا .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مَاتَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ صُبَيْحِ الْغَسَّائِي الْفَنِيهِ ؛ وَكَانَ قَدْ
 صَحَبَ سَعْدُونَ بْنَ سَعِيدٍ وَحَمَلَ عَنْهُ عَلَيْهِ . وَفِيهَا ، خَالَفَتْ مَدِينَةُ بَرْقَةِ ؛ وَكَانَ أَبُو

القاسم، لما مرّ بهم في انصرافه من مِصْرَ، قد هتّوه بالسلامة؛ فزعم لهم أنّه إنّما كان طلب حُباسة ليعاقبه على فعله بهم، وأمّره ببيان ثلم مدينتهم، واستخلف عليهم رجالاً من كتامة. فلما ولى عنهم أبو القاسم، وعلموا الحال التي انصرف عليها من مِصْرَ، بدر الغوغاء الى من كان خلف عندهم من كتامة؛ فقتلوه. ووصل أبو القاسم الى مدينة [رقادة مُنْصَرَفَه عن النِّيَوم [يوم الأحد] لعشر خلّون من ذى القعدة .

وفي سنة ٢٠٢، [مات زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب بالرّملة، وترك من المال، فيما ذكر من كان بحضرته، ألف مثقال من ضرب سكّته . و] كان بإفريقية [وما والاها في هذا العام] وباه كثير؛ فات * بها من P. ١٧٥ قُرَيْشِ الْقَيْرَوَانِ أَبُو الْمُصْعَبِ بْنِ زُرَّارَةَ الْعَبْدَرِيُّ. ومات حِمَّاسُ الْقَاضِي ابْنِ مَرْوَانَ بْنِ سِمَاكِ الْهَمْدَانِيِّ؛ وكان فقيهاً زاهداً ورعاً. ومات مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ السُّوسِيِّ. ومات خَلْفُ بْنُ مَعْمَرِ بْنِ مَنْصُورٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعِرَاقِيِّينَ؛ وكان يروى عن أبيه، عن أسد بن الفُرات، وكان قد تشرّق أوّل دخول الشيعة إفريقية، ليعنصم بذلك من مطالبة الشيعة لولده ببال كان غمس يده فيه عند هرب زيادة الله من رقادة؛ وكان والد مَعْمَرِ بْنِ مَنْصُورٍ قد سمع من ابن قُرُوح، ومن أسد ابن الفُرات؛ وكان أَصَحَّ أَصْحَابِهِ سَمَاعاً عنه؛ وكان مَعْمَرُ يَقُولُ بِتَحْلِيلِ الْمُسْكِرِ مَا لَمْ يُسْكِرْ مِنْهُ. وفيها، مات القاضي المروزي، [وهو مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ، في العذاب [برقادة، ودُفِنَ بِبَابِ سَالِمٍ لَيْلاً]؛ وطولب أهل الْقَيْرَوَانِ بِمَالِهِ؛ فامتنح بذلك جماعة من [وجوه أهل الْقَيْرَوَانِ و] فضلائهم [ونجارهم .

وفيها، أخرج عُيَيْدُ اللَّهِ الْجَبُوشُ الى مدينة بَرْقَة مع أَبِي مَذَيْنِ بْنِ قُرُوحِ اللَّيْبِيِّ]. وفيها، ولى عُيَيْدُ اللَّهِ (بإفريقية الخراج) أَبَا مَعْمَرِ عِمْرَانَ بْنِ أَحْمَدَ [ابن عبد الله بن أَبِي مُحَرَّرِ الْقَاضِي؛ فتولّى بوظيف التفسير] على ضياع إفريقية، بعد ان وزّع جميعها ونظر الى أَوْفَرِ مَالٍ ارتفع من العُشُورِ في سنةٍ وَأَقْلَهُ؛ ثمّ جمع المالكين، ووظّف الشُّطْرَ على كلّ ضبعة .

وفيهما، اضطرب أمر جزيرة صِفِيلَةَ على ابن قُرْهَب، [وأجمع بعضهم على خلعه، P. ١٧٦] وكانوا عُبِدَ الله في أمره؛ فداراهم ابن قُرْهَب * وذكرهم بأيامهم له؛ فلم يُلَيْن ذلك منهم حتَّى] صارت بسببه فتنة بصِفِيلَةَ من طائفة كانت معه، وطائفة كانت عليه. فأراد ابن قُرْهَب جواز البحر الى الأندلس؛ واكثرى مراكب، وشحن فيها متاعاً كثيراً. فحال أهل صِفِيلَةَ بينه وبين ما أراد، وانهبوا ما كان له في تلك المراكب، وأسروا ابن قُرْهَب، وابنه، وقاضيه [المعروف بابن الخائى؛ وقيدوا أجمعين]، وبعثوا الى عُبِدَ الله. وكتب أهل [جزيرة] صِفِيلَةَ أن يوجه اليهم عاملاً وقاضياً، [وأنهم لا يحتاجون الى رجال ولا مدد]؛ واشترطوا في كتابهم إليه اشتراطاً أغضبه عليهم، وأغراه بهم، وحرك منه لمحاصرهم، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي سنة ٢٠٤، [في المحرم منها]، وصل ابن قُرْهَب وأصحابه الى [مدينة] سوسة مُصَفَّدين في الحديد. وكان [عُبِدَ الله] [الشيعة] بها. فأوصل ابن قُرْهَب الى نفسه، وقال له: «ما حملك على الخلاف علينا وجحد حقنا؟» فقال له: «أهل صِفِيلَةَ ولوني، وأنا كارهة، وخلعوني، وأنا كارهة!» فانصرف عُبِدَ الله بهم الى رقادة، وأمر بابن قُرْهَب وأصحابه؛ فضربوا بالسياط، وقطعت أيديهم وأرجلهم على قبر المحسن بن أبي رِخْتِير [بباب سالم، وصلبوا هناك. وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة، كمل سور المهدية، ونصبت أبوابها]. وفيها، أخرج عُبِدَ الله الجيوش ~~الأساطيل~~ الى صِفِيلَةَ، [وقدم عليها أبا سعيد المعروف بالضعيف. P. ١٧١] فحاصروهم ~~بها~~، وقتل منهم * [جُملاً]، وأجال كُتامة على من أُلنى في أرباض المدينة من النساء والذرية؛ [فبعث بهم]، واقترع [الجواري] الأبقار. وكتب أبو سعيد الضعيف الى عُبِدَ الله بالفتح فيهم؛ فأمدّه بمراكب ورجال كثيرة. فلما رأى ذلك أهل صِفِيلَةَ، رغبوا [اليه] في الأمان، [على أن يدفعوا اليه من كان شائع بما أحدثوه]. فأمنهم، وهدم سور المدينة، [وأخذ سلاحهم وخيلهم ورقبهم، وفرض عليهم مغرمًا، وبعث بمن أخذ منهم الى عُبِدَ الله في مراكب؛

فانكفأ بهم في البحر. [وولي] أبو سعيد الضئيف على جزيرة [صفينة] سالم بن أبي راشد، و[أبقى] معه جماعة من كُثامة، [وانصرف إلى الفيروان].

وفي هذه السنة، فتحت مدينة بَرْقة على يدي أبي مَدَّين الموجه إليهم بعد أن أفتت الحربُ أكثرَ أهلها مدة ثمانية عشر شهراً، حوصروا فيها؛ وأحرق قومٌ منهم بالنار؛ واستصفي أبو مَدَّين أموالهم، وبعث بجماعة منهم إلى عُبيد الله؛ فأمر بقتلهم. وفيها، مات محمد بن أسود بن شُعيب القاضي الصديقي. وفيها، مات ميمون بن عمر الفقيه، ومحمد بن أحمد الصدفي الزاهد. وفيها، خرج مَصالة ابن حبوس عن تيهرت لمحاربة سعيد بن صالح بن سعيد بن إدريس، صاحب نكور؛ فدارت بينهم حروب كثيرة.

وفي سنة ٤٠٥: افتتح مَصالة (بن حبوس)، قائد عُبيد الله (الشيعة)، مدينة نكور. وقتل بها سعيد بن صالح إريسةا؛ وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم. وانتهب مَصالة مدينة نكور، وسبي * النساء والذرية؛ ثم انصرف ١٧٨ إلى تيهرت، وكتب بالفتح إلى عُبيد الله، وبعث إليه برأس سعيد بن صالح ورؤوس أصحابه؛ فطوّفت بالفيروان. ثم إن بني صالح خرجوا فآزبن بأنفسهم إلى الأندلس، اعنصبن بما تنهى إليهم من فضل أمير المؤمنين الناصر - رضه - وحسن مذهبه في كل نازع إليه ومعنصم به؛ فترلوا برسى مالفه، وعهد بإتزلهم والتوسع عليهم؛ [وبعث إليهم بضروب الكسوة وكل ما احتاجوا إليه من المرافق؛ وخيروا في القدوم إلى قرار السلطان أو المقام في ذلك المكان؛ فاختاروا المقام على برّه وحياؤه]. وكان مَصالة قد استخلف على نكور رجلاً يُقال له ذُلُول. وانصرف إلى تيهرت؛ فافترق عن ذُلُول من كان معه، [وبنى في فل من المشارقة]. فقصه صالح بن سعيد بن صالح من مرسى مالفه؛ فقتله، وقتل أصحابه ولزم نكور، وهادى أمير المؤمنين بالحيل والجمال وغير ذلك.

تلخيص أخبار أمراء مدينة نكُور من حين بنائها على الجملة الى هذه السنة المورَّخة

وذلك أنَّ صالح بن منصور، المعروف بالعبد الصالح، كان دخل أرض
المغرب في الافتتاح الأول زمن الوليد بن عبد الملك؛ فنزل في بني تَمَسَّامان،
وعلى يده أسلم ترُّرُّها؛ وهُم صنهاجة وغمارة. ثم ارتدَّ أكثرُهم لما ثقلت عليهم
شرائع الإسلام، وقدموا على أنفسهم * رجلاً يسمى داوود ويعرف بالمزبدى^١
وكان من نفزة، وأخرجوا صالحاً من بينهم. ثم أفاء الله بالإسلام عليهم، وتابوا
من شركهم. وقتلوا داوود المزبدى، وردُّوا صالحاً. فبقى ذلك الى أن مات
تَمَسَّامان؛ وكان له من الولد ثلاثة: المعتصم. وإدريس؛ أمهما صنهاجية،
وعبد الصمد؛ فولوا المعتصم، ومكث فيهم بسيراً، ومات. فولوا على أنفسهم
إدريس. ثم مات. وولى سعيد بن إدريس؛ وهو الذي بنى مدينة نكُور. ومنها
الى مدينة زواغة، التي كانت للحسن بن أبي العيش، مسيرة خمسة أيام. وكان
لها أربعة أبواب: منها باب سليمان، وباب بنى وزياغل، وباب المصلّى، وباب
اليهود. وبها جامع كبير. وأكثر خشيم الأرز. وبها حمامات كثيرة، وأسواق
عامرة ممتدة. وهي بين نهْرَيْن، أحدهما اسمه نكُور، وبه سُميت المدينة. ودخلها
المجوس سنة ٢٤٤، وتغلبوا عليها، وانتهبوا من كان فيها إلا من خلَّصه الله
بالفرار؛ وأقام المجوس بها ثمانية أيام، وخرجوا منها. وبينها وبين البحر خمسة
أميال. وقامت الدرائس^٢ على سعيد بن إدريس؛ فأظفره الله عليهم، وهزمهم،
وقتل رئيسهم. ثم رجع من نفى منهم الى الطاعة. ومات سعيد بن إدريس بعد
أن ملكهم سبعاً وثلاثين سنة.

وولى ابنه صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور. وكان لسعيد
من الولد منصور، وحماد، وصالح، وزيادة الله، والرَّشيد، وعبد الرحمن

١) البرابر B. ٢) الزيدى B.

الشهيد، ومعاوية، وعثمان، وعبد الله، وإدريس. وكان عبد الرحمن فيها
 يذهب مالك، وحجّ أربعاً، وعبر البحر إلى الأندلس برسم الجهاد؛ فقتل الثائر¹
 ابن حَفْصُون كُلَّ من كان معه؛ وتخلّص هو بنفسه إلى مرسية، وحضر غزوة أبي
 العباس القائد، واستشهد فيها. وقام على صالح أخوه إدريس في بني وَرْبَاغِل
 وجَرْبَاية؛ * فالتقوا بجبل جَرْبَاية؛ فانهزم صالح، وانتهب إدريس عسكره، واستمر^{P. 18.}
 إلى مدينة نَكُور ليدخلها؛ فامتنع أهلها إلى أن أتاهم صالح صاحبها في خاصته؛
 فدخلها في جوف الليل، ولم يعلم أخوه إدريس بذلك؛ وكان قد نزل عليها،
 وطع فيها. فلما كان في غدٍ، أقبل إدريس على فرسه، وهو لا يعلم بأمر أخيه؛
 فأدخلوه المدينة؛ وأرجلَه فتيانُ صالح عن دابته، وأبوا به إلى أخيه؛ فأمر
 بحبسه. ثم أشار عليه فارسُ الوشائ² بقتله؛ فأمر فتى من فتيانه فقال له
 عَمَلُون؛ فقتله.

وامتنعت مكناسة على صالح، وحبسوا مغارمهم. فكتب إليهم نوعدهم؛ وختم
 الكتاب، وأدخله في مخلاة، وشدها على حماره؛ وبعثه مع نَفْتِه، وقال له:
 «إِذَا تَوَسَّطْتَ مَكْنَسَاةً، فَأَتْرُكِ الْحِمَارَ بِهَا عَلَيْهِ وَأَلْصَرْفُ!» ففعل. فوجد
 مكناسة حمار صالح، وقرؤوا كتابه؛ فتبادوا على امتناعهم عليه. ثم انصرف
 رأيهم إلى جمع ما كان عليهم؛ فجمعوه، وجلّلوا الحمار بمَلْحَقَةٍ، وأبوا صالحاً
 بالحمار وبمغارمهم، واستعفوه؛ فعافاهم. وبقي صالح بن سعيد أميراً إلى أن توفى
 بعد أن ملك أزيد من عشرين سنة.

وولي بعده ابنه سعيد بن صالح. فلما توطد الأمر له، دخل عليه عبيد
 الصفاية؛ فسألوه العتق؛ فقال لهم: «أنتم جُنْدُنَا وَعَبِيدُنَا، لَا تَدْخُلُونَ فِي
 وَرَثَتِنَا. فَا طَلَبُكُمْ لِلْعِتْقِ؟» فَأَلْحُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَنَالَهُ جَفَاءَ مِنْهُمْ، وَخَلَعُوهُ،
 وَقَدَّمُوا أَخَاهُ عُبَيْدَ اللَّهِ وَعَمَّهُ الرَّضَى الْمَكْنَى بِأَبِي عَلِيٍّ. وَرَحَلُوا بِهِمَا إِلَى الْقَصْرِ؛
 فحاربهم سعيد من أعلى القصر بمن كان معه وبالنساء. وقامت عليهم العامة؛

1) B. اللعين.

2) A. et B. الوشائ.

فأخرجهم من البلد، وهزمهم. فتحصنوا بغربة^١ سبعة أيام؛ ثم ظفروا بهم سعيد. وكان عمه الرضى صهره؛ فحبسه مع أخيه عبيد الله، وقتل من خرج معهما من بني عمه، منهم الأغلب، وأبو الأغلب. فقام سعادة * الله بن هارون، وهو ابن عم الأغلب؛ فقال: «قتل ابن عمي وأبقى عمه وأخاه!» فألب^٢ عليه بني بصلان، وعقد أمره معهم. وسعادة الله مع سعيد بمدينة نكور. ثم خذله سعادة الله، وانحاز إلى بني بصلان بمن معه؛ فانهزم سعيد. وأخذت بنوده وطبوله، وقتل من مواله نحو ألف رجل، وأتوا مع سعادة الله حتى حاصروا سعيد بن صالح بنكور. ثم كانت الكثرة لسعيد عليهم؛ فهزمهم. وأسرى ميمون بن هارون أخا سعادة الله. وسار إلى نيسابور. فأحرق دياره، وخرّبها، وانصرف إلى نكور. وخرج سعادة الله بعد ذلك إلى بطوية وبني وزيد، ورحف بهم إلى زنانه؛ فحاربهم وهزمهم؛ وانفادت له جميع تلك البلاد. ثم انصرف إلى مدينة نكور؛ فأقام بها مصافياً لسعيد المذكور.

ولما تغلب عبيد الله الشيعي، كتب إلى أهل المغرب، يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدشين بإمامته. وكتب يمثل ذلك إلى سعيد بن صالح. وفي أسفله أبياتاً كثيرة. منها [طويل]:

فإن تستقيموا أنسقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلاً
وأعلو بسيفي فأهراً لسيوفكم وأدخلها عفواً وأملؤها قتلاً^٣

فأجابه شاعرهم؛ فقال [طويل]:

كذبت وبنت الله لا تعرف العدل ولا عرف الرحمن من قولك الفضل
وما أنت إلا كافر ومُنافق سبيل مع الجهال^٤ في السنة المثل
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلا

1) A. et B.: بغرفة (voir *Corr.*, p. 20).

2) B.: لجمع.

3) A. et B.: عدلاً.

4) Ainsi dans A. et B. — Dozy propose de lire, avec al-Bakri et Ibn Haldun: *تميل للجهال*.

فكتب عبيد الله الشيعي الى مصالة قائده على يبهزت ، يأمره بالنهوض الى مدينة
نكور، ويأمره بمحاربة سعيد بن صالح المذكور. فخرج مصالة من يبهزت في
غزة ذي الحجة من السنة الفارطة عن هذه المؤرخة. فنزل من مدينة نكور على
مسيرة يوم. فخرج * اليه سعيد ، فحاربه ثلاثة أيام مكافئاً له. وكان مع سعيد P. ١٨٢
رجل من أعلام البربر، يقال له أحمد بن العباس من بني يطوفت، دعته
نفسه الى أن يقصد محلة مصالة في سبعة فوارس، واقنعم على مصالة؛ فتصاحج
الناس، وأخذ أحمد أسيراً ومن معه؛ فأمر مصالة بضرب أعناقهم؛ فقال له
أحمد: «ليس مثلي يُقتل!» فقال مصالة: «لِمَ؟» قال: «لأنك لا تطمع
في سعيد إلا بسبي!» فاستبقاه. وقرّبه حتى أدب به؛ ثم أعطاه جيشاً؛ فنصد
به جانباً كان يعلم الغرة منه، حتى دخل عسكر سعيد من حيث لا يُظن به.
ففرّق جمعه، وغشي سعيداً ما لم يتأهب له؛ وراذفت عليه العساكر، ونظر أمراً
لا يُستطاع المّقام معه؛ فبعث الى مدينة نكور؛ فأخرج كل من كان في قصره وما
معه، وساروا الى جزيرة في مرسى نكور، ومعهم صالح بن سعيد، وإدريس،
والمعنصم. وقاتل سعيد حتى قُتل واستبيح عسكره. ودخل مصالة مدينة نكور؛
فقتل رجالها، وسبي النساء والذراري. وفي ذلك يقول بعض الشعراء [رجز^١]:

لَمَّا طَغَى الْأَرْدَلُ وَاسْتُ الْأَرْدَلِ
فِي عَصِيَةِ مِنَ الطُّغَاةِ الْجُهْلِ
قَالَ: نَكُورُ دُونَ رَبِّي مَعْفَى!
أَسَاءَ مُحْتَمُومُ الْقَضَاءِ الْفَيْصَلِ
مِنَ الْإِلَهِ الْمُتَعَالَى الْأَعْدَلِ
حَطَّمَ أَهْلَ كُفْرِهِمَا بِالْكَلْكَلِ
وَجَاءَ رَأْسُ رَأْسِهَا الْمُسَدَّلِ

على فنا من الرماح الذُّبُلِ
 ذُولِمَّةٍ شَعْمَاءَ لَمْ تُفْنَلِ
 ولحيفة غبراء لَمْ تَرْجَلِ

P. ١٨٣ * وركب من نجا من ذُرِّيَّةِ سعيد البحر الى مالقة؛ فاستقروا بها لقربها من بلادهم، ورجائهم العُودَةَ اليه. وبقي مَصَالُهُ في نَكُور نحو سَنَةِ أَشْهَر؛ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ذُلُول. فكان من أمره ما تَقَدَّمَ ذَكَرْهُ؛ وذلك أَنَّهُ، لَمَّا افْتَرَقَ عَنْ ذُلُول أَصْحَابُهُ، سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُو سَعِيدٍ بِمَالَقَةٍ؛ فَعَبَرُوا الْبَحْرَ فِي مَرَاكِبٍ مُخْتَلِفَةٍ، فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْفَقُوا عَلَى أَنَّ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا قَبْلُ، فَالْوِلَايَةُ لَهُ، نِقَّةً مِنْهُمْ بِرِعِيَّتِهِمْ. وَكَانُوا إِدْرِيسَ وَالْمُعْتَصِمَ وَصَالِحَ بَنِي سَعِيدٍ. فَوَصَلَ صَالِحٌ مِنْ لَيْلَتِهِ؛ فَتَسَامَعَ الْبَرَبَرُ بِقُدُومِهِ؛ فَتَسَارَعُوا إِلَيْهِ، وَعَقَدُوا لَهُ الْإِمْرَةَ، وَلَقَّبُوهُ بِالْيَتِيمِ، وَزَحَفُوا إِلَى ذُلُول وَأَصْحَابِهِ؛ فَفَتَنَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ. وَكَتَبَ صَالِحٌ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ؛ فَأَمَرَ بِإِمْدَادِ صَالِحٍ بِالْأَخِيَّةِ وَالْأَلَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْبَنُودِ وَالطُّبُولِ؛ فَتَوَطَّدَ الْمَلِكُ بِالْمَغْرِبِ لَصَالِحِ بْنِ سَعِيدٍ. وَبَقِيَ إِخْوَتُهُ فِي الْبَحْرِ شَهْرًا¹ يَنْتَرِدُّونَ فِيهِ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نَكُور. وَهِيَ فِي وَقْتِنَا هَذَا مَدِينَةُ الْحَزِيمَةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا.

[وفي هذه السنة، ثُمَّ شَأْنُ الْفَارِسِيَّةِ بِالْفَيْرَوَانِ؛ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا التَّجَارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ. وَفِيهَا، مَاتَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمَغْرِبَانِ²) مِنْ وَلَدِ عَقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْفَهْرِيِّ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ؛ وَلَهُ سَمَاعٌ كَثِيرٌ مِنْ تَحَنُّونٍ وَغَيْرِهِ. وَفِيهَا، مَاتَ الْفَاضِي بِفَقْصَةٍ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ عَيْسَى بْنِ نَصْرٍ؛ وَكَانَتْ لَهُ زَحْلَتَانِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، أَقَامَ فِيهِمَا عَشْرِينَ سَنَةً؛ وَكَانَ بِهِ بَصِيرَةٌ، وَفِي عِلْمِهِ نَافَذَةٌ. وَفِيهَا، مَاتَ بِمَدِينَةِ رَقَادَةَ مِنْ قُرَيْشٍ إِفْرِيقِيَّةٍ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ! - وَكَانَ قَدْ تَوَلَّى جَبَايَةَ P. ١٨٤ إِطْرَابُلُسَ وَتَوَسَّلَ إِلَيْجَ مَعَ الْقَوْمِ وَبَقِيَ مَعَهُمْ؛ فَتَوَصَّلَ * بِذَلِكَ إِلَى أَخْذِ نِعْمَتِهِ؛

1) شهرين A.

2) Sic dans G.

ومات في عذاب الشيعة . وفيها ، أخذ أهل الضياع بأعمال إفريقية بمغرم سَيِّءِ
النَّضِيع . وزعموا أَنَّهُ من بَقَايا النَّقِيط .]

وفي سنة ٢٠٦ ، خرج أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعي إلى مِصْرَ في سَفَرِهِ
الثَّانِيَةِ ؛ وذلك [يوم الاثنين] مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ ، بعد أن حشد من كُتَّامَةِ
جُمَلًا كَثِيرَةً ومن عَرَبِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَبَرَبَرِيَّاهَا ؛ [وخرج معه خليل بن إِسْحَاق ،
وَأَبُو غَانِمِ الْكَاتِبِ ، وغيرهما من رجال أبيه . وعزل عُبيد الله عن الْقَيْرَوَانِ مَنْ اللَّهِ بن
الحسن بن أَبِي خَنْزِيرٍ ، وأَخْرَجَهُ مع ابنه أَبِي الْقَاسِمِ إلى مِصْرَ ؛ وولَّى عَمَلَ الْقَيْرَوَانِ
أَبَا سَعِيدِ الضَّيْفِ . وفيها ، وقعت النار بِالْقَيْرَوَانِ في سَوْفِهَا ، ليلةَ الْارْبَعَاءِ لثَلَاثِ
عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ من ذِي الْحِجَّةِ .

وفيها ، تُوَفِّي أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بن مُحَمَّدٍ بن سَخْنُونٍ ، وله سَاعٌ من أبيه ؛
وغلِبَتْ عليه الزَّهَادَةُ وَالْعِبَادَةُ . وفيها ، مات أَبُو الْأَسْوَدِ مُوسَى بن عبد الرحمن
ابن جندب المعروف بِمُوسَى الْفُطَّانِ ، وكان من رجال مُحَمَّدٍ بن سَخْنُونٍ ، وولَّى
قَضَاءَ مَدِينَةِ إِطْرَابُلُسَ في أَيَّامِ عَبَّاسِ بن مسكين ؛ وعزله إِبْرَاهِيمُ بن أَحْمَدَ عن
القضاء وحجسه ، وله اثنا عشر جزءاً أَلْفَهَا في أَحْكَامِ الْقُرْآنِ . وفيها ، مات بِمَدِينَةِ
بَرْقَةِ أَبُو مَدَّيْنِ بن قُرُوحٍ اللَّهْبِصِيُّ ؛ وكان فائِدَ الشَّيْعَةِ بِهَا .]

وفي سنة ٢٠٧ ، كان بِإِفْرِيقِيَّةٍ ، [وما وإلاها إلى مِصْرَ] ، طَاعُونَ شَدِيدٌ
وغلَّاهُ سَعْرٌ مع الْحُجُورِ الشَّامِلِ [من الشيعة] ، وَالتَّعَلُّلُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ في كُلِّ جِهَةٍ .
وفيها ، قَدَّمَ أَبُو الْقَاسِمِ بن عُبيد الله الشيعي سُلَيْمَانَ بن كَافِي ، صاحب
مُقَدِّمَتِهِ ، إلى الْإِسْكَندَرِيَّةِ * في جَمَلَةٍ من رجال كُتَّامَةِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فوجد أَهْلَهَا غَافِلِينَ . هـ
فَلَمَّا أَحْسَوْا بِالْحَبِيلِ ، وَتَلَاخَقَ بِهِمْ أَبُو الْقَاسِمِ بِجَبُوشِهِ ، أَخْلَوْا الْمَدِينَةَ وَتَرَكَوْهَا .
[فدخلها أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْعِيُّ] ، وَانْتَهَبَ أَمْوَالَ أَهْلِهَا ، وَكُتِبَ إلى أَبِيهِ بِالْفَتْحِ . ثُمَّ
قَدَّمَ سُلَيْمَانَ بن كَافِي بِالْجَبُوشِ إلى الْقَيَْوْمِ ؛ [فدخلها] بِالسَّيْفِ ، وَقَتَلَ أَهْلَهَا ،
وَانْتَهَبَ أَمْوَالَهَا ، وَسَبَى الذَّرِّيَّةَ ، [وجي الخراج] . وَأَقْبَلَتِ الْعَسَاكِرُ من إِفْرِيقِيَّةٍ ،
يَتَلَوْنَ بَعْضُهَا بَعْضاً ؛ فَاجْتَمَعَ إلى أَبِي الْقَاسِمِ عَدَدٌ يَجِلُّ عَنِ الْإِحْصَاءِ . فَتَنَقَّلَ من

مَحْتَهُ عَنِ الْإِسْكَدَرِيَّةِ إِلَى النَّيُّومِ، وَبَزَلَ بِالْأَشْبُونِيِّينَ فِي رَجَبٍ. وَالنَّهْيُ الْأَطْعِمَةُ
 فِي الْأَنْدِيرِ لَمْ تُخْزَنْ؛ فَانْتَبَهَ الْعَسَاكِرُ ١. وَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِمِصْرٍ أَوْ بِالْعِسْكَرِ. وَوَقَعَ
 الْوَبَاءُ فِي النَّاسِ، [وَجَلَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ]. وَكَانَتْ بِمِصْرَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ خَالِيَةً مِنْ
 الْحَدِّ؛ فَاجْتَمَعُوا، وَنَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ؛ فَرَدُّوهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَادِرَائِيِّ وَأَخِيهِ
 أَبِي زَنْبُورٍ؛ فَكَتَبَا إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ سَرًّا، يَعْرِفَانِهِ بِغَيْبَةِ الْحَدِّ وَضَعْفِ الْبَلَدِ، وَأَظْهَرَا
 لَهُ الْمَسَارِعَةَ إِلَى طَاعَتِهِ، وَسَأَلَاهُ الْإِسْتِثْنَاءَ عَلَيْهِمْ لِمَا تَوَقَّعُوهُ مِنَ الْعَوَامِّ. وَكَانَ
 مَذْهَبُهُمَا أَنْ يَكْتَفِيَ عَنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الرَّجُلُ مِنْ بَغْدَادَ. وَكَتَبَ الْمَادِرَائِيُّ إِلَى
 الْمُقَنَّدَرِ بِتَزْوِيلِ الْعَسَاكِرِ عَلَيْهِمْ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، أَقْبَلَ ثَمَلُ الْغَتَّى بِالْمُرَاكِبِ
 الشَّامِيَّةِ، مُغِيثًا لِأَهْلِ الْإِسْكَدَرِيَّةِ. فَالْتَمَى الشَّيْعِيُّ بِهَا أُسْطُولًا؛ فَحَارَبَهُ ثَمَلٌ حَتَّى
 نَغَلَبَ عَلَى الْأُسْطُولِ بَيْنَ فِيهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ لَانْتِثَى عَشْرَةُ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ
 P. ١٧ شَوَّالٍ؛ * وَأَسْرَ جَمَلَةً مِنْ رِجَالِ كُنَامَةِ؛ ثُمَّ نَهَضَ ثَمَلٌ بِالْأَسْرَى إِلَى الْفُسْطَاطِ؛
 فَطَوَّفَهُمْ عَلَى الْجَمَالِ مُشْهَرِينَ. وَفِيهِمْ حَمَاعَةٌ مِنْ قَوَادِ الشَّيْعِيِّ الْمَشْهُورِينَ بِالْبَأْسِ.
 وَفِيهَا، مَاتَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ مَحْفُوظِ الْقَمُودِيِّ بِإِفْرِيقِيَّةٍ؛ وَكَانَ ضَعِيفَ الرَّأْيِ،
 جَائِرَ الْحُكْمِ ١. وَوَلَّى الْقَضَاءَ بِالْفَيْرَوَانَ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي الْمُنْهَالِ. أَوْ فِيهَا، هَبَّتْ
 بِالْفَيْرَوَانَ رِيحٌ مَظْلِمَةٌ صَفْرَاءُ، دَامَتْ أَيَّامًا، وَسَدَّتِ الْأَفُقَ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ
 لَا يَرَى جَلِيسَهُ؛ وَأَتْبَعَهَا الْوَبَاءُ الَّذِي نَقَدَّمُ ذَكَرَهُ. وَفِيهَا، مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ
 دُودَانَ الْقَفِيهِ؛ وَكَانَتْ لَهُ رَحْلَةٌ، سَمِعَ فِيهَا مِنْ يُونُسَ وَالْمُزْنِيِّ. وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ
 أَحْمَدَ بْنِ بَحْبِيٍّ بْنِ مَهْرَانَ بِالْقَفِيهِ، مِنْ رِجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ سَخْنُونَ. وَمَاتَ أَبُو سُلَيْمَانَ
 دَاوُدُ بْنُ مَسْرُورِ الْغَسَّانِيِّ؛ وَكَانَ مُتَزَهِّدًا فَاضِلًا. وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَرَّرٍ. وَمَاتَ بِمَدِينَةِ تُونُسَ مِنْ قُرَيْشٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
 - رَضَهُ -؛ وَكَانَ يَنْتَبِهُ بِالْبَغْدَةِ، وَكَانَ طَرَأَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ مِنَ الْمَدِينَةِ،
 وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مَرَّتَيْنِ.

وَإِنِّي هَذِهِ السَّنَةَ، [بِالْفَيْرَوَانَ] عَرَّوسَ الْمُؤَذِّنِ [بِمَسْجِدِ ابْنِ عِيَّاشَ]

[الفقيه]، بعد أن ضرب بالسياط وقُطع لسانه، إذ شهد عليه قومٌ من المَشَارِقَة بأنّه أذنَ ولم يقل: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ!» [وكان من المتزهدين، يطعن به، ويعمل الخلفاء، ويتعيش من ذلك. وفيها، مات من الفقهاء بالقَيْرَوَان عبد الله بن محمد بن يحيى الرُّعَيْنِيُّ من أصحاب سَعْنُون، ومحمد بن موسى النسيبي من شبوخ العراقيين، وإسحاق بن إبراهيم بن أبي عاصم الفارسي، وأبو جعفر أحمد بن منصور مولى بني تميم، وكان يُعرف بابن المُقَرَّعة * الغاسل، وسمع ١٨٧ ٣. بكة ومصر. ومات جماعة من التجار ومن خدم السلطان ومن الأطباء، ممن بطول الكتاب بذكره.]

وفي سنة ٢٠٨، سار مَصَالَة قائد عُيُد الله [الشيعة] نحو المغرب [بالجيش]. فلما بلغ قريباً من نَكُور، خرج صالح بن سعيد عن مدينة نَكُور، وتحصن بجبل هناك، [يُعرف بجبل أبي الحسين]. ودخل مَصَالَة المدينة، وضبطها. [ثم] سار [منها] الى جهة فاس. وكان بها حينئذ يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس، في أهله ورجاله. فلما قرب منهم، أرادوا مدافعتهم. فحاربهم أياماً حتى هزمهم. ودخل مَصَالَة (مدينة) فاس وضبطها. (وقال شاعرهم،^١) وقد عَرَّضَ بها^١ [بسيط]:

دَخَلْتُ فَاساً وَلِي شَوْقٌ إِلَى فَاسٍ وَالْحُبُّ^٢ يَأْخُذُ بِالْعَيْنَيْنِ وَالرَّأْسِ
فَلَسْتُ أَدْخُلُ^٣ فَاساً مَا حَيِّتُ وَلَوْ أُعْطِيتُ فَاساً بِمَا فِيهَا مِنَ النَّاسِ

[وفيها، قُتل أبو سعيد موسى بن أحمد بمدينة القَيْرَوَان زياد بن خلفون البُطَيْبِي، مولى بني الأَغْلَب؛ وكان عالماً بالطب، حَسَنَ الذَّهْنِ فيه؛ وكان عُيُد الله قد احتاج الى زياد، وقربه من نفسه، وحذَّره من أبي سعيد، لاختلاف كان وقع بينهما، وأمره أن لا يدخل القَيْرَوَان إذا كان أبو سعيد بها؛ فالتزم زياد ذلك الى أن بات ليلةً بالقَيْرَوَان، وأبو سعيد برقادة؛ وكانت له عُيُونٌ عليه؛ فبعث اليه مَنْ دخل عليه دَارَهُ، وقتله بها.

١-1) Manque dans A. 2) Leçon de Bakrī. — A. et B.: وَالْعَيْنُ. 3) B. أَذْكَرُ.

وفي هذه السنة، انتقل عُبيد الله الشيعي بعياله⁽¹⁾ وأمواله وثقله الى المهديّة⁽²⁾،
 P. ١٨٨ [يوم الخميس] لثمان خلون من شوال، بعد أن كمل قصره بها، وقصر ولد
 [أبي القاسم]، وسور المدينة، وبعض دُور رجاله؛ ولم يكمل الكل⁽³⁾. وكانت
 في هذه السنة بالقبّروان ورفاعة أطار كثيرة، هدمت المباني؛ فاضطرَّ عُبيد الله
 الى استعجال التنقل. ففالت شعراء إفريقية في انتقاله واستبطانه من الشعر ما
 ذكرنا آياتاً منها لِيُسْتَدَلَّ بما فيها على ما كان يستحلّه ويجوز عندك من
 الأشعار [وافرا]:

ليهنك أيها الملك الهمامُ	قدومٌ فيه للدهر انسامُ
حططت الرّحْلَ في بلد كريم	رَعْنَهُ لَكَ الملائكةُ الكرامُ
لَشِنْ عَظْمَ [الحَرَامِ] ⁽³⁾ وما يَلْبِسُو	كما عظمت مشاهدُه العظامُ
لقد عظمت بأرض الغرب دارُ	بها الصلوات تُقْبَلُ والصيامُ
هي المَهْدِيَّةُ المحرمُ الموقى	كما بنهامة البلدُ المحرامُ
كَأَنَّ مقامَ إبراهيم فيه	ثرى قدميّك إن عدم المقامُ
وإن لثم الحَجِيجُ الركنَ أَضْحَى	لنا بعِراضِ قَصْرِكم النشامُ
لئن شاب الزمان وشاب مُنْكَ	دعائمه إذا عَجِمْتَ حُطامُ
لَمُلْكُكَ أيها المهدى مُلْكُ	غلامٍ والزمان به غلامُ
لك الدنيا ونَسْلِكَ حيث كنْتُمْ	فكلُّكم لها أبدأ إمامُ

وفي هذه السنة، قُتِلَ بالقبّروان من قُرَيْشِ تَيْمِ عَلِيٍّ بن محمد بن عبد الله
 ابن عبد الرحمن بن هاشم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
 - رحمه الله! - قتله أبو سعيد موسى بن أحمد، إذ اتهمه برفع كتاب الى عُبيد

1-1) A. et B.: جميع مملكته الضعيفة الى مدينته التي بناها وسبّاها بالمهديّة.

2) A. et B. donnent ainsi ce qui suit: وهنّاه الشعراء بذلك واستغفروا في مدحه حتى
 كادوا يكفرون ممّا لا ينبغي ذكره من تسوية المهديّة بمكة وغير ذلك.

3) Voir Corr., p. 21.

الله بَأَنَّ أَهْلَ * الْفَيَّرَوَانِ عَفَدُوا مَعَ أَبِي سَعِيدٍ هَذَا عَلَى الْخِلَافِ؛ فَحَكَمَهُ عِيدُ ١٨٩ P.
 الله فِيهِ وَحَبَسَهُ؛ ثُمَّ خُنِقَ حَتَّى مَاتَ. وَفِيهَا، مَاتَ مِنْ قُوَادِ بَنِي الْأَغْلَبِ أَبُو جَعْفَرٍ
 أَحْمَدُ بْنُ تَيْمٍ؛ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ سَعِيدُ بْنُ حَكْمُونَ، وَكَانَ زَاهِدًا. وَتَوَفَّى إِبْرَاهِيمُ
 ابْنُ يُونُسَ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَسَابِ، مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ؛ وَكَانَ يَلْقَبُ حَارِثَ
 حُسْبَةَ، وَوَلَّى أَحْكَامَ الْفَيَّرَوَانِ وَفَضَاءَ مَدِينَةِ رَقَّادَةَ. وَتَوَفَّى مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعِرَاقِيِّينَ
 أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخْمِيِّ، سَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِ. وَتَوَفَّى مِنْهُمْ أَحْمَدُ
 ابْنُ عَبْدِ دُونَ بْنِ وَهْبٍ. وَتَوَفَّى الرَّبِيعُ بْنُ هِشَامِ النَّبَسِيُّ، وَكَانَ مِنَ الزُّهَّادِ
 الْمَتَعَفِّينَ ١٠]

وَفِي سَنَةِ ٢٠٩، فَتَحَ مَصَالَةَ بْنُ حَبُوسَ [مَدِينَةَ سَجْلِسَاةَ]، وَانْتَهَبَ أَمْوَالَهَا،
 وَقَتَلَ بِهَا أَحْمَدَ بْنَ يَذْرَارَ، [وَوَلَّى عَلَيْهَا الْمُعْتَزُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَذْرَارَ]، وَانْصَرَفَ.
 وَفِيهَا، أَظْهَرَ مُنِيبٌ^١ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَكْنَسِيُّ الدَّاعِيَ التَّشْرِيقِيَّ بِجَانِبِ تَبَهَرْتَ،
 وَتَحْلِيلَ الْحَرَّمَاتِ. وَقِيلَ إِنَّ عُيَيْدَ اللَّهِ وَجَّهَهُ وَغَيْرَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ، وَأَمَرَهُمْ بِإِظْهَارِ
 التَّشْرِيقِ؛ فَإِنْ وَجَدُوا النَّاسَ مُحْتَمِلِينَ لَهُ، وَمُغْضِيْنَ عَلَيْهِ، نَشَرُوهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ،
 وَأَظْهَرُوهُ. فَلَمَّا كَشَفَ مُنِيبٌ بِجَلِّ وَتَشْرِيشَ مَا أَمَرَهُ عُيَيْدُ اللَّهِ بِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ
 يَدْخُلُ إِلَى حَلِيلَةٍ جَارِهِ، فَيَطَّأُهَا وَزَوْجَهَا حَاضِرٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيَبْصُقُ
 فِي وَجْهِهِ، وَيَصْنَعُ قَفَاهُ، وَيَقُولُ لَهُ: «تَصَبَّرْ!» فَإِذَا صَبَرَ، [عُدَّ كَامِلَ الْإِيمَانِ،
 وَاسْمِي مِنْ * الصَّابِرَةِ. فَقَامَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ، وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ؛ [فَكَفُّوا. وَفِيهَا] ١٩٠
 وَصَلَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْعِيُّ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ [يَوْمَ السَّبْتِ] مُسْتَهْلَ رَجَبٍ، مُنْصَرِّفَهُ مِنَ
 الْفَيْمِ؛ وَكَانَتْ سَفَرَتُهُ [هَذِهِ] سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ.
 وَ[فِيهَا]، أَمَرَ عُيَيْدُ اللَّهِ بِحَبْسِ [نَحْوِ] مَائَتِي رَجُلٍ أَظْهَرُوا التَّشْرِيقَ^٢ بِالْفَيَّرَوَانِ

1) Ce personnage est nommé شيب، dans A. et B., qui donnent ainsi ce passage:

وَجَّهَ عِيدُ اللَّهِ دُعَاتِهِ إِلَى الْأَطْرَافِ لِيُظْهِرُوا بِهَا تَحْلِيلَ الْحَرَّمَاتِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أُمْنِيَّةِ. قَالَ
 ابْنُ الْقَطَّانِ: كَانَ مِنْهُمْ شَيْبُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِجَلِّ وَتَشْرِيشَ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ إِلَى حَلِيلَتِهِ
 تَحْلِيلَ الْحَرَّمَاتِ. 2) A. et B.

وباجة وتؤس، وجاهروا بتحليل المحرم، وأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر في رمضان جهاراً. وعلم بذلك الخاص والعام حتى عيّر به أبو القاسم أيام كونه بالقيوم، وكثر القول من الناس في هذا؛ فكتب [عبيد الله] إلى عماله بهذه المواضع بأن يرفعوهم إليه مقيدين؛ ثم حبسوا؛ فمات أكثرهم بالسجن، وكلهم مشهور بإفريقية: منهم أحمد البلوي النخاس بالرقيق، كان يصلي إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها، وهي منه في المغرب؛ فلما انتقل عبيد الله إلى المهدية، وهي منه في المشرق، [صلى إليها]. وكان يقول: «لست ممن يعبد من لا يرى!» [وكان يتصدى لعبيد الله، ويقول له: «آرق إلى السماء! كم نقيم في الأرض ونمشي في الأسواق!«] وكان يقول لأهل القيروان في عبيد الله: «إنه يعلم سرّكم ونجواكم!» [فتقرب إليه رجل يوماً، وهو يقول ذاك؛ فاخذ أذنه، ونطق فيها: «عبيد الله الذي نقول زان، ابن الزانية! فإن كان يعلم ما قلت لك، فليتنصر!» فصاح صيحة عظيمة، وقال: «يا مسكين! إنه حلیم لا يعجل!»] ومنهم إبراهيم بن غازي؛ وكان يأكل في شهر رمضان جهاراً، ويركب الكبائر؛ وكان في أيام بني الأغلب من المتزهدين المرابطين بقصر الطوب المجاور لسوسة؛ وقد كان أهل سوسة أرادوا تقديمه لصلاة الجماعة. ونجاها، تصدّى جماعة من أهل القيروان بالنساء والدثيرة لأبي القاسم، وشكوا إليه سرّاً جوراً أبي سعيد وأصحاب المحاريس، ووصفوا إفسادهم وغارتهم على أموالهم؛ فاستأذن لهم على أبيه؛ فدخلوا كافة، وشكوا إليه بما شكوا به إلى أبي القاسم، وأبو سعيد جالس عنده؛ فحلف لهم عبيد الله أنه ما علم بظلمهم، وأمرهم بالانصراف، ووعدهم بالإصاف. وأمر أبا سعيد برفع كاتبه وقوم من أصحاب المحاريس إليه. فحبسهم عبيد الله، وأطلق كاتبه.

[وفيها]، أمر عبيد الله بأن يكون طريق الحاج على المهدية، لأداء ما وُظف عليهم من المغارم [في الشطور]، وألا ينعدى هذا الطريق أحد. [وكان

1) A. et B. ajoutent: لعنه الله ولعن عبيد الله!

من أمثال أهل القيروان في أيام بني الأغلب، عند مطالبة شيء مُستنقع: «إذا أردت الخنخ، فخذ على بندون!» وبندون هذه قرية في طريق حمة؛ والطريق القصبة إنما هي على مصر. فلما عهد عُبيد الله بأن تكون طريقهم على المهدية. صار المثل القديم حقاً.

[وفيها] أمر عُبيد الله بقتل (أبي علي) حسن بن مُفرج الفقيه، ومحمد الشذوني الزاهد، إذ رُفع عليهما إليه بتفضيل بعض الصحابة على علي. وفيها مات بمدينة سوسة أبو العُصن نفث الفقيه؛ سمع من سحنون ومن عون بن يوسف وغيرها؛ وتوفي محمد بن هيثم بن سليمان بن * حمدون القيسي الفقيه، ومحمد ١٠٢ P ومحمد ابنا عبد السلام بن إسماعيل من بني عبد الملك بن مروان - رحمه الله! - وفي سنة ٢١٠، قدم مصاله بن حبوس [إلى] المهدية [على عُبيد الله]. فأقام بها أياماً. ثم صرفه إلى تيهرت. [فخرج إليها في شعبان. وفيها، قرئ كتاب لعبيد الله الشيعي في جامع القيروان، بوقعة كانت بين فلاح بن قُمون وبين جند مصر بذات الحمام. وفيها، قُتل بجبل أوراس أبو معلوم فخلون الكناشي، من فواد عُبيد الله؛ وكان قد أخرجه إلى هذا الجبل؛ فكلف أهله فوق وسعهم، وأمرهم برفع عيالهم إلى المهدية؛ فأظهروا الطاعة له، وشرعوا فيما أمرهم به. فلما كان في بعض الليالي، وثبوا عليه وعلى جند كُثامة الذين كانوا معه؛ فقتلهم أجمعين.

وفيها، خالفت نفوسة على عُبيد الله، وقدموا على أنفسهم أبا بطة؛ فاجتمع إليه عدد كثير، واشتدَّت شوكته. فأخرج إليهم عُبيد الله علي بن سلمان الداعي في جمع كثير. فلما قرب منهم، يبتوه؛ فقتلوا من أصحابه، وانهزم الباقون، وتفرقوا عن علي بن سلمان؛ فسار علي إلى إطربلس، وكتب إلى عُبيد الله بذلك؛ فكتب عُبيد الله إلى علي بن لقمان عامله على قايس بأن يقتل كل من مرَّ به من المنهزمين؛ فقتل منهم جماعة. وأمدَّ عُبيد الله علي بن سلمان بالجيش، وأخذ في حصار نفوسة بعزم. وفيها، غزا مسعود النسي بلد الروم في البحر، في عشرين

شَيْبَانًا؛ فافتتح مدينة أَعَاشٍ، وسهاها، وانصرف الى المهدية. وفيها، توفى محمد بن سلام بن سيار البرقي الهمداني؛ وكان منقهاً على مذهب الشيعة. وتوفى من قُرَيْشٍ أحمد بن يحيى بن خالد السهمي، بعد أن جاوز التسعين؛ وكانت له P. ١٩٢ رحلة، وسمع من أبي * سِنَجَر مُسْنَدَهُ.

(وقام حسن بن علي المحسني مع البربر؛ فأتى الى فاس، ^(١) وفيها ربحان ^(٢) الكناني ^(٣) قائداً عليها من قبيل عُبيد الله الشيعي؛ فأخرجه منها، واستبد بها؛ ثم غدره حامد بن حمدان، وأدخل ابن أبي العافية، وكان يتولى لبني أمية؛ فبقى بها الى أن أرسل الشيعي قائدته مسروراً وجوهرًا. ففرّ أمامهما. وبقى فيها قائد الشيعي الى أن أخرجه بنو إدريس، ورجع ملكها لهم، حتى حاربها عسكر الناصر الأموي صاحب الأندلس وملكها. وفيها، مات أبو جعفر الطبري - رحمه الله! - وفي سنة ٢١١، [عزل عُبيد الله إسحاق بن أبي المنهال عن قضاء مدينة القيروان، يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة؛ وأخرج اليه عُبيد الله من قال له: «لم نزلك عن حرجة، وإنما عزلناك للينك ومهانتك!»] وأولى قضاء [مدينة] القيروان محمد بن عمران النطفي؛ وكان قبل ذلك على قضاء [مدينة] إيطربلس؛ فجمع بها أموالاً كثيرة من الرشي والأحباس، ورفعها الى عُبيد الله؛ فكانت له وسيلة اليه.

وفيها، أوقع علي بن أبي سلمان بأهل نفوسة، ودخل حصنهم، وهدمه، وقتل الرجال، وسبي الذرية، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان. وفيها، ضرب محمد بن العباس الهذلي الهبة بالدرة في الجامع عُرْبَانًا، وصُفَع قفاه حتى جرى الدم من رأسه؛ وبرح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقتل مالك. وفيها، دخل مسرور بن سليمان بن كافي الواحات من صعيد مصر، وهما حصنان في * قنار ورمال؛ وكان عليها عامل لصاحب مصر، يُعرف بالكرمازي ^(٣)؛ فهزمه P. ١٩٤ في

١-1) A. وفيها أقبل الكناني.

2) B. زبحان.

3) Sic dans G.

مسرور، وأسر ولد وابن أخيه، واستحوذ على الموضع؛ ثم وقع الطاعون في أصحاب مسرور؛ فأخرب المحصنين، وقلع ثمارها، وانصرف إلى برقة.

وفي هذه السنة، مات بالقيروان من العدول وأهل السنة والخير محمد بن شيبه بن حسان؛ وكان شيبه من القواد الداخلين إفريقية مع يزيد بن حاتم. وفيها، مات بتونس أبو جعفر محمد بن تميم التميمي، وكان من قواد زيادة الله؛ فهرب إلى أبي عبد الله الشيعي ودخل معه إفريقية. وفيها، مات أبو الفضل أحمد بن جعفر بن موسى الصمادحي.

وفي سنة ٢١٢، خرج مصاله بن حبوس من تيهرت إلى زنانه؛ فادأخ بلدهم، وقتل، وسبي؛ وأخرج خيلاً إلى [بعض] نواحي ابن خزر؛ وكان فيها أكثر حماته ووجوه رجاله؛ وفي مصاله في نفر من أصحابه. فبلغ ذلك ابن خزر؛ فقصده نحو مصاله، ودارت بين الفريقين حرب عظيمة، قُتل فيها، مصاله، وانهمز أصحابه؛ وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان. [وفيها، خرج جعفر ابن عبيد المحاجب في أسطول كبير إلى صقلية، يريد غزو الروم؛ فشتم بصقلية تلك السنة، ولم يلق العدو].

وفي هذه السنة، مات [بالقيروان القاضي محمد بن عمران] النبطي، [في شهر ربيع الأول؛ وكان يرثي على الأحكام، ويسنهر في ضروب من المنكر]. فولى [عبيد الله القضاء مكانه إسماعيل بن أبي المنهال مرة ثانية،] [وكتب في عهد: «وإنما كنا عزلناك للبنك ومهانتك! ورددناك لدينك وأمانتك!» وفيها، مات محمد بن حفص الفهم؛ وكان من أهل الفضل والدين، وأمّ بالناس * الأشناع بجامع القيروان في أيام بني الأغلب؛ ثم ولي صلاة جامع رقادة؛ وكان ١٢٥. يرتزق في كل شهر عشرة مثاقيل؛ فأحضره المروذي عند نفسه، وقال: «لا يؤم بنا إلا ولي من أولياء أمير المؤمنين. فادخل إلى بعض الدعاة، يأخذ عليك البيعة، وتبني على خطئك!» وإنما أراد أن يتشرك معهم، ويدخل في الكفر مدخلهم. فقال له: «أنظرني اليوم أشاور نفسي.» فأنظره؛ ثم أتاه

من الغد، وقد كره الدخول معهم في شيء مما هم عليه؛ فعزل عن الصلاة. وفيها، قرئ كتاب عيد الله بالقيروان وأعمالها بدخول مسرور بن سليمان ابن كافي الواحات، وملكه لها؛ وتأريخه يوم الخميس لثمان ليال بقين من المحرم، وفي سنة ٢١٢، غزا أبو أحمد جعفر بن عبيد الحاجب بلد الروم من صقلية؛ فافتتح أماركن كثيرة، [منها مدينة واري]، وقتل بها ستة آلاف مقاتل، وأخرج منها عشرة آلاف سبية، [وأسر بها بطريقاً صالحاً عن نفسه ومدينته بخمسة آلاف مثقال؛ وانصرف إلى صقلية؛ فوصل إليها لأربع بقين من شهر ربيع الآخر]؛ وكتب إلى عيد الله [الشيعي] بالفتح. [ثم قدم جعفر بعد ذلك إلى المهديّة، وأوصل جميع الغنائم إلى عيد الله الشيعي، فذكر بعض رجاله أنّه دخل عليه، وبين يديه جوهر كثير، وديباج سني، وأموال. فقال له: «يا مولاي! ما رأيت كالיום منظرًا!» فقال له عيد الله: «هذا من الغنائم التي أصيبت بوارى!» فقال له الرجل: «إنّ من أدّى هذا لأمين!» وأراد أن يثنى بذلك على جعفر الحاجب. فقال له عيد الله مبادراً: «والله! ما أعطاني من الجمل إلا أذنيه!» وفيها، ولي [أحمد بن بحر بن علي بن صالح، المعروف P. ١٩٦ ب] ابن أخي كرام، مظالم القيروان، [وجلس للنظر يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأخيرة.

وفيها، مات بمدينة سوسة محمد بن بسطام بن رجاء الضبيّ النقيّ؛ وكانت له رحلة سمع فيها من ابن عبد الحكم وغيره. ومات عبد العزيز بن شيبه؛ وكانت له رحلة أيضاً سمع فيها من بندار، وأبي موسى الزمن، وأبي حفص الفلاس؛ ولم ينخلف هذا المتوفى وإراثاً؛ فورثه عيد الله؛ وكان له مسجد بجوار داره وفندقه؛ فأغلق الناظر في المواريث لعبيد الله باب المسجد، ووصله بالدار والفندق. [وفيها، ابتداء عيد الله الشيعي ببناء مدينة المسيلة، وسماها المحمدية، على يدى علي بن حمدون المجذاعي المعروف بابن الأندلسي، في وسط أرض بني برزال وبني كهلان، على قرب من هواره. وكانت على وادي ولها سوران، تليهما ساقية من هذا الوادي.)

[وفي سنة ٢١٤، عزل عُبيد الله الشيعي عن عمالة القَيْرَوَانِ نِسْباً فَنَاه، وَضَمَّهُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ؛ وَحُبِسَ عِنْدَ جَوْدَرِ الْفَتَى؛ وَقُبِضَ عَلَى أَمْوَالِهِ. وَكَانَ نَسِيبٌ سَرِيعَ الْغَضَبِ وَالضَّرْبِ بِالسُّوْطِ. وَوُلِّيَ عُبيدُ اللَّهِ عَمَالَةَ الْقَيْرَوَانِ صَابِراً الْفَتَى، مَوْلَى ابْنِ قُرْهَبٍ]. وَفِيهَا، زَحَفَ ابْنُ خَزَرَ إِلَى تَبَهَّرَتْ وَحَارَبَهَا؛ فَاهْزَمَ عَنْهَا؛ وَأَخْرَجَ عُبيدُ اللَّهِ فِي أَثَرِهِ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنَانِيَّ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقَوَادِ. [فَلَمَّا صَارُوا بِطُبْنَةَ] دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ خَزَرَ الصَّحْرَاءَ، وَأَبْقَى أَخَاهُ [عَبْدَ اللَّهِ] مَعَ وَجُوهِ رَجَالِهِ بِوَادِي مَطْمَاطَةَ؛ فَدَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنْدِ الشَّيْعِيِّ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ. * كَانَ ١٩٧ : الظَّفَرُ فِيهَا وَالْغُلَّةُ لِابْنِ خَزَرَ. [ثُمَّ أَخْرَجَ عُبيدُ اللَّهِ إِلَيْهِ إِسْحَاقَ بْنَ خَلِيفَةَ وَأَصْحَابَهُ]. وَخَالَفَتْ عَلَى الشَّيْعِيِّ لَمَامِيَّةٌ، وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْقِبَائِلِ. وَاسْتَمَدُّوا بِابْنِ خَزَرَ. [فَكَتَبُوا إِلَى عُبيدِ اللَّهِ مُسْتَمِدِّينَ؛ فَأَمَدَّهُمْ بِجَيْشٍ كَثِيرٍ؛ فَهَزَمُوهُ. وَأَرْسَلَتْ هَذِهِ الْقِبَائِلُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ خَزَرَ؛] فَوَلَّى عَلَيْهِمُ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ. وَدَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِيُوشِ الشَّيْعِيِّ وَقَائِعٌ كَثِيرَةٌ. [وَفِيهَا، مَاتَ مُؤَنِّسُ الْبَغْدَادِيِّ الْمَغْنِي، مَوْلَى مُوسَى ابْنِ بُغَا، بِالْمَهْدِيَّةِ فَجَاءَةً].

وَفِي سَنَةِ ٢١٥، خَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عُبيدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ، يُرِيدُ الْمَغْرِبَ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لَتَسْعَ لَيَالٍ خَالُونَ مِنْ صَفَرٍ. وَكَانَتْ طَرِيقُهُ عَلَى الْقَيْرَوَانِ؛ [ثُمَّ نَزَلَ الْأُرْسُ. فَأَقَامَ بِهَا أَيَّاماً، حَتَّى اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ]. فَسَارَ إِلَى بَاغِيَّةٍ، ثُمَّ إِلَى كُنَامَةِ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَبَلٍ فِيهِ بَنُو بَرْزَالٍ، (أَوْقُومُ مِنْ مَكْلَانَةِ). فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ؛ فَحَارَبَهُمْ حَتَّى فُتِحَ لَهُ عَلَيْهِمْ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مَدَغَرَّةٍ، ثُمَّ إِلَى سَوَاقِ إِبْرَاهِيمَ. فَأَقَامَ فِي تِلْكَ الْجَهَةِ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ، لِكُلِّبِ الشَّنَاءِ وَكَثْرَةِ الْوَحْلِ. [فَحَكِيَ بَعْضُ رَجَالِ عُبيدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ قَاعِداً بَيْنَ يَدَيْهِ، هُوَ وَطَائِفَةٌ مِنْ خِدْمَتِهِ وَصَحْبِهِ، وَقَدْ تَوَقَّفَتْ كُتُبُ أَبِي الْقَاسِمِ عَنِ الْوُرُودِ، حَتَّى سَاءَتْ الظُّلُومُ مِنْ جَهَنَّمَ؛ فَوَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى أَبِيهِ بِمَحْضَرِهِمْ. فَلَمَّا فَتَحَهُ وَقَرَأَهُ، بَكَى. قَالَ: فَخُفْنَا أَنْ يَكُونَ حَدَثَ أَمْرٍ، وَهَمَمْنَا بِالْبِكَاءِ مَعَهُ حَتَّى افْتَتَحَ الْكَلَامَ؛ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَرَدْتُ بِإِخْرَاجِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ إِلَّا رِضَاكَ، وَنَصْرَةَ دِينِكَ، وَإِذْلَالَ أَعْدَائِكَ! وَمَا

يسهل على أن أفارقه يوماً واحداً.» قال: ثم التفت البناء فقال: «هذا مولاكم
P. ١٩٨ يذكر في *كتابه أنه أقام في مناخ واحد شهراً كاملاً، عليه المطر كل يوم بالندو
والأصال، و[أنه] مشى عقاباً كثيرة راجلاً، إذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها،
ويقتات كل يوم ببيضة أو نحوها لكثرة الذباب في العسكرة!» [وفيها، خرج
صاير الفتى الى صقلية لغزو بلد الروم، في أربعة وأربعين مركباً؛ فأصاب في
غزاه هذه، وسبي، وقتل.]

وفيها، قُتل برملة المهديّة معلّى بن محمد الملوّثي الداعي، بعثه أبو القاسم من
المغرب مقيداً. فأمر [عبيد الله] بضرب عنقه.

وفيها، قُتل بمصمودة الساحل، من أحواز طنجة، حاتم البُتري، ابن
من الله. وكان قد تنبأ بالجيل المنسوب اليه، وأجابه بشر كثير من البربر
الجهال، [وشهدوا له بالرسالة. وقد كان سن] لم صوم يوم الخميس؛ فمن أكل
فيه، غرم خمسة أثوار؛ وصوم الاثنين؛ فمن أكل فيه غرم ثورين، ونحو هذا من
الباطل والحماقات. (ومما قبل فيه [طويل]:

وقالوا افتراء إن حاتم مرسل إليهم بدِين واضح الحق باهر
فقلت: كذبتُم! بدد الله شملكم! فما هو إلا عاهر وابن عاهر!
فإن كان حاتم رسولا، فإني بُرسل حاتم لأول كافرا
رووا عن عبيد ذات إلك بهيمة تجاوز في أسرارها كل ساحر
أحاديث إلك حاك إبليس نسجها يُسرونها^١ والله مُبدي السرائر!

P. ١٩٩ وفي هذه السنة، توفي محمد بن سلمون الفطّان بإفريقية؛ وله *ساع كثير
من رجال سَحَنون. وتوفي من التجار وأهل العدالة حاتم بن عبد الرحمن بن
حاتم، سمع من سَحَنون، ورحل الى العراق.]
وفي سنة ٢١٦، زحف أبو القاسم الشيعي [الى قبائل البربر بالمغرب؛ فقتل

1) Leçon de Bakrī. — A. et B.: بشرتهم.

ببرقيانة¹) على حصنها [المعروف بـ] أغزر²) يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم؛ [فقاتلهم]، ونقب السور عليهم حتى سقط؛ وهلك ممن كان تحته وفوقه عدد كثير. فلما نظروا إلى الغلبة، أحرقوا الأنثعة، وعزقوا الدواب والمواشي، وقتلوا الشيعة حتى قتلوا، وأسر منهم من أسير وانتهب ما في الحصن. وأجابت هوار وكماية إلى طاعة الشيعة؛ فأمّنهم أبو القاسم، ثم سار إلى جهة تيهزت؛ فأقام بها نحو شهر. [وتقدم منها إلى تامغلت؛ فأقام بها شهرين، مناظراً لابن خزر، وهو حينئذ بموضع يقال له أورن]. ثم نكب أبو القاسم إلى [مدينة] طنبه، وانصرف إلى المهديّة دون أن يلقي ابن خزر. وقيل إن سب انصرافه [إنما كان لكتاب ورده من قبل ابنه قاسم، يعلمه أن الناس نحدّثوا بمبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى بأبي علي، وأنه] صلى بالناس عيد الفطر [وعيد الأضحى]. فأقلقه ذلك، [وقدم المهديّة].

وفيها، غزا صابر من صفيّة إلى بلد الروم؛ فافتتح موضعاً يعرف بالغيران وقلعة الحسب، واحتوى على ما فيها، وزحف إلى سكير؛ فصالحه أهلها بال ودياج. ثم توجه إلى نابل؛ فصالحوه أيضاً بال وثياب. ثم صدر إلى صفيّة. وفيها، مات محمد بن أحمد بن أبي زاهر، من النفاة * بالقبّران؛ وعبد P. ٢٠٠
الله المعروف بالعيني، وكان من المعتدين. وفيها، ابتداء غلاء السعر بالقبّران. (وفيها، كان ابتداء أمر أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناني، وهو رجل أخذ نفسه بمذاهب النكار، يُجَلِّل دماء المسلمين وفروجهم، ويسب علي بن أبي طالب - رضه -. وكان أول أمره بنقيوس، يُعلِّم الصبيان، ويعتقد الخروج على السلطان، ويحنسب على الناس في كثير من أفعالهم، وعلى جباة الأموال. فغيّر في هذا العام على عامل تقيوس، وأمر بقتله؛ فقتله أهل تقيوس؛ ففرغ أبو يزيد عند ذلك، وخرج إلى الحج. فلما وصل إلى إطربلس، وصل كتاب عبيد الله في طلب قوم من البربر؛ فهرب هو وصاحبه أبو عمار الأعشى؛ وكان على

1) Restitution proposée, au lieu de ببرقة des mss.

2) A. et G. أغزر.

مذهبه وضلاله. فكّرنا الى تقيّوس؛ فورد كتابُ عُيد الله في طلبه^(١) فيها. فما زال يفتّر^(٢) ويستترّ، الى أن ظهر أمره بعد ذلك).

وفي سنة ٢١٧، كان بالفيروان وأعمالها وأما عظيم، وغلامه سعير؛ [فبلغ قفيز فبح بالكبل القرطبي منقال ذهب]. وفيها، تغلب محمد بن خزر على الزاب كله، وملّكه جملة^(٣). وفيها، بنى بنو محمد المدينة المعروفة بحجر النسر. وفيها، سار موسى بن أبي العافية الى مدينة نكور، وصاحبها يومئذ المويّد بن عبد البديع ابن إدريس بن صالح بن منصور. فحاصره فيها حتى تغلب عليها، واستباحها، وغنم ما فيها، وقتل المويّد، وهدم أسوارها. ثم سار يريد بنى محمد بن سليمان P. ٢٠١ ابن عبد الله، وعبيدُهم يومئذ الحسن بن عيسى المعروف بابن * أبي العيش، صاحب جراويّة؛ وهي أشرف مدائن ذلك الجانب. فقتل عليها، وحاصر ابن أبي العيش فيها حتى أوفى على أخذها. فلما أحسن ابن أبي العيش بالغلبة، خرج في الليل، هارباً بأهله وولده ومن تبعه، ونجا الى مرسى جراويّة المعروف بأكاس^(٤). فدخل منه البحر، وعاد^(٥) بجزائر ملوية. ثم سار الى جزيرة آرشنول، وهي منبعّة لا ترام؛ فنحصن فيها بأهله وولده ومواليه. وجال موسى بن أبي العافية بتلك الجهات^(٦)، وأخذ مدينة تربية^(٧). ومدينة آرشنول. وهرب كل من في ذلك الجانب من آل محمد بن سليمان، وخلص الموضع لموسى بن أبي العافية، وأخلى منه قواد بنى خزر وعمّاهم، وصار في ملكه من أحواز تيهزت الى السوس الأقصى. [وفيها، غزا صابر الفتى غزوته الثالثة، والتقى في البحر بالسردغوس، وهم في سبعة مراكب، وصابر في أربعة مراكب؛ فانهزم السردغوس. وفتح صابر مدينة ترمولة، وسبى فيها سبياً كثيراً؛ ثم انصرف الى المهديّة. وفيها، مات بالفيروان من القهّاء أحمد بن نصر بن زياد، سمع من محمد بن سحنون ومن ابن عبدّوس

١—1) Illisible dans A. (voir Corr., p. 23). 2) G. وملك جملة.

3) A. et B. ajoutent: وأظه موضع نيكساس اليوم، ce qui est une erreur manifeste.

4) A. ووصل. B. وصار. 5) G. بذلك البلد. 6) ? — A. et B.: مريّة.

ومن يوسف بن يحيى المَعَامِي؛ وكان عالماً بالمناظرة، مليشاً بالشاهد، صبح المذهب، سليم القلب. قال محمد بن حارث^(١): حضرته يوماً، وعنده جماعة من المناظرين في المسائل، حتى دخل عليه محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي^{P. ٢٠٢} في حين تَوَجُّههِ إلى الحج؛ فسَلَّم، وجلس جانباً^(٢)، وهو يجيل بصره في وجوه المتكلمين. قال: فلم أَشْكُ أَنَّهُ من أهل العلم، ولم أَكُنْ عرفتُه باسمه. فلما أظهر الشيخ أحمد بن نصر القيام، قال له: «يا شاب! جلست منذ اليوم. فهل من حاجة تذكرها؟» فجاوبه محمد بن مسرة بكلام حسن بليغ، وقال له: «أُتِينِكَ مقتبساً من نورك، ومستنداً من علمك!» وجاوبه أحمد بن نصر أيضاً بجواب حسن. ثم قام، وقُمْنَا بإثَره. وفيها، مات محمد بن محمد بن خالد القيسي المعروف بالطرزي؛ وكان ولي الظالم بالقيروان؛ ولما أراد إبراهيم بن أحمد توليته الظالم، اعتذر إليه بأن فيه حياءً وليناً جانباً وقلةً فقه؛ فقال له إبراهيم: «أما الحياء واللين، فإذا أمرت ونهيت، زالا عنك. وأما قلة الفقه، فشاوِرُ الفقهاء في أحكامك!» ولأد؛ فلم يكن بالقيروان حاكم أشد صرامة منه^[٠].

وفي سنة ٢١٨، خرج حميد بن يَصَل من المهديّة إلى تيهرت بغير إذن عُبيد الله، وبني قلعة هنالك^(٣)، [وردَّ حماد بن هاشم إلى بلد، وصاهره، وأصلح بينه وبين سيار بن عبد الوهاب]. فكتب عُبيد الله إلى يَصَل بن حبوس أن يوجّه حميداً إلى المهديّة، ولا يؤخّره ساعة. فرجع حميد إليها، ولم يَلْقَ من عُبيد الله سُوماً. [وفيها، نزلت الأمطار بالقيروان، وصلحت الأحوال، ورخصت الأسعار، بعد ضيقٍ شديدٍ كان فيه الناس، وغلاء، ووباء]. وفيها، مات بالمهديّة هشام بن الربيع التميمي؛ وكان من أهل الخير [والفضل]؛ وناله من عُبيد الله الشعبي عقابٌ، وضربٌ بسبب ابن القديم. وأوصى ألا يُدفن في المهديّة؛ فسُقِيَ إلى القيروان، ودُفِن بها^[٠].

1) Le récit qui suit figure effectivement, sous une forme un peu plus développée, dans les *Tabaḳāt 'ulamā' Ifri'īya*, éd. Ben Cheneb, p. ١٥٩-١٦٠.

2) G. حياءً. 3) G. بني سوما (sic).

(١٠ ذكر) مدينة جراوة

كانت مدينة جراوة عليها سورٌ مَبْنِي بالطوب. وبخارجها عيونٌ مالحَةٌ، وداخلها آبارٌ كثيرةٌ طَيِّبَةٌ عَذْبَةٌ؛ وَحَوْلَهَا أرباضٌ من جميع جهاتها؛ وفيها قَصَبَةٌ مانعةٌ؛ وبها خمسُ حِمَامَاتٍ، وَجَامِعٌ، له خمسُ بِلَاطَاتٍ. ^(٢) أسَّسَهَا أبو العَيْشِ عيسى بن إدريس سنة ٢٥٧؛ ووليها بعدَه ابنُه الحسن بن أبي العَيْشِ في سنة ٢٩١، وخرج منها إلى حصن المنصورة ^(٣) في سنة ٢١٩؛ ثُمَّ عاد إليها في سنة ٢٢٢؛ ثُمَّ انتقل منها إلى نِيلْمَسَان في سنة ٢٢٥. وكان لها أربعة أبواب، وَحَوْلَهَا فُحُوصٌ للزرع والضرع ^(٤)؛ وَحَوْلَهَا قَرْىٌ مَدَغْرَةٌ على البحر. وفي الجبل بنو يَزْنَاتَن، ومن جهة الشرق بنو يَفْرَن من زَنَاتَن، ومن جهة الغرب قبائلُ زَوَاغَةٍ وغيرهم.

ذكر مدينة تِهْرَت

وَأَمَّا مدينة تِهْرَت ^(٥)، فَأسَّسَهَا عبدُ الرحمن بن رُسْتَم بن بَهْرَام؛ وكان مَوْلَى لِعُثْمَانَ بن عَنَانَ - رَضَهُ! - وكان حَلِيفَةً لِأَبِي الْحَطَّابِ أَيَّامَ تَغْلِبِهِ على إفريقية. ولما دخل ابنُ الْأَشْعَثِ الْفَيْرَوَان، فرَّ عبدُ الرحمن إلى الغرب بها خَفًّا من أهله وماله؛ فَاجْتَمَعَت إليه الْأَبَاضِيَّةُ، وعزَمُوا على بِنْيَانِ مدينة تجمعهم؛ فتركوا بموضع تِهْرَت، وهي غِيْبَضَةٌ بين ثلاثة أنهار؛ فبنوا مسجداً من أربع بِلَاطَاتٍ؛ وَاخْتِطَّ النَّاسُ مَسَارِكَهُمْ، وذلك في سنة ١٦١ ^(٦). وكانت في الزمان الخالي مدينةً قَدِيمَةً؛ فَأَحْدَثَهَا الْآنَ عبدُ الرحمن بن رُسْتَم، وبقي بها إلى أن مات في سنة ١٦٨؛ وقد تقدَّم ذكرُ ذلك ^(٦).

١) A. ajoute صفة. ٢) Lecture de Bakri, p. 142. A. et B. أسَّسَهَا.

٣) A. المنصورة. ٤) A. والمزرع. Manque dans B.

٥) Dans le développement qui suit, les mss. portent les deux orthographes,

soit تَاهَرَت, soit تِهْرَت.

6-6) Manque dans B.

ذكر من ملك مدينة تيهرت من حين ابتدائها

من بني رستم وغيرهم^(١)

أولهم^(٢) عبد الرحمن بن رستم: كانت مدته بها سبعة أعوام. ثم * وليها ابنه ٢٠٤. عبد الوارث؛ فكانت مدته بها عشرين سنة، وتوفي سنة ١٨٨. ثم * وليها ابنه أبو سعيد أفلح بن عبد الوارث، ومات سنة ٢٠٥. ثم * وليها أيضاً ابنه أبو بكر بن أوح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم؛ فاختلف عليه الأمر، وأخرجه أهلها من تيهرت؛ ثم أعادوه إلى أن مات فيها. ووليها بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح؛ فكانت مدته سبعة وعشرين سنة، ووفاته في سنة ٢٨١. ووليها بعده أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان؛ فأقام فيها عاماً، واختلف عليه الناس، واضطرب أمره؛ فخرج إلى حصن لوانة؛ وقامت بينه وبين أهل تيهرت حروب عظيمة. ووليها بتقديم أهلها يعقوب بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن ابن رستم؛ فأقام والياً أربعة أعوام؛ ثم خلعه وقدّموا أبا حاتم بن أبي اليقظان؛ فأقام سنة أعوام إلى أن قتله بنو أخيه سنة ٢٩٤. ثم * وليها يقظان ابن أبي اليقظان؛ فقتله أبو عبد الله الشيعي، في خبر طويل، مع جماعة من أهل بيته، وذلك في شوال سنة ٢٩٦. وانقطع ملك بني رستم من تيهرت في هذا التاريخ.

وليها في أيام الشيعة أبو حميد دؤاس اللهيضي، ولآه أبو عبد الله الداعي^(٣) حين خروجه منها إلى سجلماسة. فأقام فيها سنة أشهر، حتى أتته العساكر من إفريقية؛ فافتتحها في سنة ٢٩٩. ووليها مصالمة بن حبوس المكناسي. إلى أن قتله محمد بن خزر الزناتي في شعبان سنة ٣١٢؛ فكانت ولايته بها ثلاث عشرة سنة. ووليها بعده أخوه يصل^(٤) بن حبوس إلى أن * توفي سنة ٣١٩. ثم * وليها ٢٠٥.

١) Ce titre manque dans B.

٢) فأول من وليها B.

٣) Manque dans A.

٤) B. مصل.

أبو مالك بن يغمُرس بن أبي شَحْمَةَ اللَّهْبِصِيِّ؛ فقام عليه أهلُ البلد، وأخرجوه سنة ٢٢٢. ووليها أبو القاسم الأحَدَب ابن مَصَالَةَ بن حَبُوس؛ فقدموه على أنفسهم؛ فأقام عليهم سنة واحدة. فلما انصرف مَبْسُور^١ من أرض المغرب إلى إفريقية، حاربهم حتى ظفر بالبلد، وقتل أبا القاسم بن مَصَالَةَ المذكور، وولى على تِهَرت داود بن إبراهيم العَجِيسِيّ؛ فأقام والياً عليها إلى أن أخرجه حميد ابن يَصَل في جُمادى الآخرة من سنة ٢٢٢، في أيام أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد البَفَرِيّ؛ وخرج حميد بن يَصَل من تِهَرت في سنة ٢٢٢، في خبر بطول ذكره، وجاز إلى الأندلس. واحتلّ إسماعيل الشيعي مدينة تِهَرت، وولى عليها مَبْسُوراً النقي؛ فاضطرب عليه أهلُ البلد لأنه سار فيهم بسيرة غير مَرْضِيَّة؛ فاستدعوا محمد بن خَزَر الزَّنَانِيّ، وابنه الحَيْر، ومن معها من زَنَانَة؛ فقدموا إلى تِهَرت في جمع عظيم، وأظهروا أنهم ناصرون لمَبْسُور؛ فخرج إليهم؛ فغدروهم وأسروه. ودخل بنو خَزَر وزَنَانَة مدينة تِهَرت، ونزلوا دار الإمارة. ثم اضطرب أمر أهل تِهَرت، وتغلب عليها يعلى بن محمد البَفَرِيّ الزَّنَانِيّ، إلى أن قدم جَوْهَر، فائد الشيعة، سنة ٢٤٩.

وكانت حَوْل تِهَرت بساتين من أنواع النِّهار، كثيرة الأشجار. وهي شديدة البرد، كثيرة الأمطار. قيل لبعض الظُرَفَاء من أهلها: «كم الشتاء عندكم من شهر في السنة؟» قال: «ثلاثة عشر شهراً!» وقال بعض شعراء تِهَرت من قصيدة أولها: [طويل]؛

فَرَاغُ الْهَوَى شُغْلٌ وَنَحْيَا الْهَوَى قَتْلٌ	وَيَوْمُ الْهَوَى حَوْلٌ وَبَعْضُ الْهَوَى كُلُّ
* وَجُودُ الْهَوَى بُحْلٌ وَرِسْلُ الْهَوَى عَدَى	وَتُرْبُ الْهَوَى بُعْدٌ وَسَبْقُ ^٢ الْهَوَى مَطْلٌ
سَقَى اللَّهُ تِهَرتَ الْمَنَا وَسَوَيْفَةَ	بَسَاكِهَا ^٣ غَيْثًا يَطِيبُ بِهِ الْحَلْ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَالِدَارُ جَامِعَةً لَنَا	وَأَمْ يَجْنِيعُ وَصْلٌ لَنَا لَا وَلَا شَيْلٌ ^٤

١) B. منصور.

٢) B. وَوَعْدٌ.

٣) A. بساكنها.

٤) A. وَصْلٌ.

فلما^(١) نادى العيش^(١) وإنشقت العصى
سلاماً على من لم تُطَقْ يومَ بيئنا سلاماً ولا كينَ فارقتَ وبها نُكَلِّ
وما هيَ آماقي تَبْضُ دُموعها ولا كينها الأرواحُ نَجْرى وتَنَسَّلُ

ومما قيل حين قضى الله بخرابها، وانتقال أهلها عنها وأربابها [طويل]:

خَلِيلٌ عُوْجاً بِالرُّسُومِ وَسَلَاماً عَلَى طَلَلٍ أَقْوَى وَأَصْبَحَ أَغْبَرَا
الْمَا عَلَى رَسْمٍ بَنِيَهْرَتِ دائِرِ عَنَتُهُ الْغَوَادِي الرَّائِحَاتُ^(٢) فَأَقْفَرَا
كَانَ لَمْ تَكُنْ تَبْهَرْتُ دَاراً لِمَعْشَرٍ فَدَمَرَهَا الْمَقْدَارُ فَيَسَنَ تَدْمَرَا

وتبهرت القديمة هذه، هي التي خربها الخَيْرُ بن محمد بن خَزَرِ الزَّنَانِي^(٣).

[وفيها، مات بالقيروان من قُرَيْشِ أَبُو الْحَسَنِ الْمُطَّلِبِيُّ أَحْمَدُ بن محمد بن
عبد الله بن جَعْفَرِ بن عَلِيٍّ بن زَيْدِ بن رُكَّانَةَ بن عَبْدِودِ بن هَاشِمِ بن عبد
المُطَّلِبِ، يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جُمَادَى الْأُولَى؛ وكان قد
صحب عُمَيْدَ اللَّهِ بِسِجِلْمَاسَةَ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ الْقَيْرَوَانَ؛ فنال بها جاهاً كبيراً في
آخر عمره. وفيها، * مات محمد بن عثمان الخُرَاسَانِيُّ الْفَقِيه، صاحبُ الْوَنَائِقِ ٢٠٧
بالقيروان؛ وكان يذهب مَذْهَبَ أَهْلِ الْكُوفَةِ؛ ولم يكن ممن يقول بخَلْقِ الْفَرَّانِ؛
وله سَمَاعٌ بِبَصْرَ من يُونُسَ بن عبد الأعلى.]

وفي سنة ٢١٩، كاتب موسى بن أبي العافية (صاحب الأندلس) [أمير
المؤمنين] (عبد الرحمن) الناصر من العدو (الغربية)، ورغب في موالاته،
والدخول في طاعته، وأن يستميل له أهواء أهل العدو المجاورين له؛ فتقبله
[أمير المؤمنين] أحسن قبول، وأمدّه بالخِلاعة والاموال، وقوى أودّه^(٣)، على ما
كان يُحاوله بن حَرْبِ ابن أبي العيش وغيره. فظهر أمر موسى من ذلك
الوقت [في العدو، وتجمع إليه كثير من قبائل البربر]، وتغلب على مدين
جَرَآوة، وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن إدريس العلوي. ودارت

١-١) B. تغلى الطيب.

٢) B. العوافي الغاديات.

٣) B. يده.

بينهما مُحَارِبَات ومُوَاقَعَات. (وَبْنَى الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْعَيْشِ حِصْنَاً مَنِعاً بِجَبَلٍ،
بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَرَاوَةِ أَرْبَعَةٍ¹) أَمِيَالٌ، وَحَوْلَهُ قُرَى لِمَدَغَرَةِ، وَبَيْنِي يَفْرَن، وَغَيْرُهُمْ
مِنَ الْقَبَائِلِ. وَكَانَ لِأَبِي الْعَيْشِ أَيْضاً وَبْنُهُ مَدِينَةُ تِلْمَسَانَ وَمَا وَالَاهَا، يَسْكُنُهَا
مِثْلُ زُوَاغَةٍ وَنَفَرَةٍ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ [كَامِلٌ]:

سَائِلُ زُوَاغَةٍ عَنْ طَعَانِ سُبُوفِهِ وَرِمَاحِهِ فِي الْعَارِضِ الْمُنْهَلِلِ
وَدِيَارِ نَفَرَةٍ كَيْفَ دَاسَ حَرِيمِهَا وَالْحَيْلُ تَمْرُغُ فِي الْوَشِيحِ الذَّلِيلِ
غَشَى مَغِيلَةً بِالسُّيُوفِ مُذْلَةً وَسَفَى جَرَاوَةَ مِنْ نَفِيعِ الْحَنْظَلِ

وَمِنْ جَرَاوَةِ¹ إِلَى تَبَهَّرَتْ ثَلَاثَةَ مَرَاكِحٍ، وَإِلَى حِصْنٍ تَامَغْلَتْ مَرَحِلَتَانِ، يَسْكُنُهُ
بَنُو دَمَّرَ مِنْ زَنَانَةٍ.

ذَكَرَ مَدِينَةَ تِلْمَسَانَ: ذَكَرَ أَنَّ تِلْمَسَانَ قَاعِدَةُ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ؛ قَالَ
P. ٢٠٨ الْبَكْرِيُّ؛ وَصَحَّحَ قَوْلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ؛ وَمِنْ كِتَابِ رُجَّارٍ قَالَ: وَبَيْنَ
مَدِينَةِ تِلْمَسَانَ وَتَبَهَّرَتْ، يَسْكُنُ بَنُو مَرِينَ وَجَمِيعُ قَبَائِلِ ثَانَةِ؛ مِنْهُمْ تُجَيْبُ،
وَمَغْرَاوَةُ، وَبَنُو رَاشِدٍ، وَوَرْنِيدٍ، وَغَيْرُهُمْ. قَالَ: وَأَكْثَرُهُمْ فَرَسَانٌ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ،
وَلَهُمْ مَعْرِفَةٌ بَارِعَةٌ، وَحَذَقٌ، وَكِبَاسَةٌ، لَا سِيَّيَا يَعْلَمُ الْكَتِفَ. وَهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَى
جَانَا. قَالَ: وَزَنَانَةٌ فِي أَصْلِ مَذْهَبِهِمْ غَرْبٌ صُرَاحٌ؛ وَإِنَّمَا تَبَزَّرُوا بِالْمَجَاوِرَةِ
وَالْمُحَالَفَةِ لِلزُّبُرِ. وَذَكَرَ أَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى بَرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ.

[ذَكَرَ افْتِتَاحَ مَدِينَةِ سَبْتَةَ بِالْعُدْوَةِ]

وَفِي سَنَةِ ٢١٩ هَذِهِ الْمَوْرُخَةُ، افْتَتَحَ النَّاصِرُ لَدِينِ اللَّهِ الْأُمَوِيُّ مَدِينَةَ سَبْتَةَ
[بِالْعُدْوَةِ] (عَلَى بَحْرِ الزُّفَاقِ مِنْ بَرِّ الْعُدْوَةِ، الَّتِي هِيَ نِظَامُ بَابِ الْمَغْرِبِيِّينَ،
وَمِفْتَاحُ بَابِ الْمَشْرِقِيِّينَ؛ وَهِيَ، عَلَى مَا قِيلَ، مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ، قَاعِدَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،

وَاللُّوْلُوُ الْحَالَةُ مِنَ الدُّنْيَا بَيْنَ السَّحْرِ وَالنَّحْرِ. وَفِي فَتَحِهَا يَقُولُ عُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَجْجِي
ابْنِ إِدْرِيسَ، يُخَاطِبُ النَّاصِرَ [طويل] ⁽¹⁾:

بِسَيْفِكَ دَانَتْ عُنُوةٌ وَأَقْرَتْ بِصَائِرُكَ كَانَتْ بُرْهَةً. قَدْ تَوَلَّيْتُ
وَمَا قَرَّبْتُ أَهْوَاؤَهَا إِذْ تَقَرَّبْتُ وَلَا حَلَيْتُ بِالزَّيِّ لَهَا تَحَلَّيْتُ
وَلَا كُنْ أَزَالَتْ رَاسِيَّاتِ عُقُودِهَا عَزَائِمُ لَوْ تَرَفَى بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ
وَدَوْلَةُ مَنْصُورِ اللِّوَاءِ مُوَيْدٌ تُدَالُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ دَوْلَةٍ
فَهَذَا أَوَّلُ النَّصْرِ مِنْهَا وَهَذِهِ بِشَائِرُهُ تُرَوَّى الْأَنَامُ بِسَيِّئَةٍ

فَشَكَّهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (الناصر) بِالرَّجَالِ، وَأَتَقْنَهَا بِالْبَنِيَانِ، ⁽²⁾ وَبَنَى سُوْرَهَا
بِالسَّكَّانِ ⁽²⁾، وَأَلْزَمَ فِيهَا مَنْ رَضِيَهِ مِنْ قَوَّادِهِ وَأَجْنَادِهِ؛ وَصَارَتْ مِفْتَاحاً إِلَى
الْعُدُوَّة. (قَالَ عَرِيبٌ:) وَبَاباً إِلَيْهَا، وَثَنَافاً عَلَى الْمَرَاسِي فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ؛
وَقَامَتْ * الْخُطْبَةُ فِيهَا بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ؛ وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لثَلَاثَ P. ٢٠٩
خَلَوْنَ مِنْ ربيعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الْمَوْخِ. وَ[فِيهَا،] وَرَدَ الْخَبَرُ عَلَى عُمَيْدِ اللَّهِ
بِالْمَهْدِيَّةِ بِدُخُولِ مُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ وَأَهْلِ سَيِّئَةٍ فِي طَاعَةِ [أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ]
عَبْدِ الرَّحْمَنِ [بْنِ مُحَمَّدٍ] النَّاصِرِ، وَأَنَّ مَرْكَباً نَزَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ بِرُسَى جَرَّاءَ
لِمُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ؛ فَهَيَّطَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْعَيْشِ، وَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهِ.
فَكَاتَبَهُ مُوسَى وَكَاتَبَ فَاضِيَهُ، [وَوَجَّهَ أَهْلَ مَوْضِعِهِ، وَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ.] فَلَمْ
يُصْرَفْ إِلَيْهِ [مِنَاعَهُ؛ فَزَحَفَ مُوسَى إِلَى صَاءٍ؛ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عَامِرَ بْنَ أَبِي الْعَيْشِ
وَأَمَّنَ أَهْلَهَا؛ ثُمَّ زَحَفَ إِلَى زُوَاغَةٍ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي الْعَيْشِ. فَلَمَّا رَأَى كَثْرَةَ
مَنْ مَعَهُ، انْصَرَفَ عَنْهُ بِغَيْرِ فِتَالٍ؛ وَأَحْرَقَ ابْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ بِسَبْطِ جَرَّاءَ،
وَنَجَّوَلَ فِي الْبِلَادِ أَيَّاماً؛ وَدَارَتْ بَيْنَ ابْنِ أَبِي الْعَيْشِ [وَبَيْنَ ابْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ]
مُرَاسَلَاتٌ. وَرَغِبَ ابْنُ أَبِي الْعَيْشِ فِي مُصَالَحَتِهِ، وَصَرَفَ مَا كَانَ أَخَذَهُ لَهُ،

1) On suit ici le texte du ms. B., plus correct que celui de A.

2--2) Manque dans A.

واصطلحا¹). [ورجع موسى الى بلد؛ ثم زحف ابن أبي العافية الى أوزقور؛ فاستند أهل قُلُوع جَارَة عليه باين أبي العيش؛ فأمدهم بخيل، وأغاروا على بعض نواحي ابن أبي العافية، وأخذوا له جمالاً كثيرة، وقاسموا الغنيمة ابن أبي العيش. فعادت الحرب بين ابن أبي العافية وبين ابن أبي العيش، وكاتب أهل جَرَاوَة ابن أبي العافية، وضمنوا له دخول المدينة؛ فزحف اليها بمن معه، وأدخله أهلها طائعين. ثم قصد الى المنصور؛ فدعاه الى الأمان؛ فأجابهم بعضهم، تغلب على سائرهم، وقتل بها جماعة. وقيل إنه أخذ زوجة ابن أبي العيش * الفرشبة، وأولاده، وخيله، وسلاحه، وأحرق المدينة بالنار، وانصرف الى محلته؛ وبعث زوجة ابن أبي العيش الى أهلها مع ثقات من أهل جَرَاوَة]. فعظم على الشيعي ما ورده من هذا الأمر، وأقلقه. وكتب الى القبائل في الغرب بحضهم على طاعته، [ويمنهم إمداده ونصره].

(ومدينة سبته مدينة أزلية، على ضفة البحر الرومي، وهو بحر الرقاق الداخل في البحر المحيط؛ وهي في طرف من الأرض، والبحر مُحِيطٌ بها من كل ناحية إلا موضعاً ضيقاً جداً، لو شاء أهلها أن يصلوه بالبحر الآخر²)، لنعلوا؛ فنصبر من جزر البحر. ويَجْلِب الماء الى حماماتها من البحر. وأهلها عربٌ وبربرٌ. ولم تزل دار علم. وشرقها³ جبلٌ مُنِيفٌ داخل في البحر، والبحر مُحِيطٌ به؛ ويلقظ في بعض نواحي هذا الجبل يافوتٌ صغير الجرم، عريق في الجودة. وبحرها يُستخرج منه المَرْجان، وهو البُسْد. واختلف في تسميتها بسبته. فقال قوم: سُمِّيَتْ بذلك لانتقطاعها في البحر؛ تقول العرب: «سَتَّ النَعْل» إذا قَطَعَتْهُ. وقال آخرون إن رجلاً من ولد سام بن نوح - نعم! - اسمه سَبْتٌ خرج من المشرق لأسبابٍ عَرَضَتْ له؛ فتوغل في المغرب حتى أتى موضعها؛ فاخطأ فيه موضعاً بغيره. ويذكر أربابنا الحديث المُنْدَع عَنْ وَهْب بن

1) A. ajoute: وذلك شيء يطول ذكره هنا.

2) B. الأخضر. 3) A. بشرقها.

مَسْرَّة^(١) الْحَجَرِي، وذلك أَنَّ أبا عبد الله مُحَمَّد بن علي حَدَّثَهم عامَ ٤٠٠ عن وَهْب بن مَسْرَّة^(١)، عن ابن وَضَّاح، عن سَحْنُون، عن ابن القاسم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي - صلَّعم - قال: إِنَّ بِأَفْصَى الْمَغْرِبِ مَدِينَةً تُسَمَّى سَبْتَةَ، أَسَّسَهَا رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ سَبْتٌ مِنْ وَلَدِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ، وَدَعَا لَهَا بِالْبِرْكَ وَالنَّصْرِ. فَا رَامَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ بِأَسِهِ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ: قَالَ شَيْخُنَا الْعَالِمُ أَبُو النَّضْلِ عِيَّاضُ بْنُ مُوسَى: وَهَذَا P. ٢١١ الْحَدِيثُ تَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ النَّجْرِيَّةُ؛ فَإِنَّهَا مَا زَالَتْ مَحْبِيَّةً عِنْدَ مَنْ وَلِيَهَا مِنَ الْمُلُوكِ، وَقُلَّ مَا أَحْدَثَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِيهَا حَدَّثَ سُوءٍ إِلَّا هَلَكَ.

قَالَ الْعُدْرِيُّ: كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ التُّوْطِ بِالْأَنْدَلُسِ يُسَمَّى تُوْدُوش^(٢)؛ فَجَارَ الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَةَ لِمُحَارَبَةِ الْبَرْبَرِ؛ فَحَاصَرَهُمْ فِيهَا، ثُمَّ تَأَلَّفُوا عَلَيْهِ؛ فَأَمَكَّتَهُ مِنْهُمْ غِرَّةٌ؛ فَفَقَلُّهُمْ^(٣)، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَرَجَعَ تُوْدُوش^(٢) إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَبَقِيَ الْبَرْبَرُ فِيهَا إِلَى أَنْ دَخَلَهَا الرُّومُ ثَانِيَةً؛ وَكَانَ فِيهَا يَلْيَانُ. وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ - رَضَهُ - لَمَّا غَزَا الْغَرْبَ وَدَوَّخَهُ كَلَّهُ، وَصَلَ إِلَى سَبْتَةَ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَلْيَانُ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَاسْتَلَطَّنَهُ؛ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَتَجَرِبَةٍ؛ فَأَمَّنَهُ عُقْبَةُ، وَأَقَرَّهُ عَلَى مَوْضِعِهِ؛ ثُمَّ دَخَلَهَا الْعَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْصُّلْحِ؛ ثُمَّ قَامَ الْبَرْبَرُ بِطَنْجَةٍ، وَزَحَفُوا إِلَيْهَا؛ فَأَخْرَجُوا مِنْ كَانَ فِيهَا، وَخَرَّبُوهَا، وَبَقِيَ مَسْكَنًا لِلْوَحُوشِ مَدَّةً. ثُمَّ دَخَلَهَا رَجُلٌ مِنْ غُمَارَةٍ، يُسَمَّى مَاجِكُسَ^(٤)؛ فَغَمَّرَهَا، وَأَسْلَمَ، وَرَأْسُهَا فِيهَا؛ وَانْصَافَتْ لَهُ الْبَرَابِرُ، إِلَى أَنْ هَلَكَ؛ ثُمَّ وَلِيَهَا بَعْدَهُ ابْنُ عَصَامٍ بْنُ مَاجِكُسَ؛ ثُمَّ ابْنُهُ مَجْبَرُ بْنُ عَصَامٍ؛ ثُمَّ وَلِيَهَا الرِّضَى بْنُ عَصَامٍ، وَكَانَ يَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِ فُقَهَاءِ الْأَنْدَلُسِ؛ ثُمَّ دَخَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قُلَشَانَةٍ؛ فَاشْتَرَوْا فِيهَا أَرْضًا مِنَ الْبَرْبَرِ، وَبَنَوْا فِيهَا دُورًا وَمَا تَتَلَمَّ مِنْ سُورِهَا الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ السِّتَارَةُ؛ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يُؤَدُّونَ الطَّاعَةَ لِبَنِي إِدْرِيسَ،

١) B. ميسرة. 2) A. بردوش. B. مردنوش.

3) A. فامكستهم منه غيرة فقلوه.

4) A. ماجكن. B. ماجكنس.

حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر، ودخلها فائده فرج بن عفير يوم الجمعة لليلة
خلت من شعبان من سنة ٢١٩.

ذكر من ولي سبعة لبني أمية : فولها من قبل الناصر فرج بن عفير سنة ٢١٩
المذكورة. ثم وليها أحمد بن عبد الصمد الإغرناطي : ثم وليها محمد بن حزب
الله سنة ٢٢٢ ؛ ثم عزل. وليها محمد بن مسلمة في سنة ٢٢٦ ثم عزل.
P. ٢١٢ وليها ابن مسلمة أيضاً الى سنة ٢٢٠. ثم * وليها ابن مقاتل الى أن أُسِرَ في
شوال سنة ٢٢٢، أسره عندهم بنو محمد الأدارسة، الى أن لعقهم فاضياها محمد
ابن أبي عيسى في رمضان سنة ٢٢٢؛ فنجح بنو محمد الى السلم على يدى القاضي؛
فأطلقوا ابن مقاتل، وبعثوا رهائهم الى أمير المؤمنين الناصر بفرطية. ولم يزل
ولاة الناصر يتداولونها الى سنة ٢٤٦.)

[وفيها، مات أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي، صاحب الوثائق بالقيروان؛
وكان له سماع ونظر؛ وتولى كتابة السجلات والأحكام لعيسى بن مسكين؛
وله كتب في الوثائق والشروط وفي مواقيت الصلاة. وفيها، مات بمدينة تهرت
يصل بن حبوس صاحبها؛ فقدم أهلها على أنفسهم على بن مصالة، وكتبوا الى
عبيد الله بالخبر؛ فولى عليهم حميد بن يصل، وأخرجه اليها في جيش كثيف؛
فوصل اليها في ذى الحجة.

وفيها، ولد أبو نعيم معد بن إسماعيل الشيعي يوم الاثنين لتسع خلون من
شهر رمضان بقصر المهدية.]

وفي سنة ٢٢٠، [أوقع حميد بن يصل بداود بن مصالة، وسنان، وأبي
حميل بن برنو، وقتل جماعة من أصحابهم، وحصرهم في حصن أبي حميل
ثلاثة أشهر. وقرئ بذلك كتاب عبيد الله الشيعي على المنابر، تأريجه يوم
الخميس لليلتين خلنا من جهادى الأخيرة. وفيها] سار موسى بن أبي العافية
الى محمد بن خزر (أمير زناتة)، [وطوى نحو المراحل؛] فالتأه على حين
غفلة؛ ف[قاتله، و]هزمه، وقتل أصحابه. ثم انصرف الى جراوة. [وكان سبب

ذلك أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ خَزَرَ كَتَبَ إِلَى مُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي
الْعَبَّاسِ بِمَا أَحْفَظُهُ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مُؤَيَّدٌ لَهُ عَلَيْهِ. فَأُتِيَ لَذَلِكَ مُوسَى، وَخَرَجَ إِلَيْهِ،
وَوَاقِعُهُ. وَفِيهَا، عَزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَانَ صَاحِبُ الْوُثَائِقِ؛ * وَكَانَ مِنْ عُنَايَةِ أَبِي P. ٢١٢
جَعْفَرِ الْبَغْدَادِيِّ وَزُنَّ بِأُتْنَفٍ^١؛ فَرَفَعَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ خَلِيلُ الشَّيْعِيِّ، وَقَالَ لَهُ: «يَا
مَوْلَايَ! إِنَّمَا يَعْمَلُ الْبَغْدَادِيُّ فِي شَتْرِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الزَّاهِرَةِ، وَإِدْخَالِ الْعِيبِ فِيهَا!
وَقَدْ وَلَّى عَلَى قَضَاءِ إِطْرَابُلُسَ وَالْوُثَائِقِ رَجُلًا مُسْتَهْتَرًا بِالْمَرْدِ!» وَرَفَعَ إِلَيْهِ
قَوْلَ ابْنِ عَامِرِ الْفَزَارِيِّ فِي مَرْدِ إِفْرِيقِيَةِ أَيَّامَ بَنِي الْأَغْلَبِ، وَفِيهَا، ذَكَرَ ابْنَ سَلْمَانَ
هَذَا بِفَيْحٍ مِنَ الْقَوْلِ. وَأَوَّلُ الْأَرْجُوزَةِ:

وروضة تكسو أديم الأرض
وشياً بديعاً من نبات غَضِ
منها على الأرواح قاضي يَنْقُضِ
بياض بعض واحمرار بعض

وفِيهَا:

نَارَ ابْنِ سَلْمَانَ عَلَى الْغَزَلَانِ
شِيَهَ بَذْرِ فَوْقِ غُضْنِ بَابِ
مَا إِنْ لَهُ فِي حَسَنِهِ مِنْ ثَانٍ
كَأَنَّمَا صَبَغَ مِنَ الْعَفْيَانِ

فَلِذَلِكَ عَزَلَهُ، وَوَلَّى قَضَاءَ مَدِينَةِ إِطْرَابُلُسَ أَحْمَدَ بْنَ بَحْرٍ، وَكَانَ صَاحِبَ
مَظَالِمِ الْفَيَرَوَانَ وَصَلَاتِهَا، بِاخْتِيَارِ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي السَّيْنَالِ. وَفِيهَا، [أَظْهَرَ مُوسَى
ابْنَ أَبِي الْعَافِيَةِ الدَّعْوَةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ، وَقَامَ بِهَا، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ،
بَعْدَ أَنْ تَغَلَّبَ عَلَى نَكُورٍ، وَدَخَلَهَا بِالسَّيْفِ،] [وَقَتْلَ صَاحِبِهَا الْمُؤَيَّدِ بْنِ عَبْدِ
الْبَدِيعِ بْنِ صَالِحِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ إِدْرِيسٍ،] وَبَعْدَ أَنْ حَصَرَ [بَنِي مُحَمَّدٍ فِي الْحَجَلِ
* الْمَعْرُوفِ] بِحَجَرِ النَّسْرِ، حَتَّى صَالَحُوهُ [عَلَى شَيْءٍ أَخَذَهُ مِنْهُمْ؛ وَزَالَ مِنْهُمْ ٢١٤٠

1) Voir Corr., p. 24.

وفيها، مات بمدينة تونس أبو حبيب نصر الرومي؛ وله سماع من ابن عبد الحكم؛ وكان من أهل الحفظ للمسائل.]

وفي سنة ٢٢١، ولي سجلماسة أبو المنصور سِغُون^(١)، بن المعتز بن محمد، وهو ابن ثلاث عشرة سنة؛ فمكث في ولايته شهرين. وقام عليه ابن عيه محمد ابن الفتح المسمى بالأمين؛ فخاربه، وتغلب عليه، وأخرجه من سجلماسة، وتملكها. وكان سنيًا يظهر العدل، إلا أنه تسمى بأمر المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله، وضرب بذلك الدنانير والدرهم؛ وذلك سنة ٢٤٢؛ فمكث كذلك إلى أن قُربَتْ منه عساكر أبي تميم معد العبيدي.

ذكر من ولي سجلماسة من حين فتحها الشيعي

ولي عليها الشيعي المراتي^(٢) المتفيم ذكر في سنة ٢٩٨؛ فقتله أهل سجلماسة بعد إقامته خمسين يوماً. ووليها أبو الفتح بن الأمين سنتين وأشهرًا. ثم وليها أحمد بن الأمين سنة ٣٠٠، وبقي بها إلى أن حاصره مصالة بن حبوس، وافتتحها عنه، وقتله، في محرم سنة ٣٠٩. وولي مصالة على سجلماسة المعتز ابن محمد من بني مدرار؛ وبقي بها إلى سنة ٢٢١ المؤرخة، وتوفي. فوليا أبو المنصور المذكور.

وفي سنة ٢٢٢، توفي عُبيد الله المهدئي ليلة الثلاثاء للنصف من ربيع الأول؛ فكانت مدته أربعاً وعشرين سنة، وعشرة أشهر، ونصفاً. وكان وصوله إلى مصر في زِيّ التجار سنة ٢٨٩. وظهر بسجلماسة في ذي الحجة سنة ٢٩٦. وسلم عليه بالإمانة. وانصل إلى رقادة في ربيع الآخر من سنة ٢٩٧. وبني P. ٢١٥ المهدية، واستقر^(٣) بها سنة ٣٠٨. ولما انتقل إلى المهدية، دخل رقادة الوهن. وانتقل عنها ساكنوها؛ فلم تنزل تخرب شيئاً بعد شيء، إلى أن ولي معد بن إسماعيل؛ فخرّب ما بقي منها.

١) سغول. A.

٢) المراي. B.

٣) واستقر. A.

ذَكَرَ رَقَادَةَ: وَكَانَتْ رَقَادَةُ دَارَ مُلْكِ بَنِي الْأَغْلَبِ؛ وَيَذْكُرُونَ أَنَّ مِنْ دَخَلَهَا
لَمْ يَزَلْ ضَاحِكًا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَأَنَّ أَحَدَ مُلُوكِ بَنِي الْأَغْلَبِ شَرَدَ عَنْ النَّوْمِ؛
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا، نَامَ؛ فَسُمِّيَتْ رَقَادَةُ؛ فَاسْتَوَظَنَهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ، وَانْتَقَلَ
إِلَيْهَا مِنَ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ؛ فَبَنَى فِيهَا قُصُورًا عَجِيبَةً، وَجَامِعًا، وَحِمَامَاتٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.
وَكَانَ تَأْسِيسُهَا سَنَةَ ٢٦٢، وَتَأْسِيسُ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ سَنَةَ ١٨٤. وَكَانَ ابْنُ
الْأَغْلَبِ مَنَعَ بَيْعَ الشَّرَابِ بِالْقَيْرَوَانِ، وَأَبَاحَهُ بِرَقَادَةَ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي
ذَلِكَ [مَنْسُوحٌ]:

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَإِنَّ سَيِّدِيهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِ الرِّقَابُ مُنْقَادَةٌ
مَا حَرَّمَ الْخَمْرَ فِي مَدِينَتِنَا وَهُوَ حَلَالٌ بِأَرْضِ رَقَادَةَ

ذَكَرَ الْمَهْدِيَّةَ وَالْقَيْرَوَانِ^١: وَأَمَّا الْمَهْدِيَّةُ، فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْمَهْدِيِّ عُبَيْدِ
اللَّهِ الشَّيْعِيِّ^٢. فَإِنَّهُ، لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى الْمُلْكِ، نَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ، وَسَمَّى مَدِينَتَهُ الَّتِي
بَنَاهَا بِاسْمِهِ^٣. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَيْرَوَانِ سِتُّونَ مِيلًا. وَقَوِيَتْ فِي أَيَّامِهِ وَأَيَّامِ ابْنِهِ
أَبِي الْقَاسِمِ، وَحَفِيدِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ مَعْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ. حَتَّى انْتَقَلَ
مِنْهَا مَعْدُ إِلَى الْقَاهِرَةِ، لَمَّا مَلَكَ مِصْرَ وَبَنَى الْقَاهِرَةَ الْمُعِزِّيَّةَ، نَسَبًا إِلَى لَقَبِهِ
الْمُعِزِّ بِاللَّهِ. فَضَعُفَتْ إِذْ ذَاكَ الْمَهْدِيَّةُ إِلَى أَنْ اسْتَوَظَنَهَا الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسٍ آخِرُ
أَيَّامِهِ لَمَّا خَرِبَتِ الْقَيْرَوَانُ بِهَزِيمَةِ الْمُعِزِّ الْمَذْكُورِ، إِلَى أَنْ تُوُفِيَ بِهَا؛ وَوَلِيَهَا بَعْدَهُ
ابْنُهُ نَعِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ، وَصَارَتْ دَارَ مَلِكِهِ، وَوَلَدَهُ بِحْجَى بْنُ نَعِيمٍ بَعْدَهُ، وَوَلَدَهُ عَلَى بْنُ
بِحْجَى بَعْدَهُ، إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ الْحَاصِرَةِ. وَبَقِيَتْ
لِلْإِسْلَامِ إِلَى الْآنِ. وَبِهَا دَارُ صُنْعَةِ الْإِنْشَاءِ الْمَجِيبَةِ: يَخْرُجُ الْجَنْفُ مَعْمُورًا مِنْ
خَلْفِ السُّورِ، فَلَا يُعْلَمُ بِهِ حَتَّى يَفْجَأَ الْعَدُوَّ الْقَاصِدَ، فَيَحِيطُ بِهِ؛ فَلَا يَقْرِبُهَا الْعَدُوُّ
لَأَجْلِ ذَلِكَ.

1) Ce titre manque dans A.

2-2) Manque dans A.

3) Ce paragraphe, jusqu'à l'alinéa, ne figure que dans B.

وَأَمَّا الْفَيَّرُونَ، فَكَانَتْ أَكْثَرُ مَدَنِ الْمَغْرِبِ طُرّاً، وَأَكْثَرُ مَا بَشَرّاً، وَأَبْسَرَهَا أَمْوَالاً، وَأَوْسَعُهَا أَحْوَالاً. وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهَا التَّمَسُّكُ بِالْخَيْرِ وَالتَّخَلُّى عَنْ التَّجَاهَاتِ، وَاجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ، إِلَى أَنْ تَوَالَى الدِّيمَارُ^(١) عَلَيْهَا بِدُخُولِ الْعَرَبِ لَهَا، عَلَى مَا يَأْنِي ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ؛ فَلَمْ يَبْقَ بِهَا إِلَّا أَطْلَالُ دَارِسَةٍ، وَآثَارُ طَامِسَةٍ. وَيُذَكَّرُ أَنَّهَا سَنَعُودُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. وَهِيَ الْآنَ فِي وَقْتِنَا هَذَا، وَهُوَ آخِرُ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ، قَدْ ابْتَدَأَتْ بِالْعَارَةِ.

وَمَلِكُ عُيَيْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيِّ إِفْرِيقِيَّةَ، وَجَمِيعَ الْمَغْرِبِ، وَإِطْرَابُلُسَ، وَبَرْقَةَ، وَجَزِيرَةَ صِفْلِيَّةَ.^(٢) وَكَانَتْ عُمَالُهُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ^(٣). وَكَانَتْ وَلِيَّ عَهْدِهِ إِلَى مِصْرَ؛ فَفَتَحَهَا.^(٤) وَكَانَتْ الْكُتُبُ تَنْتَدِي فِي أَيَّامِهِ بِاسْمِ وَلَدِهِ^(٥). وَكَانَ لَهُ سِتَّةُ أَوْلَادٍ: أَكْبَرُهُمْ وَلِيُّ عَهْدِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيِّ الْمُتَقَبِّبِ * بِالْمَهْدِيِّ. وَعُمُرُهُ، أَعْنَى عُيَيْدِ اللَّهِ، يَوْمَ مَاتَ، ثَلَاثَةٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ إِفْرِيقِيَّةَ^(٦)

بُويعَ لَهُ يَوْمَ مَاتَ أَبُوهُ مُنْتَصِفَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٢٢٢ الْمَوْرَخَةِ؛ وَتَلَقَّبَ بِالْقَاسِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ. وَتَوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لَشَوَّالِ سَنَةِ ٢٢٤. فَكَانَتْ دَوْلَتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرَ، وَعُمُرُهُ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً. أَوْلَادُهُ الذَّكَورُ سَبْتَةٌ. حَاجِبُهُ: جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ. وَمِنْ قُضَاتِهِ ابْنُ أَبِي الْبَيْهَاتِ. وَلَمْ يَرْكَبْ أَبُو الْقَاسِمِ طُولَ إِمَارَتِهِ بَطِلَّةً. فَقَامَ^(٦) بِسِيرَةِ أَبِيهِ، وَأَظْهَرَ مِنَ الْحُزْنِ عَلَيْهِ مَا لَا يُعْهَدُ لِمِثْلِهِ، وَوَأَعْلَى الْحُزْنَ لِفَقْدِهِ، وَأَدَامَهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَمَا رَكِبَ دَابَّةً مِنْ بَابِ قَصْرِهِ مُنْذُ مَاتَ أَبُوهُ إِلَى أَنْ قُبِضَ^(٧) سِوَى مَرَّتَيْنِ. وَافْتُنَحَتْ فِي أَيَّامِهِ مَدَائِنُ كَثِيرَةٌ مِنْ

١) A. تَوَالَتْ الْجَوَالِحُ. 2-2) Manque dans B. 3) A. et B.: وَصِيرَ.

4-4) Voir *Corr.*, p. 24.

5) Ce titre ne figure pas dans A., qui présente une courte lacune.

6) A. قَفَا. 7) B. هَلَكَ.

مدائن الروم بصِفْلِيَّة^(١) وثار عليه عدَّةٌ ثَوَارٍ^(٢) فأمكنه الله منهم^(٣). ومن ثار عليه، ابنُ طَالُوتِ القُرَشِيِّ؛ فسار الى ناحيةِ إِطْرَابُلُسَ ليأخذها، وهو في عددٍ كثيرٍ فقاتلوه، وقتلوا جملةً من أصحابه؛ وزعم أنَّه ابنُ المَهْدِيِّ؛ فقام معه البربر، وتبعوه. فلما تبين لهم أمرُه، قتلوه، وأتوا برأسه الى القائم بأمر الله. وكان أولُ ما بدأ به أبو القاسم الشيعي أنَّ أمرَ عُمَّالِه في سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات الحربية. وأخرج مَبْسُوراً القَتَّى في عددٍ عظيمٍ الى المغرب؛ فأنهى الى فاس، وهزم ابن أبي العافية، وأخذ ابنه أسيراً. وأخرج يعقوب بن إسحاق في الأُسْطُولِ الى بلد الروم؛ فافتتح جَنَّةً. وأقرَّ أبا جعفر البغداديَّ على البريد والكتابة، وفوض اليه كثيراً من أمور المملكة.

وفي سنة ٢٢٢، بعث القائم بأمر الله عسكرياً الى بَرْقَة، فوَّد عليه زَيْدَان، وبعث معه عامراً المَجْنُون، وأبا زُرَّارة، وجماعةً من * عساكر بَرْقَة الذين بها P. ٢١٧ من كتامة، الى مِصْرَ. فدخلوا الى الإسكندرية؛ فأخرج اليه محمد بن الإخشيدي جيشاً فيه خمسة عشر ألفاً؛ فأسر منهم خلفاً كثيراً.

وفي هذه السنة، مات الفضل بن علي بن ظفر؛ وكان أديباً دهره، وظريف عصره، عالماً وفقهاً وأديباً ووفاءً.

وفي هذه السنة، وصل مَبْسُورُ الصِفْلِيِّ الى مدينة فاس؛ فخرج اليه صاحبها أحمد بن أبي^(٣) بكر بن أبي سهل الجُدَّائِي؛ فغدره، وقبض عليه، وبعث به الى المهدية؛ فقدم أهلُ فاس على أنفسهم^(٤) حسن بن قاسم اللواتي؛ وحارب أهلُ فاس مَبْسُوراً سبعة أشهر؛ فلم يقدر عليهم؛ ثم حاصر ابن أبي العافية؛ واستعان ببني إدريس عليه، واعتنى بهم، ووفى لهم حقهم؛ فأنجلى ابن أبي العافية أمامهم

(١) Manque dans A.

فأُصِرَّ عليهم ونكس منهم B. (2-2)

(3) Manque dans A.

(4) A. et B.: فقدموا على أنفسهم أهلُ فاس.

الى الصحراء؛ وصار كل ما كان لبني العافية لبني إدريس. وكانت الرياسة فيهم لبني محمد بن القاسم، وهم حسن، وقننون، وإبراهيم¹ المعروف بالزموقي. وقننون اسمه القاسم؛ وكان يلزم مدينة صخرة النسر.

ذِكْرُ أَخْبَارِ الْأَدَارِيسَةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ!

وَسَبَبُ دُخُولِهِمْ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَبَنَائِهِمْ مَدِينَةَ فَاسَ،
وَمَنْ وَلِيَهَا مِنْهُمْ وَمَنْ غَيْرُهُمْ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ

ذكر العذري وغيره أن إدريس وسليمان ابني عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب - رضهم - فثروا من الوقعة التي كانت في أيام جعفر المنصور، وهي وقعة فخر؛ وكانوا ست إخوة: إدريس، وسليمان، ومحمد، وإبراهيم، وعيسى، ومجبي. أمّا محمد، فخرج بالحجاز، وقُتل. وأمّا إبراهيم، فقام بالبصرة من العراق، فقتل في أيام المنصور. وأمّا مجبي، فقام في الديلم، في خلافة الرشيد، وهبط على الأمان، ثم سُمّ ومات. وأمّا إدريس، ففرّ إلى المغرب؛ ودخل إليه في أيامه من الطالبين أخوه سليمان، فاحتل بلباسان، وداود بن القاسم بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب؛ ثم رجع داود إلى المشرق، وبقيت ذريته بالمغرب. واحتل إدريس بن عبد الله بالمغرب سنة ١٧٠، واستوطن ويلي؛ وكانت أزلية. وكان وصوله مع مولاة راشد؛ ثم نزل على إسماعيل ابن عبد الحميد سنة ١٧٢؛ فقدّمه قبائل البربر، وأطاعوه. وبلغ خبره هارون الرشيد؛ فدرس إليه من سمّه. وكان المدسوس إليه رجل يقال له الشّماخ؛ فسّمّه، وهرب إلى المشرق. ومات إدريس في سنة ١٧٥؛ فقام بأمر البربر مولاة راشد. وترك إدريس جارية بربرية اسمها كنزة؛ فولدت له غلاماً سمّي باسم أبيه. فولد إدريس بن إدريس سنة ١٨٧، وهو ابن إحدى عشرة سنة؛ وقيل:

١) A. ajoute ici: إبراهيم.

أكثر من ذلك ؛ وبأبغ جميع القبائل . وكانت عدوة القرويين غياضاً ، في أطرافها بيوت من زواغة ؛ فأرسلوا اليه ، ودبر في البناء عندهم . فكان ابتداء بناء مدينة فاس سنة ١٩٢ ، وذلك عدوة القرويين . وغزا إدريس بن إدريس نفرة ، ووصل الى تلمسان ؛ ثم رجع ، ووصل الى وادي نفيس ؛ فاستفتح بلاد المصامدة ، وتوفي مسموماً سنة ٢١٢ . واختلف في كيفية موته . قال ابن حمادة ، والبكري ، وغيرهما : ترك من الولد اثني عشر ؛ وهم : محمد ، وأحمد ، وعبد الله ، وعيسى ، وإدريس ، وجعفر ، وبجي ، وحمزة ، وعبد الله ، والقاسم ، وداود ، وعمر .

فولى منهم محمد بن إدريس ؛ ففرق البلاد على إخوته بأمر جدته كثره ؛ فأعطى القاسم * طنجة وما يليها ، وأعطى عمر صنهاجة الهبط ، وغمارة ؛ وأعطى P. ٢١٩ داود هارة تاملت ؛ وولى عيسى وبجي وعبد الله بلاداً أخرى .^١ وبقي الصغار من إخوته^٢ . فثار عليه عيسى ، ونكث طاعته ؛ فكتب الأمير محمد بن إدريس الى أخيه القاسم ، يأمره بحاربه ؛ فامتنع ؛ وكتب أيضاً الى أخيه عمر ؛ فأجابه ، وسارع الى نصرته ؛ وكان تقدم بين عمر وعيسى تنازع . وتوفي عمر ببلد صنهاجة ، ونقل الى فاس ؛ وهو جد الحواريين . ثم توفي الأمير محمد بن إدريس - رحمه الله - فولى بجي بن محمد بن إدريس ؛ فولى بجي أعمامه وأخواله أعمالاً ؛ فولى حسيناً القبلة من مدينة فاس الى أغمات ؛ وولى داود المشرق من مدينة فاس : مكناسة ، وهوارة ، وصدينة ؛ وولى القاسم غربي فاس : لماسة^٢ ، وكنامة . وتشاغل بجي عما كان يحق عليه من سياسة أمره . فملك إخوته أنفسهم ، واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : «إنما نحن أبناء أب واحد ؛ وقد تروون ما صار اليه أخونا بجي من إضاعة أمره .» فقدمهم البربر على أنفسهم تفديماً كلياً . وكان بجي منهمكاً في الشراب ، معجباً بالنساء ، ذكر أنه دخل يوماً

1-1) Manque dans B.

2) Ainsi dans A. et B. Peut-être faut-il lire لماية .

المحمّام على امرأة؛ فتغيّر عليه أهل فاس؛ فكان ذلك سبب هلاكه؛ فهرب الى عدوة الأندلس؛ فمات بها. وكانت زوجته بنت¹⁾ علي بن عمر جدّ المحمّديّين. ثمّ ولي علي بن عمر بن إدريس، وذلك أنّه، لما هلك بجي، أتى صهره علي هذا؛ فدخل عدوة القرويين وملكها؛ وانتقل الأمر عن بني محمّد بن إدريس الى بني عمر بن إدريس. ثمّ قام عليه عبد الرزاق المخارجي الصفرى من مديونة؛ فدارت بين علي وعبد الرزاق حروب كثيرة، الى أن هزمه المخارجي، واستولى على فاس. ومّر علي الى أوربة، وملك عبد الرزاق عدوة الأندلسيين، ولم يملك عدوة القرويين؛ فبعثوا الى بجي بن القاسم بن إدريس الذي يُعرف بالعوّام²⁾ وقدمه على أنفسهم أهل عدوة القرويين؛ ثمّ ملك بعد ذلك عدوة الأندلسيين، وأخرج منها عبد الرزاق في خبر طويل. وطالت أيام بجي هذا بفاس وما والاها من البلاد والأقطار³⁾ والقلاع، الى أن قتله ربيع بن سليمان سنة ٢٩٢.

ثمّ ولي بجي بن إدريس بن عمر بن إدريس بن إدريس، وذلك أنّه، لما مات بجي بن القاسم، تقدّم الى فاس بجي بن إدريس، وملكها. ورجع الأمر الى بني عمر بن إدريس خمس عشر سنة، الى أن قدّم مصّالة بن حبّوس في سنة ٢٠٧، وذلك أنّ مصّالة قد قدّم الغرب في حرّكه⁴⁾ الأولى سنة ٢٠٥؛ فابتدأ بالإحسان والإكرام لموسى بن أبي العافية، وقدمه على ما استولى عليه من بلاد الغرب. وكان بجي بن إدريس، صاحب فاس، يُغيّر عليه، وينقطع عنه أمّله. فلما رجع مصّالة في سنة ٢٠٧، أقام بالغرب خمسة أعوام؛ فكان ابن أبي العافية يسعى في ضرار بجي وحنّفه عند مصّالة لِمَا تقدّم بين موسى ومصّالة من المودة، ولِمَا كان بين موسى وبجي بن إدريس من العداوة. فعزم مصّالة على القبض على بجي؛ فلم يزل يتعيّل عليه، حتّى أقبل الى معسكره؛ فغدره،

1) بنته زوج A.

2) Leçon de B. — A. العدّام.

3) والأبصار A.

4) On suit la leçon de Bakrī. — A. الردّة B. المرّة.

وفبض عليه، وانتزع ما كان يده، وأمره باستجلاب ماله؛ فأحضره، وأخرجه¹ من فاس، وولى فاساً عامل مَصَالَة. وانفصل مَصَالَة من الغرب، وبقي موسى ابن أبي العافية في الغرب أميراً.

ثم قام حسن بن محمد سنة ٢٢١؛ وهو حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، الملقب بالحجّام؛ فأوقع بموسى بن أبي العافية. وكان بينه وبين رؤساء القبائل وقعة شنيعة، لم يكن بالغرب بعد دخول * إدريس الكبير^{٢٢١} بمنهلها، قُتِلَ فيها من البربر نحو ألفي قتيل، وقُتِلَ لموسى في جملتهم وَلَدٌ يُسَمَّى مِنْهَل. وملك حسن هذا فاساً وما يلحقها نحو ستين. ثم قام عليه أهل فاس، وغدروه، وقدموا حامد بن حمدان الهمداني، وكان يُعرف باللوزي، وهي قرية. بإفريقية تُسب إليها تُسَمَّى لَوْزَة. فأخذ حامد حسن بن محمد. ووجه، وأرسل إلى موسى بن أبي العافية؛ فأنابه بجبوشه، ودخل فاساً. وتغلب عليها؛ وأراد قتلَ حسن لأجل ابنه مِنْهَل الذي كان السبب في قتله؛ فدافعه حامد عنه، وكره المُجَاهَرَة بقتله. ثم سُمِّ بعد ذلك؛ وقيل: أخرجه حامد على السور؛ فسقط عنه، وانكسرت رجله؛³ ووصل إلى عدوة الأندلسيين؛ فمات بها³ - رحمه الله!

واستولى موسى بن أبي العافية على مُلْك فاس وبلاد الغرب بعد موت حسن الحجّام. وسُمِّي بذلك لأنه حارب بني عمه؛ فضرب رجلاً بحربة صادف بها موضع المِجْم؛ ثم صادف ضربة أخرى لشخص آخر في موضع المَحَارِجِم أيضاً؛ وكذلك ثالثة. فقال ابن عمه أحمد: «صار ابن عمي حجّاماً». فسُمِّي بذلك. ومن قوله [طويل]:

وَسُمِّيْتُ حَجَّامًا وَلَسْتُ بِحَارِجِمٍ وَلَا كُنْ لِضَرْبِي فِي مَكَانِ الْمَحَارِجِمِ
ولما استولى ابن أبي العافية على فاس، قتل عبد الله بن ثعلبة بن مُحَارِب

1) A. فأحضره له.

2) A. et B. ٢١٢ (Bakri: ٢١٦).

3-3) B. حتى مات.

الأزدى، وقتل أخاه محمد؛ وهرب والدُها ثعلبة بن مُحارب إلى قُرطبة. وأراد موسى بن أبي العافية قتل حارم الذي كان السبب في دخوله فاساً؛ فهرب منه، وحصل في المهديّة. وأجلى موسى بن إدريس أجمعين عن مواضعهم؛ وصاروا في مدينة جبر النسر منهورين؛ وهو حصن مانع، بناه إبراهيم بن محمد بن القاسم^١ بن إدريس. وعزم موسى على مُحاصرتهم في هذا الحصن واستنصاهم^٢؛ فأخذ عليه في ذلك أكابر أهل المغرب، وقالوا له: «قد أجلبتهم وأفقرتهم، أتريد أن تقتل بني إدريس أجمعين، وأنت رجل من البربر؟» فانكسر عن ذلك، ولاذ عنهم بعسكره، وتخلّف لمراقبتهم^٢ قائد أبو قمع؛ فكانت محلة قريباً منهم؛ فضيق عليهم؛ واستخلف ابن أبي العافية ابنه مدين على فاس؛ فبنى بها حتى قدم حميد بن يصال. ولما وصل حميد إلى بلاد الغرب، ولّى على فاس حارم بن حمدان. وكان ولد موسى، لما سمع بقدم حميد وحارم، هرب من فاس. وتظاهرت بنو إدريس على قائد موسى بن أبي العافية؛ فهزموه، وغنموا أكثر عسكره. وذلك سنة ٢١٧. ثمّ قام بفاس أحمد بن بكر بن أبي سهل المجذام؛ فقتل حارم بن حمدان، وبعث برأسه إلى موسى بن أبي العافية، وبرأس ولده؛ فبعث بهما موسى إلى قُرطبة، مع سعيد الزرّاد. وكان حميد بن يصال، لما رجع من بلاد الغرب إلى إفريقية، ترك موسى بن أبي العافية بغير عهد من أمير إفريقية؛ فكان ذلك سبباً لجنه بإفريقية، إلى أن هرب إلى الأندلس. وكان موسى يسهل لصاحب قُرطبة من أمراء بني أمية.

وفي سنة ٢٢٤، خرب علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي مدينة المَسِيْلَة. وكان بينها وبين طَبنة مَرَحَلَتَان. وكان بقرب المَسِيْلَة مدينةً للأول تُسمّى الرُّمَّانِيَّة، يطلُّ عليها جَبَلُ أَوْرَاس؛ وهو مسيرة سبعة أيّام، وفيه فِلاخ كثيرة، يسكنها هَوّارة؛ وهم على رأى الخوارج؛ وفي هذا الجبل كان مُسْتَقَرُّ

1) Manque dans A.

2) B. وخلف لمُحاصرتهم.

الكاينة؛ وفيه ظهر أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد، وقام * على أبي القاسم الشيعي. P. ٢٢٢
 وفي سنة ٢٢٥، قَدِمَ أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعي على صِفَلِيَّة خَلِيل بن
 إِسْحَاق؛ فَعَمِلَ بها ما لم يَعْمَلْ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ أَهْلَكَهُمْ
 قِتْلًا وَجُوعًا، حَتَّى فَرَّوْا إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَتَنَصَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ^(١)، وَبَنَى بِصِفَلِيَّةٍ
 أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ. وَلَمَّا قَدِمَ مِنْهَا سَنَةَ ٢٢٩، قَالَ يَوْمًا، مُنْتَخِرًا بِظُلْمِهِ، فِي مَجْلِسٍ
 حَضَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ تَكَلَّمُوا فِيهِ مَعَهُ فِي أُمُورٍ شَتَّى، ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ
 خُرُوجِهِ إِلَى صِفَلِيَّةٍ، فَقَالَ: «إِنِّي قَتَلْتُ أَلْفَ أَلْفٍ: يَقُولُهُ الْمَكْثَرُ، وَالْمُقَلَّلُ
 يَقُولُ: مِائَةُ أَلْفٍ، فِي نَلِكِ السَّفَرَةِ!» ثُمَّ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَكْثَرًا!» فَقَالَ لَهُ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدِّبُ: «يَا أَبَا الْعَبَّاسِ! لَكَ فِي قَتْلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مَا يَكْفِيكَ!»
 وَكَانَ خَلِيلٌ هَذَا يُكْنَى أَبَا الْعَبَّاسِ؛ وَكَانَ عُبيد الله الشيعي يُصْرِفُهُ فِي الْأَعْمَالِ،
 وَجَيَّاتِ الْأَمْوَالِ، وَمَحَاسِنِ^(٢) الدَّوَابِّ^(٢) وَالْعُمَالِ. ثُمَّ وَقَعَتْ فِيهِ أَقْوَالٌ؛ فَكْرَهُ
 عُبيد الله، وَأَبْغَضَهُ؛ وَلَوْلَا ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ لَأَهْلَكَهُ. وَمِنْ فَوَلِ خَلِيلٌ فِي عُبيد
 اللَّهِ الشيعي^(٣) وَتَوَغَّلِيهِ فِيهِ^(٣) [كامل]:

إِنَّ الْإِمَامَ أَقَامَ سُنَّةَ جَدِّهِ لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا حَدَّثَتْ نِعَالُهَا
 أَحَبِّي شَرَائِعَهُ وَقَوْمَ كُنْتِهَا وَفُرُوضَهَا^(٤) وَحَرَامَهَا وَحَلَالَهَا

وَكَانَ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عُبيد الله أَمَرَ بِنَاءَ مَدِينَةِ الْمَسِيلَةِ سَنَةَ ٢١٢، وَجَعَلَ
 الْمَقَوَّلَى لِبَنَائِهَا ابْنَ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَاسْتَعْمَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، إِلَى أَنْ هَلَكَ فِي فِتْنَةٍ
 أَبِي يَزِيدَ مَخْلَدَ بْنَ كَيْدَادَ، سَنَةَ ٢٢٦؛ وَبَنَى ابْنُهُ جَعْفَرٌ فِي الْمَسِيلَةِ، وَصَارَ
 أَمِيرًا عَلَى الزَّابِ كُلِّهِ، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا فِي سَنَةِ ٢٦٠ فِي فِتْنَةِ زَيْرِيِّ بْنِ
 مَنَادٍ. وَالشَّيْبَةُ تُسَمَّى الْمَسِيلَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ. قَالَ الْمَرْثُودِيُّ^(٥) [سريع]:

ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ مَرْصِيَّةٍ أُسْتُ عَلَى التَّقْوَى مُحَمَّدِيَّةٌ

1) أ. أكثر. 2-2) Manque dans B. 3-3) Manque dans B, qui
 donne à la place: لِعَنْهَا اللَّهُ. 4) وفروعها. B. 5) المروى B.

P. ٢٢٤ • وأما مدينة أشير، فبناها زيرى بن مَآد الصَّنَاحِي؛ والدليل على ذلك ما أنشد عبد الملك بن عَيْشُون [رجز]:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ غَرَبِنَا^١ وَعَنْ مَحَلِّ الْكُفْرِ أَشِيرِ
عَنْ دَارِ فِسْقِي ظَالِمِ أَهْلِهَا قَدْ شُيِّدَتْ لِلْكَفْرِ وَالزُّورِ
أَسْمَهَا الْمَلْعُونُ زِيرِيهَا فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى زِيرِي

وخرَّبها يوسف بن حماد الصَّنَاحِي، واستباح أموالها، بعد الأربعين والأربعمائة .
وفي ٢٢٧، قام بالمغرب الأقصى، ويُقال له السُّوس^٢ الأدنى، وهو موضع نادِلا ونامسنا، أبو الأنصار بن أبي عَفِير البرغواطِي بعد موت أبيه؛ وكان يَفِي بالعهد والوعد. وسأذكر بعض أخبارهم، إن شاء الله تعالى.

ومن أخبار أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد اليفرنِي الزَّنَانِي

هو مَخْلَد بن كَيْدَاد بن سَعْد الله بن مُغِيث بن كَرْمَانَ بن مَخْلَد بن عثمان ابن وُرَيْمَت بن تيفراس^٣ بن سَمِيدَار، بن يَفْرَن، ويَقْرَن هو أبو الكاهنة؛ وتنسب إلى جانا بن يحيى زَنَانَةَ كُلُّهَا. قال ابن حمَّاد: كان أبو القاسم الشيعي، لما مات أبوه عُبَيْدُ اللهِ، أظهر مَذْهَبَهُ، وأمر بِسَبِّ الْغَارِ وَالْعَبَاءِ^٤ وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى؛ فمن نكَّم، عَذِبَ، وَقُتِلَ. واشتدَّ الأمرُ على المسلمين. ثمَّ إِنَّ أَبَا يَزِيدَ هَبَطَ مِنْ جَبَلِ أَوْرَاسَ، يدعو إلى الحقِّ بزعمه، ولم يعلم الناس مَذْهَبَهُ^٥؛ فَرَجَّوْا فِيهِ الْخَبَرَ وَالْقِيَامَ بِالسُّنَّةِ؛ فخرج على الشيعة، ودخل إفريقية، وخرَّب مدنها ودوَّخها، وقتل من أهلها ما لا يَنْحَصِرُ.

وفي سنة ٢٢٢، اشتدَّ أمرُ أبي يزيد بإفريقية حتَّى فرَّ أَمَامُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشيعي إلى المَهْدِيَّة من رَقَادَة. وكان أبو يزيد أَحَدَ أَئِمَّةِ الْإِبَاضِيَّةِ النُّكَّارِ

1) حربنا. 2) اليوم. 3) تيفراس. 4) Voir Corr., p. 25—26. 5) Manque dans B.

بالمغرب. قال الرَّفِيقُ: وقرأ على عَمَّارِ الْأَعْمَى. وكان يركب الحِمَارَ. وتسمى
 شَيْخَ الْمُؤْمِنِينَ. قال * ابن سَعْدُون: فبعت الله على أبي القاسم الشيعي مُحَمَّد ٢٢٥
 ابن كَيْدَادِ الْخَارِجِيِّ؛ ففهره، وقتل جنوده، وقام المسلمون معه. وخرج الفقهاء
 والعَبَادُ مع أبي يزيد لحربه؛ وسامهم ابن سَعْدُون في كتابه رَجُلًا رَجُلًا. فركبوا
 معه، ونهضوا إلى الْفَيْرَوَانِ؛ فدخلها في صَرِّ الْعَامِ، وأظهر لأهلها خيراً وبرحماً
 على أبي بكر وعمر - رضهما - ودعا الناس إلى جهاد الشيعة. وأمرهم بقراءة
 مَذْهَبِ مَالِك. فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي - صلّم -
 ١) وعلى أصحابه، وأزواجه ١)، حتّى ركزوا سؤدهم عند الجامع. فلما كان يوم الجمعة.
 اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح، ومعهم السود والضبول.
 منها بَنْدَانِ أَصْفَرَانِ ٢)، مكتوب في أحدهما البسلة و«محمد رسول الله»، وفي
 الآخر «نصر من الله وفتح قريب»، على يدي الشيخ أبي يزيد! اللَّهُمَّ! انصُرْ
 وَلِيَّكَ على من سب أولياءك!»، وبند آخر مكتوب عليه: «قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ»
 الآية ٣)، وبند آخر فيه مكتوب: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
 وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ٤)»، وبند آخر مكتوب فيه بعد البسلة أيضاً: «محمد رسول
 الله؛ أبو بكر الصديق؛ عمر الفاروق» وبند آخر، وهو السابع، فيه: «لا إله
 إِلَّا الله! محمد رسول الله! إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. ٥)»
 فلما اجتمع الناس، وحضر الإمام، وطلع على المنبر، خطب خطبة أبلغ فيها،
 وحرّض الناس على جهاد الشيعة، وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب؛ ثم لعن عبيد
 الله الشيعي وابنه؛ ثم ٦) نزل، فخرج؛ و٦) خرج الناس معه لقتال الشيعة النجّار ٧).

والرضى عن أبي بكر وعمر وسائر الصحابة 1-1. B. donne à la place:

٢) B. أحمران.

3) Cor., IX, 12.

٤) Cor., IX, 11.

5) Cor., IX, 40.

6-6) Manque dans A.

7) Manque dans A.

فلم يَزَلْ فاهراً لهم، غالباً عليهم، فانلاً لجنودهم، حتى لم يَبْقَ لهم من بلاد إفريقية
P. ٢٢٦ * إِلَّا الْبَسْبَرُ.

ولما رأى أبو يزيد أنه قد استولى على الأمر، أو كاد، وأنَّ الشيعيَّ قد كاد
بيد، أو باد، قال لجنوده: «إِذَا النَّقَبِيُّمُ مَعَ الْقَوْمِ، فَاثْكُشْنُوا عَنْ أَهْلِ
الْقَيْرَوَانِ، حَتَّى يَتِمَّكَنَ أَعْدَاؤُكُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ؛ فَيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ، لَا نَحْنُ!
فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ!» أَرَادَ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ مَعَرَّةٍ قَتَلَهُمْ عِنْدَ النَّاسِ، وَأَرَادَ الرَّاحَةَ مِنْهُمْ،
لأنَّه، فَبِأَظْنٍ، إِذَا قُتِلَ شَبَوُخُ الْقَيْرَوَانِ وَأَيْمَةُ الدِّينِ، تَمَكَّنَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ،
فَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا شَاءَ، فَيَتَّبِعُونَهُ. فَقُتِلَ مِنْ صُلَحَاءِ الْقَيْرَوَانِ وَفُقَهَائِهَا مَنْ أَرَادَ
اللَّهُ بِسَعَادَتِهِ وَشَهَادَتِهِ. وَسَقَطَ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَقَالُوا: «قَتَلَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ
شُهَدَاءَ!» فَتَارَقُوهُ، وَاشْتَدَّ بُغْضُهُمْ لَهُ، ^(١) أَعْنَى لِأَبِي يَزِيدٍ ^(١). وَمَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ
الشَّيْعِيُّ مَحْصُورًا.

وفي سنة ٢٢٢، قتل أبو يزيد ميسرة الفتي، قائد أبي القاسم الشيعي؛ وكان
بين أبي القاسم وأبي يزيد حروب كثيرة. وفيها، كانت الوقعة المشهورة بينهما في
وادي الملح، قتل فيها من أصحاب أبي القاسم عدد لا يحصى.
وفي سنة ٢٢٤، توفى أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي، القائم بأمر الله،
وذلك يوم الأحد لثلاث عشرة خلّت من شوال من السنة المذكورة؛ فكانت
مدته اثنتي عشرة سنة.

ولاية^(٢) إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي

كنيته: أبو الطاهر. لقبه: المنصور. وكان والده ولّاه عهده في رمضان
ودعا له على المنابر بإفريقية. وكان مولده بالمهدية سنة ٢٠٢. وولي، ورثه
اثنان وثلاثون سنة. وكان فصيحاً بليغاً.

1—1) Manque dans B.

2) إمارة A.

وفي سنة ٢٢٥، وصل أبو يزيد الى المهديّة. ثمّ نهض الى سوسة؛ فناوشه أهلها؛ ففيل فيه [وافر]:

P. ٢٢٧

* أَلَمْ بِسُوسَةَ وَبَغَى عَلَيْهَا وَلَا كُنْ إِلَّا لَهَا نَصِيرُ
مدينة سوسة المغرب تُسْفَرُ يَدُنْ لَهَا الْمَدَائِنُ وَالنُّصُورُ^١
لَقَدْ لَعِنَ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهَا كَمَا لَعِنَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
أَعَزَّ الَّذِينَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِسُوسَةَ بَعْدَمَا آتَوْتَ الْأُمُورُ

فرفع أبو يزيد عنها، ورجع الى المهديّة. فلما وصلها، دفع حتى ضرب برُمحه في بابها؛ فدخل راجل^٢ الفَصْرَ على إسماعيل؛ فوجده يلعب بسِلْبَاحَةٍ في الصهرج. فقال له: «تلعّب، وأبو يزيد يركّز رُمحه بالباب!» فقال له: «أَوَقَدْ فَعَلَ؟» قال: «نَعَمْ!» قال: «والله! لا عاد اليها أبداً! وقد جاء حتفه! كذا رأينا في كُتُبنا!» ثمّ أمر في الحين بالركوب والخروج اليه.

وفي سنة ٢٢٦ من الهجرة. أمر المنصور أبو الطاهر ببناء صَبْرَةٍ، واختطّها، وسماها المَنْصُورِيَّة. قال البكري: ولم تزل المهديّة دارَ مُلْكِ بَنِي عُيَيْدٍ الى أن سار منهم أبو الطاهر الى القَيْرَوَان بعد قتله لأبي يزيد؛ وبني مدينة صَبْرَةٍ، واستوطنها؛ وخلّت أكثر أرباض المهديّة وتهدّمت. ونقل أبو الطاهر سُوقَةَ القَيْرَوَان الى صَبْرَةٍ. وكان لها أربعة أبواب. وبينها وبين القَيْرَوَان نَحْوُ نِصْفِ مِيلٍ.^٣ وكان من المهديّة الى مدينة سَلْفُطَةَ ثمانية أميال؛ ومنها زحف أبو يزيد الى المهديّة أيام حصاره^٤. وكانت محلة في يزيد متروطة. وفي كُتُب الحِثْثَان: «إذا ربط الخارجيّ خيَلَه متروط. سَبَقَ لأهل السَّوَادِ محلول ولا مربوط!» و«وَيْلٌ لأهل السَّوَادِ من محلة ابن كَيْدَاد!» و«لأهل باجة أيام أبي يزيد بالفلن والسبي. وقيل في أبي يزيد [رجز]:

وبَعْدَهَا باجة أيضاً أَفْسَدَا وَأَهْلُهَا أَخْلَى وَمِنْهَا شَرَدَا

1. Ce vers manque dans B.

2. B. رَجُلٌ.

3-3) Manque dans B.

P. ٢٢٨ ؟ ولما عزم المنصور على مُقاتلته^(١) ومُحاربته، أعطى جنوده، وحشد حشوده، وخرج اليه في عساكره. فمَرَّت الهزيمة على أبي يزيد. وأمر إسماعيل الناس باتباعه إلى أن دخل بلاد كُتامة. فتعلّق بالجبل المعروف بِحِصْن أبي يزيد، وأُخِض بالجراح، وقُبِض عليه حيًّا؛ فُجِعِل في قَفْص من حديد،^(٢) وجيء به إلى^(٣) المنصور^(٣) إلى المهديّة^(٣). فقتله، وصلبه على الباب الذي ضرب فيه برُمحه. ^(٤) قال الفُضائلي: مات أبو يزيد في محرم من سنة ٢٢٦ المذكورة. قال: ^(٤) وأمر بسلخه، وحشّي جلده فطنًا، وصلّبه. وقال ابن حمّاد: ولما ظنر بأبي يزيد، نهض إلى القَيْرَوَان؛ فدخلها في هذه السنة؛ فقتل من أهلها خلفًا، وعذّب آخرين؛ ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك. ^(٥) قال الفُضائلي: وكان انتقال المنصور إلى المنصورية في سنة ٢٢٧^(٥).

وفي سنة ٢٢٩، تحرّك أبو الطاهر المنصور بن أبي القاسم بن عُبيد الله الشيعي إلى بلاد المشرق، وردّ الحجر الأسود إلى مكانه. من الركن من بيت الله الحرام، وذلك بعد خمسة أعوام من دولة المطيع. وكان الذي اقتلعه سليمان ابن الحسن القرمطي - لعنه الله! - في سنة ٢١٧، في أيام المعتز العباسي - رحمه الله! - والذي تولّى قلعه بيده بأمر القرمطي جعفر بن أبي علاج - لعنه الله! - ولما مات القرمطي، وجّه إخوته الحجر؛ فردّ إلى موضعه في هذه السنة؛ ووضعه بيده حسين بن المروذي الكِنَافِي وكان غيبه الحجر من يوم قلعه إلى يوم رده اثنين وعشرين سنة أو نحوها. ورى الحجر الأسود، في أيام ابن الزبير، ناصع البياض إلا وجهه الظاهر. وكان أسوداده من لَطَخ المُشركين له بدم القرايين، وليستهم له بأيديهم، مع طول الدهر. قال الذهبي^(٦): حضرت يوم قلعه. ويوم رده.

1) Manque dans B, qui s'exprime ainsi: على مُحاربته لما قبل له قد وصل إلى الباب.

2-2) A. وجاء به. 3-3) Manque dans B.

وفي سنة ٢٤٠. ولى أبو الطاهر * إسماعيل العبيدئى ولده معداً المكنى بأبي ٢٢٩ P. سيم عهده. وخرج أبو الطاهر منتزهاً الى جلولا، ورجع منها معتلاً؛ وصلى عيد الفطر مريضاً.

وفي سنة ٢٤١. توفى أبو الطاهر إسماعيل، الملقب بالمنصور، ابن أبي القاسم، الملقب بالقاسم، ابن عبيد الله المهدي؛ وذلك منسلخ شوال من العام، وله تسع وثلاثون سنة. فكانت ولايته سبع سنين وخمسة عشر يوماً. ^(١) حارجه جعفر ابن علي ^(١).

ثم ولى المملكة معد بن إسماعيل المعز لدين الله العبيدئى وهو معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله. كنيته: أبو سيم. لقبه: المعز لدين الله. مولده: بالمهدة في رمضان من سنة ٢١٩. وولى، وله اثنان وعشرون سنة. وهو أول من ملك مصر من بني عبيد؛ وذلك أنه، لما توفى كافور الإخشيدي أمير مصر. بعث المعز لدين الله القائد أبا الحسن جوهرًا الى مصر. وكان جوهر غلاماً والده إسماعيل، وأصله رومي، جلبه خادم اسمه صابر؛ ثم انتقل الى خفيج الخاديم؛ فحملة الى إسماعيل المنصور؛ فظهر عنه؛ فأرسله المعز بالعساكر الى مصر؛ فافتتحها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان. وهرب أعيان الإخشيديّة من مصر الى الشام ^(٢) فل وصول جوهر ^(٢). وأقيمت الدعوة للمعز، يوم الجمعة الموفى عشرين لشعبان من سنة ٢٥٨. في الجامع العتيق؛ وكان الخطيب أبو محمد الششاشي. ودعى له بمكة في مؤيم هذه السنة؛ ودعا أبو مسلم العلوي بالمدينة للمعز. وسار جعفر بن فلاح الى الشام، وقبض على الحسين بن عبد الله، وأخذ الى جوهر؛ فانفذ جوهر P. ٢٢٠ الحسين المذكور مع جماعة من الإخشيديّة مع هدية الى المعز؛ فوصلت الى إفريقية مع والده جعفر في رجب من سنة ٢٥٩.

وفي سنة ٢٤٢، فُلِحَ خَطِيبُ الْفَيْرَوَانِ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَمَاتَ؛ وَتَمَّ الْخُطْبَةُ أَبُو سَفْيَانَ الْفَقِيهُ.

وفي سنة ٢٤٤، وُلِدَ لِلْمُعِزِّ أَبِي تَيْمٍ وَلَدٌ سَمَّاهُ زَرَارًا.

وفي سنة ٢٤٦، وُلِيَ مَدِينَةَ سَنْتَةَ وَالِي مِنْ قِبَلِ النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَأَمَرَهُ بِتَحْصِينِهَا وَبِنَاءِ سُورِهَا؛ فَبَنَاهُ بِالْكَذَّانِ.

وفي سنة ٢٤٧، دَخَلَ جَوْهَرٌ قَائِدُ أَبِي تَيْمٍ إِلَى الْغَرْبِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَةِ فَاسٍ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بَيْطَاوُونِ، وَوَصَلَ إِلَى مَضِيقِ سَنْتَةَ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا، وَرَجَعَ عَنْهَا، وَقَصَدَ بَعْسَاكِرَهُ إِلَى سِجْلُمَاسَةَ؛ فَفَرَّ أَمَامَهُ صَاحِبُهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَمِيرِ (الْفَتْحِ^٢)، وَتَحَصَّنَ فِي حِصْنٍ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مِنْ سِجْلُمَاسَةَ، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَبَعْضِ أَصْحَابِهِ. وَكَانَ يُلقَّبُ الشَّاكِرَ لِلَّهِ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ خَبَرِهِ. وَاسْتَوْلَى جَوْهَرٌ عَلَى سِجْلُمَاسَةَ؛ فَمَلَكَهَا. وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ مِنَ الْحِصْنِ فِي نَفَرٍ يَسِيرُ، لِيَتَعَرَّفَ الْأَخْبَارَ، مُسْتَتِرًا. فَغَدَرَهُ قَوْمٌ مِنْ مَدَغْرَةِ عَرَفَوْهُ، وَأَتَوْا بِهِ إِلَى جَوْهَرٍ؛ فَفَتَلَهُ فِي رَجَبٍ. وَبَقِيَ جَوْهَرٌ فِي الْغَرْبِ نَحْوَ سَنَةٍ، وَتَوَجَّهَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ.

وفي هذه السنة، وَصَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ الْحَسَنُ بْنُ قُسْنُونٍ، مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ، فَأَرَا بِنَفْسِهِ أَمَامَ جَوْهَرٍ قَائِدِ أَبِي تَيْمٍ الْمَذْكُورِ. وَكَانَ بَنُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْقَاسِمِ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ! - أَجْمَعُوا عَلَى هَدْمِ بَيْطَاوُونِ؛ فَهَدَمُوهَا؛ ثُمَّ نَدَمُوا عَلَى ذَلِكَ. وَسَرَعُوا فِي بِنَائِهَا؛ فَضَجَّ أَهْلُ سَنْتَةَ لِذَلِكَ، لِأَنَّ بِنَاءَهَا ضَرَّرَ بِهِمْ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ جَيْشًا بِرَسْمِ مُعَارَبَةِ بَنِي مُحَمَّدٍ، قُوْدَ عَلَى الْجَيْشِ أَحْمَدُ^٣ بْنُ بَعْلَى. وَكَتَبَ النَّاصِرُ إِلَى حَمِيدِ بْنِ يَصَالٍ^٤، صَاحِبِ تَبِكْسَاسٍ وَتِلْكَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا، أَنْ يُعَيِّنَ الْقَائِدَ * الْمَذْكُورَ عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ؛ فَتَخَلَّى بَنُو مُحَمَّدٍ عَنْ بِنَاءِ بَيْطَاوُونِ لَمَّا اجْتَمَعَ الْعَسْكَارُ عَلَيْهِمْ، وَبَعَثُوا أَوْلَادَهُمْ مَرَاهِنَ إِلَى قُرْطُبَةَ.

١-1) A. الْأَمِين.

2) B. أَبِي الْفَتْحِ.

وفي سنة ٢٤٨، وصل كتابُ صاحبِ سَبْتَةِ الى أميرِ الأندلس عبد الرحمن الناصر، يُعَرِّفُهُ بما فُتِحَ عليه في عسكرِ جَوْهَرٍ قائدِ الشيعي.

وفي سنة ٢٤٩، وَجَّهَ أَبُو تَيْمَمٍ الْمُعِزُّ لَدِينِ اللَّهِ الْفَاضِي الى أَيْمَنِ الْمَسَاجِدِ وَالْمُؤَذِّنِينَ، بِأَمْرِهِمْ إِلَّا يُوْذَنُوا إِلَّا وَقُولُوا فِيهِ: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» وَأَنْ يَقْرُؤُوا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ!» فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، وَيُسَلِّمُوا^(١) تَسْلِيمَتَيْنِ، وَيَكْبِرُوا عَلَى الْجَنَائِزِ خَمْسًا^(٢)، وَلَا يُوْخَرُوا الْعَصْرَ، وَلَا يَبْكُوا بِالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَصِيحَ امْرَأَةٌ وَّراءَ جَنَازَةٍ، وَلَا يَقْرَأَ الْعُمَيَّانُ عَلَى الْقُبُورِ إِلَّا عِنْدَ الدَّفْنِ.

وفي سنة ٢٥٠، تُوُفِيَ حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِيسَ الْحَسَنِيِّ بَقَرْطَبَةٍ، وَكَانَ رَهِينًا بِهَا. وَخَلَفَ ابْنَيْنِ يُسَيَّيَانِ مُحَمَّدًا وَحُسَيْنًا، فَلَمْ يَزَالَا مُسْتَقَرِّينَ بِقَرْطَبَةٍ الى خِلَافَةِ الْحَكَمِ، فَبِعَتْهُمَا الى إِخْوَانِهِمَا، فَوَصَلَا فِي رَجَبِ سَنَةِ ٢٥٩، وَاسْتَفْرَا بِبِلَادِهَا بِالْغَرْبِ.

وفي سنة ٢٥١، أَخَذَ الرُّومُ مَدِينَةَ الْمَصْبِصَةِ وَمَدِينَةَ طَرَسُوسَ، وَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا.

وفي سنة ٢٥٢، وَفَدَ عَلَى الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَبُو صَالِحٍ زَمُورُ الْبَرْغَوَاطِيِّ رَسُولًا مِنْ أَمِيرِ بَرْغَوَاطَةِ أَبِي مَنْصُورٍ عَيْسَى بْنِ أَبِي الْأَنْصَارِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَكَانَ الْمُرْجَمُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ عَيْسَى بْنُ دَاوُدَ الْمَسْطَاسِيِّ. فَسَأَلَهُ الْحَكَمُ عَنْ نَسَبِ بَرْغَوَاطَةٍ وَمَذْهَبِهِمْ، فَأَخْبَرَهُ.

خَبَرُ بَرْغَوَاطَةٍ^(٣)

وَمِنْ أَخْبَارِ بَرْغَوَاطَةٍ مَا خَبَرَ زَمُورٌ أَنَّ طَرِيفًا كَانَ أَبَا مُلُوكِهِمْ. وَهُوَ مِنْ وَلَدِ شَمْعُونِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ! - قَالَ: وَكَانَ طَرِيفٌ مِنْ أَصْحَابِ مَيْسَرَةَ مَلِكِ الْمَغْرِبِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَلَمَّا قُتِلَ مَيْسَرَةُ، وَافْتَرَقَ أَصْحَابُهُ، احْتَلَّ طَرِيفُ بِلَادَ تَامَسْنَا * فَقَدَّمَهُ التَّبَرُّزِيُّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَوَلَّى أَمْرَهُمْ؛ P. ٢٢٢

وكان على دين الإسلام؛ وإليه تُنسَبُ جزيرة طَريف. فبقى أميراً عليهم، إلى أن هلك. وترك أربعة أولاد. فوُلِيَ الأمر من بعده صالح بن طَريف؛ وكان مولده سنة ١١٠ من الهجرة؛ فتنبأ فيهم، وشرع لهم ديانة، وسمى نفسه صالح المؤمنين، وعهد إلى ابنه إلياس بديانته، وأمره إلا يظهر ذلك إلا إذا قوى أمره، وحينئذ يدعو إلى مذهبه، ويقتل من خالفه فيه من قومه. وأمره بموالة أمير الأندلس. وخرج صالح إلى المشرق، وزعم أنه يعود إليهم في دولة السابع من ملوكهم؛ وزعم أنه هو المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً؛ وتكلم لهم في ذلك بكلام كثير نسبته لموسى - عم - ولسطبح الكاهن وغيره.

ثم وُلِيَ بعده إلياس بن صالح بن طَريف؛ فأظهر ديانة الإسلام والعفاف، وبنى أميراً خمسين سنة إلى أن هلك. وترك جماعة من الأولاد. فوُلِيَ ابنه يونس بن إلياس، وذلك بعد ما وصل من المشرق، وحج؛ ولم يحج أحد من أهل بيته. فأظهر ديانة جدّه، ودعا إليها، وقتل من لم يدخل فيها، حتى أخلى ثمانمائة موضع من مواضع البربر؛ فبلى أنه قتل منهم سبعة آلاف ونحو السبعمائة. وهلك بعد أن ملك نحو أربعين سنة؛ وخرج الأمر عن بيته. وقام أبو عفير بـ محمد بن معاذ بن البسّ بن صالح بن طَريف؛ فاستولى على ملك تلك البلاد، ودان بديانة آبائه. واشتدّت شوكتُه، وعظم أمره. وكانت له وقائع في البربر مشهورة، منها وقعة تامعرا¹، أقام القتل فيها ثمانية أيام؛ ومنها وقعة بهت، عجز الإحصاء عن عدد من قتل فيها. وكانت لأبي عفير من الزّوجات أربع P. ٢٢٣ وأربعون؛ وكان له من الأولاد بعددِهِنَّ. ومات بعد أن ملك * تسعاً وعشرين

سنة. ثم وُلِيَ عبدُ الله بن أبي عفير، وهو أبو الأنصار، وذلك عند تمام المائة الثالثة؛ وكان سخيّاً طريفاً، يَفِي بالوعد والعهد، ويحفظ الجار ويكافي على الهدية بأضعافها. وصفته: أفطس، شديد الأدمة في الوجه، نارِصُ بياض الجسم،

طويل النجبة. وكان يلبس السراويل والملحفة. ولا يلبس القميص، ولا يعتن إلا في الحرب؛ ولا يعتن أحد من قومه إلا الغرباء عنهم. وكان في كل عام تعسداً ويظهر أنه يغزو لمن يليه من القبائل؛ فيهادونه، فيترك حرركته. فملك في دعة نحو اثنين وأربعين سنة.

ثم ولي أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار، الذي بعث زوراً هذا إلى المستنصر بالله الأموي سنة ٢٥٢؛ وهو عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غنير محمد بن معاذ بن البسع بن صالح بن طريف. وكان سنة إذ ولي اثنين وعشرين سنة؛ فسار بسيرة أبيه، ودان بديانته. واشتدت شوكته، وعظم سلطانه. وكان أبوه قد وصاه عند موته بهالة أمير الأندلس، وقال له: «أنت سابع الأمراء من أهل بيتك، وأرجو أن يأتيك جدك صالح كما وعد.» انتهى ما اختصرته من كلام زبور.

وقال أبو العباس المذحجي¹ إن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شدونة، من جهة وادي برباط؛ وكان قد رحل إلى المشرق في عام ٢٠١ مع عباس² بن ناصح، وزيد بن سنان³ الزناتي صاحب الواصية، وبرغوث بن سعيد [التراري، وجد بني عبد الرزاق، ويعرفون بني³] وكيل الصفرة، ومباد صاحب القلعة المنادية، قريباً من سحلماسة، وآخر ذهب عنى اسمه. فأربعة منهم فقهوا في الدين. ادعى يونس صاحب برغواطة النبوة. قال: وكان يونس شرب دواء للحفظ؛ فحفظ كل ما سمعه، وطلب علم النجوم والكهانة، ونظر² ٢٢٤ في الحidal، وانصرف؛ فتزل بين هؤلاء القوم؛ فرأى جهلهم. وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها، مما يدل عليه التنجيم؛ فيكون كما قال. أو قريباً منه؛ فعظم عندهم. فلما رأى ذلك منهم، وعلم ضعف عقولهم وكثرة جهلهم، أظهر ديانته، ودعا إلى نبوته، وسعى من أتبعه برباطي؛ ثم أحالوه بالسنتم. رؤوه

1) B. المَرْجَحِي.

2-2) Manque dans B.

3) Rétabli, de même qu'un

peu plus bas, d'après le texte plus complet d'al-Bakri.

«بَرْغَوَاحِي». وكان يُوَسِّد قتل خلفاً كثيراً من الدرر. حتى أطاعوه، وعلى دسه باعوه. وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت فصيدة طوبلة. منها اوافرا:

فَفِي قَلِّ التَّفَرُّقِ فَأَخْبِرْنَا	وَقُولِي وَأَخْبِرِي خَبَرًا مَبِينًا ^١
هَمُومٌ - تَرَابِرِ خَسِرُوا وَضَلُّوا	وَحَابُوا لَا سُقُوا مَاءَ مَعِينَا
يَقُولُونَ: أَلَيْسَ أَبُو عَفْصِرٍ	فَأَخْرَى اللَّهُ أُمَّ الْكَاذِبِينَ
أَلَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَ يَوْمَ بَهْتِ	عَلَى آثَارِ خَيْلِهِمْ رَنِينَا
رَبِّينَ الْبَاكِياتِ بِهِمْ تُكَالِي	وَعَاوِيَةَ وَمُسْفِطَةَ جَبِينَا
هَذَا لِكَ يُوَسِّدُ وَسُوَ أَبِيهِ	يُؤَالُونَ السَّوَارَ مَعْظَمِينَا ^٢
فَلَيْسَ الْيَوْمَ رَدُّكُمْ وَلَا كُنْ	لِبَالِي كُنْتُمْ مُسْتَبْسِرِينَ ^٣

يعني بقوله «مُسْتَبْسِرِينَ^١» من المياسرة أصحاب ميسرة. فأما الضلال الذي شرع لهم، فإنهم يَقْرُونَ بُنْيُوهَ صَالِحِ بْنِ طَرِيفٍ، وَأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَلْفَ لَهُمْ هُوَ وَحْيٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَشْكُونَ فِيهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ! - وَفَرَضَ لَهُمْ صَوْمَ رَجَبٍ، وَأَكَلَ رَمَضَانَ، وَخَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَكَذَلِكَ فِي اللَّيْلَةِ، وَالضَّحِيَّةَ الْيَوْمَ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ، وَفِي الْوُضُوءِ غَسَلَ السُّرَّةَ وَالْخَاصِرَتَيْنِ. ثُمَّ الْاسْتِنْجَاءَ وَالْمَضْمَضَةَ. وَغَسَلَ الْوَجْهَ، وَمَسَحَ الْفَقَّاءَ، وَغَسَلَ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمَسْبِكَيْنِ، وَمَسَحَ الرَّأْسَ * ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمَسَحَ الْأُذُنَيْنِ كَذَلِكَ،^٥ ثُمَّ غَسَلَ الرَّجْلَيْنِ مِنَ الرُّكْبَتَيْنِ^٦. وَبَعْضُ صَلَاتِهِمْ دُونَ سَجْدٍ، وَبَعْضُهَا عَلَى كَيْفِيَّةِ صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ. وَهُمْ يَسْجُدُونَ ثَلَاثَ سَجَدَاتٍ^٦ مُتَّصِلَاتٍ، وَيَرْفَعُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ مَقْدَارَ نِصْفِ شِبْرٍ. وَيَقْرَأُونَ نِصْفَ قُرْآنِهِمْ فِي وَقُوفِهِمْ، وَنِصْفَهَا فِي رُكُوعِهِمْ، وَيَقُولُونَ فِي تَسْلِيمِهِمْ بِكَلَامِهِمْ: «اللَّهُ فَوْقَنَا! لَمْ يَغِبْ عَنْهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا

1) Ce second hémistiche est dans B.: وَلَا تُكْذِبِينَا.

2) B. بِأَمْرِ. 3) B. مُقْطَعِينَ. 4) A. مُتَبَسِّرِينَ.

5-5) Manque dans B. 6) B. صَلَوَاتٍ.

في السماء!» ثم يقولون: «مُفَرَّبَا كَشْ»^(١) خمساً وعشرين مرة، وتفسيره: «الكبير الله!» ويقولون: «ابسين بأكش»^(٢) تفسيره: «بسم الله!» وغير هذا^(٣). ويتروَّج الرجلُ منهم ما استطاعَ من النساء، ويطلق ويراجع ما أحبَّ. ويُقتل السارقُ بالإقرار واليمين. وترجم الزاني، وسُفِيَ الكاذبُ، ويسوَّنه البغيرُ. والدبَّةُ عندهم مائة رأس من البقر. وإرأس^(٤) كلِّ حيوانٍ عليهم حرامٌ؛ ولا يؤكَلُ الحوتُ عندهم إلاَّ أنْ تُدَكِّي؛ والدبكُ والبضُ عندهم حرامٌ؛ والدُّجاجةُ مكروهةٌ إلاَّ أنْ يُضَطَّرَّ إليها. وليس عندهم أذانٌ، ولا إقامةٌ؛ وهم يكتفون في معرفة الأوقات بصراخ الديكة؛ ولذلك حرَّموها. ويتبرَّكون ببصافه أي: بَصَاقُ صالح. وكانوا أعلمَ الناس بالنجوم^(٥). وكانوا أجملَ الناس رجالاً ونساءً. وقُرَّأنهم الذي وَضَعَ لهم صالحٌ ثمانون سورةً، أكثرُها منسوبةٌ إلى أسماء النبيين، أولُها سورة أُيُوب، وآخرُها سورة يُوسُف. وغيرها من أسماء الأنبياء - عم - وفيها سورة فِرْعَوْن، وسورة الدبك، وسورة الجراد، وسورة الحِجَل، وسورة هَارُوت ومارُوت، وسورة الحِشْرِ، وسورة غرائب الدنيا. وفيها «عَلِمَ»^(٦) عَظِيمٌ عندهم^(٧). ٢٢٦. ولم ينزل كثيرٌ من القنائل على مذهبهم إلى عام ٢٥٢.

رَجَعْنَا إلى نَسَقِ التَّأْرِيخِ: كانَ الْحَكَمُ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ وَلِيَّ الْخِلَافَةِ بِهَا سَنَةَ ٢٥٠. فطاع له المغرب كله. وتَمَّ بناءُ سُوْرَ سَبْتَةَ فِي عام ٢٥١.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢. كَتَبَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ سِجِلًا إِلَى أَهْلِ سَبْتَةَ، رَفَعَ عَنْهُمْ فِيهِ جَمِيعَ الْوِظَائِفِ الْمَخْزِيَّةِ وَالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ. قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ: رَأَيْتُ هَذَا السِّجِلَّ عِنْدَ الْقَاضِي عِيَّاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ! - مُورَّخًا بِشَهْرِ صَفَرٍ مِنَ الْعَامِ الْمَذْكُورِ؛ ذَكَرَ فِيهِ: «وَمَا وَجَّعَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَوْنِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي التَّقْسِيطِ، فَهُوَ مَضْرُوبٌ عَلَى شَرَفِ إِشْبِيلِيَّةِ.»

(١) On a conservé la vocalisation du ms. A. — B.: مَفَرَّبَا كَشْ. (2) B.: ابسين بأكش.

(3) B.: وغير ذلك من الباطل، puis omet tout le développement qui suit.

(4) Mot rétabli d'après Bakri.

(5) Reprise du texte dans B.

(6-6) B.: كبير. (7) B.: ملك.

وفي سنة ٢٥٤، توفى أبو الطَّيِّب المُنْتَبِي. وكان مولده بالكوفة سنة ٢٠٢؛ وعمره إحدى وخمسون سنة¹ وكان أشهر من أن يُذكر¹.

وفي سنة ٢٥٧، توفى الأستاذ كافور بمصر.

وفي سنة ٢٥٨، بعث البعز أبو تميم معذ بن المنصور العبيدي أبا الحسن جوهرًا إلى مصر، لهما توفى كافور الإخشيدي أمير مصر. فلما وصلها جوهر، فتحها في شعبان.

وفي سنة ٢٥٩، أنفذ جوهر إلى البعز لدين الله هدية جميلة صحبة ولده جعفر في رجب.

وفي سنة ٢٦٠، وصل الحسن بن أحمد القرمطي إلى دمشق، وقتل جعفر ابن فلاح. ونفّست القرامطة على دمشق، وصاروا إلى الرملة.

وفي سنة ٢٦١، خرج أبو تميم من المنصورية راحلاً إلى المشرق، في أواخر شوال، لثمان بفين منه؛ واستخلف على إفريقية أبا الفتوح الصنهاجي.

• ابتداء الدولة الصنهاجية بإفريقية.

P. ٢٢٧

ولاية أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد
الصنهاجي إفريقية

لما خرج أبو تميم من إفريقية إلى المشرق، استخلف يوسف المذكور وأمر الكتاب أن يكتبوا إلى العمال وولاة الأشغال بالسَّع والطاعة لأبي الفتوح. ورحل أبو تميم إلى مصر؛ فاحتلها، وأمن أهلها، وأخذها دار ملكه. وبقى أبو الفتوح أميراً على إفريقية والمغرب كله. قال القاضي: لما وصل أبو تميم إلى الإسكندرية، توجه إليه من مصر القاضي، والشهود، وأعيان أهل البلد، مهتئين، وداعين، ومسلمين. ثم استقر بقصر البعز في السابع لرمضان.

وفي سنة ٢٦٢، وصل الفَرَمَطِيُّ الى الطَّوَاحِينِ، في جُمادى الأولى، وانهزم في شعبان من هذه السنة.

وفي سنة ٢٦٥، تُوَفِّي أَبُو تَيْمٍمٍ الْبُعْزُ لدين الله الْعَيْدِيُّ، في يوم الجمعة الحادى عشر اربيع الآخر؛ فكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة، وخمسة أشهر، وأياماً، منها مُقَامُهُ بِبِصْرَ سِتَانٍ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

ولاية العزيز بالله نزار

فُوُلِيَ الْإِمَارَةُ بِبِصْرَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ نِزَارُ، الْمَكْنَى بِأَبِي الْمَنْصُورِ، ابْنُ مَعَدِّ الْمَكْنَى بِأَبِي تَيْمٍمٍ. وَوُلِدَ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ٢٤٤؛ وَوُلِيَ الْعَهْدَ بِبِصْرَ فِي الْعَاثِرِ لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٢٦٥. وَسُتِرَتْ وَفَاةُ أَبِيهِ، وَسَلِّمَ عَلَيْهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(١). وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ أَخْبَارِهِ فِي أُمَرَاءِ بِصْرَ فِي «أَخْبَارِ الْمَشْرِقِ».

وفي جُمادى الأخيرة من سنة ٢٦٥^(١) بعث أبو الفُتُوحُ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةِ الى الْعَزِيزِ بِاللَّهِ هَدِيَّةً؛ فَشَبَّعَهَا. وَعَادَ أَبُو الفُتُوحِ الى رَقَادَةِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْفَيْرَوَانِ؛ فَتَلَقَّاهُمْ بِأَحْسَنِ قَبُولٍ، وَأَنْزَلَهُمْ أَجْمَلَ * نُزُولٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَزَمَ أَبُو ٢٢٨ P. الْفُتُوحُ عَلَى الْإِتِّفَالِ إِلَى فَخْصِ أَبِي صَالِحٍ؛ فَخَرَجَ لِتَوْدِيعِهِ الْفُضَّاءَ وَالشُّبُوحَ^(٢) لثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَوْزُوعَةِ^(٣).

وفي ذِي الْحِجَّةِ، أَمَرَ أَبُو الفُتُوحُ الْعَامِلُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ وَإِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ أَنْ يُقِيمَ أُسْطُوْلًا بِالْمَهْدِيَّةِ مُعَدَّةً مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَأَخَذَ فِي حَشْدِ الْبَحْرِيِّينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ كُلُّ مَنْ لُقِيَ مِنْهُمْ بِالْفَيْرَوَانِ وَغَيْرِهَا^(٣) وَمَلَأَ بِهِمُ السُّجُونَ. وَأَدْرَكَ خَاضَةَ الْبَلَدِ وَعَامَّتَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مَا لَزِمُوا لَهُ الْبُيُوتَ؛ وَانْتَهَى حَالُهُمْ^(٤) إِلَى أَنَّهُ^(٤)، إِذَا مَاتَ أَحَدٌ عَنْدهُمْ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا النِّسَاءُ.

I-1) Manque dans B.

2-2) B. في آخر رجب.

3) On a suivi ici B. — A.:

وَأَمَرَ فِي الْفَيْرَوَانِ أَنْ يُؤْخَذَ كُلُّ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ.

4-4) Manque dans A.

وفي سنة ٢٦٦، خرج الأسطول من المهديّة في أوّل المحرم؛ فتعدّرت الريح عليها؛ فأقاموا حتّى فرغت أروادهم^١ وعودوا الماء؛ ففرب جميع من فيها من النّوابة والبحريّة، وصاروا إلى التّرك؛ فنهوا ما في المراكب من عدّة وسلاح، وهربوا إلى كلّ ناحية. فجعل عبد الله الطّلب عليهم^٢؛ فمن طفر به، قُتل.

^٣ وفي هذه السنة، توفيّ زيادة الله بن القُدّام في سجن عبد الله بن محمد الكاتب؛ وقيل إنّه فتنه بأنواع من العذاب^٤. وفي هذه السنة، بادى عامل إفريقيا والقيروان، وهو عبد الله الكاتب؛ فاجتمع الناس إليه؛ فأخذ من أعيانهم نحو السّتمائة رجلاً من أعيانهم وأغرمهم الأموال بالتّعيين؛ بأخذ من الرجل الواحد عشرة آلاف دينار، ومن آخر ديناراً واحداً. فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة. وعمّ هذا الغرم سائر أعمال إفريقيا^٥ ما عدا النّفهاء والصّلحاء والأدباء وأولياء السّطان^٦؛ وكان الذي جرى من القيروان بيّفاً على أربعائة ألف دينار عيّنًا. وفي الأمر كذلك في الطّلب، إلى أن وصل الأمر من مصر إلى أبي الفتح برفع الغرم عن الناس؛ فأطلقهم عبد الله الكاتب في أواخر شوال.

وفي سنة ٢٦٧، بعث عبد الله الكاتب عامل إفريقيا هذا المال^٧ إلى ملك مصر العزيز بالله بأمر أبي الفتح صاحب إفريقيا من قبل العزيز بالله، وكتب على كلّ صرة اسم صاحبها. فكان خروج هذا المال من المنصورة لحمس بقس من حمادى الأخيرة. ولما وصل المال إلى مصر، ردّ العزيز بالله بعض الصّرر لأربابها.

وفي هذه السنة، أُنعم العزيز بالله على أبي الفتح بإطرابلس ونواحيها. فتقدّم عليها أبو الفتح بجي من خليفته الملباني؛ فأقام بها شهوراً؛ ثمّ عزّله. وفيها، رحف خزّرون بن فلفل بن خزّر الزّناتى إلى سحلماسة، في عدد عظيم؛ فخرج إليه المعتز؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ فقتل المعتز، لحمس بقين من

1) A. ajoute البحر.

2) A. يطلمهم.

رمضان . وملك ^(١) خَزَرُونَ سِجْلَمَاسَةَ ، وأخذ فيها أموالاً جليلاً . وبعث خَزَرُونَ
 برأس المُعْتَزِ إلى الأندلس واستحكم بها مُلْكُ زَنَانَةَ وأتباعهم .
 وفي هذه السنة ، وصل أبو الفتوح صَاحِبُ إفريقية إلى سَبْتَةِ ، فحاصرها .
 وبعث إليه ابنُ أبي عامر برأس جعفر بن عليّ ، أراد أن يُرضيه بذلك . وكان
 ابنُ أبي عامر ^(٢) قد قتل جعفر بن عليّ بن حَمْدُون المعروف بابن الأندلسيّ .
 ويأتى خبرُ قتله في أخبار ابن أبي عامر من أخبار الأندلس ^(٣) .
 وفي سنة ٢٦٨ ، خرج العزيزُ من مِصْرَ إلى الشام في عَدَدٍ عظيمٍ ، ونزل
 بالرملة . وكان بين يديه ألف بَنَدٍ وخمسمائة طَبْلٍ . وكان جَوْهَرٌ فائده خرج في
 العام الفارط إلى الشام ؛ فهزمه افتكين ^(٤) التُّركيُّ ، ورجع إلى مِصْرَ مغلولاً . فخرج
 العزيزُ بالله في هذه السنة بنفسه . فلما نزل الرملة ، خرج إليه التُّركيُّ . فكانت
 بينهم حروبٌ عظيمةٌ ؛ فانهزم التُّركيُّ ، وأُخذَ أسيراً ؛ فسبقَ إلى العزيز بالله بحبلٍ
 في عنقه . ولما وصل إلى مِصْرَ ، عفا عنه ؛ ومات بعد ذلك .
 وفي هذه السنة ، * دخل أبو الفتوح صَاحِبُ إفريقية من قِبَلِ العزيز بالله ^(٥) P. ٢٤٠
 بلادَ الغُربِ ، واستولى عليها ، وهدم مدينة البَصْرَةَ ، ومحا رَسَمَهَا بعد طول مدتها
 وكثرة عمارتها . ^(٦) وكان رَحِيلُ أَبِي الفُتُوح من إفريقية إلى الغُربِ يوم الأربعاء
 لحَمْسَ بَقِينَ من شعبان من سنة ٢٦٨ ^(٧) ؛ فوصل بجيوشه الضَّخْمَةِ ^(٨) إلى فاس ؛
 فاستولى عليها ، وملك سِجْلَمَاسَةَ وبلاد الهَبْطِ كُلَّهَا ، وطرد من جميعها عُمَالُ بَنِي
 أُمَيَّةَ . ثم رحل إلى سَبْتَةِ في طَلَبٍ من لجأ إليها من زَنَانَةَ . فلما أشرف عليها ،
 سَأَلَ الوصولَ إليها ؛ فرأى من تحصينها ومنعتها ما لا يُستطاع إدراكه ^(٩) إلا
 بالمرآكب البحرية ؛ فرجع عنها ، ولم يُعَوِّزَهُ من بلاد المغرب غيرها . فرجع ^(١٠)
 يريد البَصْرَةَ ؛ وكان فيها عِمَارَةٌ عظيمةٌ بالأندلس والبربر . فلما دخلها ، أمر
 بهدمها ، ونهبَ ما كان فيها من الأموال والأمنعة وجميع الأسباب . فاستحال

١) A. وحكم ، corrigé par Dozy (Corr., p. 27) en وحطم .

2-2) B. seulement: قد قتله .

3) A. et B. افتكين .

4-4) Manque dans B.

5) Manque dans B.

6) B. الل .

المجوش والأمم^(١) عليها؛ فصارت كأن لم تغن بالأمس^(٢). فلم تكن بصرة بالمغرب الى الآن؛ ودثر رسبها. وكانت قديمة أزلية. وقد تقدم ذكرها^(٣). ثم صار منها الى أصيلا.

ذكر مدينة أصيلا

وأما أصيلا، فهي محدثة. وكان سبب بنائها أن المجوس خرجوا بساحلها، وزعموا أن لهم بها أموالا وكنوزا، تركها لهم الأوائل الذين كانوا يسكنون السواحل وأخرجهم منها عامة القبائل. فلما نزلوا في البر لأخذ أموالهم، اجتمع البربر لقتالهم؛ فقالوا: «لم نأت لحرب؛ وإنما لنا كنوز في هذا الموضع. فكونوا ناحية حتى نستخرجها. ونشارككم فيها.» فاعتزل البربر عنهم لما سمعوا ذلك منهم. فحذر المجوس مواضعهم. واستخرجوا دحنا كثيرا عفنا. فلما رآه البربر، ظنوه ذهبا؛ فهدروا اليهم. وهرب الروم الى مراكمهم. فأصاب البربر الدخن؛ فدموا، ورغموا الى المجوس في الرجوع واستخراج المال؛ فأبوا، وقالوا: «قد نفَضْتُمُ العهد!» وساروا الى الأندلس؛ فحينئذ خرجوا بإشبيلية على ما يأتي ذكره في أخبار الأندلس. فأتخذ الناس موضع أصيلا رباطا، وانتابوا اليه من جميع الأمصار. فكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرّات في السنة: في رمضان، وفي العواشر. وفي عاشوراء^(٤).

ومما قيده واختصره من «كتاب المسالك والممالك» لمحمد بن يوسف الفَرَوِي - رحمه الله! - قال: ومن المدن القديمة على ساحل بحر الغرب، أصيلا؛ وهي في سهلة من الأرض. كانت مدينة للأول. ثم غلب عليها البحر. ثم بُنِيَ بعد ذلك؛ وكان سبب بنائها أن المجوس خرجوا في مرّساها مرّتين: مّا الأولى، فإنهم قصدوا اليها، زاعمين أن لهم بها مالا وكنوزا؛ فاجتمع البربر لقتالهم حسبما ذكرت ذلك؛ وأما خروجهم الثاني، فإن الريح قدّفت^(٥) بهم اليها^(٦).

1) Manque dans B.

2-2) Manque dans B.

وعطبت لم اجفان كثيرة عليها، حتى كان يعرف ذلك الموضع بباب
المجوس. وكان موضعها ملكاً لقبائل لواتة. فابتناها قوم من كُتامة. فأول ما
ابتدروا^١ به مسجداً. ثم بنى لواتة مسجداً ثانياً، وشاع أمرها. فبنى الناس
شيئاً بعد شيء؛ فنقصدها التجار من الأمصار بضروب المتاجر في أوقات
معلومات لأسواق الغبار.

فأول من قديم عليها من الملوك القاسم بن إدريس؛ فإنه ملكها، وقامت
دعوته بها الى أن توفى - رحمه الله! - ثم وليها ابنه إبراهيم بن القاسم؛ فجزت
بينه وبين عمر بن حفصون النائر بسببشت من الأندلس مراسلات ومكاتبات
في شأن النفاق على الخليفة بقُرطبة الأموي، الى أن هلك. ثم وليها ابنه حسين
ابن إبراهيم بن القاسم؛ فاضطرب أمره، وضعفت طاعته؛ وكانت مدته خمساً^٢
وعشرين سنة في قبائل لواتة. وكان أخوه أحمد المتوَلَّى لأمر كُتامة؛ وكان
يعرف بأبي الأذنين. وكان صاحب البصرة حينئذٍ أخوها عيسى ابن إبراهيم بن
القاسم، الى أن قتله أبو العيش جثون^٢ من بني إدريس - رحمه الله! - فتزوج
أخوه أحمد الملقَّب بأبي الأذنين زوجته، وملك مكانه. وقيل إن زوجته سمته،
فقتلته. فصار أمر كُتامة وأمر البصرة الى مجيئ بن إبراهيم بن القاسم المعروف
بابن برهوية؛ فاختلفت عليه كُتامة، وكان ذلك سبب دخول بني محمد بِلَد
كُتامة وهُوارة وتلك الناحية، واستجاشوا بحسن بن محمد المعروف بالحجَّام؛
فقام بأمرهم، وهلك القاسم بن حسن بن القاسم بن إدريس صاحب أصيلاً.
ودخل بنو محمد من بني إدريس مدينة أصيلاً؛ فاستأثر بها حسن الحجَّام
دون بني عمه؛ فولَّى عليها رجلاً من خاصته يُقال له حجَّاج بن يوسف؛ فأحسن
السيرة فيهم، الى أن هلك. فطلب ولايتها رجل من أهلها يُقال له محمد بن
عبد الوارث؛ فعدا طوره فيها. ويُقال إنه أصاب بأصيلاً كثيراً بذاره؛ ونهى
ذلك الى حسن المعروف بالحجَّام؛ فطمع في ذلك المال، وعزَّله عن أصيلاً.

1) ابتدؤوا. A.

2) Orthographe fournie par R — A

ثُمَّ وَلِيَهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْغَلِّ الْمَكْنَسِيُّ؛ وَكَانَ سَاكِنًا بِهَا. بَعْدَمَا أُعْطِيَ مَالًا لِحَسَنِ الْحَجَّامِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى أَصِيلَا. سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ إِلَى حَسَنِ بِأَلْ كَثِيرٍ؛ فَعَزَلَ إِبْرَاهِيمَ وَأَعَادَ ابْنَ عَبْدِ الْوَارِثِ. فَسَارَ إِبْرَاهِيمُ بِهَدْيَةٍ إِلَى حَسَنِ؛ فَعَزَلَ مُحَمَّدًا وَوَلَّاهُ عَلَيْهَا. ثُمَّ عَزَلَ إِبْرَاهِيمَ وَوَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ. وَكَانَتْ عَزْلَتُهُمَا وَوَلَاتُهُمَا نَحْوَ سِتِّينَ. إِلَى أَنْ اسْفَرَّ فِيهَا مُحَمَّدٌ هَذَا. وَسُمِّيَ قَارَ الصُّفْرِيحِ. يَعْنُونَ الْكَثْرَ الَّذِي أَصَابَ فِيهِ. وَسَبَّحَ لَابْنَ عَبْدِ الْوَارِثِ رَغْبَةً حَسَنَةً ٢٢. ١. فِي مَالِهِ؛ فَأَعْطَاهُ. وَاسْتَفَامَتْ لَهُ مَعَهُ جَمِيعُ أَحْوَالِهِ مُدَّةً. ثُمَّ عَزَلَهُ، وَوَلَّى إِبْرَاهِيمَ ابْنَ الْغَلِّ الْمَذْكُورَ؛ فَتَقَى بِهَا إِلَى أَنْ حَصَرَ ابْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ بَنِي مُحَمَّدٍ فِي حَجَرٍ الشُّرْبِ؛ فَأَمَّا أَهْلُ أَصِيلَا. وَطَلَبُوا مِنْهُ وَالْيَا مِنْ قَبْلِهِ؛ فَوَلَّاهَا سَعِيدٌ ٢٣. نَ الشَّيْخِ الْإِسْبِيلِيِّ. وَهَرَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْغَلِّ إِلَى مَدَنَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ؛ فَوَفَدَ عَلَيْهِ، وَهَادَاهُ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ؛ فَوَلَّاهُ أَصِيلَا؛ فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ. وَرَفَقَ بِالرَّغْبَةِ. وَانْصَرَفَ إِلَى تَسُولٍ. بَعْدَمَا اسْتَخْلَفَ عَلَى حَرْبِ بَنِي مُحَمَّدٍ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُعْرِفُ بِأَبِي قَمَحٍ؛ فَحَاصَرَهُمْ حَصَارًا شَدِيدًا. فَلَمَّا شَاقَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ. تَحَمَّلَ عَلَيْهِ لَيْلًا. فَهَرَبَ أَبُو قَمَحٍ، وَمَلَكَ بُو مُحَمَّدٍ مُحْتَمَةً. وَاجْتَمَعَتْ قِبَائِلُ كُتَامَةَ قَلْعَةٍ هَاكِ. فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ بَنُو مُحَمَّدٍ الْأُدَارِسَةُ؛ فَحَارَوْهُمْ حَتَّى دَخَلُوا الْقَلْعَةَ. وَقَتَلُوا مِنْ كَثَرٍ فِيهَا. فَكَانَ أَوَّلَ فَتْحٍ لِبَنِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِدْرِيسَ الْحَمْسِيِّ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ أَصِيلَا؛ فَكَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ. وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٢٢٢ هـ، فِي حِينَ خُرُوجِ مَبْسُورٍ إِلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ. فَجَاؤَهُمْ مُوسَى بْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْتَحِفُوا فِي بِلَدِهِمْ. وَكَتَبَ إِلَى قِبَائِلِ كُتَامَةَ. وَلُؤَانَ. وَهُوَارَةَ. وَصَرْهَاجَةَ. بِأَمْرِهِمْ بِمَعُونَتِهِمْ عَلَى النِّبْيَانِ؛ فَانْقَسَمُوا عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ. وَسَوَّاهُ فِي سَنَةِ أَشْهُرٍ. فَهَرَبَ وَجُوهُ الْقِبَائِلِ إِلَى أَصِيلَا، وَاجْتَمَعَ بِهَا مَلَأَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْهُمْ؛ فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ بَنُو مُحَمَّدٍ الْأُدَارِسَةُ بِعَسَاكِرِهِمْ؛ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ؛ فَاسْتَمْدُوا ابْنَ أَبِي الْعَافِيَةِ؛ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «دَاكُنُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! فَأَنَا وَأَنْتُمْ

1) A. et B.: حصن. 2) B. شهد. 3) A. (éd. Dozy): ٢٢٢ (faute d'impression).

رعيته ونحت طاعته»! فكتبوا الى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر. وكانت مدينة سبته تحت طاعته. فبعث اليهم الرماة الأنجاد، واتصل ذلك ببني محمد؛ فحشدوا الأحشاد. وزحفوا الى أصيلاً؛ فحاربوها أربعين يوماً. فخاف * وجوه P. ٢٤٤ أهلها؛ فجازوا الى الأندلس. ودخل بنو محمد أصيلاً، وذلك سنة ٢٢٦، وملكوها؛ فأمنوا من بقي بها من أهلها. وعاد من جاز الى الأندلس اليها. وحولها من القبائل لواتة في القيلة، ومن هؤارة قوم يعرفون ببني زياد؛ بينهم كذبة رمل عالية. قال إبراهيم بن محمد الأصيلي من قصيدة له [وافر]:

سقى غربي أرض بني زياد تحائب ما يجف لها غروب
ولا زال النعيم بعم قوماً إزاؤهم من الشرقي الكئيب

وحولها من القبائل من جهة الغرب هؤارة الساحل.

ذِكْرُ مَنْ وَلِيَ مَدِينَةَ الْبَصْرَةِ

أُسِّسَتِ الْبَصْرَةُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أُسِّسَتْ فِيهِ أَصِيلاً. وَعَلَى ثمانية أميال منها جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ صَرْصَر. كَثِيرُ الْمِيَاهِ وَالْقِمَارِ. يَسْكُنُهُ مَصْبُودَةٌ. وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاسِمِ ^(١)، بَنُ إِدْرِيسَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ ثُمَّ وَلِيَهَا ابْنُهُ عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ؛ ثُمَّ أَخُوهُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ^(٢)؛ ثُمَّ بَرّهُونُ بْنُ عَيْسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ؛ ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسَ؛ ثُمَّ بَرّهُونُ بْنُ عَيْسَى ثَانِيَةً؛ ثُمَّ سَعِيدٌ، غَلَامُ الْمُظَفَّرِ مِنْ قِبَلِ مَصَالَةِ بْنِ حُبُوسَ؛ ثُمَّ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَجَّامِ؛ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ بَجْبِ بْنِ الْقَاسِمِ وَلَدُ ^(٣) الْحُوطِيِّ؛ ثُمَّ عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفِ. بِأَبِي الْعَيْشِ؛ ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ ثَانِيَةً؛ ثُمَّ وَالٍ ^(٣) مِنْ قِبَلِ ابْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ؛ ثُمَّ أَبُو الْعَيْشِ بْنِ أَحْمَدَ ثَالِثَةً؛ ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَيْشِ إِلَى سَنَةِ ٢٤٧.

1—1) Manque dans B.

2) B. وأل.

3) A. et B. واليا (Dozy, Corr., p. 27, propose).

وكانت مدينة يُقال لها كُرت، في جبل يُسمى به الى وقتنا هذا، خربها بنو محمد؛ وهي كانت قاعدة أحمد بن إقاسم، الذي يقول فيه بكر بن حماد [كامل]:

٢٤٥ P. * إِنْ السَّاحَةِ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى جُمِعُوا لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ
وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْفَبَائِلُ وَأَنْتَمَتِ فَاغْزُرْ بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ وَبِفَنَائِطِهِ
وَيَجْعَفِرُ الطَّيَّارُ فِي دُرَجِ الْعُلَى وَعَلَى الْعَضْبِ الْحُسَامِ الصَّارِمِ
إِنِّي لَمُشْتَقٍ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا يَسْهُو الْعُقَابُ إِذَا سَمَا بِقَوَادِمِ
فَأَنْعَثْ إِلَى مَرْكَبِ أَسْمَوْسِهِ عَلَى أَكُونِ عَلَيْكَ أَوْلَ قَادِمِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تَسَالَ مَحَبَّةً إِلَّا بِبَعْضِ مَلَاسٍ وَدَرَاهِمِ

فبعث اليه ببغلة سنية وصلته جزلة. وكان له فيه أمداح كثيرة.
وكان على وادي ورغة حصن كبير يسكنه البربر. فسكن عندهم شخص من
الحضر؛ فقال في نفسه اطويل:

الْأَهْلُ تَنِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَنِّي يَوْرَغَةَ بَيْنَ الْأَعْجَمِينَ غَرِيبُ
إِذَا قُتُّ شَيْئًا قِيلَ: مَاذَا تُرِيدُهُ؟ لَهُمْ بَيْنَ أَحْرَارِ الْوُجُوهِ قُطُوبُ

وكان هناك حصن أيضاً يعرف بسوق عكاشة، قريب من ورغة، لمحمد بن
حسن من بني إدريس - رحمهم الله! - وخبارة حصن كبير في جبل يعرف
بالجبل الأشهب؛ وهي لبني حصين. وفي ذلك الجبل قرى كثيرة. وهو بمقربة
من فاس. ومن أصيلاً الى مدينة فاس خمسة أيام على طريق البصرة. ويلي
أصيلاً من جهة الشرق مدينة طنجة. وكان صاحب طنجة القاسم بن إدريس.
ومن طنجة الى فاس على طريق أصيلاً ستة أيام. وفي مدينة فاس عدويان.
أسست عدوة الأندلسيين سنة ١١٩٢^(١) من الهجرة،^(٢) أسسها أهل رنص قرطبة
إذ فروا من الحكم الرضي؛ وأسست عدوة^(٢) القرويين بعدها بسنة. قال
الشاعر [بسيط]:

بَا عَدُوَّةَ الْقَرَوَيْنِ الَّتِي كَرَّمَتْ لَا زَالَ جَانِبُكَ الْمَحْبُورُ مَطُورًا
لَا أُمْسَكَ اللَّهُ عَنْهَا صَوْبَ رِغْمَتِهِ أَرْضٌ تَجَنَّبَتِ الْأَثَامَ وَالزُّورَ

ولما خرب أبو الفتوح يوسف بن زبري الصنهاجي أمير إفريقية * مدينة البصرة، ٢٤٦
رحل بعساكره إلى بلد برغواطية. وكان ملكهم صالح بن عيسى بن أبي الأنصار؛
وكان فصيحاً شاعراً؛ فأطاعوه حتى جعلوه نبياً، وشرع لهم شريعة؛ فاتبعوه.
فضل، وأصلهم. فغزاهم أبو الفتوح؛ فكانت بينهم حروب لم يجر قبلها مثلاً،
كان الظفر فيها لأبي الفتوح. وقتل الله الكافر ابن عيسى، وانهزمت عساكر
برغواطية؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً، وسى من نساءهم وذرائعهم ما لا يحصى عددهم.
وأرسل أبو الفتوح سيهم إلى إفريقية؛ فلقيهم عامنه عبد الله الكاسب، مع أهل
القيروان والمنصورية. وملك أبو الفتوح بلاد الغرب. فكانت السجلات ترد
عليه من مصر، ففصله على البريد إلى فاس أو غيرها؛ ثم يرجع بها إلى عامل
إفريقية؛ فتقرأ بعد مدة من تأريخها. وأقام أبو الفتوح في بلاد الغرب، وهو
قد ملكها، وأهل سبئة منه خائفون، وزناته مشركون. وذلك من سنة ٢٦٨
المؤرخة إلى سنة ٢٧٢.

وفي سنة ٢٦٩، توفى أحمد بن أبي خالد، الطبيب الكبير المعروف
بأبن الحزاز.

وفيهما، كانت الحمة التي ظهرت في السماء ليلة الأربعاء لخمس خلون من
ربيع الأول؛ فخرج الناس إلى المساجد للضجيج والنضوع إلى الله تعالى. وفي
غد تلك الليلة، هرب كساب ومغنين^١ ابنا زبري بن مناد من قصر أخيهما
السلطان أبي الفتوح الذي كانا فيه محبوسين؛ وقد لبسا ثياب النساء. وخرجا
في أسوة دخلن إليهما لزيارتهما؛ فوجدا عبيدهما قد أعدوا لهما خيلاً وسلاحاً؛
فركبا، ومضيا نحو المشرق، حتى وصلا مصر؛ فأنزلهما العزيز بالله، وخلع
عليهما؛ ووصلهما. وبقيتا هنالك بقية هذه السنة.

١) B. معنين.

٢) B. معنيناً.

وفي سنة ٢٧٠، صرف العزيز بالله كنياباً ومغنياً^(٢) ابني زيري الى أبي الفتوح يوسف بن زيري أمير إفريقية، وأمره أن يعفو عنهما، ولا يتعرض لهما. ففعل ذلك. وفيها، تمكنت حال يعقوب بن يوسف بن كلس مع العزيز بالله؛ فأذل كتماناً، وفهرهم. وقدم الترك والإخشيدية، وعزل الوزراء جوهراً وغيره. وفي سنة ٢٧١. دخل سبي البرغواطيين الى المنصورية، يوم السبت اثنان خلون من ربيع الأول. فرأى أهل إفريقية من السبي ما لم يره أحد منهم لكثرة. وطيف بهم في المنصورية والفيتوان.

وفي هذه السنة، وصل باديس بن زيري من مصر برسالة الى أبي الفتوح، يأمره بتخيير ألف فارس من إخوته الأبطال صنهاجة، منهم حبوس ومأكس، وزاوي، وحمامة، بنو زيري، وبنو حمامة بن مناد، وزاوي بن مناد، ونظرائهم. فكتب اليه من بلاد الغرب يعرفه بتغلب بني أمية أمراء الأندلس على بلاد الغرب، وأن الدعاء لهم فيه على المنابر، وأنه قد خرج لمحاربتهم بهؤلاء الرجال الذين سماهم أمير المؤمنين؛ فإن عزم على بعثهم اليه، ترك الغرب، وسار بنفسه في جملتهم. فلم يعد اليه جواباً فيهم.

وفي جمادى الأولى من هذه السنة، كان بالمهدية زلازل دامت الشهر كله وعشرة أيام بعد، تُزلزل في كل يوم مرّات، حتى هرب أكثر أهلها، وأسلموا ديارهم وما فيها.

وفي سنة ٢٧٢، قتل أمير صقلية أبو القاسم علي بن حسن الحسني في مقابلته مع الإفرنج. وكانت ولايته بها إحدى عشر سنة. ثم ولي ابنه جابر سنة واحدة. وفي سنة ٢٧٣، اشترى عبد الله بن محمد الكاتب عامل إفريقية العبيد السودان، وجعل على كل عامل من ثلاثين عبداً الى ما دون ذلك؛ وكذلك على أصحاب الحراج ووجوه رجاله. فاجتمع له منهم ألف، وأسكنهم بالمنصورية. وفيها، عمل عبد الله بيت الحديد، وملاؤه أموالاً؛ ثم عمل بيت خشب وملاؤه أموالاً أيضاً. واستخاف على المنصورية جعفر بن حبيب، وخرج الى المهدية على

* ذكر وفاة أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي P. ٢٢٨

وفي هذه السنة، توفى أبو الفتوح عند قفوله من قتال برغواطية، وقد انفصل من سجلماسة؛ فمات بموضع يُقال له واركنتو، يوم الأحد لنسع بقين من ذي الحجة؛ وذلك أن ابن خزررون الزناتي ضرب على سجلماسة؛ فدخلها، وأخذ ما كان فيها من الأموال؛ وكان بها عامل أبي الفتوح؛ فأناء الخبر بذلك؛ فرحل إليها؛ فاعتل في طريقه بقولنج؛ فمات بالموضع المذكور. فأوصى لأبي زعل ابن هشام. وكان من خاصته؛ فأرسل إلى المنصور. يُعرفه بوفاة والده أبي الفتوح.

ولاية أبي الفتح المنصور بن أبي الفتوح إفريقية

ولّى الإمارة في أوائل سنة ٢٧٤ بمدينة أشير. وتوفى يوم الخميس لحمس خلون من ربيع الأول من سنة ٢٨٦؛ فكانت مدته اثنتي عشر سنة؛ ودُفن بالمنصورية. وكان كريماً. سجعاً. جواداً. صارماً. عازماً. قال الرقيق: وقد ذكرت سيرته، وحروبه، وعظاياه في كتاب مُفردٍ لأخبار جدّه وأبيه وأخباره. وكان لقبه عُدّة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله.

وفي هذه السنة، وهي سنة ٢٧٤. بعث المنصور أخاه يطوّف^١ من مدية أشير، لما بلغه موت أبيه، وأمره أن يطوى المراحل إلى القيروان والمنصورية برسم القبض على عبد الله بن محمد الكايب، وكان بالمهدية؛ ونائباه على المنصورية جعفر بن جيب، وعلى القيروان برهون العارل؛ فصباحهم يطوّف سحر يوم الثلاثاء منتصف المحرم. فنظر يطوّف إلى الخزائن مغلقة وإلى بيت المال مقللاً؛ فأخذ المفاتيح، وفتح بيت المال وبيت السلاح. وفرّق على أصحابه، ٢٢٩. وركب من كان مترجلاً من الصنهاجيين بالمنصورية. ثم خرج. والتقى مع عبد

1) Vocalisation fournie par B.

الله الكاتب في بعض الطريق؛ فوثب عليه، وأزجله عن فرسه؛ وانتهت أسبابه، واعتُقل بالمنصورة أياماً. ثم أمر المنصور بإطلاقه. ورفع يده عن البلد. ثم عاد الأمر إلى عبد الله؛ فأمر بالقضاة ووجوه الناس من شيوخ الفيروان وغيرهم، وتوجه معهم برسم التهنئة والتعزية للمنصور. فوصلوا إليه، وسلموا عليه بمدينة أشير. فقال لهم المنصور: «لقد شقَّ عليَّ تعبكُم في حركتكم، غير أنَّ سُروى في رؤيتكم.» ثم شكر عبد الله الكاتب، وذمَّ فعل أخيه به؛ ثم أمر عبد الله الكاتب أن يدفع للوافدين عليه عشرة آلاف دينار ضيافة^(١). فدعوا له، وانصرفوا. ثم استدعاهم بعد ذلك، وقال لهم: «إنَّ أبي وجدِّي أخذوا الناس بالسيف قهراً، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان. وما أنا في هذا الملك ممَّن يولَّى بكتاب ويُعزل بكتاب، لأنِّي ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حميراً!»^(٢) أو كلاماً هذا معناه^(٢)؛ ثم أمرهم بالانصراف مع عبد الله الكاتب؛ فكانت مدة مسيرهم ورجوعهم خمسة وثلاثين يوماً.

وفي رجب، قدِمَ المنصور إلى رقادة؛ فتلَّقا عبد الله الكاتب في خلق عظيم من أهل الفيروان؛ فأظهر للناس الخَيْرَ، ووعدهم بكلِّ جميل. وأتاه العمال بالهدية والأموال؛ وأعطاه عبد الله هدايا جليلة. ثم أخذ المنصور في جهاز هدية بعثها إلى مصر مع زروال بن نصر. فقبل إنَّ قيمة ما كان فيها من الأمتعة والدوابِّ والطُرف^(٣) ألف ألف دينار عينا. وأقام المنصور برقادة؛ فأمر بعمل سرج مكلَّل بالدُّبِّ والياقوت؛ فخرج به إلى العبد في أحسن زى؛ وخرج إليه من الفيروان * خلق عظيم؛ فصلَّى بالمُصلَّى، وخطب القاضي ابن الكومي^(٤)؛ وانصرف المنصور إلى قصره. وولِدَ له وَلَدٌ سَمَّاهُ باديس بن المنصور، ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الأوَّل من هذه السنة.

وفيها، أعطى المنصور لأخيه يطُوفت العساكر، ووجهه إلى مدينتي فاس

١) وكلام في هذا المعنى كثير. ٢-٢) A. ضيافتهم.

٣) Manana dans B. ٤) A. الكومي.

وَجِيلَامَاة، يَطْلُب رَدَّهَا وَرَدَّ نَلْكَ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةَ، إِذْ كَانَتْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَةِ
صِنْهَاجَةَ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِي النُّفُوحِ؛ فَوَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ فَاسٍ. وَكَانَ بِهَا زَيْرِيُّ
عَطِيَّةِ الزَّنَاتِيِّ الْمُلْكَبِ بِالْفَرْطَاسِ^١. فَلَمَّا أَحْسَنَ بَوْفَادَةَ يَطُوفَتْ مِنْ أَبِي النُّفُوحِ.
عَاجِلَ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَالْهَجُومِ عَلَيْهِ؛ فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى أَهْرَمَ يَطُوفَتْ.
وظَهَرَتْ زَنَانَةُ صِنْهَاجَةَ؛ فَأَتَبَعُوهُمْ. وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسْرَوْا آخَرِينَ؛
وَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى بِيَهْرَتْ. وَهَرَمَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ قَائِدَانِ لَهُ، اسْمُهُمَا ابْنُ شَعْبَانَ
وَإِبْنُ عَامِلٍ؛ فَسُيِّرَ ابْنُ شَعْبَانَ عَلَى نَابِ فَاسٍ؛ وَقُتِلَ ابْنُ عَامِلٍ شَرًّا قَتْلًا.
وَنَفَى زَيْرِيُّ بْنُ عَطِيَّةٍ مَا لِكَا لِنَاسٍ وَمَا حَوَالَهَا. وَلَمَّا بَلَغَ الْمَنْصُورُ هَرِيمَةَ أَخِيهِ.
مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بِرَسْمِ الْغَرْبِ.
خَرَجَ وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْكَاتِبُ؛ وَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْفَيَرَوَانَ ابْنَهُ يَوْسُفَ؛ ثُمَّ
رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِمَالَةٍ إِفْرِيقِيَّةٍ كَثَلَهَا. وَبَعَثَ الْمَنْصُورُ إِلَى أَخِيهِ يَطُوفَتْ
بِحَيْشٍ آخَرَ؛ فَتَلَقَّاهُ بِبِيَهْرَتْ. وَلَمْ يَنْعَرِضْ الْمَنْصُورُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بِلَادِ زَنَانَةَ.
وَفِي سَنَةِ ٢٧٥. أَمَرَ أَبُو الْفَتْحِ الْمَنْصُورُ أَنْ يُعْمَلَ بِالْفَيَرَوَانَ^٢ أَبْوَابٌ مِنْ
حَدِيدٍ، وَأَمَرَ بِبِنَاءِ قَصْرِهِ الْكَبِيرِ^٣. وَفِيهَا، كَانَ مَوْلَدُ أَبِي عَلِيٍّ الْمَنْصُورِ (وَقِيلَ:
الْمَنْصُورِ) ابْنِ زِيَارِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ، بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ^٤.

وَفِي سَنَةِ ٢٧٦، ظَهَرَ أَبُو الْقَهْمِ الْخُرَاسَانِيُّ الدَّاعِي؛ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
مِنْ كُنَازَةِ. وَكَانَ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبِ قَدْ أَعْطَاهُ مَالًا وَخَبَلًا؛ فَتَوَجَّهَ
بِذَلِكَ لِبَلَدِ كُنَازَةِ؛ فَدَعَاهُمْ؛ فَأَجَابُوهُ. وَتَفَرَّرَتْ^٥ أُمُورُهُ عَنْهُمْ، حَتَّى صَارَ يَرْكَبُ
الْحَيْلَ. وَبِجَمْعِ الْعَسَاكِرِ. وَيَعْمَلُ الْبِنُودَ، وَيَضْرِبُ السِّكَّةَ؛ فَعَظُمَ أَمْرُهُ، وَشَاعَ
خَبْرُهُ. وَفِيهَا، جَدَّ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبِ فِي بِنَاءِ قَصْرِ الْمَنْصُورِيَّةِ لِلْمَنْصُورِ
أَبِي الْفَتْحِ؛ فَلَبَّغَ إِنْشَاقَهُ فِيهِ قِلَ تِسَاعًا مِائَةً أَلْفَ دِينَارٍ.

١) A et B. آفرطاس.

٢) بجامع الفيروان A.

وفي سنة ٢٧٧، وصل المنصور أبو الفتح صريح إفریقیة الى المنصورية؛
فتزل في قصره الذي بُني له؛ وأتى معه عبد الله الكايب وجميع^١ عساكره،
ووجوه بني عيه ورجاله. وفي هذه السنة، كان مَفْتَلُ عبد الله الكايب وابنه
يوسف؛ وذلك أَنَّ عبد الله بن محمد الكايب بلغ مع المنصور بن أبي الفتح
ما لم يَسْلُغْهُ أَحَدٌ من قرابه وأهل بيته ودولته؛ وانحصرتْ أموره كلها تحت
قَبْضَتِهِ؛ فجمع الأموال، ورَبَّ الاحوال^٢ والأعمال؛ وأعطى السياسة والرياسة
حنفا. فحسد كبراء أهل الدولة، وألقى عنه حَسَنُ ابن خالته الى المنصور أمورا
من الفدح في دولته، وأَنَّه كان السَّبَبُ في خروج الداعي الناصر أبي الفهم
بكنامة، وأَنَّه كان يُصَغِّرُ خبره حتى تفاقم أمره، وغير ذلك من الأسباب
المُهْلِكات. وكان عبد الله الكايب، اِثْنَيْنِ بنفسه. لا يُدَارِي أَحَدًا من أولاد
زيرى ولا أكابر الدولة. فلما أَحْسَسُوا من المنصور بَعْضَ التغير عليه، أَكثَرُوا من
«اعتزل عن عَمَلِ إفریقیة، واقتصر على الكتابة؛ وكلُّ من نوى مُتَصَرِّفًا بين
بدك ونحت أمرك!» فكان جوابه أَن قال: «القتلة ولا العزلة!» فلما كان
يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، غدا الى ديوان كان قد بناه؛
فجلس فيه لانتظار ركوب المنصور، ويده جزء من القرآن، يقرأ فيه، حتى قيل
له: «قد ركب!» فأطلقه، وركب فرسه برسم لقائه، وهو يقول [طويل]:

وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَائِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَانَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ P. ٢٥٦

فلما وصل اليه المنصور، نزل عبد الله اليه، وسلم عليه؛ ثم وقف؛ فدار بينهما
كلام كثير، لم يقف أحدٌ على صحنه؛ ثم طعنه المنصور برمح؛ فجعل أكامه على
وجهه، وقال: «على أمة الله وملة رسوله!» لم يسمع له غير ذلك. وضربه
عبد الله أخو المنصور برمح بين كعفيه؛ فسقط الى الأرض ميتاً. ثم أوتى بابنه
يوسف؛ فضربه المنصور وماكسن بن زيرى؛ فسقط ميتاً. وكان عبد الله، لما
تكر له المنصور، لا يزال يتمثل بهذا البيت [طويل]:

١) مجموع A.

2) Manque dans B.

أَرَى أَلْفَ بَانٍ لَا يَفْقَهُمُ لِهَادِيمٍ فَكَيْفَ بَيَانِ حَوْلَهُ ١ أَلْفُ هَادِيمٍ

وكان يمثل أيضاً بقوله [كامل]:

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَنْبُلُغَهَا حَتَّى إِذَا قَضَيْتُهَا مِثُّ
لَوْ صَارَ عَتْنِي الْأَسَدُ ضَارِيَةً أَصَرَ عَنْهَا مَا لَمْ يَجِ الْوَقْتُ

ولما مات عبد الله وابنه، دار العسكر على الناس؛ فانتبهوم، وسلبوم، وقطعوا الطُّرُق؛ فأخذوا كل من وجدوا من المسافرين وغيرهم، ومالوا الى وادي النصارين وإلى باب تونس، أحد أبواب القيروان؛ فنهبوا ما كان عند النصارين؛ فذهبت في ذلك اليوم أموال المسلمين، وقُتِلَ خَلْقٌ مِّنْ دَافِعٍ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ. ودُفِنَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْأَضْطَبَلِ دُونَ غَسَلٍ وَلَا كَفْنٍ. وَوَلَّى أَعْمَالَ إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَنْصُورِ يَوْسُفُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ؛ وَكَانَ عَامِلًا عَلَى قَفْصَةٍ؛ فَأَعْطَاهُ الْبُيُوتَ وَالطُّبُولَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَوَلَّاهُ إِفْرِيقِيَّةَ مَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ، يَوْمَ الْخَبِيسِ لِحَمْسِ بَقِيَّةٍ مِنْ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمُرَوَّخَةِ.

وفي سنة ٢٧٨، فُتِحَ أَبُو الْفَتْحِ الْمَنْصُورُ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى بِلَادِ كُتَّامَةِ. فَمَرَّ عَلَى مَبْلَةٍ، وَأَمَرَ بِخَرَابِهَا، وَهَدَمَ سَوْرَهَا، وَأَمَرَ أَهْلَهَا بِالنَّسِيرِ مِنْهَا إِلَى بَاغِيَّةٍ؛ فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا إِلَيْهَا. فَلَقِيَهُمْ مَاكُوسُ بْنُ زَيْرِي بِعَسَاكِرِهِ؛ فَأَخَذَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ * مَالٍ ٢٥٢ P. وَغَيْرِهِ. وَكَانَ الْمَنْصُورُ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ لَا يَمُرُّ بِمَنْزِلٍ وَلَا قَصْرِ وَلَا دَارٍ إِلَّا أَمَرَ بِهِدْمِهِ. وَلَمَّا وَصَلَ الْمَنْصُورُ إِلَى كُتَّامَةِ، حَارَبُوهُ؛ فَظَفَرُوا بِهِمْ، وَقَتَلَهُمْ، وَأَسْتَأْصَلَهُمْ. وَهَرَبَ الشَّائِرُ أَبُو الْفَتْحِ إِلَى جَبَلٍ وَغَيْرِهِ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ مَنْ أَخَذَهُ. فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَمَرَ بِهِ؛ فَلَطَمَ لَطْمًا شَدِيدًا، وَتَفَتَّ لِحَيْتُهُ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ.

مَقْتَلُ الشَّائِرِ أَبِي الْفَتْحِ

وذلك أنه، لما صار بين يديه، وعمل به ما تقدّم ذكره، أمر بخروجه، وقد

بقيت فيه حُشاشة من الرُّوح. فأخذه بعضُ رجاله؛ فنحده، وشقَّ بطنه؛ وأُخْرِجَتْ كَبِدُهُ؛ فَشُوِيَتْ وَأِكْلَتْ. وأخذه عبيدُ المنصور؛ فشرَّحوا لَحْمَهُ، وأكلوه، حتَّى لم يَبْقَ إِلَّا عِظَامُهُ مُتَجَرِّدَةً؛ وذلك يومَ الثلاثاء لثلاث خَلَوْنَ من صفر. وقُتِلَ بِسَبِيهِ وَإِلَى مِيلَةِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُتَامَةٍ. ونزل كُتَامَةُ الدُّلِّ وَالْهَوَانُ. وَبَقِيَ مِيلَةُ خَرَابًا. ثُمَّ عُمِّرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ. ورحل أبو النّجّ المنصورُ فإِذَا إِلَى الْمَنْصُورَةِ وَالْفَهْرَوَانِ. وفي هَذِهِ السَّنَةِ. دخل الوادى إلى المنصورَةِ وَهَدِمَ دُورَهَا.

وفي سنة ٢٧٩. وصل إلى المنصور سعيدُ بن خَزَرُون الزَّنَاتِي من الغَرْب؛ فَأَعْطَاه، وَأَرْضَاه؛ وَقَالَ لَهُ يَوْمًا: «يا سعيد! هل تعرف من هو أَكْرَمُ مِنِّي؟» قَالَ: «نعم!» قَالَ: «ومن هو؟» قَالَ: «أنا!» قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: «ولِمَ ذَلِكَ؟» قَالَ: «لَأَنَّكَ جُدْتَ عَلَى بِالْمَالِ. وَجُدْتُ أَنَا عَلَيْكَ بِنَفْسِي!» فَوَلَّى سَعِيدًا هَذَا مَدِينَةَ طُبْنَةَ. وَقَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّنَاتِيِّينَ؛ فَأَكْرَمَهُمْ، وَأَعْطَاهُمْ، وَزَوَّجَ الْمَنْصُورُ ابْنَتَهُ مِنْ وَرُو بن سعيد.

وفي هَذِهِ السَّنَةِ، خَالَفَ أَبُو الْبَهَارِ بْنُ زَبْرِى؛ فَرَحَفَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ إِلَى تَبَهَّرْت؛ فَتَرَّ أَبُو الْبَهَارِ أَمَامَهُ إِلَى الْغَرْبِ. ودخل عسكرُ الْمَنْصُورِ تَبَهَّرْت؛ فَتَهَلَّلُوا وَقَتَلُوا؛ ثُمَّ أَمَّنَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. وَرَجَعَ الْمَنْصُورُ عَنْ تَبَعِ عَمِّهِ أَبِي الْبَهَارِ، وَوَلَّى عَلَى تَبَهَّرْت أَخَاهُ بِطُوفْتَ وَمَضَى الْمَنْصُورُ إِلَى مَدِينَةِ أَشِير. وَكُتِبَ أَبُو الْبَهَارِ إِلَى P. 187
ابن أَبِي عَامِرٍ، يَسْأَلُهُ الدَّخُولَ فِي طَاعَتِهِ. وَأَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى زَبْرِى بْنِ عَطِيَّةِ الزَّنَاتِي صَاحِبِ فَاسَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ؛ وَكَانَ ابْنُ عَطِيَّةِ مُوَالِيًا وَمُصَافِيًا لِابْنِ أَبِي عَامِرٍ؛ فَكُتِبَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ إِلَى أَبِي الْبَهَارِ: «إِنْ كُنْتَ عَلَى نِيَّةٍ فَيَا وَصْفَتُهُ عَنْ نَفْسِكَ، فَأَرْسِلْ إِلَى ابْنِكَ، يَكُونُ رَهِينَةً عِنْدِي، وَأَفْعَلْ مَعَكَ¹ مَا أَحْبَبْتَهُ.» فَوَجَّهَ إِلَيْهِ ابْنَهُ فِي مَرْكَبٍ مَعَ مَيْمُونِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الدَّائَةِ كَاتِبِهِ. فَعُطِبَ الْمَرْكَبُ، وَمَانَا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ الْآخَرَ؛ فَوَصَلَ إِلَيْهِ؛ فَوَجَّهَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ

1) لك أ.

لأبي البهار أموالاً وكسباً، وكتب إلى زيري بن عطية في حقه أن يعاضده،
ويُنصره^١، ويكون معه. فلما بلغ ذلك أبا البهار، وصل إلى فاس، وأفق مع
زيري بن عطية صاحبها.

وأما العايل على إفريقية، يوسف بن أبي محمد المتقدم الذكر، فكان مُستغلاً
بالأكل والشرب؛ فإذا دخل الورد، اصطبح عليه؛ فلا يظهر حتى ينفى الورد
وينقطع. وكان يجلس فيه، ويتألم عليه؛ فسعى شيخ الورد، وأسلم الأمور لابن
البوني؛ فكان أهل الحاضرة معه في أمن وعافية. وأهل البادية في عذاب
وعرامة. وكان جباراً عبيداً، وسعياً جوداً؛ وكان يخرج في كل سنة، فيدور
على كور إفريقية، ويجبي الأموال، يأخذ الهدايا من كل بلد، ويرجع. قال
الرفيعي: كنا إذا دُرنا مع يوسف بن أبي محمد على البلدان، واستطاب موضعاً،
وأعجبه حسنه، أقام فيه مصطحباً الشهر والشهرين. وأبو الحسن البوني يجبي
الأموال، ويفض الهدايا. ويقوم بأمر أخيلة يوسف وعسكره. وكان بعض
لخاصة يوسف في كل يوم خمسة آلاف درهم، وسقى على يوسف لمطبخه
وفأكلهته نحو هذا المال المذكور.

وفيها، توفي عايل صفيّة عبد الله بن محمد بن أبي الحسن، وولي^٢ الله ٢٥٥
يوسف؛ فكان الناس في أنامه على أفضل ما يستهون؛ واستقامت له الأمور،
وأداع بلاد الروم، وظهر من كرمه وجوده وعدله ما هو معدوم في كثير
من البلدان.

وفي سنة ٢٨٠، توفي المرصدي، صاحب خراج القبروان. وأمر أبو الفتح
المنصور بولائه محمد بن عبد القاهر بن خلف الخراج مع سلامة بن عيسى؛
فجلسا معاً في ديوان خراج المنصورة.

وفي سنة ٢٨١، توفي القائد جوهر بهصر؛ وهو الذي فتحها. فلم سبق
شاعر بهصر إلا رشاد. وذكر ما فتحه شرقاً وغرباً. وفيها؛ وصل المنصور إلى

١. يفتضه B.

٢. A. حذو. Dozy, Corr., p. 27, propose de lire دحلة.

المنصورة، ودخل قصره الجديد، فخرج إليه أهل القَيْرَوَان، يتلقونه؛ فأدناهم،
وأثنى عليهم، ووعدهم خيراً. ثم رُفِعَ له في عَبدٍ من عبيده أَنَّهُ قَذَفَ بعض
الصَّحَابَةِ - رضهم -؛ فأمر بقتله وصَلَبَ جَنَّتَهُ، ونُودِيَ على رأسه بمدينة القَيْرَوَان.
وفي سنة ٢٨٢، طَهَّرَ أَبُو مَنَادٍ بَادِيسُ بْنُ أَبِي النَّتَّحِ المنصور بنصر والده،
وأَهْدَى^١ إليه جماعةً من الناس على قدر أحوالهم. وفيها، ترك المنصور البقايا
للزَّعَايَا. وفيها، قبض على الثُّوفَى وإبسه، وطلب منهما مالاً كثيراً؛ فأكره؛ وكان
المنصور قدَّرَ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْهُمَا أَمْوَالاً يَفْتَحِرُ بِهَا عَلَى أَضْيَافٍ كَانُوا عِنْدَهُ فِي يَوْمٍ
طَلَبَهَا، وقال لهم: «لو أَنَّ عَبْدًا من عبيدي» طَلَبَ مِنْهُ بَيْوتُ مَالٍ، لَوُجِدَ
ذَلِكَ عِنْدَهُ! «فصَادَفَ إِنْكَارُ الثُّوفَى ذَلِكَ الْمَحَلَّ؛ فَأَمَرَ بِذَنْعِ الثُّوفَى. وعزل
يوسف بن أَبِي مُحَمَّدٍ عَنْ عِمَالَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ، وولَّى مَكَانَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَرَبِ^٢
الكَاتِب. وفيها، وصل سِجِلٌّ مِنَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ لِأَبِي مَنَادٍ بَادِيسُ بْنُ
الْمَنْصُورِ؛ فَسَرَّ الْمَنْصُورُ بِذَلِكَ، وَجَاءَهُ الْهَدَايَا مِنَ الْبُلْدَانِ، وَمِنْ كُلِّ جِهَةٍ
وَمَكَانٍ. وفيها، كَانَ وَصُولُ سَعِيدِ بْنِ خَزْرُونَ مِنْ مَدِينَةِ طَبْنَةِ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ؛
P. ٢٥٦ فَلَقِيَهِ الْمَنْصُورُ، وَعَانَقَهُ؛ ثُمَّ دَخَلَ مَعَهُ إِلَى قَصْرِهِ، وَأَنْزَلَهُ، وَأُحْرِيَ عَلَيْهِ الْأَرْزَاقُ
الْوَاسِعَةُ. فَاعْتَلَّ سَعِيدُ بْنُ خَزْرُونَ أَتَمَّامًا. وَمَاتَ فِي أَوَّلِ رَجَبٍ؛ فَكَفَّنَهُ الْمَنْصُورُ
بِسَبْعِينَ ثَوْبًا. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَصَلَتْ هَدِيَّةٌ مِنَ بَلَدِ السُّودَانِ، فِيهَا زُرَاقَةٌ؛ فَخَرَجَ
الْمَنْصُورُ حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَفِيهَا، وَصَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ قُلُقُلٌ مِنْ سَعِيدِ بْنِ
خَزْرُونَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ؛ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ جِمْلًا مِنَ الْمَالِ، وَثَنَانِينَ تَخْتًا مِنْ
أَنْوَاعِ الْكِسِيِّ، وَخِيَلًا مَسْرُوجَ مُحَلَّاةٍ. وَعَشْرَةَ مِنَ الْبُودِ الْجُدُدِ الْمُدَهَّمَةِ، وَرَدَّهُ إِلَى
مَدِينَةِ طَبْنَةِ أَمِيرًا عَلَيْهَا.

وفي سنة ٢٨٢، خرج بَادِيسُ بْنُ الْمَنْصُورِ إِلَى مَدِينَةِ أَشِيرٍ. وَفِيهَا، وَصَلَ
إِلَى الْمَنْصُورِ كِتَابُ أَخِيهِ بِطُوقَتٍ، يُخْبِرُهُ بِوَصُولِ عَمِّهِ أَبِي الْهَارِ إِلَيْهِ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ

1) وأَسَدَى إِلَى جَمَاعَةٍ Dezy a lu à tort. وأَسَدَى A. 2) De même, au début de la

المنصور أن يبعثه؛ فكان وصول أبي البهار الى المنصورية ليلة الاثنين منتصف شعبان؛ فأعطاه المنصور كسّي، وجواري، وفرشاً، وسرّاً به أعظم سرور، وأنزله أحسن نزول.

وفي سنة ٢٨٤. كان دخول أبي مناد باديس بن المنصور الى المنصورية من جهة الغرب، وهي أول حركة؛ فتلقاه أبوه بالعساكر وأهل القيزوان وغيرهم. وفيها، كان وصول الهدية من مصر مع جعفر بن حبيب، ومعه فيل عظيم.

وفي سنة ٢٨٥، مات الأمير عبد الله بن يوسف بن زيري بن مناد. وفيها، كان خروج القائد يوسف بن أبي محمد عابلاً على متبجة. وفي جمادى الأخيرة، وصل قاسم بن حجاج الى المنصورية من مصر برووس الروم الذين قتلهم مارق الكنائى بحلب.

وفي سنة ٢٨٦، توفي أبو الفتح المنصور عدة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله بن زيري بن مناد الصنهاجي في يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الأول، ودُفن بقصره الجديد الخارج عن المنصورية. وكانت أيامه أحسن أيام.

٢٥٧ إِمَارَةُ أَبِي مَنَادٍ بَادِيسَ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفُتُوحِ

يُوسُفَ بْنَ زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ

ولما صارت الأمور اليه، أتاه الناس من كل ناحية بإفريقية للعراء^(١) والتهينة. وكان بنو زيري وبنو حمامة قد هموا بأموار، وخالفوا^(٢) على من كان معهم^(٣) على ما عقدوه؛ فما تركهم عبيد باديس وعبيد أبيه الى شيء مما أرادوه. ووصل أبو يبياش^(٣) يطوفت بن أبي الفتوح الى المنصورية للعراء والتهينة؛ ثم رجع الى طينة ووجهة الغرب في أواخر شعبان. وفي هذه السنة، توفي أبو

المنصور يزار العزيز بالله العيديد صاحب مصر في حوض الحمام؛ وكانت به
 علة الحصا؛ وشرب دواء في الحوض، وأدركه أجله فيه؛ فمات. وولى مكانه أبو
 علي، ولي عهد، الملقب بالحاكم بأمر الله. وكان أبو مناد قد هباً هدية
 لبيعها للعزيز؛ فبرزت الهدية من المنصورية إلى رفاة مع جعفر بن حبيب
 ليست خلون من رمضان. وكان العزيز بالله قد بعث سحلاً إلى أبي مناد، يأمره
 فيه برفع القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم إلى مصر؛ فوصل السجل، والقاضي
 مريض؛ فأمره أبو مناد بالخروج مع الهدية؛ فاعتذر بعث؛ فبعث إلى دار
 محمد بن أبي العرب^١ وجماعة رجال الدولة، وذلك لثلاث خلون من ذي
 القعدة؛ ووقف العسكر بباب أبي الربيع وظنوا أن أهل القبروان يبعه منهم،
 ويحولون بينه وبينهم؛ فجهلوا عليه، وحملوه ببساطه الذي كان مريضاً عليه في
 نياحه التي تبسها في داره. لأنهم فاجؤوه. وخرجوا به محمولاً، وقد اجتمع عند
 داره خلق عظيم. ولم ينطق أحد منهم. ومشوا إلى رفاة، وخلفه غلام
 نصراني نيسكه، وأولاده * وفرائه يشون خشفه. واغتم بمسيره سائر الناس،
 وظنوا عليهم الحزن والأسف لفقد. وكثر الدعاء له والثناء عليه. ثم جاءت
 الأخبار بوفاة العزيز بالله؛ فأمر أبو مناد برجوعه إلى داره مكرماً معظماً. وفي
 هذه السنة، مات أبو محمد بن أبي زيد - رحمه الله!

وفي سنة ٢٨٧. ناسرت الأخبار بموت العزيز بالله. وفيها. رجع القاضي إلى
 داره. وهو مريض؛ فارداد مقداره عند الناس. وفي صفر، عقد أبو مناد ولاية
 أشهر الحماد بن أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد؛ فخرج عاملاً عليها،
 وأعطاء خيلاً كثيرة وكفى جليته؛ ثم اتسعت عمالته، وكثرت عساكره، وعظم
 شأنه. وفي ربيع الآخر، وصل القاضي الناهري من مصر إلى المنصورية؛ فبرز
 أبو مناد بعساكره عليه، وخرج بجميع رجاله إليه؛ فرأى ما لم ير مثله. ووصل
 المذكور بسجلين؛ فقرئنا بجامع القبروان والمنصورية: أحدهما بولاية أبي مناد.

١) بن العربي.

وَتَلْقِيهِ نَصِير الدولة، والثاني ب وفاة العزيز بالله وخلافة الحاكم بأمر الله، والجواب عن وفاة المنصور عُدَّة العزيز بالله. وكان معه سِجْلٌ ثالثٌ بأخذ العهد على باديس وجماعة بني مناد للحاكم. فجلس أبو مناد ودعا وجوه الصنهاجيين وأخذ عليهم البيعة. ثم رجع القاضي الشريف الباهرثي إلى مِصْرَ، بعد أن وصله أبو مناد بمال جليل. وفي هذه السنة، خرج نَصِير الدولة إلى المصلى بزَيِّ جليل، وهبته حسنه، وبين يديه الفيل، وزرافتان، وجمل أبيض ساطع البياض، لم ير الناس مثله قط.

وفي سنة ٢٨٨، وصلت إلى نَصِير الدولة هدية من مِصْرَ تشتمل على الجواهر والأعلاق النفيسة؛ فتلقها، ودخلت بين يديه إلى المنصورية. وفيها، كانت وقعة بمِصْرَ بين التُّرك والكنميين، وكان الظفر للتُّرك عليهم.

وفي سنة ٢٨٩، زحف * زيرى بن عطية صاحب فاس وما والاها من بلاد P ٢٥٩ الغرب إلى مدينة تيهرت؛ فدخل عليها وحاصرها. وكان يطوفت بن يوسف بن زيرى صاحبها؛ فكتب إلى ابن أخيه أمير إفريقية، يستمده؛ فبعث إليه محمد ابن أبي العرب.

ذكر هزيمة عسكر إفريقية،

واستيلاء زيرى بن عطية عليه، وظهور زناته على صنهاجة

لما وصل كتاب يطوفت إلى باديس نَصِير الدولة، أمر نَصِير الدولة محمد ابن أبي العرب الكاتب بالخروج بالعساكر إلى زناته؛ فكان تربيته في منتصف صفر من هذه السنة. ونهض بالعساكر حتى بلغ أشير، وبها حماد بن يوسف بن زيرى، عاملاً عليها، ومعه عسكر عظيم؛ فأقام بها يسيراً؛ ثم رحل، ورحل حماد معه بعسكره، حتى وصلا إلى تيهرت؛ فاجتمعا يَطُوفَت، ومعه أيضاً عسكر عظيم؛ وكان اجتماعهم تيهرت غمرة جهادي الأولى. وكان تيهرت زيرى بن

عَظِيَّة نازلاً بموضع يُقال له آمسار^(١)، على مرحلتين من زِيَهْرْت ؛ فزحفوا اليه . فكانت بينهم حربٌ شديدةٌ وكان مُعْظَمُ عَسْكَرِ حَمَّادِ الوَتْلُكَايِيْنِ^(٢) ؛ وكان قد أساءَ عِشْرَتَهُمْ . فلما حَمَى الوَطِيسُ واشتدَّ البأسُ ، وَلُوا مُنْهَزِمِينَ ؛ فَاتَّبَعَهُمْ جَمِيعُ الْعَسَاكِرِ الْإِفْرِيقِيَّةِ . فرامَ ابنُ أَبِي الْعَرَبِ رَدَّ النَّاسِ ؛ فلم يفدر ؛ فوَلَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْجَمِيعِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَشِيرِ ، وقد أسلَمُوا مَحَلَّاتِهِمْ وَمَضَارِيَهُمْ ، وَكُلَّ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَاحْتَوَى زِيَرِي بْنُ عَظِيَّةَ وَإِخْوَانَهُ عَلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا . وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُخِذَ أَسَارَى كَثِيرَةٌ ؛ فَوَعَدَهُمْ بِجَمِيلٍ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَى زِيَهْرْت ؛ فَمَضَوْا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَشِيرِ . وَبَقِيَ ابْنُ أَبِي الْعَرَبِ وَحَمَّادٌ وَيَطُوفَتُ بِأَشِيرِ . وَبَقِيَ زِيَرِي بْنُ عَظِيَّةَ الزَّنَاتِيُّ عَلَى زِيَهْرْتِ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَفْعَةُ وَالْهَزِيمَةُ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ . وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْهَا ؛ فَخَرَجَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةٍ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ لِلِقَاءِ زِيَرِي بْنِ عَظِيَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلْيَلْتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَرَحَلَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى طَبْنَةِ ؛ فَبَعَثَ فِي طَلَبِ قُلْفُلِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَزْرُونَ الزَّنَاتِيِّ ؛ وَكَانَ عَلَى طَبْنَةِ ؛ فَخَافَ مِنْهُ ، وَبَعَثَ يَعْتَذِرُ لَهُ ، وَبَسَّأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِحِجَالٍ بُولَابَةَ طَبْنَةَ ؛ فَكَتَبَهُ لَهُ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ؛ وَرَحَلَ عَنْهُ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ بَادِيَسَ . وَنَمَادَى فِي رَحِيلِهِ . فَلَمَّا بَلَغَ قُلْفُلًا أَنَّهُ قَدْ أَبْعَدَ عَنْهُ ، ضَرَبَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ جِهَانِهِ ؛ فَأَكَلَ مَا حَوْلَهَا ، وَنَهَبَ ، وَأَفْسَدَ ، وَمَضَى إِلَى بَاعَابَةِ ؛ فَخَاصَرَهَا ، وَأَفْسَدَ نِلكَ الْجِهَاتِ كُلَّهَا ، وَأَكَلَ مَا وَالَاهَا ، وَنَصِيرُ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا كُنِيَ مَتَمَادٍ عَلَى سِرِّهِ ، حَتَّى وَصَلَ أَشِيرَ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَسِيلَةِ ، رَحَلَ زِيَرِي بْنُ عَظِيَّةَ عَنْ زِيَهْرْتِ . فَصَمَّ إِلَيْهِ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ . ثُمَّ وَصَلَ الْخَبَرُ أَنَّهُ نَوَّجَهُ إِلَى نَاحِيَةِ فَاسَ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَجَعَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ إِلَى زِيَهْرْتِ وَأَشِيرِ ؛ وَاسْتَخْلَفَ يَطُوفَتَ عَلَى زِيَهْرْتِ أَنَّهُ أُتُوْبَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارَسَ . وَبَلَغَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ مَا فَعَلَ قُلْفُلُ ابْنِ سَعِيدَ ؛ فَأَرْسَلَ مِنْ أَشِيرِ عَسَاكِرَ نَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ رَحَلَ بَعْدَهُمْ . وَمَعَهُ أَبُو

البهار بن زيري، حتى وصل الى المسيلة. فعيد بها عبد الفطر. ووصل الى أبي البهار فيه الخبر بأن إخوانه ماكن وزاوي ومغنين نافقوا بأشير، وأنهم قد قبضوا على يطوفت؛ فرحل أبو البهار هارناً في بنيه ورجاله وعباله. ورحل نصير الدولة ثالث سؤال الى إفريقية. فلما بلغ الى بلزمة، بلغه أن فلفل بن سعيد تمادى الى القيروان؛ فرحل الى باغية؛ فعرفوه ما قاسوه * من قتال فلفل وأنه حاصرهم P. ٢٦١ خمسة وأربعين يوماً؛ فرحل من باغية في طلب فلفل؛ فالتقى معه لعشر خلون من ذي القعدة؛ فكانت بينهم حروب لم يسع بمثلهما. وكان قد اجتمع لفلفل من البربر (١) ما لا يحصى عدداً وكثرة (٢)؛ فانهزم فلفل الى جبل الحناش، (٣) حسبما اذكره (٤)؛ وأتبعته صنهاجة والعبيد. فلما رأوه تمادى منهزماً، رجعوا عنه، ونهبوا محلاته. وقُتل في ذلك اليوم نحو سبعة آلاف من زناته. وأرسل نصير الدولة كتاب الفتح الى مدينة القيروان.

وفي سنة ٢٩٠، خرج نصير الدولة في طلب فلفل بن سعيد. فلما علم فلفل أنه لا طاقة له بلفائه، هرب الى الرمال، واقترب جمعه. فرجع نصير الدولة الى إفريقية، ومعه أبو البهار بن زيري. وقد اعتذر له مما فعل إخوانه؛ فقيل عذره. ثم رجع فلفل الى إطرابلس، وتمادى نصير الدولة الى أن وصل قصر الإفريقي؛ فبلغه حينئذ أن بني زيري رجعوا الى الغرب خوفاً منه، وأنه لم يبق مع فلفل منهم سوى ماكن وأينو محسن؛ فرجع نصير الدولة الى المنصورية حصرياً. وفي أول رجب من هذه السنة، خرج نصير الدولة الى رقادة، متوجهاً لقتال زيري بن عطية الزناتي أمير الغرب، لما بلغه أنه أتى الى أشير. ثم جاء الخبر برحيل زيري بن عطية الى الغرب؛ فرجع نصير الدولة الى المنصورية. وفي سنة ٢٩١، خرج نصير الدولة في طلب فلفل ثانية. ووصل كتاب يوسف بن عامر عامل قايس. يذكر فيه أن فلفلاً رحل الى إطرابلس من على قايس لستين يومين من رجب. ولما وصل فلفل الى إطرابلس، خرج اليه فتوح

ابن علي وجماعة أهلها؛ فتنقوه، وأدخلوه البلد؛ فاستوطنها من ذلك الوقت. وفي هذه السنة، وصل رسول حماد بن يوسف العزيز بالله، بذكر أنه زحف إلى عَمِّه مَأْكَسَن بن زَبْرِي ومن معه؛ فقتل مَأْكَسَن وولده مُحْسِن وباديس بعد P. ٢٦٢ حروب شديدة. * وذلك بعد ثلاث خلونَ لرمضان المعظم. وفيها، توفي زَبْرِي ابن عَطِيَّة الزَّنَاتِي، صاحب فاس والغرب كِلَه، بذلك في الثاني عشر من رمضان المذكور من السنة المؤرخة. بعد قتل مَأْكَسَن بنسعة أيام.

بعض أخبار زَنَاتِه ودولتهم بالغرب إلى حين ظهور المرابطين وذلك أَنَّ زَنَاتِه كانت تقوم بدعوة الأمويين، إلهما تقدم لهم من هجرة جدِّهم خَزَر بن صُولَات، وإسلامه على يد عثمان بن عفان - رضه - وكانت صنهاجة تقوم بدعوة العبيديين. ووقع بينهم حروب كثيرة. وقام ببلاد الغرب زَبْرِي بن عَطِيَّة الحَزْرِي المَغْرَاوِي. وملك فاساً وغيرها. وصار أمير زَنَاتِه كِلَها في ذلك الوقت. وكان يدعوا لبي أمية في دولة هشام المؤبد. إذ كان المقيم لها ابن أبي عامر حاجه. وهو يحارب أعداءه وأضداده صنهاجة أمراء إفريقية. قال ابن حمادة: وكان قد وصل إلى قرطبة. واجتمع مع ابن أبي عامر سنة ٢٧٩. وكان بأرض الغرب في خدمته من تلك السنة وموالاه مع سعة مُلِكِه ويُعد صيته، إلى أن فسد ما بينهما سنة ٢٨٧، ووقع بينه وبين المظفر حروب بضول دكرها.

قال ابن حبان: ثم إن زَبْرِي بن عَطِيَّة المَغْرَاوِي نكث على ابن أبي عامر بعد الحب الشديد، والوفاء الأكيد، وطعن على ابن أبي عامر سلبه لملك هشام. وامنعض لهشام المؤبد، وغلبه ابن أبي عامر عليه؛ فأنفذ له ابن أبي عامر وإضحاً فتاه في جيش كثيف؛ فقاومه^١ بالمغرب. ودارت بينهم حروب عظيمة. ثم أردف ابن أبي عامر بولده عبد الملك، وهبط هو إلى الجزيرة الخضراء يهدم بالقواد

^١ Blanc dans B.

والأجناد. وبرز عبد الملك من طَنْجَة الى زيرى، ودارت * بينهم حروب لم ٢٦٢ P. يسمع بمثلها في الحروب الغابرة^١. أَجَلَتْ عن هزيمة زيرى واستئصال رجاله وحاله. ونجا هو مُخْتَنًا بالجراح. وانبسط مُلْكُ عبد الملك بن أبي عامر على الغرب وما والاؤه الى سِجِلْمَاسَة، وعلى يِلْمَسان وتِيهَرْت. وقفل الى الأندلس سنة ٢٨٩. واستخلف على بلاد الغرب وإِصْحَا الغازي^٢؛ فأقام بناس مُدَّة، وانصرف الى الأندلس، وخلف على فاس عبد الله بن أبي عامر. ابن أخى المنصور؛ ثم نلاه إسماعيل بن البورى؛ ثم نلاه أبو الأحوص معن بن عبد العزيز، وبقي فيها الى أن توفى محمد بن أبي عامر؛ فصرفها ابنه عبد الملك المظفر الى المِعْز بن زيرى بن عَطِيَّة، وقد استحكمت ثقته به وحسن رأيه فيه؛ فولاه على فاس سنة ٢٩٧، على أن يعطيه المِعْزُ عِدَّةً من الخيل والسلاح، يحملها كل سنة الى قُرْطُبة؛ وقبض على ابنه المسنّى مُعَنْصَر رهنَةً. فاستقامت طاعة المِعْز، وأقام ابنه بقُرْطُبة الى أن نشأت الفتنه، وانقرضت الدولة العائرية؛ فانصرف مُعَنْصَر الى أبيه، ومضى أبوه على رأيه فى موالاة مَنْ ظهر بالأندلس من المرَوَانِيَّة، الى أن هلك بعد صَدْرٍ من الفتنه، وأورث وَلَدَهُ حَمَامَةَ مُلْكَ فاس وما والاها.

وقد ذكر الوراق ذلك، وشرحه شرحاً كافياً، وقال: لما توفى زيرى بن عَطِيَّة فى سنة ٢٩١، أقام بنو عَمِّهِ ابنه المِعْز مكانه. وذكر استجداء المِعْز للمظفر ابن أبي عامر، وإرساله اليه، ونفايد المظفر له ولاية المغرب، على ما تضمنه من خيل وسلاح وغير ذلك؛ ورهنه المِعْز وَلَدَيْهِ حَمَامَةَ وَمُعَنْصَر. وذكر موت المظفر، وتقديم أخيه عبد الرحمن لحجابه هشام المويّد، وبلغ المِعْز بن زيرى ذلك، فاحتفل فى هدية عظيمة يهديها له، وذلك سبعائة من الخيل وأحمال كثيرة من دَرَق اللَّطْ وجملة كبيرة من المال، والسلاح، وسائر ما بالمغرب * من الطَّرَف؛ ووصل قُرْطُبة مع هذه الهدية فتيان من بنى عَمِّهِ وجملة من شيوخ ٢٦٤ .

1) Correction de Dozy. A. et B.: الغابرة.

2) A. المغارى.

القبائل ووجه فاس؛ فسّر عبد الرحمن بذلك، وشكر المعز، وسرّح ابنه اليه، بعد أن كساها، وأرضاها؛ وكتب للمعز عهده بتجديد ولاية الغرب كله إلا مدينة سجلماسة؛ فإنه كان قد عقد ولايتها لواضع الفتى قبل ذلك، وولّاها واضح وأنودين بن خزرون البقرني وابن عم زيري بن قلقل على مال ضمينه اليه وعدة من الخيل والدّرقي معلومة، وجعله من المال في كل سنة. ورهته كل واحد منهما ابنه. فامثل المعز بن زيري ما أمره به عبد الرحمن بن أبي عامر. وبني المعز أمير الغرب الى أن انقرضت الدولة العايرية، ثم انقرضت الدولة المروانية وإنشئت عصا الأمة، ومرج أمر الناس بالأندلس، وصار المسلمون شيعة متفرقين، يقتل بعضهم بعضاً وينهب. وفعل أهل المغرب مثل ذلك؛ فكثرت فيه الشتات، وشن الغارات بعضهم على بعض. وأقام المعز بن زيري يداري أمره، الى أن حانت وفاته سنة ٤١٦. وولى مكانه ابنه ابو العطاء حمّامة بن المعز بن زيري بن عطية؛ وكان له حظ من المعرفة والآداب وحسن السياسة؛ فكانت مدينة فاس في أيامه هادئة راحية؛ وكان الشعراء يفصدونه من الأندلس. وجرت له حروب كثيرة الى أن حانت وفاته سنة ٤٢٢. وولى ابنه دوناس بن حمّامة؛ فقام عليه بنو عمه؛ ولم يزل أمرهم يضعف، ودولتهم تدبر، الى أن قام بمدينة فاس أميران بالعدوتين، وكانت الحرب تقوم بينهما.⁽¹⁾ وجرت بين ذلك أمور وخطوب، لا يحسن ذكرها لشاعتها، إذ الدول، إذا أدبرت، كل ما يجري فيها يفتح ذكره⁽¹⁾، الى أن شاع خبر خروج كمثونة من الصحراء، واستيلائهم على بلاد البصايدة،⁽²⁾ وخلعهم للوكم وناموس عدلم⁽²⁾، ودخل عبد الله بن * ياسين مدينة أغمات وما يليها؛ فخافت زنّانة،⁽³⁾ وأجفلت عن جهة الشرق حيث مستقرها. ولما قتل عبد الله بن ياسين، رجعت زنّانة الى المغرب، وقتلوا كل من اتهموه بالميل الى أصحاب اللثام؛ فحاربهم الصحراويون. ووجه أبو بكر بن عمر يوسف بن تاشفين؛ فحارب رؤساء القبائل، واستفتح بلاداً كثيرة⁽³⁾.

1-1) Manque dans B.

2-2) Manque dans B.

3-3) Manque dans B.

وفي خلال ذلك كان الجوع الشديد الذي يُعرَف «بسنة¹ أوقية بدرهم»
(من الدراهم الحندوسية)²، وذلك في سنة ٤٤٤. ورجع الفتوح بن معنصر
الزَّانِي من المشرق، وكسر عسكر مدينة فاس سنة ٤٥٤. وفيها كسرت مكناسة
ولواتة: كسرها قائد أبي بكر بن عمر اللموني.

وفي سنة ٤٥٤، وطئ بلجيين بن محمد بن حماد الصنهاجي جميع الغرب
ودوخه بجيوش عظيمة.

وفي سنة ٤٥٩، دخل إبراهيم بن ملبح الجزنائي مدينة فاس، وأخرج منها
معنصر بن حماد الى الشرق. ثم رجع الى فاس، وقتل كل من اتهمه بالميل الى
المسلمين. ثم رجع يوسف الى المغرب؛ وهرب معنصر. وقتل يوسف سدراتة
ودخل مدينة فاس، واستولى عليها وعلى أكثر الغرب. هاكذا ذكر أبو مروان
عبد الملك بن موسى الوراق في كتابه «المقباس في أخبار فاس». وأما
يوسف الجزنائي، صاحب مكناسة، فتوفي سنة ٤١٢. وأما توالي³، فتوفي بالقلة،
وولي ابنه مهدي في هذه السنة. وأما ابن أبي العافية إبراهيم، فتوفي في سنة ٤٥٠،
وولي ابنه عبد الله؛ وكان بنو أبي العافية أصحاب تسول وملوية ونكور، وهي
الهمزة؛ وتوفي عبد الله سنة ٤٦٠، وولي ابنه محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن
موسى بن أبي العافية. وأما تلمسان والزاب، فكان فيها يعلى الزناني، ومات

* في هذا التاريخ، أو قريباً منه، وقام فيها بنوه. وما وراء الزاب من بلاد P. ٢٦٦
الغرب، لم يملكه العباسيون قط؛ أما تلمسان وأنظارها، فولياها محمد بن سليمان
ابن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - رضه - ومن ولد أبو العيش
عيسى بن إدريس بن محمد المذكور. وأما فاس وأنظارها، فكان فيها شيعة؛ ثم
آل أمرها الى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - رضه - وأما
تامسنا، فكان فيها أولاد صالح بن طريف على ضلالتهم. وأما جيلماسة، فنزلها
عيسى بن سمغون، رئيس الصفرية. فهذه هي البلاد المتفق عليها؛ وأما المختلف

1) بسنة A.

2) الحندوسية B.

3) تولا A.

فيها، بإفريقية: قيل إنه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائراً، وبالأندلس يوسف الفهري أميراً.

رَجَعَ الْخَبَرُ إِلَى تَسْقِ النَّارِجِ. وفي سنة ٢٩٢، تُوِّفَى أَبُو طَالِبِ شَيْخِ الْمُعْتَزِلَةِ وَلِسَانُهُمْ، وَلَهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. وفي هذه السنة، كان خروج يحيى بن علي بن الأندلسي من مِصْرَ بِالْعَسْكَرِ؛ فَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى إِطْرَابُلُسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ انْتِسَاعَ خَلْوَنَ مِنْ ربيع الأول. وكان مُتَوَلِّيَ التَّدْبِيرِ فِي الْوَقْتِ زَيْدَانُ الصِّقْلِيُّ؛ فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أُمُورُ الْعَسْكَرِ مَعَ سُوءِ عَقْلِهِ، وَضَعْفِ تَدْبِيرِهِ، وَوَصَلَ إِلَى قُلْفُلٍ؛ فَاسْتَخَفَّ بِهِ، وَاحْتَفَرَهُ. وفيها، في رمضان المعظم، تُوِّفَى الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، عَلَى مَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ.

وفي سنة ٢٩٢، وَصَلَ بِحَبِيٍّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَمَعَهُ قُلْفُلُ بْنُ سَعِيدٍ، وَفَتْحُوا بَنَ عَلِيٍّ إِلَى مَدِينَةِ قَائِسٍ؛ فَحَصَرُوا عَطِيَّةَ بْنَ جَعْفَرٍ. وَخَرَجَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ إِلَى قَائِسَ عَشْرُونَ رَجُلًا مِنَ النَّاشِئَةِ؛ فَعَرَفَ بِهِمْ قُلْفُلٌ؛ فَبَعَثَ فِي طَلِيمٍ؛ فَلَمَّا أَتَى بِهِمْ، ضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ؛ وَكَانَ وَصُولُهُمْ * إِلَيْهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلْوَنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى إِطْرَابُلُسَ. وَلَمَّا رَأَى بِحَبِيٌّ بَنَ عَلِيٍّ اخْتِلَالَ الْحَالِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَجِدْ مَا يُعْطَى لِرَجَالِهِ، عَادَ بِبَيْتِهِمْ إِلَى مِصْرَ، بَعْدَ مَا أَخَذَ قُلْفُلٌ وَأَصْحَابُهُ مَا أَحْبَبُوهُ مِنْ خَبُولِهِمْ، بَيْنَ شَرَاءٍ وَغَضَبٍ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، أَرَادَ الْإِبْقَاعَ بِهِ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَفَا عَنْهُ، وَقَبِلَ عُذْرَهُ.

وفي سنة ٢٩٤، قَتَلَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْجِمَةَ الْبَكْرِيِّ بِمِصْرَ؛ وَكَانَ ضَعِيفَ الدِّقْلِ، أَحْمَقَ؛ وَكَانَ لَهُ بَصَرٌ بِالنِّضَايَا. وفيها، قَتَلَ الْحَاكِمُ جَمَاعَةً كَبِيرَةً مِنْ وَجْهِ رَجَالِهِ، وَأَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ. وفيها، قُتِلَ الْمَعْرُوفُ بَابْنِ خَرِيطَةَ. وفيها، قُتِلَ ابْنُ الْغَازِي الْمُنْجِمُ.

وفي سنة ٢٩٥، كَانَتْ بِإِفْرِيقِيَّةِ شِدَّةٌ عَظِيمَةٌ، انْكَشَفَ فِيهَا السُّتُورُ، وَهَلَكَ فِيهَا الْفَقِيرُ، وَذَهَبَ مَالُ الْغَنِيِّ، وَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ، وَعَدَمَتِ الْأَفْوَاتُ. وَجُلِيَ أَهْلُ

البادية عن أوطانهم، وَخَلَّتْ أَكْثَرُ الْمَنَازِلِ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا وَارِثٌ؛ وَمَعَ هَذِهِ الشَّدَّةِ، وَبَاءَ وَطَاعُونَ، هَلَكَ فِيهِ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ غَنًى وَمُحْتَاجٍ؛ فَلَا تَرَى مُتَصَرِّفًا إِلَّا^(١) فِي عِلَاجٍ، أَوْ عِبَادَةِ مَرِيضٍ، أَوْ آخِذًا فِي جِهَازِ مَيِّتٍ، أَوْ تَشْيِيعِ جَنَازَةٍ، أَوْ انْصِرَافٍ مِنْ دَفْنٍ. وَكَانَ الضُّعَفَاءُ يُجْمَعُونَ إِلَى بَابِ سَالِمٍ^(٢)، فَتُحْفَرُ لَهُمْ أَخَادِيدُ وَيُدْفَنُ الْمِائَةُ وَالْأَكْثَرُ فِي الْأَخْدُودِ الْوَاحِدِ؛ فَمَاتَ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالتِّجَارِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ مَا لَا يَحِصِي عَدَدُهُمْ^(٣) إِلَّا خَالِقُهُمْ تَعَالَى^(٤)؛ وَخَلَّتِ الْمَسَاجِدُ بِمَدِينَةِ الْفَيَّرَوَانِ، وَتَعَطَّلَتِ الْأَفْرَانُ وَالْحَمَّامَاتُ. وَكَانَ النَّاسُ يُوقِدُونَ أَبْوَابَ بَيْوتِهِمْ وَخُشُبَ سَفُوفِهِمْ. وَجَاءَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ وَالْبَادِيَةِ إِلَى جَزِيرَةِ صِفْلِيَّةٍ. وَكَانَتِ الرُّمَانَةُ بِدِرْهَمَيْنِ لِلْمَرِيضِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَالْفَرُوجُ بِثَلَاثِينَ دِرْهَمًا. وَقَبْلَ إِنْ أَهْلَ الْبَادِيَةِ أَكَلَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٥). كَذَا ذَكَرَ * أَبُو إِسْحَاقَ ٢٦٨ الرَّقِيقِيُّ^(٦).

وَفِي سَنَةِ ٢٩٦، كَثُرَ الْخَصْبُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ، وَرَخِصَتْ الْأَسْعَارُ، وَارْتَفَعَ الْوَبَاءُ عَنِ النَّاسِ. وَفِيهَا، ثَارَ بَرَقَةُ الْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، وَادَّعَى أَنَّهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ وَلَدِ الْمُغِيرَةِ؛ وَكَانَ ظَهُورُهُ فِي الْعَامِ الْفَارِطِ عَنْ هَذِهِ؛ وَكَانَ مُعَلِّمًا بَرَقَةً؛ فَرَأَى فِي أَهْلِ بَرَقَةٍ فُرْصَةً؛ فَانْتَسَبَ لَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ عِنْدَ رَوَايَاتٍ وَعِلْمًا، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ مِصْرَ وَيَقْتُلُ الْجَبَّارَةَ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ لَوَانَةِ وَزَنَانَةِ؛ فَنَصَبُوهُ إِمَامًا، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ الْبُرَابِرَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهِ؛ فَزَحَفَ إِلَى بَرَقَةٍ وَحَاصَرَهَا حَتَّى فَتَحَهَا، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنَ الْعَامِ الْفَارِطِ؛ ثُمَّ قَوَّى أَمْرَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ؛ فَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ إِلَيْهِ جَيْشًا؛ فَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ، إِلَى أَنْ هُزِمَ عَسْكَرُ مِصْرَ وَقُتِلَ قَائِدُهُ. وَفِيهَا، تُوَفِّيَ عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَرَبِ. وَفِيهَا، قَتَلَ الْحَاكِمُ قَاضِيَهُ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ عَلَى أَكْلِهِ أَمْوَالِ الْإِيْتَامِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٩٧، اسْتَفْعَلَ أَمْرُ الثَّائِرِ بَرَقَةُ الْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ

1) B. بدا.

2) Manque dans B.

3-3) Manque dans B.

4-4) Manque dans B.

وَأَتْبَاعُهُ. فَأَخَذَهُ الْحَاكِمُ بِالْحَبْلَةِ؛ فَدَعَا وَجْهَ رَجَالِهِ وَقُوَّادِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكَانِيَهُ
وَيَعْرِفُوهُ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِ، وَأَنَّهُ، إِنْ قَرِبَ مِنْهُمْ، صَارُوا فِي جَمْلَتِهِ. فَلَمَّا تَوَاسَر
ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَثَقَّ بِهِ وَزَحَفَ بِكُلِّ مَنْ مَعَهُ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرَبَرِ إِلَى مِصْرَ؛ فَخَرَجَتْ
إِلَيْهِ عَسَاكِرُ مِصْرَ؛ فَهَزَمُوهُ؛ وَلَحَقَ بِأَرْضِ السُّودَانِ. ثُمَّ أَخَذَ أَسِيرًا وَأُدْخَلَ
مِصْرَ عَلَى جَبَلٍ؛ فَطِيفَ بِهِ بِثِيَابٍ مُشَهَّرَةٍ؛ ثُمَّ قُتِلَ شَرًّا قِتْلَةً فِي مَنَاصِفِ شَوَّالٍ.
وَفِيهَا، وَلِي عِمَالَةَ إِفْرِيْقِيَّةِ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْعَرَبِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ؛ فَأَفَرَّ
رَجَالُهُ عَلَى عَرَاتِهِمْ، وَاسْتَعَانَ بِهِمْ.

وَفِي سَنَةِ ٢٩٨، تُوُفِّيَ صَاحِبُ الْمَظَالِمِ بِإِفْرِيْقِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ وَكَانَتْ
وَطَنَاتُهُ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى أَهْلِ الرِّيبِ وَالْفَسَادِ بِالضَّرْبِ وَالْقَتْلِ وَقَطْعِ الْأَيْدِي
وَالْأَرْجُلِ، لَا تَأْخُذُهُ فِيهِمْ لَوْمَةٌ لَاغَمٌ.

وَفِي سَنَةِ ٢٩٩، هَرَبَ أَوْلَادُ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْعَرَبِ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ، يَرِيدُونَ
فُلْفُلَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ خَزْرُونَ الزَّنَاتِيَّ بِإِطْرَابُلُسَ؛ فَأَرْسَلَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ إِلَى
صَاحِبِ قَائِسَ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَقْطَعَ بِهِمْ؛ فَلَحَقَ بِهِمُ الْمَذْكُورُ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ عَلِيًّا
وَبُيُوسُفَ؛ فَقَطَعَ رُؤُوسَهُمَا وَوَجَّهَهُمَا إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ مُنْسَلَخَ الْحَرَمِ. وَوَصَلَ الْقَاسِمُ
بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَعَفَا عَنْهُ.

وَفِي سَنَةِ ٤٠٠، تُوُفِّيَ فُلْفُلُ بِإِطْرَابُلُسَ بَعْلَةً أَصَابَتْهُ. وَوَلِي مَكَانَهُ أَخُوهُ^١
وَرُو، وَأَطَاعَتْهُ زَنَاتُهُ. وَفِيهَا، رَجُلٌ أَبُو مَنَادٍ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ بِعَسَاكِرِ عَظِيمَةٍ إِلَى
إِطْرَابُلُسَ فِي طَلَبِ زَنَاتِهِ؛ فَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى ظَاهِرِ إِطْرَابُلُسَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَسَبْعِ
خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ؛ فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِمَسْرُورِينَ، دَاعِيِينَ، مُسَبِّحِينَ؛ فَضُرِبَتْ لَهُ
فَسَاطِيطُ الدِّيَابِاجِ وَالْقِيَابُ الْجَلِيلَةُ؛ وَنَزَلَ؛ فَأَخَذَ النَّاسَ رِيحًا عَظِيمًا خَرَّقَ جَمِيعَ
الْمُضَارِبِ وَمَزَّقَهَا وَذَهَبَ بِهَا. وَدَخَلَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ إِلَى قِصْرِ فُلْفُلٍ. وَجَاءَتْ
رُسُلُ وَرُو بْنِ سَعِيدٍ أَخِي فُلْفُلٍ رَاغِبَةً فِي الْأَمَانِ وَالْعَفْوِ. فَعَفَا عَنْهُمْ، وَأَشْهَدَ
بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ؛ ثُمَّ صَدَرَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ ظَافِرًا. وَوَصَلَ النِّعَمُ بْنُ كُنُونٍ وَطَائِفَةٌ

1) Manque dans A.

معه الى المنصورية؛ فأعطاهم نصير الدولة، وأفضل عليهم أتمّ الإفضال، وأمر
للنعم بالبنود والطبول والبراذين والسروج، وصرفه الى البلاد التي أعطاه،
وقاعدتها قسطنطينية؛ فأقام بها ملكاً بالطبول والبنود والحجش.

وفي سنة ٤٠١، كان موت عزم بن زيري بن مناد بالقيروان. وفيها، توفي
القائد جعفر بن حبيب. وفيها، أمر الحاكم بأمر الله بالحسين بن جوهر قائد
القواد وصهره القاضي على مصر عبد العزيز بن محمد بن النعمان؛ فقتلا جميعاً
في وقت واحد. وفي شوال من هذه السنة، خالف ابن جراح على الحاكم بأمر
الله،^١ وبعث رساله الى أمير مكة يستدعيه للخلاف عليه معه، فخالف^١؛ ونسب
بأمر المؤمنين. وتابعه على ذلك أهل مكة وبنو عمه وغيرهم؛ وتنادى أمرهم P. ٢٧٠
على ذلك بقية هذه السنة. وفيها، رجع أهل مصر ومن كان معهم من المغاربة
وغيرهم برسم التوجه الى مكة - زادها الله تكريماً وتشريفاً! - وذلك عند وصولهم
للقنزم بلغهم ما فعل ابن جراح وأبو النُتُوح الحسن بن جعفر بن محمد؛ فلم
يُحْجَّجْ منهم أحد؛ ولم يُحْجَّجْ في هذه السنة أحد من الشام، ولا العراق، ولا
خراسان، ولا سائر الآفاق، إلا أهل اليمن ونفر يسير ممن كان بمكة مجاوراً.
وفي سنة ٤٠٢، قدم المنصورية خزرون بن سعيد بن خزرون الزناني،
أخو قنزل المتقدم ذكره. وكان سبب وصوله اختلاف جرى بينه وبين أخيه ورؤ؛
فنصد الى نصير الدولة؛ فقبله أحسن قبول؛ وكان معه نحو سبعين فارساً من
زناتة؛ فأنزلهم وأحسن إليهم؛ ثم، بعد ذلك بأيام، أعطاه مدينة؛ فخرج اليها
بالبنود والطبول.

وفي سنة ٤٠٣، وصل الى المهديّة مركب فيه هدية جليّة من الحاكم الى
نصير الدولة باديس صاحب إفريقية، وإلى ولد منصور عزيز الدولة. فتلّفاهما
المنصور مع أهل القيروان على قصر الماء بالبنود والطبول؛ ووصلت سحلات
منه الى نصير الدولة بإضافة برقة وأعمالها اليه. وفيها، توفي أبو الحسن القاسبي،

الفقيه العالم. وفيها، عزل نصير الدولة يوسف بن أبي حيموس الصنهاجي عن أمر الجيوش وغيرها. وفيها، توفي مقرج بن الحجاج ببلاد الشام، وتبقى أولاده مكانه. وفيها، عاد صاحب مكة إلى طاعة الحاكم، وهو الحسن بن جعفر المتقدم الذكر، الذي قام بها. ودعا لنفسه، وتسمى بأمر المؤمنين الراشد بالله، ثم باب مما فعل في هذه السنة، وصعد المنبر، وتبرأ مما كان ادعاه، وكتب بذلك إلى الحاكم بأمر الله؛ فقبل منه، وأخذ إليه أموالاً عظيمة، وأمر الناس أن يسافروا إلى مكة بالطعام وسائر المرافق.

وفي هذه السنة، ظهر بإفريقية ثائر اسمه عبد الله بن الوليد بن المغيرة؛ وكان خائلاً^١، مستغلاً بالتعليم؛ ثم دعا إلى نفسه؛ فأخذ وسيق إلى القيروان مع صاحب له. وحمل على جمعين، وطيف بهما؛ ثم ضربت أعناقهما، ورُفعا؛ فضلما. ووجدت عنده خريطة فيها كتاب بخط يده لبعض أشياخ القبائل، يقول فيها: «من عبد الله، أبي محمد الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، إلى فلان» ثم يذكر له أن نام أمره وظهوره يكون بكنامة، ويأمره أن يتلقاه في أول صفر من سنة ٤٠٤. فإنها آخر دولة صنهاجة، وبها تنقطع دولتهم. فتمكن منه صنهاجة كما ذكرنا.

وفي سنة ٤٠٤، وصل سجيل من الحاكم إلى نصير الدولة، يذكر فيه أنه جعل ولاية العهد في حياته لابن عمه أبي القاسم عبد الرحمن بن إلياس. فقرأ بجامع القيروان والمنصورية، وأثبت اسمه مع اسم الحاكم في البُود^٢ والسكة. فعظم ذلك على نصير الدولة، وقال: «لولا أن الإمام لا يعترض على تدبير، لكانتسبه ألا يصرف هذا الأمر من ولده إلى ابن عمه!»

وفي سنة ٤٠٥، أخرج نصير الدولة هدية جليلة إلى الحاكم، وشيعة بالطبول والبُود عن المنصورية؛ فوصلت إلى المهديّة، وركب البحر بها يعلى بن قرّج. وكان فيها مائة فرس ولها سروج محلاة شئت في ثمانية عشر حملاً أقفاصاً؛

١) A. مستتراً. ٢) B. ajoute .

وكان فيها ثمانية وعشرون حملاً من الحَزْ والسَّمُور والمَتَاع السُّوسِي المَذَهَّب
النَّفِيس، وعشرون وصيفة^١ بارعة الجمال^١، وعشرة من الصَّفاليَّة، وغير ذلك.
وَوَجَّهَت السَّيِّدَةُ أُمُّ مَلَّال أُخْتُ نَصِير الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيِّدَةِ أُخْتِ الْحَاكِمِ هَدِيَّةً
أَيْضاً. وَلَمَّا وَصَلَتْ نَلَكَ الْهَدَايَا إِلَى جِهَةِ بَرْقَةِ، أَخَذَهَا الْعَرَبُ، وَهَرَبَ بِعَلَى
ابْنِ فَرَجٍ، وَأَسْلَمَهَا بِجَمِيعِ مَا فِيهَا.

وفيها، نَادَى مُنَادٍ فِي الْفَيَّرَوَانِ بِانْتِقَالِ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ فِيهَا مِنَ الصِّمَّهَاجِيِّينَ
إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ. ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِغْلَاقِ الْحَوَانِيتِ بِالْفَيَّرَوَانِ P. ٢٧٢
وَفَنَادِقِهَا، فَأُعْلِقَتْ، وَلَمْ يَسْبِقْ بِهَا إِلَّا بَعْضُ حَوَانِيتِ الْأَحْبَاسِ. وَبَلَغَ كِرَاءُ
حَانُوتِ الْمَنْصُورِيَّةِ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ لِبَيْعِ الْكُتَّانِ؛ وَمَا سُمِعَ بِذَلِكَ فِي كِرَاءِ حَانُوتِ
بِالْفَيَّرَوَانِ؛ فَكَانَ ذَلِكَ^٢ أَوَّلَ أَسَابِ^٢ خَرَابِهَا.

وكان الحَاكِمُ لَقَبُ الْمَنْصُورِ بْنِ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ بِعَزِيزِ الدَّوْلَةِ؛ وَفُرِيَ سِجْلُهُ
بِذَلِكَ؛ فَأَرَادَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ أَنْ يُرَشِّحَهُ، وَيُضَيِّفَ إِلَيْهِ أَعْمَالاً بِسُخْدِيمِ فِيهَا أَتْبَاعَهُ
وَصَنَائِعَهُ. وَكَانَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ اتَّصَلَ بِهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيْفِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ هُنَاتُ
أَنكَرَهَا عَلَيْهِ؛ فَأَرَادَ اخْتِبَارَهَا؛ فَكَتَبَ كِتَاباً إِلَى حَمَّادٍ بِأَمْرِ فِيهِ بِتَسْلِيمِ عَمَلِ أَبِي
رَغَبٍ قَصْرَ الْإِفْرِيقِيِّ وَمَدِينَةَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى مُسْتَخْلَفِ عَزِيزِ الدَّوْلَةِ؛ وَكَانَ قَدْ
خَلَعَ عَلَى هِشَامِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَأَعْطَاهُ الطُّبُولَ وَالْبَنُودَ، وَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى هَذَا
الْعَمَلِ؛ فَخَرَجَ بِحِزَائِنٍ وَعُدَدٍ جَلِيلَةٍ. وَبَعَثَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيْفِ
الْعَزِيزِ بِاللَّهِ يَشَاوِرُهُ عَلَى مَنْ يَضِي بِكِتَابِهِ إِلَى حَمَّادٍ؛ فَتَسَرَّعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْمَسِيرِ
بِالْكِتَابِ بِنَفْسِهِ، وَقَالَ: «لَا يَجِدُ مَوْلَانَا عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَنْهَضَ بِخِدْمَتِهِ مِنِّي!»
وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ، وَأَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ الْمَوَاتِيقَ أَنَّهُ لَا يُقِيمُ فِي مَضِيهِ وَعُودِهِ إِلَّا أَقَلَّ
مِنْ عَشْرِينَ يَوْمًا؛ فَأُشِيرَ عَلَى نَصِيرِ الدَّوْلَةِ مَنْ يَقْرُبُ مِنْهُ بِأَنْ يَعْتَقَلَ إِبْرَاهِيمَ.
وَلَا يَدَّعُهُ إِلَّا بِرَيْدٍ مِنَ السَّفَرِ. حَتَّى بَرَى مَا يَكُونُ مِنْ طَاعَةِ أَخِيهِ حَمَّادٍ
وَمُسَارَعَتِهِ إِلَى مَا يَأْمُرُهُ بِهِ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ؛ وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: «امْضِ إِلَى

1-1) Manque dans A.

2-2) A. سبب.

أخيك حمّاد. فَإِنْ صَدَقْتَ فَمَا قُلْتَ، وَوَقَّيْتُ بِمَا وَعَدْتُ، وَإِلَّا فافْعَلَا مَا أَرَدْتُمَا!» وخرج إبراهيم بن سيف العزيز بالله بماله ورجاله وجميع ذخائره، ولم يَعْثُ في ذلك عائق من نصير الدولة وإِلَّا فَقَدْ كَانَ خُرُوجُهُ بِأَنْفَالِهِ وَجَمَلَةِ رَجَالِهِ دَلِيلًا عَلَى خِلَافٍ مَا أَظْهَرَ؛ وَكَانَ خُرُوجُهُ فِي شَوَّالٍ؛ وَصَحْبَهُ هَاشِمُ بْنُ جَعْفَرٍ؛ ثُمَّ أَحْسَنَ هَاشِمٌ أَنَّهُ سَبَّغْدَرُهُ إِذَا قُرِبَ مِنْ أَخِيهِ؛ فَاعْتَذَرَ لَهُ أَنَّ حَاجَةً بَقِيَتْ لَهُ رِبَاجَةً، وَعَدَلَ إِلَى طَرَفِهَا، وَوَعَدَهُ أَنْ يَلْحَقَهُ سَرِيعًا. فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ غَدْرِهِ. وَمَضَى إِبْرَاهِيمُ حَتَّى وَصَلَ تَامُذِيَّتَ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ؛ فَهَضَمَ إِلَيْهِ حَمَّادٌ فِي عَسَاكِرِ عَظِيمَةٍ؛ وَاجْتَمَعَتِ كُلِّمَتُهُمَا، وَخَلَعَا أَيْدِيَهُمَا مِنَ الطَّاعَةِ.

وَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى نَصِيرِ الدَّوْلَةِ؛ فَرَحَلَ فِي آخِرِ ذِي حِجَّةٍ، وَنَزَلَ بِرَقَّادَةٍ، وَوَضَعَ الْعِطَاءَ لِعَسَاكِرِهِ، وَأَخْرَجَ عِيَالَهُ وَأَنْفَالَهُ وَأُخْتَهُ السَّيِّدَةَ أُمَّ مَلَّالٍ، وَأَوْلَادَهُ، وَعَبِيَّهُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَرَحَلَ فِي السَّابِعِ مِنْهُ. وَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَى يَوْسُفَ بْنِ أَبِي حَبُوسٍ وَإِخْوَانِهِ؛ فَقَبِضَ عَلَيْهِ. وَكَانَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ لَمْ يَمُضِ لَهُ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا جَدَّدَ عَلَيْهِ كَرَامَةً وَإِحْسَانًا، وَلَا كَانَ يَهْدِي إِلَيْهِ فَرَسٌ أَوْ ثَوْبٌ مِنْ ثِيَابِ الْخِلَافَةِ إِلَّا أَثَرَهُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ، مَعَ (١) مَا حَمَلَ لَهُ (٢) مِنَ الضِّيَاعِ وَالرِّبَاعِ بِكُلِّ كُورَةٍ مِنْ كُورِ إِفْرِيقِيَّةٍ. وَمَا زَالَ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ، وَيَزِيدُ فِي التَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِ، حَتَّى نَالَ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مَا لَمْ يَنْلَهُ بِعِيدٍ وَلَا قَرِيبٍ، (٣) وَسَمَا مِنْ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ مَا لَمْ يَسْمَعْ لَهُ حَمِيمٌ وَلَا نَسِيبٌ (٤). وَكَانَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ الْفَتْكَ بِالْأَمِيرِ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ. وَإِنَّمَا هُمْ بِذَلِكَ مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ؛ فَلَمْ يُعْنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، (٥) بَلْ خَيَّبَ سَعْيَهُ.. وَرُدَّ فِي نَحْرِهِ بِغْيُهُ (٦). فَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ؛ فَقَبِضَ عَلَيْهِ. وَكَانَ فِي قَبْضِهِ عَلَيْهِ مَا أَوْهَنَ اللَّهُ بِهِ كَيْدَ الْأَعْدَاءِ، (٧) وَخَيَّبَ آمَالَهُمْ، وَأَضَلَّ أَعْيَالَهُمْ (٨). وَرَحَلَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ ثَانِي عِيدِ الْأَضْحَى بِعَسَاكِرِهِ لِحَمَّادِ الْمَذْكُورِ. وَفِي سَنَةِ ٤٠٦، فِي صَدْرِ الْحَرَمِ، وَصَلَ عِزْمٌ وَفُلُّلٌ ابْنَا حَسُونِ بْنِ سَنُونِ،

1-1) B. ما أعطاه.

2-2) Manque dans B.

وماكسن بن بُلُقَيْن، وعدنان بن مُعَصَّم في عدوة من الفرسان من عسكر حماد.
 فخلع عليهم، وأحسن اليهم. وما زال نصير الدولة * يرحل مرحلة بعد مرحلة P. ٢٧٤
 الى أن وصل الى تامديت. ثم وردت عليه الأخبار بوفاة ولده المنصور عزيز
 الدولة؛ وذلك أنه كان في حين حركته الى المهديّة عرضت له حمى، وظهر
 به جذري؛ فأقام سبعة عشر يوماً. وتوفي. فكتم عن نصير الدولة أمره خوفاً أن
 يبدو منه جرّع، يكون فيه وهناً على الدولة فيما هو بسيله من مقابلة عدوه. فبلغ
 خبره إبراهيم وحماداً؛ فبعثنا اليه، وقالاه: «إنّ ولدك، الذي طلبت له ما
 طلبت، قد توفي!» فما ضعّضه ذلك، ولا أوهنه^(١)؛ وكتب الى السيّد يسألها
 عن ذلك^(٢). فورد كتابها بوفاته والتعزية عنه، وتصف سلامة المعز حسن
 حاله. فكان من صبر نصير الدولة وحسن عزائه ما كثر التعجب به. وجلس
 مجلساً عاماً للعزاء؛ فكان لا يرى من أحد جزعاً وبكاء إلا سلاه وهون عليه؛
 فراد ذلك سروراً لأوليائه وكمداً لحسنته وأعدائه.

ثم رحل من تامديت لست خلون من صفر، ونمادى رحيله الى أن وصل
 المهدية، وهي مدينة البسيطة؛ فتلقاه أهلها داعين شاكرين على ما منّهم من
 العدل والأمان، وكشف عنهم من الجور والعدوان. فأقام بها ستة أيام. ثم
 رحل؛ فعبر وادي شاف؛ ثم نمادى مشيه حتى قرب من عساكر حماد وجنوده
 من زناتة وغيرهم في العدوّة الأخرى من الوادي. فبات على تحفظ واحتراش.
 ولما كان في غد نزوله، برز في عساكره، ومشى عليها، ورتبها، وأقام كلّ قائد
 من قوّاده في مركزه. وقد تقارب الفريقان، وتراعى الجمعان؛ فهزم حماد،
 وانتهب عسكره. فقبل إنّ الذي انتهب من الدرق عشرة آلاف درقة. وكان
 اشتغال العساكر النصيرية برفع الغنائم والأموال والأنفال سبباً لنجاة حماد
 المذكور، إنتركهم اتباعه. وأخذ الناس من الأموال والغنائم ما لا يحصى عدداً
 * وكثرة؛ ووجد رُفعتان فيهما: «إنّ الذي عند القائد فلان صندوق فيه ٢٧٥

خمسون ألف دينار وسبعمئة، ومن الورق ألف ألف وخمسمئة ألف درهم،
ومن الأمينة خمسون صندوقاً»، غير ما كان في بيت حماد وخزائنه. قال ابو
إسحاق: وَجَدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ بَغْلٌ يَسُوقُهُ؛ فَتَشَّهُ بَعْضُ الْوُضَّانِ بَيْنَ أَيْدِينَا؛
فَوَجَدَ فِي حَشْوِ بَرْدَعَتِهِ وَصُوفِهَا ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِينَارٍ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً.
وَعَرَّضْتُ لِي آيَاتٍ^(١) بَعْدَ أَنْ صَعَدْنَا مِنَ الْوَادِي، وَقَدْ لَقِينَا بِهِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً،
غَيْرَ أَنَّ حَلَاوَةَ الظَّنِّ وَالنَّوْزَ بِالسَّلَامَةِ أُنْسَى ذَلِكَ؛ وَهِيَ [بَسِطُ]:

لَمْ أُنْسَ يَوْمًا بِشَلْفِ رَاعٍ مَنَظَرَهُ	وَقَدْ تَضَايَقَ فِيهِ مُلْتَفَى الْحَدَقِ
وَالْحَبْلُ تَعَبُرُ بِالْهَامَاتِ خَائِضَةً	مِنْ سَافَحِ الدَّمِ مَجْرَى قَانِي الْفَلَقِ
وَالْبَيْضُ ^(٢) فِي ظُلُمَاتِ النَّفْعِ بَارِقَةً	مِثْلَ النُّجُومِ تَهَاوَتْ فِي دُجَى الْغَسَقِ
وَقَدْ بَدَأَ مُعَلِّمًا بِأَدِيسُ مُشْتَهَرًا	كَالشَّمْسِ فِي الْمَجْوِ لَا يَجْفَى عَنِ الْحَدَقِ
وَإِنِّ رَاحَتَهُ لَوْ فَادَحَ نَائِلُهَا	وَبِأُسْهَا فِي الْوَرَى أَشْفَوُا عَلَى الْغَرَقِ
تَجَلَّوْا عِمَامَتَهُ الْحِمْرَاءَ غُرَّتَهُ	كَأَنَّهُ قَمَرٌ فِي حُمْرَةِ الشَّفَقِ
أَوْصُورَ الْمَوْتِ شَخْصًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ	«أَبُو مَنَادِ تَبَدَّى» مَاتَ مِنْ فَرَقِ

وَأَصْبَحَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْبَيْتَيْنِ خَلْتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى؛ فَبِعَثَ فِي
طَلَبِ حَمَّادِ بْنِ بَادِيسِ بْنِ سَيْفِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ؛ وَقَدْ نَحَصَّنَ فِي الثَّلَاثَةِ مَعَ أَخِيهِ؛
فَاقَامَا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى اسْتَرَاخَا وَأَرَاخَا دَوَابَّهَا وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا. فَعَرَّفَهُ
إِبْرَاهِيمُ بِحَاجَتِهِ^(٣) إِلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَلْحِ؛ فَخَرَجَ حَمَّادُ فِي جَمِيعٍ مَنِ كَانَ
مَعَهُ وَمَعَ أَخِيهِ؛ فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى دَخَلَ مَدِينَةَ دَكْمَةَ^(٤)؛ وَقَدْ كَانَ نَفَمٌ عَلَى أَهْلِهَا؛
وَكَانَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ فِي أَثَرِهِ؛ فَتَنَصَّيْحَ أَهْلُ الْمَوْضِعِ بِسَاقَتِهِ؛ فَاعْتَرَضَهُمُ بِالسَّيْفِ،
وَقَتْلَ مِنْهُمْ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي تَوْبَةَ * فَقَبِيَهُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ
وَصَالِحُهَا؛ فَخَوْفَهُ بِاللَّهِ، وَوَعظَه، وَقَالَ لَهُ: «يَا حَمَّادُ! إِذَا لَاقَيْتَ الْجَمْعَ
هَرَبْتَ مِنْهَا؛ وَإِنْ قَامَ مَتَكَ الْجَبُوشُ، فَرَرْتَ عَنْهَا! وَإِنَّمَا قُدْرَتُكَ وَسُلْطَانُكَ عَلَى

١) ركة. ٢) A. ٣) B. بالاحتياج. ٤) B. والتبع. بعد انصرافنا. 1)

أسير يكون في يديك، لا ناصر له عليك!» فلما سمع كلامه، أمر بضرب عنقه.
ووقف إليه شيخ صالح منها، فقال له: «يا حماد! اتق الله! فإن حُجِّبَتْ
حُجَّتَيْنِ!» فقال له: «أنا أريدك عليهما الشهادة!» وأمر به؛ فضربت عنقه.
ووقف إليه جماعة من التجار المسافرين؛ فقالوا له: «نحن قوم مغرباء، ولا
ندري ما جنى أهل هذه المدينة عليك!» فقال لهم: «اجتمعوا وأنا أُعَرِّفُكُمْ!»
ودخل معهم غيرهم ممن طمع في الخلاص معهم. فلما وصلوا إليه، أمر بهم؛
فضربت رقابهم أجمعين. وأخذ جميع ما كان بتلك المدينة من طعام ومُخ،
وعاد به إلى قلعته.

وَأَمَّا نَصِيرُ الدَّوْلَةِ، فَيَوْمَ هَزِيمَةِ حَمَّادٍ، أَخْرَجَ بَكَّارٌ مِنْ جَلَالَةِ الْوُلُكَّانِي^١،
وكان قد أخذه أسيراً؛ وكان بَكَّارٌ كثيراً ما يَنْطَلِقُ به لسانه. وكان يوسف بن
أبي حُبُوسٍ مُعْتَقِلاً أيضاً عند نَصِيرِ الدَّوْلَةِ؛ فَأَخْرَجَ بَكَّارٌ بِحَضْرَةِ يَوْسُفَ، وَحُلِقَتْ
لِحْيَتُهُ، ويوسف ينظر إليه؛ ثُمَّ أَمَرَ: فَحُلِقَتْ لِحْيَةُ يَوْسُفَ؛ فَصَارَا مُثَلَّةً فِي الْعَانَمِ.
قال الرَّفِيقُ: لِمَا عَيْنَا يَوْسُفَ، وَقَدْ حُلِقَتْ لِحْيَتُهُ، تَحَدَّثْنَا سِرّاً بَيْنَنَا، وَقُلْنَا:
«قَدْ كُنَّا نَرْجُو لِيَوْسُفَ الْحَيَاةَ، لِأَنَّ الْمُلُوكَ تَعْفُو بَعْدَ الْعُقُوبَةِ! وَأَمَّا الْمَثَلَةُ، فَمَا
نَرَى أَنَّ بَعْدَهَا إِقْدَاءٌ!» فَلَمَحْنَا نَصِيرَ الدَّوْلَةِ وَقَالَ: «مَا خُضْتُهَا فِيهِ؟»
فَصَدَّقْنَاهُ سِرّاً؛ فَقَالَ: «مَا أَبْعَدُهَا!»^٢ وبعد ثلاث، أمر بإحضاره؛ فعَدَّدَ
عليه نَسَاوِي أَعْمَالِهِ وَقَبَائِحَ أَعْمَالِهِ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ؛ فَجُدِّعَ أَنْفَهُ، وَقُطِعَتْ أُذُنُهُ، وَرُفِعَ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ. ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهِ؛ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ جَمِيعاً. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى مَوْضِعِ اعْتِقَالِهِ؛
فَبَاتَ مُشَحَّطاً فِي دِمَائِهِ. فَحَكِيَ بَعْضُ الْحَرَسِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَرْغَبُ أَخَاهُ أَنْ يَذْبَحَهُ
وَيُرِيحَهُ، * خِيفَةَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ الْعَدْرِ وَيُزَادَ فِي عَذَابِهِ أَمَامَ أَعْدَائِهِ؛ فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ: P. ٢٧٧
«إِصْبِرْ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ!» فَقَالَ لِبَعْضِ الْحَرَسِ: «خُذْ بِيَدِي أَخْرِجْ
لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ!» فَأَخَذَ يَدَهُ، وَوَقَفَ؛ فَضْرِبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً بِجَهَنَّةٍ فِي عَمُودٍ؛
فَذَرَتْ مِنْهَا عَيْنَاهُ، وَجَرَى دِمَاعُهُ، وَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ مَيِّتاً.

1) Vocalisation fournie par B.

2) أَنْتَدَمَّا أ.

ورحل نصير الدولة من وادي شلف. قال الرقيق: ومن عجيب ما سَمِعْنَاهُ
عن مناخ وادي شلف أن شيخاً كبيراً من البربر حدثنا أنه يُعرف بِوادي^١
البحن؛ وأخذ يذكر لنا مَنْ هُزِمَ فيه وَمَنْ قُتِلَ فيه من مُلُوك زَنَانِه. وكُنَّا على
ظَهْر الطريق؛ فَلَمَّ نَكْتُبْ ذلك، الى أن قال: آخِرُ مَنْ مات فيه زيري بن
عَطِيَّة، وآخِرُ مَنْ هُزِمَ فيه حماد؛ وبه قُتِلَ يوسف بن أبي حبوس، وحُيِّلَ
منه مُعَادِلًا لِأَخِيهِ وَرِجْلَاهُ بِأَدِينَانٍ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَدُفِنَ هُنَاكَ.

وفي هذه السنة، مات وَرُو بن سعيد في سُوَال؛ فاختلفت كَلِمَةُ الزَّانَتَيْنِ،
ومالت فَرْقَةُ مع خَلِيفَةِ بن وَرُو، وفَرْقَةُ مع خَزْرُون، ابْنِ عِمَةٍ. وَأَوْقَعَ اللَّهُ
فيهم الشَّاتَ.

ذكر وفاة نصير الدولة باديس بن المنصور

لما كان يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذي القعدة، أمر بالتَّيْمِيزِ؛ فبرز كلُّ
فائد في عَسْكَرِهِ. وجلس نصير الدولة في القبة وأمر أيوب بن يَطُوفَت بالطواف
على العساكر وحسابها؛ وانتظره حتى فرغ من حسابها وَعَدَّهَا؛ فجاءه؛ فعرفه
بما سَرَّه وأبْهَجَه. وانصرف الى قصره. ثم ركب عَشِيَّةَ هذا اليوم، وهو قد تناهى
إقبالاً، واستوى حُسْنًا وَجَمَالًا. فلعبوا بين يَدَيْهِ. فكلُّها هَزَّ رُفْحًا، كَسَرَهُ وأخذ
غَيْبَهُ. ثم عاد الى قصره أَفْسَحَ ما كان أَمَلًا، وَأَشَدَّ سُورًا وَجَدَلًا؛ فَطَعِمَ وَشَرِبَ
P. ٢ مع خَاصَّتِهِ وَقَرَابَتِهِ؛ فَعَايَنُوا مِنْ طَرَفِهِ ما لم * يَعْهَدُوهُ مِنْهُ. فلما مضى نحو النصف
من ليلة الأربعاء انقضاء ذي القعدة، قضى نَحْبَهُ - رحمه الله!

وَبُعِثَ في الوقت الى حبيب بن أبي سعيد، وباديس بن حَمَامَةَ، وأيوب
ابن يَطُوفَت. فَأُعْلِمُوا بِوَفَاتِهِ خَاصَّةً من بين جميع صُنْهَاجَةٍ وَغَيْرِهِمْ؛ فانصرفوا
على أن يَكْتُمُوا أَمْرَهُ حَتَّى يَجْتَمِعَ رَأْيُهُمْ؛ وَأَصْبَحَ وَجُوهُ الْعَسَاكِرِ لِلسَّلَامِ على عَادَتِهِمْ،
وليس عندهم خَبْرٌ؛ وقد عزموا أن يُعْرِفُوا النَّاسَ أَنَّهُ أَخَذَ دَوَاءً؛ وَتَقَدَّمُوا الى

سائر قُواد العساكر أن يحضروا بعدتهم؛ فقد بَلَغَهُم أَنَّ حَمَاداً يضرب في
المحلة؛ فاشعروا أن خرج الخبر من مدينة المهدية بوفاة السلطان، وأنهم أغلقوا
أبوابهم، وصعدوا على أسوارهم. فظهر ما لم يستطيعوا إخفاءه؛ فكأنها نُودِيَ في
الناس بإشاعته؛ فاضطربت العساكر، وماج بعضهم في بعض، وخشوا من
اختلاف الكلمة؛ فاجتمع رأيهم على تقديم كرامة؛ فأخذ عليهم العهود، وأمر
بالكتب إلى بعض البلاد. فلما رأى ذلك عبيدُ نصير الدولة،^(١) ومن انضاف
إليهم من سائر الحشم^(٢)، أنكروا ذلك، وقالوا: «إننا قدّمناه لبحوط الرجال
ويحفظ الأموال، حتى يدفع ذلك إلى مستحقه المِعزّ ابن مولانا نصير الدولة!»
ومشى ليلاً بعضهم إلى بعض، وتحالفوا على بيعه المِعزّ. فلما تمّ لهم ما عقدوه،
أعلنوا به يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة. وتحالفت العساكر على ذلك
طائفة بعد طائفة، وأنفقت آراؤهم على خروج كرامة إلى أشير ليحشد قبائل
صنهاجة وتلكاتة، ويعود بهم إلى المهدية. ثم رحلت العساكر بتابوت نصير الدولة.

ولاية المِعزّ بن باديس إفريقية^(٢)

كانت ولايته بالمهدية في يوم السبت المذكور من سنة ٤٠٦، ورسنه * ثمانى ٢٧٩.
سنتين وأربعة أشهر، وولايته بالمهدية وبيعته بها تسع بقين من ذي الحجة. ذلك
لما وصل الخبر بوفاة أبيه، والسيدة أم ملال بالمهدية، خرج إليها منصور بن
رشيق، وقاضى القيروان والمنصورية، وشيوخها، ومن كان بها من الصنهاجيين.
فعرّوها في أخيها. وخرج المِعزّ بالبنود والطبول، فنزل إليه الناس يهنّونه جميعاً؛
وبابعوه، وهنّوه، وعزّوه، وابتهلوا بالدعاء له. وعاد إلى قصره. ودخل الناس
يهنّئون السيدة بولايته؛ فصرف أهل القيروان والمنصورية. وبقي المِعزّ بالمهدية،
يركب في كل يوم، ويعود إلى قبّة السلام، وينظم الناس بين يديه، وينصرف
إلى قصره.

1—1) Manque dans B.

2) A. ajoute ومُدَّته.

وفي يوم السبت بموافقة عيد الأضى، رحلت العساكر من المهدنة بعد أن أضرمو النار في الأبنية والبيوت والزرروب، وقدموا التابوت أمام البنود والطبول. فأشرف حماد على العساكر، وهي تمر كالسيل بين يدي التابوت؛ فقال لأخيه وخاصته: «مِثْلُ هؤلاء يخدمُ الملوك! وَصَلْتُ أَنَا إِلَى إفريقية فِي ثلاثين ألف فارس، مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ. فَعُدْتُ إِلَى القلعة، وَمَا بَقِيَ مَعِيَ مِنْهُمْ إِلَّا أَقَلٌّ مِنْ سِتْمِائَةِ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ أُرْجَى! وَهَذَا مِيتَ أَطَاعَهُ هَؤُلَاءُ كَمَا كَانَ حَيًّا!» وَكَانَ وَصُولُ الْعَسْكَرِ إِلَى الْمَهْدَنَةِ لثَمَانِ بَقِيَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؛ وَبَرَزَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى بَابِ الْمَهْدَنَةِ. وَرَكِبَ الْمُعِزُّ؛ فَوَقَفَ؛ وَنَزَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَوَجَّأَ فَوْجًا حَتَّى كَمَلَ سِلَاحُهُمْ.

وفي سنة ٤٠٧. رحل المُعِزُّ بْنُ بَادِيسٍ مِنَ الْمَهْدَنَةِ؛ فَكَانَ دُخُولُهُ الْمَنْصُورِيَّةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلنَّصَفِ مِنْ مُحَرَّمٍ؛ فَدَخَلَ أَحْمَلُ دُخُولٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْبَنُودُ وَالطَّبُولُ. وَاحْتَلَّ بِقَصْرِهِ أَفْضَلَ حُلُولٍ، وَقَدْ سُرَّ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ.

وَكَانَ بِمَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ قَوْمٌ بِحُومَةٍ تُعْرَفُ بِدَرْبِ الْمُعَلَّى، يَنْسَبُونَ بِمَذْهَبِ الشَّيْعَةِ، مِنْ شِرَارِ الْأُمَّةِ؛ فَانْصَرَفَتِ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ مِنْ فُورِهِمْ؛ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْفَاءَ رِجَالٍ وَنِسَاءً. وَانْبَسَطَتِ أَيْدِي الْعَامَّةِ عَلَى الشَّيْعَةِ، وَانْتَهَبَتْ دَوْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. وَنَقَضُوا الْأَمْرَ. وَانْتَهَى إِلَى الْبَنْدَانِ؛ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. وَقَتَلَ مَنْ لَمْ يُعْرِفْ مَذْهَبَهُ بِالشَّيْبَةِ لَهُمْ. وَلَجَأَ مَنْ بَقِيَ بِالْمَهْدَنَةِ مِنْهُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَاجِمِ؛ فَقَتَلُوا بِهِ عَنْ آخَرِهِمْ رِجَالًا وَنِسَاءً. وَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ عَلَى أَبِي الْبَهَارِ بْنِ خَلُوفٍ لَشِدَّتِهِ عَلَيْهِمْ وَفَقْرِهِ لِسَفَهَائِهِمْ؛ فَلَجَأَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ؛ فَانْتَهَبُوا دَارَهُ. وَبَلَغَ ذَلِكَ عَسَاكِرَ ابْنِ أَخِيهِ؛ فَرَكِبَ لِيَنْصُرَ عَمَّهُ أَبَا الْبَهَارِ؛ فَقَتَلَتْهُ الْعَامَّةُ، وَمَثَلُوا بِهِ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ. وَزَحْنُوا إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ؛ فَهَدَمُوهَا. وَاجْتَمَعَ بِدَارِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَحْوُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الشَّيْعَةِ؛ فَإِذَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِشِرَاءِ قُوْنٍ قُتِلَ، حَتَّى قُتِلَ أَكْثَرُهُمْ. ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ بَعِيَالَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ. فَسُرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَا رَأَوْهُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَتِ الْكُتُبُ الَّتِي وَجَدَتْ فِي دِيَارِ الْمَسَالِمَةِ، كَانَ

فيها من الكفر والتعطيل للشرعية وإباحة المحارم شيء كثير؛ فتحصنوا في هذا القصر أواخر جمادى الأولى وجمادى الثانية. وفي أواخر هذه السنة وصل المعز ابن باديس سيجل من المحاكم، خاطبه فيه يشرف الدولة؛ وركب المعز بالبنود والطبول.

وفي سنة ٤٠٨، كانت حروب عظيمة بين عساكر شرف الدولة المعز بن باديس وبين عساكر حماد؛ وذلك شيء يظول ذكره^(١).

وفي سنة ٤٠٩، خرجت طائفة من الشيعة نحو مائتي^(٢) فارس بعيالهم وأطفالهم، يريدون المهدبة للركوب منها إلى صفلية؛ وبعثت معهم خيل تشيعهم. فلما وصلوا إلى قرية كامل، وباتوا بها. سافر أهل المنازل عليهم؛ فقتلوهم وفضحوا بعض شباب النساء ومن كان لها منهن جمال؛ ثم قتلوهن. وفيها كان بإفريقية * غلاء كثير وحروب كثيرة.

P. ٢٨١

وفي سنة ٤١٠، وصل زاوي بن زيري الصنهاجي من الأندلس إلى إفريقية في أهله وولده وخشمه. بعد أن اغترب بها اثنين وعشرين سنة، وقاسى حروبها وفتنها، واحتوى على نعم ملوكها وذخائرهم. فخرج إليه يوم وصوله شرف الدولة المعز بن باديس بزي عظيم؛ فترجل له الشيخ زاوي؛ ونزل شرف الدولة، فسلم عليه، وسار معه حتى أنزله بالمنصورية.

وفي سنة ٤١١، ورد على المعز بن باديس أبو القاسم بن اليزيد، رسولا من المحاكم إليه، بسيف مكلل بنفيس الجواهر، وخلاعة من لباسه لم يَرَ الناس مثلها؛ فلقبه شرف الدولة المعز في أجمل زي وأكل هيئة. ففرى عليه سيجل فيه من التشريف ما لم يصل لأحد قبله؛ فسر بذلك. وفيها، ورد أيضاً محمد ابن عبد العزيز بن أبي كندبة سيجل آخر من المحاكم، جواباً للمعز عما كان فيه من أخبار الأندلس، وانقراض الدولة الأموية منها، وقيام القاسم بن حمود فيها؛ فشكره على ذلك وبعث إليه خمسة عشر علماً منسوجة بالذهب. وركب

١) أمره.

٢) مائة.

المُعز بن باديس، والأعلام المذكورة بين يديه، يوم الأحد للبلتين بقيتا من ربيع الآخر. وجاءت سحابة شديدة الرعد؛ فأمطرت حجراً لم ير أهل إفريقية مثله كبراً وكثرة؛ ووقعت معه صاعقتان. وفيها، وصل الخبر بوفاة المحاكم أمير مصر؛ وولى الظاهر بعده.

وفي سنة ٤١٢^١ توفى باديس بن سيف العزيز بالله؛ وصلى عليه شرف الدولة؛ وكان له مشهد عظيم. وفيها^١، توفيت السيدة زوجة نصير الدولة؛ وكفنت فيها لم يذكر أن ملكاً من الملوك كفن في مثله؛ فحكى من حضره من التجار أن قيمته مائة ألف دينار؛ وجعلت في تابوت من عود هندی قد رضع P. ٢٨٢ * بالجواهر. وكانت لها جنازة لم يسر مثلها؛ دفنت بالمهدية. وكانت مسامير النابوت بألفي دينار.

وفي سنة ٤١٣، تعرس المعز شرف الدولة. فكان له عرس ما تهباً قط لأحد من ملوك الإسلام. وقد شرحه الرقيق في كتابه. وتركناه اختصاراً.

وفي سنة ٤١٤، وردت الأخبار وتنابت بإفريقية بأن خليفة بن ورو ومن معه رموا في البحر مراكب كثيرة، وأنهم رحلوا من إطرابلس في طلب الفتوح بن القائد؛ وقد كان كاتب شرف الدولة المعز بن باديس في الانحياش اليه والدخول في طاعته؛ فأعطاه مدينة نفطة من عمل قسطنطينية. فخرج شرف الدولة؛ فاجتاز بسوسة، ثم إلى المهدية، وذلك يوم الخميس لأربع خلون من المحرم. وأمر بالداء في حشد البحرين، وكتب أن يلحق به كل من يتخلف عنه من عساكره ليكون رحيله من المهدية إلى سنافس، ثم إلى قابس، فاصداً إلى إطرابلس. وأمر بالاحتياز^٢ في إصلاح الفطائع وعمارة دار الصناعة، وأخذ في إنشاء العدد الحربية؛ فأُنشئ منها في المدّة القريبة ما لم يتم مثله في الزمن البعيد. ثم رأى الوصول إلى المنصورة ليأخذ الناس عُدّهم وما يحتاجون اليه؛ فكان وصوله يوم الاثنين لست بقين من المحرم من العام.

ووردت الأخبار من المشرق بأن أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله أمر بإحضار سبف الدولة ذي المجدين حسين بن علي بن دؤاس الكناني¹⁾. فلما دخل القصر، ولم يكن يدخله قبل ذلك حذراً على نفسه، أُخرج من ساعته مقتولاً. فأقام ثلاثة أيام، ومُنَادٍ يُنادى عليه: «هذا جزاءه من غدر مواليه!» ثم دُفِعَ إلى عييه؛ فدفنوه.

ثم جاء الخبر في الوقت بوفاة السيدة الشريفة بنت العزيز بالله. وصلى عليها الظاهر لإعزاز دين الله بمصر. * وكانت قد ضبطت المملكة، وقومت²⁾ P. ٢٨٢ الأمور بحسن رأي وتدير. وكان الوزير عمار قوض إليه³⁾ الأمر في³⁾ النظر في الدواوين والأموال والكتابة وغير ذلك من خدمة الخلافة؛ فأمرت بقتله؛ فقتل. وباشرت تدبير المملكة؛ فلا يُنفذ أمرٌ جلّ أو قلّ إلا بتوقيع يخرج عنها بخط أبي البيان الصفلي عيها.

وفي هذه السنة، وصل محمد بن عبد العزيز، من قبل الظاهر أمير مصر، بشريف عظيم لشرف الدولة. فقرئت به سجلات ما وصل قبلها مثلها أجلّ حالاً ولا أعلى مقاماً. وزادته لقباً إلى لقبه؛ فسمّاه شرف الدولة وعضدها، وبشره بمولودين ولداً له: أبو الطاهر، وعبد الله أبو محمد؛ وبعث إليه مع ذلك ثلاثة أفراس من خيل ركوبه بسروج جليلة وخلعة نفيسة من نفيس ثيابه، ومنجوقين منسوجين بالذهب على قصب فضة، ما دخل إفريقية مثلها قط، وعشرين بندا مذهبة ومنمضة. فلقبها شرف الدولة وعضدها⁴⁾ أجلّ لقاء، وأعضاها حقها من الإكرام والاعتناء؛ وقُرئت السجلات بين يديه؛ ثم قُرئت بجامع القيروان؛ وأمر بنسخها، وأُنْفِذَتْ إلى الآفاق؛ فكان لها من السرور ما لا يوصف. وبعد ذلك، في هذه السنة، وصله سجل آخر بزيادة لقب آخر،

1) A. et B. الكناني. Voir *Corr.*, p. 28.

2) Dozy a cru pouvoir lire dans le ms. A. وفوننت (verbe formé de فانون) qu'il propose de conserver (*Corr.*, p. 28). 3—3) Manque dans A. 4) Manque dans A.

تشریفاً لشرف الدولة، وأمر أن يكتب: «من الأمير شرف الدولة وعصديها»
ويخطب بمثل ذلك. فلقبه أحسن لقاء، وخلع عليه، وحمله. وحرت المكاتبة
من ذلك الوقت بهذا التشریف الجليل.

وفي هذه السنة، اعتلت السيدة أم ملال بنت عذّة العزيز بالله أياماً،
والأمير شرف الدولة يصل إليها في كل يوم عائداً ومفتقداً؛ فيجلس عندها،
ويأذن لرجالها وعبيده يَدْخُلُون إليها، ثم ينصرفون. فلما كان ليلة الخميس
مُنْسَلَخَ رجب، قبضها الله. وصُلِّيَ على جنازتها بالبُود والطبول والعمارات،
P. ٢٨٤ * والسيدتان الجليلتان والوالدة والأخت بحال من التشریف لهذه الجبارة، لم ير
لملك ولا لسوقٍ مثلاًها.

وفوض الأمير شرف الدولة جباية الأموال، وولاية العمال، والنظر في
العساكر وسائر الأشغال لأبي البهار بن خلف يوم الثلاثاء لحمس بقين من
جمادى الأولى؛ فحسنت الأمور، وضبطت الأطراف والتغور. واستقام التدبير؛
ورأى الأمير شرف الدولة من حزمه، وكفايته، وعزمه، وشهامته، ما لم يقيم به
غيره، ولا وجدَ عند سواه^(١) بوجه.

وفي سنة ٤١٥، في صفر منه، ولد للأمير شرف الدولة ولدٌ سمّاه كَبَّاباً^(٢).
وفي شهر رجب، تزوجت السيدة أم العلوّ، بنت نصير الدولة، أخت شرف
الدولة. فلما كان يوم الأربعاء غرة شعبان المكرّم، زينَ الإيوان المُعْظَم
للسيدة الجليلة أم العلوّ، ودخل الناس خاصةً وعامةً؛ فنظروا من صنوف الجواهر
والأسلاك والأمتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة ما لم يُعْمَلْ مثله، ولا سُمِعَ
لأحدٍ من الملوك قبله. قال أبو إسحاق الرّقيق؛ فبهَرَ عيون الخلق حال ما
عانونه، وأبهتتهم عظيم ما شاهدوه؛ وحيل جميع ذلك إلى الموضع الذي ضربت

1) Lacune dans A.

2) Telle est la bonne leçon fournie par B., au lieu de كَبَّاداً de A. — Kabbāb

est un prénom d'origine attestée

فيه الأبنية والقباب والأخية، وحُبل المَهْرُ في عشرة أحمال على أنْغُلٍ على كل حِمل جاريةٌ حسناء، وجملته مائة ألف دينار عَيْنًا. وذكر بعضُ حُذَّاق التجار أنه قَوْمٌ ما هو لها؛ فكان زائداً على ألف ألف دينار،⁽¹⁾ وهذا ما لم يُرَ قطُ لامرأة قبلها بإفريقية⁽²⁾. وزُفَّت العُرُوس في يوم الخميس، ومضى بين يديها عبيدُ أخيها شَرَف الدولة وأبيها نصير الدولة وجدَّها عدَّة العزيز بالله، ووجوه رجال الدولة؛ فكان يوماً سارت الرُّكبانُ بحاسن آثاره، وامتلأت البلدانُ بعجائب أخباره.

وفي هذه السنة، وقف شَرَف الدولة هديةً صندلٍ وإلى بِسْكَرةٍ؛ فعُرِضَتْ عليه، وهي ثلاثمائة حصان، ومائة فرس أنثى، وبغلات منها عشرون بسروج *مُحَلَّاةً، مائة حمل من المال. فخلع عليه وجدَّد له الولاية على بِسْكَرة. ٢٨٥
وفي سنة ٤١٦، توفى أيُّوب بن يَطُوفَت. وحضر جنازته شَرَف الدولة وعَضُدُها، وهو المَعِزُّ بن باديس، بالبنود والطبول⁽²⁾.
وفي سنة ٤١٧، وُلِدَ للأمير شَرَف الدولة وعَضُدُها مَوْلُودٌ سمَّاه زِزاراً. وكتب إلى سائر عُمَّاله بالبشارة بذلك.

ذَكَرَ قِيَامَ المَعِزِّ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بِالْإِمَارَةِ وَقَطَعَهُ الدَّعْوَةَ العَبِيدِيَّةَ الشَّيْعِيَّةَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ

كان المَعِزُّ بن باديس صغيراً إذ ولى، وهو ابنُ ثمانية أعوام؛ وقيل: ابن سبعة أعوام. رَبَّيَ في جُحُرٍ وزيره أَبِي الحَسَنِ بن أَبِي الرَّجَالِ⁽³⁾، وكان ورعاً زاهداً. وكانت إفريقية كلها والقيروان على مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ وعلى خِلافِ السُّنَّةِ والجماعة، من وقت تَمَلُّكِ عُبَيْدِ اللَّهِ المَهْدِيِّ لها. فحَرَّضَ ابنُ أَبِي الرَّجَالِ المَعِزَّ ابن باديس، وأدبَه، ودلَّه على مذهب مالك وعلى السُّنَّةِ والجماعة؛ والشَّيْعَةِ

1—1) Manque dans B.

2) La relation de l'année 416 manque dans B.

3) A. أَبِي الرَّجَالِ.

لا يعلمون ذلك، ولا أهل القيروان. فخرج المعز في بعض الأعياد الى المصلى في زيبته وحشوده، وهو غلام؛ فكتبوا به فرسه؛ فقال عند ذلك: «أبو بكر وعمر!» فسمعت الشيعه التي كانت في عسكره؛ فبادروا اليه ليقتلوه؛ فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتهم السنة من أهل القيروان، ووضع السيف في الشيعه؛ فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف؛ فسمي ذلك الموضع بركة الدم الى الآن. قال أبو الصلت: وصاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت؛ فقتلوا في سائر بلاد إفريقية. فوافق ذلك ما قاله الشعراء فيهم على وجه التطهير⁽¹⁾ لهم، كقول⁽²⁾ القاسم بن مروان [وأفرا]:

وَسَوْفَ يُقْتَلُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ كَمَا قُتِلُوا بِأَرْضِ الْقَيْرَوَانِ

P. ٢٨٦ * وكقول الآخر [رمل]:

يَا مُعِزَّ الدِّينِ عِشْ فِي رِفْعَةٍ وَسُرُورٍ وَاغْتِسَاطٍ وَجَذَلٍ
أَنْتَ أَرْضَيْتَ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى وَعَتِيفًا فِي الْمَلَايِينِ السِّفَلِ
وَجَعَلْتَ الْقَتْلَ فِيهِمْ سُنَّةً بِأَقَاصِي الْأَرْضِ فِي كُلِّ الدُّوَلِ

وكقول الآخر [طويل]:

وكانت لهم بالشرقي نارٌ فأُطْفِئَتْ فَمَا مَلَكُوا بِالْكَفْرِ شَرْفًا وَلَا غَرَبًا
وحكى في قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعز في منامه؛⁽³⁾ وتأويل ذلك وغيره ألغينا هنا عن ذكره⁽³⁾. ولم يزل المعز يعمل فكرة في قطع الدعوة لهم الى أن كانت سنة ٤٤٠.

وفي سنة ٤٢٠، زحفت جموع زناتة تريد حضرة القيروان، طمعاً منها في الملك. فلما بلغ ذلك المعز، خرج اليهم بجنوده؛ فافتتلوا قتالاً شديداً؛ فانهزمت زناتة، وقتل منهم خلق كثير، وفر باقيهم الى الغرب.

1) A. التطهير. 2) A. يقول.

3) B. 3-3. تركنا ذلك خوف التطويل.

وفي سنة ٤٢١، وقعت في القَيْرَوَان بين الأجناد والعامّة فتنة؛ فقتل من العامّة نحو المائتين.

وفي سنة ٤٢٢، كثر الخصبُ والرخاء والأمانُ بإفريقية.

وفي سنة ٤٢٣، وصلت من ملك السودان الى المُعِزِّ هديةٌ جليّة، فيها رقيقٌ كثيرٌ، وزرافات، وأنواعٌ من الحيوان غريبة.

وفي سنة ٤٢٥، كانت بإفريقية مجاعةٌ شديدة. وفيها، خرج أبو عمران الفاسي الى الحجاز. وفيها مات الظاهر بمصر، وولى ابنه المُستنصر.

وفي سنة ٤٢٦، وصلت الى المُعِزِّ بن باديس من ملك الروم هديةٌ لم يرَ مثلُها في كثرة ما اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخر وغير ذلك.

وفي سنة ٤٢٧، زحفت زنّانة في جيوش عظيمة وجموع كثيفة، تُريد المنصورية. فلقيتها جيوشُ المُعِزِّ؛ فظهرت زنّانة عليها؛ فانهزمت؛ ووصلت الى ما بين المنصورية والقَيْرَوَان. ثمّ تلاقوا في القَد من ذلك اليوم؛ فثبتت صنهاجة وثبتت زنّانة.

وفي سنة ٤٢٨*، كسر المُعِزُّ زنّانة، وهزمهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً. P. ٢٨٧

وفي سنة ٤٢٩، خرج عسكر المُعِزِّ من القَيْرَوَان الى الزّاب؛ فقتل من البربر خلقاً كثيراً.

وفي سنة ٤٣٠، كثر الخصبُ ببلاد إفريقية. وفيها، مات أبو عمران الفاسي بعد عوده من المشرق.

وفي سنة ٤٣١، دخلت جيوش مالطة¹⁾ جزيرة جربة؛ ففتحتها وقتلت كثيراً من أهلها.

وفي سنة ٤٣٢، خرج المُعِزُّ الى قلعة حمّاد وحاصرها مدة سنتين، وأخذ بمخني حمّاد فيها.

وفي سنة ٤٣٣، أظهر المُعِزُّ الدولة العباسية. وورد عليه عهدُ القائم بامر

1) Leçon fournie par B., au lieu de مائة de A.

الله. ¹ وفيها، نُكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّكَّاكِ؛ وكان المتوَلَّى لأشغال أُمِّ الْمُعِزِّ، واستولى بها على دولته ². وفي هذه السنة، وصل الأمير نزار بن المُعِزِّ إلى الحضرة، فأفلاً من سمر الذي هزم فيه زناته؛ فأُنشِدَ ابن شَرَفٍ قصيدته التي أولها أكامل:

طَلَعَتْ مِنَ الْعَرَبِ شَمْسُ الدِّينِ بِالسَّعْدِ وَالْإِفْصَالِ وَالنَّمِيبِ

وفي سنة ٤٢٦. مات الحَرْجَرَانِيُّ ³ بِبَصْرَةَ؛ وكان الحَاكِمُ بأمر الله العبيدي قطع يَدَيْهِ جميعاً. لَحْنِيَّةٌ جَنَاهَا؛ فلم يَجْزَعْ لما أَصَابَهُ. فقيل إِنَّهُ عَصَبٌ يَدَيْهِ إِثْرَ فُطْعَمِيَّهَا، وانصرف من وقته إلى ديوانه، وجلس لخدمته على عادته. فلما تُعْجِبُ منه، قال: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لم يعزلي؛ وَإِنَّمَا عَاقَبَنِي بِجَنَائِي!» فلما بلغ ذلك الحَاكِمُ، أَقْرَاهُ على عمله.

وفي سنة ٤٢٧. وردت رُسُلُ الْمُعِزِّ إلى الْفَيْرْمَانِ، يُخْبِرُ أَنَّهُ أَوْقَعَ بَلَوَانَهُ، وقتل منهم عدداً. وغنم منهم أموالاً؛ فَضْرِبَتِ الطُّيُولُ على ذلك. وفي ذلك يقول ابن شَرَفٍ من قصيدة أولها [منسرح]:

بِالْبُهْنِ وَالسَّعْدِ عُدٌّ وَالظُّفْرِ مُوَفَّقٌ ³ الْوَرْدِ غَايِمَ الصَّدْرِ

وفيها. بُنِيَ سور المنصورية. وفيها هَتَّ رِيحٌ عَاصِفٌ بِإِفْرِيقِيَّةٍ. فصفت ما مَرَّتْ به من الشجر لقوتها وشدتها.

وفي سنة ٤٢٨. مكثت وفاة نزار بن المُعِزِّ بن باديس في رجب؛ وكان عُمرُهُ إحدى وعشرين سنة وأشهرًا. وفيها، وَلَّى الْمُعِزُّ وَلَدَهُ الْآخَرَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَكُنَاهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، وهو إِذْ ذَاكَ ابن ثمانية أشهر؛ وتوفي بعد ذلك، وهو ابن سنة واحدة وثلاثة أشهر.

وفي سنة ٤٢٩. نُكِبَ حُبُوسُ بْنُ حُمَيْدٍ الصَّنْهَاجِيِّ إِلَى تَنْطَةِ، وَطُولِبَ بِمَالٍ

P. ٢٨٨

1-1) Manque dans B.

2) A. الحرجاني.

3) A. موفق.

كثير، ونيل بالملكوه والهوان. وفيها، نكب أحمد بن حجاج فاضى قفصة؛ فبادر بعشرة آلاف دينار؛ وكان متصاوتاً.

وفي سنة ٤٤٠، قطعت الخطبة لصاحب مصر، وأحرقت بنوده. قال ابن شرف: وأمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة العبيديين؛ فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة، وللعباس، ولبنية العشرة - رضهم!

ذكر السبب في قطع الدعوة العبيدية من الخطبة بالقيروان وغيرها

لما رحل بنو عبيد إلى مصر، لم تزل ملوك صنهاجة يحضون لهم بإفريقية، ويذكرون أساءهم على المنابر. ونمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فراراً من دعوتهم. وتديعاً لإقامتها بأسائهم؛ فكان بعضهم، إذا بلغ إلى المسجد، قال سراً: «اللهم أشهد! اللهم أشهد!» ثم ينصرف، فيصلي ظهراً أربعاً^١. إلى أن ساء الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد. فنعطت الجمعة دهرًا. وأقام ذلك مدة إلى أن رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم؛ فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم.

ذكر وقوع التصريح بلعنتهم في الخطب بجميع إفريقية وخليعهم^٢

قال ابن شرف: وأمر المعز بلعنهم في الخطب وخليعهم. ولما كان عيد^٣ الأضى، أمر الخطيب أن يسب بني عبيد؛ فقال: «اللهم! وآلعي النسفة الكبار، المارقين التجار، أعداء الدين. وأنصار الشيطان، المخالفين لأمرك، والناقضين لعهدك، المتبعين غير سبيلك، المبدلين لكتابك! اللهم! وآلعنم لعناً وبلاء، وآخرهم خزيًا عريضًا طويلًا! اللهم! وإن سيدنا أبا تميم المعز

¹ Voir Cora, p. 28-29.

² Ce titre manque dans B.

ابن باديس بن المنصور القائم لديك، والناصر لسنة نبيك، والرافع للواء أوليائك، يقول مُصَدِّقاً لكتابك، وتابعاً لأمرك، مدافعاً لمن غير الدين، وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين: «يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ»⁽¹⁾! هاكذا ذَكَرَ بِإِسْقَاطِ «قُلْ» وَآخِرِهَا. قال: وأمر الأمير أبو نعيم المعز بن باديس للخطيب أن يسبهم على منبر القيروان بأشنع من هذا السب. فلما كان في الجمعة الأخرى، أبلغ في ذلك بما فيه شناعة لنفوس المؤمنين.

وفي سنة ٤٤١، تحرّك الأمير أبو نعيم إلى بلاد المغرب الأقصى؛ وترك ولد أبا الطاهر نعيم بن المعز على حضرة القيروان بالمنصورية. وفيها، بُنيت المصلى بالمنصورية. وفيها، ضرب الدينار المسمى بالنجاري⁽²⁾. وفيها، ركب المعز بن باديس المذكور في أحفل جمع وأحسن⁽³⁾ زى، وخرج إلى ظاهر مدينة القيروان. وأُخْرِجَتِ السباع بين يديه؛ فأُفْلِتَ منها سبع؛ فانهزم الناس أمامه، ووقع بعضهم على بعض؛ فأت منهم نحو المائتين؛ ووثب السبع على رجل من كتاب باب الغنم يدعى بالكراي؛ فقتله.

ذكر تبديل السكة عن أسماء بنى عبَّيد

قال ابن شرف: وفي هذه السنة، أمر المعز بن باديس بتبديل السكة P. ٢٩٠ في شهر شعبان؛ فَنُقِشَ⁽⁴⁾ على الأزواج⁽⁴⁾ في الوجه الواحد: وَمَنْ * يَسْتَعِزَّ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ نُقَبِّلَ مِنْهُ؛ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ⁽⁵⁾». وفي الوجه الثاني: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ! وضرب منها دنانير كثيرة. وأمر أيضاً بسك ما كان عند من الدنانير التي عليها أسماء بنى عبَّيد؛ فسُكِتَ؛ وكانت أموالاً عظيمة. ثم بَكَتْ في الناس فَطَعَّ سَكَّتُهم، وزوال أسماءهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله. وقد كان فَطَعَّ أسماءهم من الرايات والبنود. وكان

1) Cor., CIX. 1-2.

2) B. بالنجاري.

3) B. أكمل.

مبتدأ ضرب السكك بأسماء بنى عُيَيْدَ اللَّهِ وَرَسَمَهَا فِي الرَايَات وَالطَّرِزَ سَنَةَ ٢٩٦،
إِلَى أَنْ قَطَعَهَا الْمُعِزُّ الْمَذْكُورُ سَنَةَ ٤٤١ الْمَذْكُورَةَ، وَذَلِكَ مِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسَ
وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَفِي سُؤَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، نَادَى مُنَادٍ بِأَمْرِ السَّلْطَانِ أَبِي نَعِيمٍ: إِنَّهُ مَنْ تَصَرَّفَ
بِمَالٍ عَلَيْهِ أَسْمَاءُ بَنِي عُيَيْدٍ نَأَتْهُ الْعُقُوبَةُ الشَّدِيدَةُ؛ فَضَاقَتْ الْحَالُ بِالْفُقَرَاءِ
وَالضَّعْفَاءِ، وَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِالْفَيْرَوَانِ. وَكَانَ الدِّينَارُ الْقَدِيمُ بِأَرْبَعَةِ دِينَائِرٍ
وَدُرْهَمَيْنِ؛ وَكَانَ صَرَفُ الدِّينَارِ الْجَدِيدِ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ،
نَسَبَ الْفَائِدُ عَبْدَادُ بْنُ مَرْوَانَ الْمَلَقَّبَ بِسَيْفِ الْمُلْكِ؛ وَكَانَ مِنَ الْخَاصَّةِ؛ وَدَفَعَ
إِلَى أَعْدَائِهِ؛ وَأَمَرَ بِاسْتِخْرَاجِ أَمْوَالِهِ، وَالْقَبْضِ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ اسْتَعْمَلَهُ فِي أَعْمَالِهِ؛
وَبَعْدَ ذَلِكَ، أُلْفِيَ فِي سِرْدَابٍ مُظْلِمٍ حَتَّى مَاتَ فِيهِ. وَفِيهَا، وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ
بِالْفَيْرَوَانِ بِمَوْتِ الْفَائِدِ حَمَادٍ بَقْلَعَتَهُ؛ فَقَالَ ابْنُ شَرَفٍ مِنْ قَصِيدَةٍ [خَفِيفٍ]:

لَا جُنُودَ إِلَّا جُنُودَ السُّعُودِ مُغْنِيَاتٌ عَنْ عُدَّةٍ وَعَدِيدِ

وَفِي سَنَةِ ٤٤٢، اصْطَلَحَ أَهْلُ الْفَيْرَوَانِ وَأَهْلُ سُوسَةَ؛ وَقَدْ كَانَتْ جَرَتْ
بَيْنَهُمْ وَحْشَةً؛ فَصَنَعَ الْفَيْرَوَانِيُّونَ لِلْسُّوسِيِّينَ دَعَوَاتٍ غَسَلَتْ فِيهَا الْأَيْدِي بِمَاءِ
الْوَرْدِ، وَمُسَحَّتْ بِمَنَادِيلِ الشَّرْبِ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَّى الْأَمِيرُ أَبُو نَعِيمٍ وَلَدَهُ أَبَا
الطَّاهِرِ بْنِ الْمُعِزِّ عَهْدَهُ.

٢٩١: ذَكَرَ وَلَايَةَ الْعَهْدِ * لِنَعِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ

قَالَ ابْنُ شَرَفٍ: وَخَطَبَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى جَامِعِ الْفَيْرَوَانِ؛ فَدَعَا
لِلسَّلْطَانِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ وَلَوْلَاهُ أَبِي الطَّاهِرِ وَلِيَّ عَهْدِهِ؛ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! اصْلَحْ
عَبْدَكَ وَوَلِيَّكَ أَبَا الطَّاهِرِ نَعِيمَ بْنِ الْمُعِزِّ، الطَّاهِرَ مِنْ كُفْرِ مَعَدِّ بْنِ الظَّاهِرِ»
يَعْنِي صَاحِبَ مِصْرَ. وَفِيهَا، كَانَ خُرُوجُ الْفَقِيهِ الرَّاهِدِ الْوَاعِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَدِ الصَّمَدِ مِنَ الْفَيْرَوَانِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ؛ وَوَكَّلُوا بِهِ رَجُلًا يُوجِّهُوا مَعَهُ إِلَى

مدينة قايس، وكانت الرفقة خارجة من القَيْرَوَان الى مِصْر؛ فأمر أن ينتظرها بمدينة قايس الى أن يصحبها. وكُتِبَ عامل قايس بأن لا يترك من يدخل اليه، ولا من يُسَلِّم عليه، ولا يخرج من موضع نزوله إلا في يوم سفره؛ فخرج، وهو غير آمِنٍ على نفسه؛ ثم قُتِلَ في طريقه ذلك؛ وكان رجلاً واعظاً، يَعِظُ الناس، فيجتمعون اليه، ويسمعون كلامه؛ وكان له لسانٌ وحيدٌ فحذره^١ المِعِزُّ. واجتمع عليه بعضُ فراء القَيْرَوَان، واستبشعوا ألفاظاً ذكرها؛ فرفعوا رِفاعَهُم الى المِعِزِّ بذلك؛ فكان سَبَبَ نَفْيِهِ وَحَتْفِهِ. وكان أبوه يَعِظُ بجامع مِصْر في ذلك الوقت، الى أن نُعِيَ له ابنه هذا؛ فحجَّ في تلك السنة؛ فقبل إنَّه كان بطوف بالكعبة، ويصبح، فيقول: «يا رَبِّ! المِعِزُّ عليك به! يا رَبِّ! عليك بابن باديس!» فكانت^٢ الهزيمة على المِعِزِّ في اليوم الثاني من دُعائه؛ وكان ذلك سَبَبَ خراب ملكه ودمار القَيْرَوَان حضرته. فلم يشكَّ أحدٌ في إجابة دَعْوَتِهِ.

وفي سنة ٤٤٣، كان لباسُ السواد بالقَيْرَوَان، والدعاء لبني العباس. قال ابن شرف: وفي جُمادى الثانية، أمر المِعِزُّ بن باديس بإحضار جماعة من الصباغين، وأخرج لهم ثياباً بيضاً من فُنْدُق الكُتَّان، وأمرهم أن يصبغوها سوداً؛^٣ فصبغوها بأحلك السواد؛ وجمع الحياطين؛ ففقطعوها أثواباً؛ ثم جمع النقباء والنضاة الى قصره. وخطبى القَيْرَوَان وجميع المؤذنين، وكساهم ذلك السواد؛ ونزلوا بأجمعهم. وركب السلطان بعدهم حتى وصل الى جامع القَيْرَوَان؛ ثم صعد الخطيب المنبر، وخطب خطبةً أتى فيها على جميع الأمور^٣ بأجزل لفظ وأحسن معنى؛ ثم دعا لأبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسي، ودعا للسلطان المِعِزُّ بن باديس، ولولده أبي الطاهر يمين ولئ عهده من بعده؛ ثم أخرى بنى عميد الشيعة ولعنهم.

* 1) B. فعرده.

2) On suit ici le texte du ms. B.

3) A. الأمراء.

ذكر ما قيل من أخبارهم

قال أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي في تأليفه¹ في «تعزية أهل
الفيروزان، بما جرى على البلدان، من هيجان الفتن وتقلب الأزمان»، قال:
فيه بابٌ أذكرُ فيه أوَّلَ من وضع هذه الدعوة التي شرع فيها عبيد الله²،
والسبب الذي دعاهم لذلك؛ وبابٌ أذكرُ فيه تسييرهم الرُكبان، بدعوتهم،
إلى البلدان؛ وبابٌ أذكرُ فيه عبيد الله ونسبه وانتماءه إلى النبي - صلعم -
كاذباً، وسبب ملكه المغرب كله. قال: فأوَّلُ من نصب هذه الدعوة، جدُّ عبيد
الله، وهو عبد الله بن ميمون الفداح الأهوازي - لعنه الله! - وكان ابن
ميمون تنسب إليه فرقة من أصحاب أبي الخطاب، تُعرف بالميمونية. وذكر
من جملة كلامه قال: وكان عبد الله ادَّعى لنفسه النبوة؛ فقصِد لسفك دمه؛
فاختفى؛ ثم هرب من وطنه، وفرَّ على وجهه، منتفلاً في البلاد، مستتراً، يستر
اسمه ومذهبه لئلا يُقتل إن عُرف، إلى أن وافته مميته بأقبح علة في الشام،
وأراح الله منه. وأخذ جماعة من أصحابه؛ فقتلوا عن آخرهم. ثم ذكر دعائهم،
وما كان منهم مع غواتهم. قال: فمنهم رجلان، أحدهما يُعرف بالنجار الكوفي³؛
فخرج من الشام، وتغلباً على اليمن؛ فأَنزل الله عليه * الأكلَّة؛ فنقطع قطعاً
حتى مات؛ وخلف ابناً له؛ فكان يكتب إلى أصحابه: «مِن ابْنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»
- تعالى الله عن قوله! - فسار إليه ابن نُصَيْر⁴؛ فأظفروا الله به، فقتله، ودخل
مدينته؛ فانتهبها، وسبهاها. وأمَّا الكوفي⁴، فرماه الله تعالى بداء في جوفه؛
فكانت أمعاؤه تخرج من دُبُرهِ، حتى مات. وأمَّا بالشَّام، فذكر جماعة أبادهم
الله تعالى، وكذلك بالبحرين أيضاً. ثم قال: وإِنما دعاهم لهذا الكفر عبد الله
ابن ميمون الفداح، لأنَّه صحب قَرْمَطاً، ودعاه إلى مذهبه؛ فطاوعه على ذلك؛
وقد اشتهر استخفافهم بالدين؛ وكثرت به الأخبار والأحاديث. وكان ممن

1) A. ajoute وتصنيفه.

2) A. الكومي.

3) A. قصير.

4) A. الكومي.

أظهر مذهبهم، وأعلن ب: أبو عبيد الجنائي^١، وقت تغلبه على البحرين؛ فإنه وضع عنهم جميع الفرائض، وأعلن بالزنا، واللواط، والكذب، وشرب الخمر، وترك الصلاة. وكذلك صنع الإصبياني^٢، وحرم على الغلمان^٣ الامتناع ممن أراد أن يفعل بهم، وجعل حد من امتنع منهم الذبح - لعنه الله! - وكانت له ليلة تسمى الإمامية، يجمع فيها نساءه ونساءهم؛ فمن ولد من تلك الليلة يسمى ولد الإخوان.

قال: وقد ادعى الحاكم من بنى عبيد الله الثبوية، وجعل رجلاً سماه بالهادي يدعو الناس إلى ذلك، وادعى معد منهم النبوة، وجعل من نادى فوق صرمة جامع القيروان: «أشهد أن مَعْدًا رسول الله!» فارتج البلد لذلك، وداخل أهله الرعب؛ فأرسل من سكن الناس؛ وكل من كانوا يرسلونه إلى بلد، فإنها يأمرونه بإظهار الإسلام والخير، حتى يتمكن مما يريد.

وأما نسب عبيد الله الذي تسمى بالمهدى، فإن اسمه سعيد، وإنما تسمى بعبيد الله ليخفي أمره، لأنه كان عليه الطلب من الحسين بن أحمد بن محمد. وكان لمحمد* هذا ولد يلقب بابي السلعة^٣ بن عبد الله بن ميمون القداح؛ فبعث بداعييين أخوين إلى المغرب؛ فنزلا في قبيلة تعرف بكنانة؛ فدعوا أهلها، فاستجابوا لهما^٤: أحدهما حسين، يكنى بابي عبد الله الشيعي، وسماه المعلم، والآخر سموه المُنسب، وهو أبو العباس المخطوم^٥، المتقديم ذكرها فأظهرا من أنفسهما الزهد والورع، حتى افتنحا بالكذب والخربة في بلاد إفريقية. وسار أبو عبد الله إلى مجلماسة؛ فأخرج عبيداً من حبسها؛ فلما اجتمع به، سلم الأمر إليه^٦ وانسلخ له منه؛ فلم يلبث إلا يسيراً وقتله بنو أخيه^٦. ولما وصل عبيد الله - لعنه الله! - إلى رقادة، أرسل إلى القيروان من أتاه بابي إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن البرذون وبابن هذيل؛ وكانا من

١) B. الجنائي.

٢) B. الصبيان.

٣) B. بالسلعة.

العلماء الخاشعين لله. فلما وصلا اليه، وجداه على سرير ملكه جالسا، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي الذي ولّاه الملك وسلم له فيه، وعن يساره أبو العباس أخوه. فقال لهما أبو عبد الله وأخوه: «اشهدا أن هذا رسول الله!» فقالا جميعاً بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلا هو! لو جاءنا هذا، والشمس عن يمينه، والقمر عن يساره، وينطفان، فيقولان إنه رسول الله، ما قلنا إنه هو!» فأمر عبيد الله - لعنه الله! - عند ذلك بذبحهما وربطهما في أذنان الخيل، وأن يشقّ بهما سباط القبروان؛ ففعل ذلك بهما - رحمة الله عليهما! - وقال أبو عبد الله الشيعي يوماً لأبي عثمان سعيد بن الحذّاد العالم: «الفران بخير أن محمداً لبس بخاتم النبيين في قوله «وَلَا كُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»⁽¹⁾» فخاتم النبيين غير رسول الله. فقال أبو عثمان: «هذه الواو ليست من واوات الابتداء، وإنما هي من واوات العطف، مثل قوله تعالى: *رَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ P. ٢٩٥ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»⁽²⁾. وقال له مرة أخرى: «إن الله أخبر أن أصحاب محمد - صلعم - يرتدون لقوله: «أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، انْقَلَبْنُمُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ»⁽³⁾؟» فقال أبو عثمان: «هذا إنما هو على الاستفهام، كقوله - سبحانه -: «أَفَأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ»⁽⁴⁾

ولما تمكن عبيد الله الشيعي من الملك، قتل أبا عبد الله الداعي، وأخاه، وانتقم الله منهما على يدي من سعيّا له، وقتل الخلق بسببه، حتى أخرجاه من حبس سجلماسة، وسلّمها له في الملك، ولم يقبها معه إلا سنة أو نحوها؛ ثم سلّطه الله على كبار كناتمة الدين سعوّاً في إقامة ملكه؛ فقتل جميعهم. ثم تبادت دولة أبنائه نحو ثلاثمائة سنة، ملكوا من مضيق سبته إلى مكة - شرفها الله! - لأنّ عماله كانوا يصلّون إلى مضيق سبته، فبعاينوها، ومن هناك يرجعون⁽⁵⁾. وهذا دليل على أنّ هوان الدنيا على الله وصغر قدرها عنده، إذ

1) Cor., XXXIII, 40.

2) Cor., LIII, 3.

3) Cor., III, 138.

4) Cor., XXI, 35.

5-5) Manque dans B.

مَكَّنَ فِيهَا لِهَوْلَاءِ الْكُفْرَةِ النُّجَّارِ يَسُومُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سُوءَ الْعَذَابِ^(١) وَالْعِمَادِ
الْقِيَامَةِ، وَالْحَاكِمِ اللَّهِ!^(٢)

وخرج في دولة عُيَيْدِ اللَّهِ شَيْخُ السَّفَرِ، وَمَعَهُ خَيْلٌ؛ فَبَاتُوا فِي مَسْجِدٍ بِخِيُولِهِمْ.
فَقِيلَ لَهُمْ: «كَيْفَ تُدْخِلُونَ خِيُولَكُمْ الْمَسْجِدَ؟» فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ وَأَصْحَابُهُ:
«إِنْ أَرَوْنَاهَا وَأَبَوَّالَهَا طَاهِرَةً، لَأَنَّهُمَا خَيْلُ الْمَهْدِيِّ». فَقَالَ لَهُمُ الْقَيِّمُ بِالْمَسْجِدِ:
«إِنَّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْمَهْدِيِّ نَحِيسٌ!^(٣) فَكَيْفَ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ خَيْلِهِ؟» فَقَالُوا
لَهُ: «طَعَنْتَ عَلَى الْمَهْدِيِّ!» وَأَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَيْهِ؛ فَأَخْرَجَهُ عَشِيَّةً جُمُعَةً،
فَقَتَلَهُ. فَلَمَّا قَرِبَ لِلْمَوْتِ، دَعَا عَلَيْهِ؛ فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ. فَامْتَحَنَهُ بَعْلَةٌ فَبِيحَةٍ يُقَالُ
لَهَا حَبُّ الْقَرْعِ، وَهِيَ دُودٌ عَلَى صُورَةِ حَبِّ الْقَرْعِ فِي آخِرِ مَخْرَجِهِ، نَأْكُلُ أَحْشَاءَهُ
وَمَا وَالِاهَا؛ فَكَانَ يُوْتِي بِأَذْنَابِ الْكِبَاشِ الْعُضِيَّةِ، فَيَسْتَدْخِلُهَا فِي نَفْسِهِ،
P * لِيَشْتَغِلَ عَنْهُ الدُّودُ بِهَا؛ فَيَجِدُ لَذَلِكَ بَعْضَ رَاحَةٍ لَشُغْلِهَا بِالْأَذْنَابِ؛ ثُمَّ يُخْرِجُ
الْأَذْنَابَ، وَقَدْ هَتَكَتْهَا الدُّودُ، يُدْخِلُ أُخْرَى فِي دُبُرِهِ؛ ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الدُّودُ نَأْكُلُ
حَتَّى انْفِطَعَتْ مَذَاكِرُهُ. وَهَلَكَ. وَلَمَّا هَلَكَ. أُوتِيَ بِأَسْنِ أُخْتِ^(٤) الْغَسَّالِيِّ
الْمُقَرَّى. ابْتَقَرَأَ عِنْدَ رَأْسِهِ؛ وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ قِرَاءَةً؛ وَحَوْلَ عُيَيْدِ اللَّهِ
أَبْنَاؤُهُ يَكُونُ عَلَيْهِ. فَقَالَ الْغَدَّادِيُّ لِلْغَسَّالِيِّ: «اقْرَأْ». قَالَ: فَطَلَبْتُ مَا أَقْرَأُ
مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَلَمْ أُنْذَكِرْ مِنْهُ إِلَّا قَوْلَهُ بَعَالِي: «يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
النَّارَ» إِلَى آخِرِ آيَةِ. قَالَ: فَطَلَبْتُ غَيْرَ هَذِهِ آيَةٍ أَقْرَأُهُ؛ فَلَمْ أَقْدِرْ؛ فَكُنْتُ
أُرَدِّدُهَا حَتَّى خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ يَنْفِيَقُوا مِنْ بُكَائِهِمْ، فَيَتَأَمَّلُونَ قِرَاءَتِي،
فَيَقْتُلُونِي؛ فَتَسَلَّلْتُ وَخَرَجْتُ.

وَذَكَرَ أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ^(٥) إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بِالْمَهْدِيَّةِ؛
فَلَمْ يَلَسَّ إِلَّا أَنَامًا وَهَلَكَ كَمَا ذَكَرْنَا. فَلَمَّا دُفِنَ، طَرَحَتْهُ الْأَرْضُ؛ ثُمَّ دُفِنَ؛
فَطَرَحَتْهُ الْأَرْضُ ثَلَاثًا. فَقِيلَ لِأَبِي الْقَاسِمِ: «إِنَّ هَذَا لِأَجْلِ هَذَا الْحَجَرِ!

1-1) Manque dans B.

2) غير ظاهر A.

3) حكا A.

فَأَرْدُدُهُ حَيْثُ كَانَ!» فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَرَدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَفَرَّ عُيَيْدُ اللَّهِ فِي قَبْرِهِ.

ثُمَّ وَلِيَ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ مِنْ بَعْدِهِ. فَلَمْ يَزَلْ فِي شُغْلٍ وَخُرْنٍ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَا يَزِيدَ مُحَمَّدَ بْنَ كَيْدَادٍ؛ فَفَهَرَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ وَفَتَلَ جُنُودَهُ، وَقَامَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ عَلَيْهِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ، طَلَعَ الْإِمَامُ عَلَى الْمَنِيرِ، وَهُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ؛ فَخَطَبَ خُطْبَةً بَلِيغَةً، وَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى جِهَادِ الشَّيْعَةِ؛ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْقَرْمَطِيُّ الْكَافِرَ الْمَعْرُوفَ بِعُيَيْدٍ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، جَارِحِدًا لِنِعْمَتِكَ، كَافِرًا بِرُبُوبِيَّتِكَ! فَانصُرْنَا اللَّهُمَّ عَلَيْهِ، وَأَرْحِنَا مِنْهُ وَمِنْ دَوْلَتِهِ، وَأَصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا⁽¹⁾، بَعْدَ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي دُنْيَاهُ عِبْرَةً لِلسَّائِلِينَ، وَأَحَادِيثَ فِي الْغَابِرِينَ، وَأَهْلِكَ اللَّهُمَّ شَيْعَتَهُ، وَشَتَّتْ P. ٢٩٧

كَلِمَتَهُ!» وَمَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهُ مَحْضُورًا، وَفِي نَفْسِهِ مَقْهُورًا.

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ؛ فَأَظْهَرَ لِلْعَامَةِ الْجَبِيلَ. فَلَمَّا اسْتَفْجَلَ أَمْرُهُ، وَفَوَيْتَ شَوْكُهُ، أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنْ حَرْبِهِ وَحَرْبِ أَبِي الْقَاسِمِ وَالِدِ؛ فَحَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أَرَادَ، وَأَجَابَ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ؛ فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ بِالْعَطَشِ، حَتَّى مَاتَ.

ثُمَّ وَلِيَ ابْنُهُ مَعَدٍّ؛ فَادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَصَوَّتَ الْمُؤَذِّنُ بِذَلِكَ فَوْقَ صَوْمَعَةِ الْقَبْرِ وَأَمَرَ؛ فَضَجَّ الْمُسْلِمُونَ لَذَلِكَ. فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ، دَاخَلَهُ الرَّغْبُ، وَأَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ يَهْدِيهِمْ، إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ. فَدَخَلَهَا بِالْمُسْكِرِ وَالْبَغْيِ؛ فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بَعْلَةَ الْاسْتِسْفَاءِ؛ فَكَانَ الَّذِي يَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ لَا يَرَى رَجُلِيهِ؛ وَسَالَتْ عَيْنَاهُ، وَسَفْطَتِ أَسْنَانُهُ، وَأَرَاهُ اللَّهُ الْعِبْرَةَ فِي نَفْسِهِ. ثُمَّ مَاتَ.

وَوَلِيَ بَعْدَهُ نِزَارُ الْمُكَنَّى بِأَبِي الْمَنْصُورِ؛ فَحَدَّثَ فِي أَيَّامِهِ مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ - رَضَهُمْ - مَا حَدَّثَ. ثُمَّ تَشَوَّفَتْ نَفْسُهُ مَعَ أَحْوَالِ الدُّنْيَا، إِلَى أَنْ يَسْتَحْضِرَ

العلماء من أهل القَيْرَوَان. ثمَّ حدث عليه بالشَّام ما أَشْغله؛ فخرج اليها؛ فلما وصل الى السِّير¹، مات في مَرِحاض الحَمَّام.

ثمَّ ولى بعده الحَاكِم؛ فأظهر أَكْثَرَ مذهبهم؛ فكان ممَّا أَحدث أَنَّهُ بنى داراً، وجعل لها أَبواباً وطِيقاً، وجعل فيها قُبُوداً وَأَغْلالاً، وَسِمَّاءَ جَهَنَّمَ؛ فمن جَنَى جِنَايَةً عنده، قال: «أَدْخِلُوهُ جَهَنَّمَ!» وأمر أَن يُكْتَبَ في السُّوَارِعِ والجُوامِعِ بِسَبِّ الصَّحَابَةِ - رَضَهُمْ - أَجْمَعِينَ. ثمَّ أَرْسَلَ داعياً الى مَكَّة؛ فلما طلع المنبر،

وذكر ما ذكر، افتحَم عليه بنو هُذَيْل؛ ففَطَّعَ فِطْعةً فِطْعةً، وكسِرَ المنبر، وفَتَّتْ، حتَّى لم يَجْتَمِعَ منه شَيْءٌ. ثمَّ أَرْسَلَ رجلاً خُرَاسَانِيًّا من بنى عِمَّة؛ ففَضَرَبَ الحَجَرَ

الْأَسْوَدَ بِدَبُوسٍ؛ ففُتِلَ من حينه، وَأَخَذَهُ النَّاسُ فِطْعةً فِطْعةً، * وَأُحْرِقَ بالنَّارِ. P. 1

وَأَرْسَلَ - لعنه الله - الى مدينة الرسول - صلَّعم - مَنْ يَنْبَشُ القَبْرَ المَعْظَمَ؛ فَسَبَّحَ النَّاسَ صائِحاً يقول: «القَبْرُ يُنْبَشُ!» ففَتَّشَهُ النَّاسُ؛ فوجدوه وَأَصْحَابَهُ، ففَقَتَلُوهم.

ثمَّ إِنَّهُ ادَّعى الرُّبُوبِيَّةَ من دون الله، وجعل داعياً يدعو النَّاسَ الى عبادته، وَسَمَّاهُ المَهْدِيَّ. فكتب داعيه الكتابَ، وكان اسمُهُ حمزة، وذلك في سنة ٤١٠، وقُرِئَ

بِحَضْرَةِ الحَاكِمِ - لعنه الله - على أَهل مملكته، ذكر فيه - تعالى الله عن إِبطال المُبْطِلِينَ علواً كبيراً - : «الحَمْدُ لِمَوْلَايَ الحَاكِمِ وَحْدَهُ! بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ الحَاكِمِ

بِالْحَقِّ!» ثمَّ نَمَادَى، فقال: «تَوَكَّلْتُ على إِلَهِى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - جَلَّ ذِكْرُهُ! وبِهِ نَسْتَعِينُ في جميع الأُمُور!» ثمَّ طَوَّلَ في الكتابِ بِالتَّخْلِيصِ: فَمَرَّةً يجعله أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ،

ومَرَّةً يجعله إِلَهِ، وقال فيه: «وَأَمْرُنِي بِإِسْقَاطِ مَا لَا يُلْزِمُكُمْ اعْتِقَادُهُ مِنَ الْأَدْيَانِ المَاضِيَةِ، والشَّرَائِعِ الدَّارِسَةِ.» وذكر أَشْيَاءَ² يطول ذكرها. وكانت له رَايَةٌ

حَمْرَاءُ تحت قَصْرِهِ؛ فَاجْتَمَعَ اليه خلقٌ نحو خمسة عشر ألف رجل فيما قيل؛ ثمَّ إِنَّ رجلاً من التُّرْكِ قَتَلَ كَاتِبَهُ حَمْزَةً؛ فَأَظْهَرَ الحَاكِمُ أَنَّهُ أمر بِقَتْلِهِ. وكان الحَاكِمُ كثيرَ النَّصْرِفِ بالليل الى جبل المَقْطَمِ على حَمَارٍ؛ فخرج ليلاً؛ ففُتِلَ هو وحَمَارُهُ.

1) الْمَنَسِير.

2) فَبَائِح.

ثم ولى بعده على الملقب بالظاهر؛ فكان مشغولاً بالشرب، منهمكاً فيه،
يلبس ثياب النساء، حتى يظنه الناس إذا مشى معهن امرأة؛ ثم أصابه
الاستسقاء، حتى صار كالعدل¹؛ فمات.

ثم ولى بعده معد الملقب بالمستنصر؛ فمرة يظهر السب، ومرة يكف ويُسكن
الناس؛ فإذا مشى في جنوده، كان بين يديه الشبابة ومن ينشد الشعر. وذكر
أنه أرسل من كتب السب في أستار الكعبة في ليلة ظلماء؛ فأصبح الناس،
فوجدوه؛ فضج المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسب الصحابة - رضهم.
قال ابن سعدون: وعلى هذا بنوا أصل مذهم² أنهم يظهرون الدين والخير،
حتى يتمكنوا. قال المؤلف: انتهى ما أخصته * من كتاب ابن سعدون.

P. ٢٩٩

وذكر ابن القطان عنهم أنهم قوم من الرافضة، يدعون النسب إلى علي
- رضه -. وأكثر اعتقادهم كفر. ولما مات المستنصر بن الظاهر، ولى بعده ولده
الملقب بالمستعلي؛ وكان أشبه من غيره سياسة، لا ديناً. فلما توفي هو، ووزيره
الأفضل، استبد ولده وتسمى بالأمير بمحكم الله. وكان جباراً عنيداً ظالماً جائراً؛
وكثر في زمانه دغوى الباطل، ونصر الظالم على المظلوم، وإعانتة على ظلمه.
واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضاء³ الوجوه، اتخذها للفاحشة؛ كان رزق
كل واحد منها ألف دينار في كل يوم؛ وكان يعمل التزاهة، ويبيع للناس
فيها المخطورات؛ فلا يشاء مؤمن أن يعاين منكراً مباحاً إلا عاينه.

ثم ولى بعده عبد المجيد، الملقب بالحافظ لدين الله، ابن المستنصر، بويج
في اليوم الذي قتل فيه الأمير؛ وخطب له على المنابر؛ ووزر له أبو علي أحمد
ابن الأفضل أمير الجيوش. ثم استولى أبو علي على الأمر وجملة الحال من
سنة ٥٢٦ إلى سنة ٥٢٢: كانت لهم فيها محاولات شنيعة وأمور فظيعة⁴، منها
قتل الأمير، وانتزاع قاتله حزر الملوك، وقتله، واستيلاء ابن الأفضل، وقتله،

1) Manque dans B.

2) أصلهم.

3) الخيل.

4) فضيحة.

ثم ولى بعده على الملقب بالظاهر؛ فكان مشغولاً بالشرب، منهمكاً فيه،
يلبس ثياب النساء، حتى يظنه الناس إذا مشى معهن امرأة؛ ثم أصابه
الاستسقاء، حتى صار كالعدل¹؛ فمات.

ثم ولى بعده معد الملقب بالمستنصر؛ فمرة يظهر السب، ومرة يكف ويُسكن
الناس؛ فإذا مشى في جنوده، كان بين يديه الشبابة ومن ينشد الشعر. وذكر
أنه أرسل من كتب السب في أستار الكعبة في ليلة ظلماء؛ فأصبح الناس،
فوجدوه؛ فضج المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسب الصحابة - رضهم.
قال ابن سعدون: وعلى هذا بنوا أصل مذهم² أنهم يظهرون الدين والخير،
حتى يتمكنوا. قال المؤلف: انتهى ما أخصته * من كتاب ابن سعدون.

P. ٢٩٩

وذكر ابن القطان عنهم أنهم قوم من الرافضة، يدعون النسب إلى علي
- رضه -. وأكثر اعتقادهم كفر. ولما مات المستنصر بن الظاهر، ولى بعده ولده
الملقب بالمستعلي؛ وكان أشبه من غيره سياسة، لا ديناً. فلما توفي هو، ووزيره
الأفضل، استبد ولده وتسمى بالأمير بمحكم الله. وكان جباراً عنيداً ظالماً جائراً؛
وكثر في زمانه دغوى الباطل، ونصر الظالم على المظلوم، وإعانتة على ظلمه.
واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضاء³ الوجوه، اتخذها للفاحشة؛ كان رزق
كل واحد منها ألف دينار في كل يوم؛ وكان يعمل التزاهة، ويبيع للناس
فيها المخطورات؛ فلا يشاء مؤمن أن يعاين منكراً مباحاً إلا عاينه.

ثم ولى بعده عبد المجيد، الملقب بالحافظ لدين الله، ابن المستنصر، بويج
في اليوم الذي قتل فيه الأمير؛ وخطب له على المنابر؛ ووزر له أبو علي أحمد
ابن الأفضل أمير الجيوش. ثم استولى أبو علي على الأمر وجملة الحال من
سنة ٥٢٦ إلى سنة ٥٢٢: كانت لهم فيها محاولات شنيعة وأمور فظيعة⁴، منها
قتل الأمير، وانتزاع قاتله حزر الملوك، وقتله، واستيلاء ابن الأفضل، وقتله،

1) Manque dans B.

2) أصلهم.

3) الخيل.

4) فضيحة.

وظهورُ عبد المجيد، وما كان من الأسف من النفر، والأمر بعبادة⁽¹⁾ عبد المجيد وقتله؛ ثم استيلاء حسين بن عبد المجيد، والقيام عليه، الى أن قتل نفسه بسم، ورجوع عبد المجيد الى الولاية.

رَجَعَ الْخَبْرُ. وفي سنة ٤٤٢، وردت الأخبار أن محمد بن جعفر الكومى⁽²⁾ P. ٢٠٠. ولى * القضاء ببصرى، وأُقبَ قَاضِى النُّصَاةِ ودَاعَى الدُّعَاةِ. قال ابن شَرَف: فنَعُوذُ بالله من سوء العاقبة! لَأَنَّ قَاضِى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَعَلَى مَذْهَبِهِمْ، يَعْنِى الشَّيْعَةَ. وفيها، وصلت الى الْفَيَّرَوَانَ مُكَاتِبَةً مِنَ الْأَمِيرِ جَبَّارَةَ بْنِ مُخْتَارِ الْعَرَبِيِّ مِنْ بَرَقَةِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسٍ؛ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ وَأَهْلُ بَرَقَةٍ قَدْ أَحْرَقُوا الْمَنَابِرَ الَّتِي كَانَ يُدْعَى عَلَيْهَا لِلْعُبَيْدِيَّةِ، وَأَحْرَقُوا رَايَاتِهِمْ، وَتَبَرَّؤُوا مِنْهُمْ، وَلَعَنُوهُمْ عَلَى مَنَابِرِهِمْ، وَدَعَوْا لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ. وفي هذه السنة، كان أَوَّلُ الْفِتْنَةِ بِإِفْرِيقِيَّةِ.

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنَ الْفِتْنَةِ الْعَظِيمَةِ وَدَمَارِ الْفَيَّرَوَانَ

قال ابن شَرَف: لما آل الأمر الى التَّصَرُّحِ بِلَعْنَةِ بَنِي عُبَيْدٍ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَأَمْرِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسٍ بِقَتْلِ أَشْيَاعِهِمْ، أَبَاحَ بَنُو عُبَيْدٍ لِلْعَرَبِ تَجَازَ النَّيْلِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَمْنُوعاً، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ. ثُمَّ أَمَرَ لِكُلِّ جَائِرٍ مِنْهُمْ بِدِينَارٍ؛ فَجَازَ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِشَيْءٍ، لَعَلَّهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ لَوْصِيَّةً. فَجَازُوا أَفْوَاجاً، وَأَقَامُوا بِنَاحِيَةِ بَرَقَةٍ. وَمَضَتْ الْأَيَّامُ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً. ثُمَّ قَدِمَ مِنْهُمْ مُؤَنِسُ بْنُ بَحْنِي الرِّيَّاحِيُّ عَلَى الْمُعِزِّ. وَكَانَ الْمُعِزُّ كَارِهاً لِإِخْوَانِهِ صِنْهَاجَةَ، مُحِبّاً لِلْإِسْتِبدَالِ بِهِمْ، حَاقِداً عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يَكُنْ يُظْهِرُ ذَلِكَ لَهُمْ. فَلَطَفَ عَنْدهُ مَحَلُّ مُؤَنِسٍ هَذَا؛ وَكَانَ سَيِّداً فِي قَوْمِهِ، شَجَاعاً، عَاقِلاً؛ فَشَاوَرَهُ الْمُعِزُّ فِي اتِّخَاذِ بَنِي عَمِّهِ رِيَّاحٍ جُنْداً؛ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَعَرَّفَهُ بِقَلَّةِ اجْتِمَاعِ الْقَوْمِ عَلَى الْكَلِمَةِ، وَعَدَمِ انْفِئَادِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ؛ فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِلَى

(1) A. et B. بعبادة.

(2) B. الكومى.

أَنْ قَالَ لَهُ الْمُعِزُّ: «إِنَّمَا تَرِيدُ انْفِرَادَكَ، حَسَدًا مِنْكَ لِقَوْمِكَ!» فَعَزَمَ مُوسَى عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، بَعْدَمَا قَدَّمَ الْعُذْرَ، وَأَشْهَدَ بَعْضَ رِجَالِ السُّلْطَانِ. ثُمَّ رَحَلَ مُتَوَجِّهًا نَحْوَهُمْ بِفَادَى * فِي الْقَوْمِ، وَحَشَدَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ، وَغَبَطَهُمْ، وَوَصَفَ لَهُمْ P. ٢٠١ كِرَامَةَ السُّلْطَانِ وَالْإِحْسَانَ لَهُمْ؛ ثُمَّ قَدِمَ فِي رَكْبٍ مِنْهُمْ، لَمْ يَعْهَدُوا نِعْمَةً. وَلَا طَالَعُوا حَاضِرَةً؛ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى قَرْيَةٍ، تَنَادَوْا: «هَذِهِ الْفَيَّرَوَانُ!» وَنَهَبُوهَا مِنْ حَيْثُهَا.

فَلَمَّا وَرَدَ الْخَبَرُ عَلَى الْفَيَّرَوَانِ، عَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ وَقَالَ: إِنَّمَا فَعَلَ مُوسَى هَذَا لِيُصَحِّحَ قَوْلَهُ، وَيُظْهِرَ نُصْحَهُ! فَأَمَرَ بِثِقَافِ أَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ، وَخَتَمَ عَلَى دَارِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى مَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، اشْتَدَّتْ نَكَابَتُهُ، وَعَظُمَ بِلَاؤُهُ، وَقَالَ: «قَدَّمْتُ النُّصِيحَةَ! فَتَغَاقَ الْأَمْرُ بِي، وَنُسِبَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَيَّ!» فَكَانَ أَشَدَّ إِضْرَارًا مِنَ الْقَوْمِ. وَكَانَ قَدْ عَلِمَ عَوْرَاتِ الْفَيَّرَوَانِ. ثُمَّ أَخْرَجَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِمْ بَعْضَ النُّفَيَاءِ، وَمَعَهُمْ مَكَائِبَاتٌ وَشُرُوطٌ وَوَصَايَا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ دَفَعَ عِيَالَهُمْ لَهُمْ، وَأَخَذُوا عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمَوَاتِيقَ بِالرَّجُوعِ إِلَى الطَّاعَةِ؛ وَأَرْسَلُوا شَبُوحًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ؛ (1) ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَكَشُوا (2) عَلَى السُّلْطَانِ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْفَسَادِ بِكُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ.

ذِكْرُ هَرِيمَةِ الْعَرَبِ لِلْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ

لَمَّا كَانَ ثَانِي (2) عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، كَانَتْ الدَّاهِيَةُ الْعُظْمَى وَالْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى، وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ عِيدَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، وَمَشَى صَبَاحَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى نَاحِيَةِ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِبَنِي هِلَالٍ؛ فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ النَّهَارِ، أَتَتْهُ الْأَخْبَارُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَرَّبُوا مِنْهُ بِأَجْمَعِهِمْ. فَأَمَرَ بِالنُّزُولِ فِي أَوْعَارٍ وَأَوْدِيَةٍ؛ فَلَمْ يَسْتَمِ النَّزُولُ حَتَّى حَمَلَ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. فَانْهَزَمَ الْعَسْكَرُ؛ وَصَبَرَ الْمُعِزُّ صَبْرًا عَظِيمًا، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ رِمَاحُ الْعَرَبِ إِلَيْهِ، وَمَاتَ مِنَ الْعَيْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ خَلْقٌ

1—1) Manque dans A.

2) Mauvaise lecture de Dozy d'après A.: قَتْلَى.

عظيمَ قَدْوِهِ بِأَنفُسِهِمْ . وَأَمَّا بَنُو سَنَادٍ وَجَمِيعُ صِنْهَاجَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقِبَائِلِ ، فَإِنَّهُمْ
 P. ٢٠٢ * فَرُّوا ، وَانْتَهَيْتِ الْعَرَبُ مُضَارِبَهُمْ . وَدَخَلَ الْعَرَبُ مُعَسَّكِرُ الْبُعْزِ السُّلْطَانُ ؛
 فَحَازُوهُ ، وَفِيهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَمْنَعَةِ وَالْأَسَابِ وَالْأَثَاثِ وَالْخَفِّ وَالْكَرَاعِ
 مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ . وَكَانَ فِيهِ مِنَ الْأَخْيَةِ وَغَيْرِهَا مَا يَنْجَاوِرُ عَشْرَةَ آلَافٍ ،
 وَمِنَ الْجَمَالِ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفًا . وَمِنَ الْبَغَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ قَوْلٌ . فَمَا خَلَصَ
 لِأَحَدٍ مِنَ الْجَنْدِ عِقَالٌ فَمَا قَوَّهَ ، وَسَلَكَ أَكْثَرُ النَّاسِ الْجَبَلَ الْمَعْرُوفَ بِحَبْدَرَانَ ؛
 فَافْتَرَقُوا فِيهِ . ثُمَّ رَجَعَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ الْفَيَّرَوَانِ خَيْرٌ بِذَلِكَ ،
 إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا نَحْتِ تَوَقُّعٍ وَنَشُوفٍ . فَلَمَّا كَانَ ثَالِثَ الْعِيدِ ، قَدِمَ فَارِسَانٌ مَعَ ابْنِ
 الْبَوَّابِ ، وَهُمْ قَدْ غَلِبَتْ عَلَيْهِمُ الْكَأَبَةُ وَكُشُوفُ الْبَالِ ، وَحَالُهُمْ تُغْنِي عَنِ السُّوَالِ ،
 وَكَثُرَ أَيْضًا سُؤَالُ النَّاسِ عَنِ السُّلْطَانِ ؛ فَذَكَرُوا أَنَّهُ فِي حَيْزِ السَّلَامَةِ ؛ فَلَمْ تَكُ
 إِلَّا سَاعَةً حَتَّى دَخَلَ قَصْرَهُ هُوَ وَوَلَدُهُ . ثُمَّ تَسَاقَطَ النَّاسُ بَعْدَ آحَادًا وَجُمُوعًا ،
 وَتَخَافُ عَنِ الْوُصُولِ خَلْقٌ عَظِيمٌ ؛ فَفَتَنَهُمْ مِنْ عُلَمَاءَ خَبَرَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْلَمَ . ثُمَّ
 ذُكِرَ أَنَّ الْعَرَبَ أَخَذُوا خَلْفًا كَثِيرًا مِنَ الصِّنْهَاجِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ .
 قَالَ ابْنُ شَرْفٍ : وَكَانَ عَدَدُ الْعَسْكَرِ الْمَهْزُومِ ثَمَانِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَمِنَ
 الرِّجَالِ مَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ . وَكَانَتْ خَيْلُ الْعَرَبِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ فَارِسٍ ، وَمِنَ الرِّجَالِ
 مَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ رِزْقٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي ذَلِكَ ،
 أَوَّلُهَا [طَوِيلٌ] :

لَقَدْ زَارَ وَهْنًا مِنْ أُمَيْمٍ خَيْالٌ وَأَيْدَى الْبَطَايَا بِالذَّمِيلِ عِجَالٌ

وفيها :

ثَلَاثُونَ^١ أَلْفًا مِنْكُمْ هَزَمْتَهُمْ ثَلَاثُ أَلْفٍ إِنْ ذَا لِكَيْلِ

ووصل العربُ إلى نواحي الفَيَّرَوَانِ ، وَجَعَلَ كُلُّ مَنْ سَبَقَ إِلَى فَرِيْقٍ يُسَمَّى
 P. ٢٠٣ نَفْسَهُ لَمْ ، وَيَوْمَهُمْ ، وَيُعْطِيهِمْ قَلَنْسُونَهُ أَوْ رُقْعَةً يَكْنِيهَا لَمْ * عَلَامَةً ، لِيُعْلَمَ غَيْرُهُ

١) ثمانون . A.

أنه سبفه. وبات الناس ليلتين بالقيروان تحت ما لا يعلمه إلا الله تعالى من
الخوف، لا يدرون ما ينزل بساحتهم. وأقام الناس يومين، لا يدخل اليهم
داخل ولا يخرج منهم خارج، وخيل العرب نسرح حول القيروان في كل جهة
ومكان، والناس يرونهم عياناً بياناً. وخرج السلطان سابع عيد الأضحى بجنوده.
وخرج عامة القيروان معه؛ فلم يتعدّ بهم المصلّى. ورجع العرب في أمانهم الذي
أعطوا أهل البوادي، وانتهوا جميعها؛ وانتقل أهلها إلى القيروان. وأمر
السلطان كافة الناس بانتهاج الزروع والمحيط بالقيروان وصبرة. وهي
المنصورة؛ فسّر المسلمون بذلك، وحسبوا من أروافهم. وكان مَصِيرُهَا إلى
ما قدّر الله من فسادها وأكل البهائم لها¹.

وفي السابع عشر لذي حجة، ظهرت خيل العرب على ثلاثة أميال من
القيروان. فترسل السلطان بمشي فيها، ويوصي أهلها بالاحتفاظ والبقاء؛ وأخذ
الناس في بناء دورهم. وأمر السلطان المعز أن ينقل عامة أهل صبرة وسوقها
إلى القيروان، ويحلوا الحوايت كلها بصبرة؛ وأمر جميع من بالقيروان من
الصنهاجيين وغيرهم من العسكر، أن ينتقلوا إلى صبرة، وينزلوا في حوايتها
وأسواقها؛ فارتجّ البلد لذلك، وعظم الخطب، واشتدّ الكرب. ومدّ العبيد
ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوايت وسفائفها. واقتلعوها. وخرت
العبارة العظيمة في ساعة واحدة. وبات الناس على خوف عظيم؛ ثم أصبحوا؛
فعاينوا خيل العرب؛ فأمر السلطان ألا يخرج العسكر على سور صبرة. قال
ابن شرف: أخبرني من أثق به، قال: خرجت من القيروان وسرت ليلاً؛
فكنت أكنّ النهار؛ فلم أمرّ بقريّة إلا وقد سُحِفَتْ وأكَلَتْ، أهلها عراة أمام
حيطانها، من رجل وامرأة وطفل، يبكي * جميعهم جوعاً وبرداً. وانقطع المير^{P. ٢٠٤}
عن القيروان، وتعطلت الأسواق، وأمسك العرب جميع من أسروه؛ فلم يطلقوا
أحداً إلا بالفداء مثل أسرى الروم؛ وأما الضعفاء والمساكين، فأمسكهم لخدمتهم.

1) Lacune de deux mots dans A.

نَبَذَ مِنْ وَقْعَةِ بَابِ تُونِسَ، أَحَدَ أَبْوَابِ الْقَيْرَوَانِ

وذلك أَنَّ الْعَرَبَ دَفَعَتْ إِلَى هَذَا الْبَابِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْعَامَّةُ، مِنْهُمْ بِسِلَاحٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدُ عَصَا لَا يُدْفَعُ بِهَا أَضْعَفُ الْكِلَابِ؛ فَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ فُرْسَانُ الْعَرَبِ، وَفُتِكَتْ مِنْهُمْ سِيوفُهُمْ وَرِمَاحُهُمْ؛ فَتَسَاقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَجُنُوبِهِمْ، وَسَطَحَوْهُمْ مِنْ حَدِّ أَفْرَانِ الْأَجَرِ إِلَى هَذَا الْبَابِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ حَصَّنَهُ أَجَلُهُ، وَلَمْ يَتْرَكُوا عَلَى حَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ خَرَقَةً تُؤَارِيهِ. وَخَرَجَ أَهْلُ الْقَتْلِ عِنْدَ انْصِرَافِ الْعَرَبِ؛ فَرَفَعُوا قَتْلَاهُمْ؛ فَقَامَتِ النَّوَاحِ وَالنَّوَادِبُ بِكُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ مِنْ أَرْقَةِ الْقَيْرَوَانِ، تَنْصَدِّعُ لِمَنْظَرِهَا وَسَمَاعِهَا الْحَيَالُ. وَبَقِيَ خَلْقٌ مِنَ الْغُرَبَاءِ فِي الْمَقْتَلَةِ، وَجُرِحَ مِنَ النَّاسِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَرَأَى النَّاسُ مَا أَذْهَلَهُمْ مِنْ قَبِيحِ تِلْكَ الْحَرَاحَاتِ؛ فَتَفَنَّتْ الْأَكْبَادُ، وَذَابَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَجْسَادُ، لُبَيَّاتٌ قَدْ سَوَّدْنَ وَجُوهُهُنَّ وَحَلَقْنَ رُؤُوسَهُنَّ عَلَى أَبَائِهِنَّ وَإِخْوَانِهِنَّ. فَكَانَ هَذَا يَوْمٌ مَصَائِبَ وَأَنْكَادٍ وَنَوَائِبَ¹. وَلَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ، فِيمَا مَضَى مِنَ الْأَعْصَارِ². وَبَاتَ النَّاسُ فِي هَمٍّ وَغَمٍّ. تَمَّ كَلَامُ ابْنِ شَرَفٍ مُخْتَصَرًا³.

هَزِيمَةُ صَنْهَاجَةَ أَيْضًا بِجَبَلِ حَبِيدَرَانِ، وَهَزِيمَةُ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسٍ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ

قَالَ أَبُو الصَّلْتِ: ثُمَّ بَرَزَ الْمُعِزُّ إِلَى لِقَاءِ الْعَرَبِ الْوَاصِلَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَجَرَّدَ عَسَاكِرَهُ، وَقَدَّمَ عَلَيْهَا ابْنُ سَلْبُونٍ³، وَزَكْنُونُ بْنُ وَاْعْلَانِ، وَزِيْرِي الصَّنْهَاجِيِّ، وَعَادَ هُوَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ. فَلَمَّا كَانَ عِيدُ النَّحْرِ، انْهَزَمَتْ صَنْهَاجَةُ، وَقُتِلَ مِنْهَا كَثِيرٌ؛ فَخَرَجَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ، وَانْتَشَبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَبَيْنَهُ؛ فَهَزَمَتْهُ الْعَرَبُ؛ وَنَبَتِ الْمُعِزُّ فِي طَائِفَةٍ مِنْ عِيْدِهِ؛ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ. فَأُخِصَّ مِنْ

1) Manque dans A.

2—2) Manque dans B.

3) Ici débute une importante lacune du ms. A.

قُتل من صحتها في هذه الواقعة: فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة. ثم أقبلت العرب حتى نزلت على الفَيَرَوَان، ووقعت الحرب هنالك؛ فقتل بين رَقَّادَة والمنصورنة خلق كثير.

وفي سنة ٤٤٤، ذهب المَعِزُّ بن باديس الى رفع الحرب بينه وبين العرب؛ وأباح لهم دخول الفَيَرَوَان لما يحتاجون اليه من بيع وشراء. وبقي هو مستوطناً بالمنصورنة مع من بقي من عسكره. فلما دخلوها، استنطالت العامة عليهم. وأوسعهم إهانةً وشتماً؛ فقتل العرب منهم خلقاً كثيراً. وكان عدد العرب الواصلين من المشرق سبعة آلاف فارس وخمسمائة. وقدَّر المَعِزُّ أنَّ العرب عائدون من حيث أنوا، فخرج الأمر له بخلاف ظنه.

وفي هذه السنة: بنى المَعِزُّ سورَ الفَيَرَوَان، وسورَ زَوَيْلَة، وجعل السور ممّا بلى صَبْرَة كالفَصِيل: حائِطَانِ مُتَّصِلَانِ الى صَبْرَة، وبينهما نحو نصف ميل. وأما الفَيَرَوَان، فهي في بسط من الأرض، ممدودة في الجوف منها نحو تونس. وفي الشرق نحو سوسة. والمهدنة، وفي القبلة نحو سَفَاقُس؛ وبقرّب منها البحر الشرقي؛ فبينها وبين البحر مسيرة يوم؛ وسائر جوانبها أرض طيبة. ولا سبيل للوارد أن يدخل الفَيَرَوَان إلا بعد جوازه على صَبْرَة. وأما صَبْرَة، فبناها إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي، المتلقب بالمنصور، وسماها المنصورنة، واستوطنها سنة ٢٢٧؛ ثم كانت منزل الولاة بالفَيَرَوَان الى حين حرامها.

وفي سنة ٤٤٥، ولي المَعِزُّ بن باديس ابنه تيباً مدينة المهدنة. وفيها. نافع على المَعِزُّ بن باديس أهل سوسة. وهي مدينة منبغة، حاصرها أبو يزيد شهوراً؛ ثم انهزم عنها؛ وكان عليها في ثمانين ألفاً. وفي ذلك يقول سهل ابن إبراهيم الكامل:

إِنَّ الْحَوَارِجَ صَدَّهَا عَنْ سُوسَةَ أَتَدَّ طِعَانُ السَّيْرِ وَالْإِقْدَامِ

وفي سنة ٤٤٦، حاصرت العرب مدينة الفَيَرَوَان وضيق عليها نقصاً

شديداً بطول ذكره. وفيها، أخذ مؤنس بن مجي سلطان العرب مدينة باجة، وأطاعه أهلها.

وفي سنة ٤٤٧، تولى بلقين الصنهاجي قلعة حماد. وفيها، نافق ابن أبي زمان على المعز بن باديس. وفيها، كانت بإفريقية مجاعة عظيمة وجهد مفرط. وفي سنة ٤٤٨، وقع بين عبيد المعز الساكنين بالمهدية وبين عبيد تميم ابنه منازعة أدت إلى الافتتال والحاربة؛ فقامت عامة زويلة وسائر من كان بها من البجريين وغيرهم مضادة لعبيد تميم؛ فهزموهم، وأخرجوهم من المهدية، وقتلوا منهم عدداً كثيراً. وسار الدين بقى منهم، يريدون اللحاق بالقيروان؛ فدرس تميم خبرهم إلى العرب؛ فقتل منهم في الطريق خلق كثير؛ وسبب هذه المقاتلة قتل تميم عبيد أبيه بالمهدية؛ ويقال إن الذي قتل منهم سبعة. وذكر أن الحزك لقتلهم واستبصالم فصيده محمد بن حبيب، التي أولها [بسبط]:

السيف يسبق قبل الحادث العذلاً لا تغمد السيف حتى تقتل السفلاً
نقل عدانك من دنيا لآخره فكلهم ظن هذا الملك مستقلاً

وفي سنة ٤٤٩، خرج المعز بن باديس من المنصورية مستقلاً إلى المهدية، للبتين بقيتا من شعبان. وفي أول يوم من رمضان، انتهت العرب مدينة القيروان وخربتها. وكانت من أعظم مدن الدنيا. وذكر أبو عبيد أنه انتهى ما ذبح بها من البقر خاصة في اليوم الواحد سبعة رأس وخمسين رأساً. وقال: في سنة ٥٢، بنيت القيروان وأُخليت.

وفي سنة ٤٥٠، خرج بلقين، ومعه الأئيج وعدي لحرب زناتة؛ فكسرها وقتل منها عدداً كثيراً.

وفي سنة ٤٥١، قتل منصور البرغواطي، صاحب سنافس، قتله غدرًا حمو ابن ومليل البرغواطي، وولى مكانه، وذلك يوم السبت الثاني لشوال.

وفي سنة ٤٥٢، وقعت بين العرب بالقيروان وبين هوارة حرب كان الغلب فيها للعرب. وقتلت هوارة بباب الصوم، أحد أبوابها.

وفي سنة ٤٥٣، قتل أهل نفيس مائتين وخمسين من العرب. وكان سبب ذلك أن العرب دخلت إلى نفيس متشوّفة؛ فسمع رجل منهم رجلاً من أهل المدينة يذكر المعزّ بخير، وثنى عليه؛ فقتله العربي؛ وكان مقدّماً في المدينة؛ فقام عليهم أهل البلد؛ فغزّوهم وقتلوا من العرب العدد المذكور.

وفي سنة ٤٥٤، غدر الناصر بن علّاس الباقين بن محمد الصنهاجي صاحب الثغمة؛ وكان ذلك أوّل يوم من رجب؛ وولى مكانه. وفيها، توفى المعزّ ابن باديس.

بعض أخبار المعزّ بن باديس

كنيته: أبو سيّد. ولقبه: أولاً شرف الدولة بن أبي مناد باديس نصير الدولة بن أبي الفتح المصنوع عدوّ العزيز بالله بن أبي التّوح بلقين سيف العزيز بالله بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي. وفي هذه الأسماء والكنى، يقول ابن شرف [خفيف]:

شرف الدولة المعزّ بن باديس النصير المظفر المقدم
من له في العلّ ثلاثة آباء نصير وعدّة وحسام
وإن زيري أبو التّوح الذي أعدى أعاديه في الوري الإحجام
وأبو الفتح بعده السيّد المنصو من صوب راحته سجام

مولده سنة ٢٩٩. وولى الملك سنة ٤٠٧، وشبه سبعة أعوام وشهران. وتوفى سنة ٤٥٥. وعمره ثمان وخمسون سنة. فكانت مملكته سبعاً وأربعين سنة. وفي سنة ومارج ولاته، يقول ابن شرف [رجل]:

لما أفضت من الهين أربع وبعدّها ست سنين تنبع
وأوّل العام الشريف السابع دار إليها أبمن طوالع

باسم المِعْزِ الْمَلِكِ الْمَيُّونِ مُذِلْ كُفْرٍ وَمُعِزِّ الدِّينِ (1)
 • فَقَلَدَ الْأَمْرَ الشَّدِيدَ الْمُنْعَةَ مُنْتَهِضاً بِحِمْلِهِ ابْنُ سَبْعَةِ

P. ٢٠٥

صِفَتُهُ: أَشْمَرٌ، جَمِيلُ الْوَجْهِ، جَهِيْرُ الصَّوْتِ، حَسَنُ الْخَلْقِ، بَعِيدُ الْغَوْرِ فِي الْأُمُورِ، قَتَلَ الشَّبْعَةَ وَقَطَعَ دَعْوَتَهُمْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ، وَلَعَنَ أُمَرَاءَهُمْ بَنَى عَمِيدٌ عَلَى سَائِرِ مَنَابِرِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَوَفَّى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ حَقَّهُ، وَأَقَامَ السَّنَةَ (2) وَكَانَتْ مَتْرُوكَةً مِنْذُ مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً (2).

حكاية في ابتداء دولة صِنْهَاجَة

لَمَّا تَغَلَّبَ آلُ عَمِيدِ اللَّهِ عَلَى مِصْرَ، وَأَرَادَ مَعَدُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرَّحْبِلُ الْبِهَا مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ، دَعَا زَيْرِيَّ بْنَ مَنَادٍ، وَكَانَ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ؛ فَقَالَ لَهُ: «أُدْعُ لِي بَنِيكَ؛ فَقَدْ عَلِمْتُ رَأْيِي فِيهِمْ وَفِيكَ.» وَكَانَ أَصْغَرُهُمْ سِنًا بُلْقَيْنَ. فَدَعَا أَوْلَادَهُ مَا عَدَاهُ، وَالْقَدَرُ لَا يُرِيدُ سِوَاهُ. وَكَانَتْ عِنْدَ مَعَدِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمِ الْحَدَثَانِ، قَدْ عَرَفَ بِهَا بَصَائِرَ أَحْوَالِهِ وَأَهْلَ الْغَنَاءِ مِنْ أَعْيَانِ رِجَالِهِ. وَكَانَتْ عِنْدَ خَلِيفَتِهِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ، إِذَا صَارَ إِلَيْهِ مُلْكُ مِصْرَ، عَلَامَةٌ. فَظَنَرَ فِي وَجْهِهِ بَنِي زَيْرِيٍّ؛ فَلَمْ يَرَهَا؛ فَقَالَ لَزَيْرِيٍّ: «هَلْ غَادَرْتَ مِنْ بَنِيكَ أَحَدًا؟» فَقَالَ لَهُ: «غَلَامًا صَغِيرًا.» فَقَالَ الْمِعْزُ: «لَا أَرَاكَ حَتَّى أَرَاهُ! فَلَسْتُ أُرِيدُ سِوَاهُ!» فَلَمَّا رَأَاهُ عَرَفَهُ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ مِنْ حِينِهِ، وَاسْتَخْلَفَهُ؛ فَاسْتَوَلَى مِنْ وَقْتِهِ عَلَى الْأُمُورِ، وَزَاوَمَتْ مَهَابَتُهُ الْأَهْوَاءَ فِي الصَّدُورِ؛ وَبَعْدَتْ أَسْفَارُهُ، وَاشْتَهَرَتْ أَخْبَارُهُ، وَبَلَغَ بَغْزَوَاتُهُ سَبْتَةً فِي خَبَرِ طَوِيلٍ. ثُمَّ أَجَابَ صَوْتَ مُنَادِيهِ، وَخَلَعَهَا عَلَى أَعْطَافِ بَنِيهِ، حَتَّى انْتَهَى أَمْرُهُمْ إِلَى الْمِعْزِ بْنِ بَادِيسَ شَرْفِ الْعَشِيرَةِ، وَآخِرَ مُلُوكِهَا الْمَشْهُورَةِ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّهَا تَوَافَقَا فِي الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ، أَعْنَى الْمِعْزُ أَبَا تَيْمٍ مَعَدُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْعَمِيدِيُّ صَاحِبَ الْحَدَثَانِ، وَالْمِعْزُ أَبَا تَيْمٍ هَذَا.

1) Ici prend fin la lacune du ms. A.

2—2) Manque dans B.

فأول ما افتتح به شأنه، وثبت به فيما زعم سلطانه، قتل الرافضة، ومُرَاسلة أمير المؤمنين العباسي يومئذ ببغداد؛ فكتب اليه بعهد، * وجاءته الخلة واللقب P. ٢٠٦ من عنده، رأياً اغترّ بباديه، وذهل عن عواقبه وبواديته. واتصل ذلك بالعيدي ببصر، وأمره يومئذ يدور على الجرجرائي؛ فإصطنعها عليه، وفوق سبهم مكروهه اليه. وكانت بطون من عامر بن صعصعة: زغبة، وعدي والآنج ورياح، وغيرهم، تنزل الصعيد، لا يسبح لها بالرحيل، ولا بإجازة النيل؛ فأجازهم الجرجرائي، وأذن لهم في المعز أمانة طالما تخلت اليها أطماعهم، وعكفت عليها أبصارهم؛ فغشاه منها سبل العرم، ورماه بذلول ابنه الرقيم؛ فشغل المعز بعضهم أولاً بخدمته، وحملهم أعباء نعمته، وهم في خلال ذلك يتبرسون بجهاته، ويدبون الى حماته، ويطلون على عوراتيه، حتى بان لهم شأنه، وهان عليهم سلطانه؛ فجاهروه بالعداوة، حتى جرت بينهم تلك الحروب، التي تقدم ذكرها مختصراً؛ فأورثته البوار، وضربت عليه الحصار.

وفي أثناء ذلك، أعطاهم الدنية، وناشدهم النقية، واشترط المهدية، وزف الى أحد زعمائهم من بناته؛ فأصبحوا له أصهاراً، وقاموا دونه أنصاراً. فلما استحكمت بأسه، وأهنته نفسه، استجاش من قبله، واحتبل أهله وثقله، وخلي الملك لمن حماه وحمله، وجاء أصهاره يمنعون من عسى أن يكيد، حتى بلغ المهدية؛ فأقام بها أسقط من الشمس بالميزان، وأهون من الفقير على القيان؛ ولم يكن أحد في زمانه أشدّ بأساً في الملاحم، ولا أطول يداً بالمكارم، ولا أغنى بلسان العرب، ولا أحنى على أهل الأدب.

ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصر بن خزر في دفعة مائة ألف دينار، الى ما وصله من مركب نيل، وزيّ حنبل. وكان متوقد الذهن، حاضر الخاطر، حاذقاً بطرائف الألحان، عالماً بالمشور والمنطوم من الكلام. ومدحه كثير من الشعراء؛ فأجزل لهم العطاء: منهم علي بن يوسف التونسي، ويعلى ابن إبراهيم الأركشي، وأبو علي بن رشيقي، والقرشي، وابن شرف، وغيرهم يطول

الكتاب. ذكرهم، لا سيّما لو ذكرت من نظمهم ونثرهم. وذكر أبو الحسن الخولاني المعروف بالحدّاد، قال: اشتملت على كثير من أيامه ووقائعه وصنف حاله في خروجه من القيروان، وتسليمه للعرب معظم ملكه، في قصيدة أوّلها [طويل]:

سَرَتْ تَهْمَادِي بَعْدَ مَا رَحَلَ الرَّكْبُ وَقَدْ قُلِدْتُ جَيْدَ الدُّجَا الْأَنْجُمِ الشُّهُبِ
ومنها:

وَإِنْ خَانَنِي صَبْرِي عَلَى نِقَتِي بِهِ فَقَدْ خَانَ مَوْلَانَا الْعَشَائِرُ وَالصَّحْبُ^(١)
وَلَوْ شَاءَ تَأْلِيفَ الْجُنُودِ وَجَمْعَهَا لَجَاءَتْهُ مِنْ أَقْطَارِهَا الْعُجْمُ وَالْعُرْبُ
وَلَا كُنْتُ أَغْذَى^(٢) الْجُنُونِ لِعَلِمِهِ بَمَا سَطَرْتُ فِيهِ الْمَلَا حِمُّ وَالْكُتُبُ

ولم يمكث بالمهدية إلّا نحو سنتين، وانقضت أيامه، ووافاه حمامه؛ فتوفي يوم السبت لحمس بقين من شعبان سنة ٤٥٤. هاكذا ذكر أبو الصّلب؛ وقد تقدّم قول ابن شرف أنّه توفي في سنة ٤٥٥. أولاده: تميم، ويزار، وعبد الله، وعلو، وحماد، وسليق، وحمّامة، والمنصور.

دولة الأمير تميم بن المعزّ ونبذ من أخباره

مولده بالمنصورية في رجب سنة ٤٢٢. وأبرزه والده للناس ابن سنتين؛ وركب، والعساكر وراءه، وطاف مدينتي القيروان والمنصورية. وولى المهدية سنة ٤٤٥، عمره إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة. وأقام بها إلى أن خرج والده من المنصورية متوجّهاً نحوها؛ فلما دنا منها، خرج إليه فبين معه، وترجل عند رؤيته له، وقبل الأرض بين يديه، ومشى راجلاً أمامه، وأظهر من طاعته له ما أبان كذب ما نسب إليه، وزور * من التّفاق عليه؛ فدعا له والده، وأمره

بالركوب؛ فركب وسار معه الى المهدية؛ فترل المعز القصر، وأقام ابنه تميم متكفلاً بأمر الدولة.

وفي سنة ٤٥٥، فتح تميم مدينة سوسة. وكان أهلها قد نافقوا على أبيه؛ فعفا عنهم^(١).

وفي سنة ٤٥٦، زحف الى المهدية حمو بن وميل البرغواطى الثائر بمدينة سفاقس، بمن استعان من العرب. فورد خبره على تميم؛ فسار اليه، ومعه طائفة كبيرة من زغبة ورياح. وكان مع حمو طائفة من عدى والأنبج؛ فاقتتل الفريقان. ثم ولت طائفة حمو أديارها؛ فأخذتها السيوف، وتولتها المحتوف. وفي سنة ٤٥٧، كسر عسكر الناصر بن حماد؛ وكان قد خرج في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدى والأنبج؛ فلقبهم رياح وزغبة وسلم؛ فانهمزم الناصر، وقتل من أصحابه خلق كثير، ونهبت أمواله ومصاربه، وقتل أخوه القاسم بن علناس. وكان من أعظم الأسباب في ذلك ما أبرمه تميم في أمره.

وفي سنة ٤٥٨، جرد تميم عسكراً كبيراً الى مدينة تونس؛ فأقام محاصراً لها، آخذاً بخفها، أربعة عشر شهراً، حتى وقع الاتفاق بينه وبين ابن خراسان صاحبها، على ما اقتضاه إقلاع العسكر عنها.

وفي سنة ٤٥٩، قام بالمغرب الأفصى محمد بن إدريس بن يحيى بن على ابن حمود الحسنى؛ استدعى من مليلة؛ فعبّر اليها، وقام به جماعة بنى وزندى في مليلة ونواحيها. وكان قد خطب له بالخلافة بالآفة، ونسبى بالمستعلي؛ فأقام بها الى أن تغلب عليه باديس بن حبوس الصنهاجى صاحب غرناطة سنة ٤٤٧؛ فانقرضت دولة بنى حمود يومئذ بالأندلس، واختفى بالمريّة الى أن استدعى.

وفي سنة ٤٦٠، حاصر الناصر بن علناس بن حماد مدينة الأربس؛ وكان معه الأنبج من العرب؛ وبقي عليها حتى * افتتحها، وأمن أهلها، وقتل عاملها P. ٣٠٩ ابن مكرز^(٢). وفيها، وصل الناصر المذكور الى القيروان مع العرب، ودخلها.

وفيها، استبدَّ أميرُ لَمْتُونَةَ بِالْعَرَبِ، وطاعت له قبائلُ المَصَائِمَةِ وبلاد دَرَعَة
وَسِجِلْمَاسَة، وتغلَّب على زَنَاتَةِ المستوطنين هنالك.

وفي سنة ٤٦١، عاد الناصر بن عَلَنَاس بن حَمَّاد من القَيْرَوَان الى قلعته،
خوفاً من جموع العرب. وفيها، شرع أبو بكر بن عمر اللُّثُونِيُّ في بناء مَرَاكُش،
على ما يأتي في موضعه.

وفي سنة ٤٦٥ وصلت الى مدينة سَفَاقُس مراكب شرقية؛ فأخرج اليها
السلطان تَيْمِمْ بن المِعِزِّ اسْطُولَهُ من المهدية؛ فأفْسدها.

وفي سنة ٤٦٦ (وقيل ٤٦٧)، طُرِثَتْ زُغْبَةُ من إفريقية: طردتهم رِيَّاحٌ
منها، وبَاعَت القَيْرَوَان من الناصر بن عَلَنَاس بن حَمَّاد الصَّنَهاجِيَّ صاحب
القلعة.

وفي سنة ٤٦٨، وصلت الى إفريقية عَرَبٌ من بَرَقَة، ونزلت حَوْلَ القَيْرَوَان
وما والاها.

وفي سنة ٤٦٩، كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ ووباءٌ عظيمٌ، مات فيه من
الناس خلقٌ كثيرٌ.

وفي سنة ٤٧٠، اصطلح تَيْمِمْ بن المِعِزِّ والناصر ابن عمه، وزوجه بنته
بِلَاذَرَة، وجهزها اليه من المهدية في عساكر عظيمة ومال وأسباب وذخائر.

وفي سنة ٤٧٤، حاصر تَيْمِمْ مدينة سَفَاقُس، وعاث عسكره في أجنحتها المعروفة
بالغابة، وأفْسدها. وولى تَيْمِمْ ابنه مَقْلَدًا¹⁾ مدينة إِطْرَاسُس سنة ٤٧٠.

وفي سنة ٤٧٦، حوصرت المهدية: نزل عليها مَالِك بن علوي في جموع
عظيمة من العرب؛ فخرج اليه السلطان تَيْمِمْ؛ فهزمه؛ وأقلع عنها منهزماً،
ودخل القَيْرَوَان.

وفي سنة ٤٧٩، حاصر تَيْمِمْ مدينة قَايس وسَفَاقُس معاً في زمن واحد، مما
لم يُسمع بمثله.

1) Manque dans B.

وفي سنة ٤٨٠، كسفت الشمس كسوفاً كليباً. وجرى فيها ماجرى من نزول الروم على المهديّة في ثلاثمائة مركباً حربيّة، على ظهورها ثلاثون ألف مقاتل.

٢١٠. P. ذكر دخول النصارى مدينة المهديّة

وسبب ذلك، مع قدر الله تعالى، غيبة عسكر سلطانها عنها، ومُفاجأة الروم قبل استفداه اليها، وأخذ الأهبة للقائهم، وخلو كافة الناس من الأسلحة والعُدَد، وفَصْرُ الأسوار وتهديمها، وتكذيب تميم بخبرهم، وسوء تدبير عبد الله بن منكور متولّي أمور الدولة في قصده مخالفة قائد الأسطول في الخروج اليهم للقائهم في الماء ومنعهم من النزول في البر. فكان ذلك كله سبب تغلّيم على المدينتين المهديّة وزويلة، ونهبهم إياها، وقتلهم الناس فيهما، وإحراقهم بالنار ما هو مشهور بالمهديّة الى الآن. وقد استوعب ذلك أبو الحسن الحدّاد في قصيدته التي أوّلها [منسرح]:

أَنَّى يُلِمُّ الْخَيْمَالُ أَوْ يَفِيفُ	وَبَيْنَ أَجْفَانِنَا نَوَى الدَّانِفُ
غَزَا حِمَانَا الْعَدُوُّ فِي عَدَدٍ	هُمَا الدُّمَى كَثْرَةً أَوْ اللَّعْفُ
عَشْرُونَ أَلْفًا وَنَصْفُهَا أَتَتَلَفُوا	مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَلَيْتَ مَا اتَّكَلَفُوا
جَاوُوا عَلَى غُرْفَةٍ إِلَى نَفْسٍ	قَدْ جَهَلُوا فِي الْحُرُوبِ مَا عَرَفُوا

وهي طويلة.

وفي سنة ٤٨١، مات الناصر بن علفاس بن حمّاد الصنهاجي، وولى ابنه المنصور.

وفي سنة ٤٨٢، غزا مالك بن علوى مدينة سوسة، ودخلها في طائفة من أصحابه، ولم يتمكن له شيء من مراده فيها، فخرج منها منهزماً، وقتل جماعة من رجاله، وأسر بعضهم.

وفي سنة ٤٨٢، غَلَّتْ الْأَسْعَارُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ، وَكَانَتْ بِهَا مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ.

وفي سنة ٤٨٤، صَلَحَتْ أَحْوَالُ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي الْخَصْبِ وَالرِّخَاءِ.

وفي سنة ٤٨٦، حَاصِرَ عَسْكَرُ تَيْمٍ مَدِينَةَ قَائِسَ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا حَتَّى فَنَحَ رَافِضُهَا.

وفي سنة ٤٨٨، كَانَ مَا كَانَ مِنْ غَدْرِ شَاهِ مَالِكِ الْغُرِّيِّ * لِبُحْيِ بْنِ P. ٢١١

السلطان تَيْمِ بْنِ الْمُعِزِّ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ تَيْمًا خَافَ الْغُرِّيَّ وَأَوْحَشَ مِنْهُ نَفْسَهُ وَنَفْسَ أَصْحَابِهِ لِكَلَامِ قَالِهِ؛ فَأَضْمَرَ^١ ذَلِكَ شَاهِ مَالِكِ فِي نَفْسِهِ، وَكَانَ دَاهِيَةً مُكْرًا، وَخَرَجَ بُحْيِ بْنُ تَيْمٍ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مُنْصِيدًا، وَفِي صَحْبَتِهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ مُوَأَسْتِهِ وَمُنَادِمَتِهِ. وَكَانَ شَاهِ مَالِكِ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَظَنَرَ بِهِ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَلَمَّا بَلَغَ تَيْمًا ذَلِكَ، أُنْذِرَ الْخَيْلَ فِي الْغُرِّيِّ؛ فَوَجَدُوهُ قَدْ فَاتَ وَسَارَ إِلَى سَفَاقُسَ وَدَخَلُهَا. فَرَكِبَ صَاحِبُهَا حَمُو بْنُ وَمَلِيلَ، وَتَلَقَّى بُحْيِ بْنُ تَيْمٍ مَعَ الْغُرِّيِّ الَّذِي قَبِضَ عَلَيْهِ؛ فَأَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا، وَكُتِبَ إِلَى السُّلْطَانِ تَيْمِ بْنِ يَسْلَمِيسَ مِنْهُ عِيَالُ الْغُرِّ وَأَوْلَادُهُمْ. فَأَمَرَ تَيْمٌ بِإِنْفَادِهِمُ إِلَيْهِمْ، وَدَعَا بُحْيِي وَأَصْحَابَهُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ.

وفي سنة ٤٨٩، فَنَحَ تَيْمٌ مَدِينَةَ قَائِسَ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا عُمَرَ بْنَ الْمُعِزِّ أَخَاهُ؛ وَفَدَّكَانَ وَلَاءَهُ أَهْلُهَا.

وفي سنة ٤٩١، كَانَتْ بِإِفْرِيقِيَّةٍ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَنَحَ تَيْمٌ جَزِيرَةَ قَرْقَنَةَ^٢ وَمَدِينَةَ تُونِسَ. وَخَرَجَتْ عَدِيٌّ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ أَمَامَ رِيَّاحٍ.

وفي سنة ٤٩٢، فَنَحَ تَيْمٌ سَفَاقُسَ، وَخَرَجَ مِنْهَا حَمُو بْنُ وَمَلِيلَ هَارِبًا إِلَى قَائِسَ؛ فَقَبِلَهُ صَاحِبُهَا مَجْنَنَ بْنَ كَامِلِ الدَّهْمَانِيِّ، وَأَوَاهُ حَتَّى مَاتَ.

وفي سنة ٤٩٨، مَاتَ الْمَنْصُورُ بْنُ النَّاصِرِ بْنِ عَلَنَاسَ، صَاحِبُ بِلَاجَةِ وَالْقَلْعَةِ وَمَا وَالَاهَا، وَوَلَّى ابْنُهُ بَادِيسَ؛ وَأَقَامَ قَلِيلًا، وَمَاتَ. ثُمَّ وَلَّى أَخُوهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ بْنُ الْمَنْصُورِ. وَفِيهَا، وَصَلَ الرُّمَانِيُّونَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ بِأَجْفَانٍ كَثِيرَةٍ حَرِيبَةٍ، تُسَمَّى الشَّوَانِي، وَمَعَهُمْ ثَلَاثَةٌ^٣ وَعِشْرُونَ مَرْكَبًا. وَكَانَ قَصْدُهُمْ أَنْ يَجِدُوا فُرْصَةً

١) فاضر.

٢) فوقية.

٣) ثلاثة.

كما وجدها الروم المتقدم ذكرهم. فقصدا إلى باب دار الصناعة، ليمنعوا
أسطول المهديّة من الخروج إليهم؛ فخاب ظنهم، وخرجت أسطول المهديّة إليهم؛
فهمزموهم وقتلوا * كثيراً منهم.

P. ٢١٢

وفي سنة ٤٩٩، وجّه السلطان تميم أبا الحسن النهريّ إلى جزيرة جربة في
عدّد جمّ وأسطول كثير؛ فوجد أهلها قد أخذوا الأهبة له، واستعدّوا،
واستمدّوا؛ فلم يتمّ له شيء من أمرها.

وفي سنة ٥٠٠، غدرت مدينة باجة، وقتل فيها خلق كثير. وفيها، رحل
المهديّ محمد بن تومرت القائم بدعوة البربر المسلمين بالموحدين من جبل
هرقة بأقصى المغرب إلى المشرق في طلب العلم؛ فجاز إلى الأندلس ووصل
قرطبة، وسار منها إلى المريّة، ومنها دخل في مركب إلى المشرق؛ وغاب في
رحلته خمسة عشر عاماً.

وفي سنة ٥٠١، ظهر في أفق المغرب كوكب عظيم من ذوات الدّوائب،
وأقام ليالي كثيرة. وفيها، مات السلطان تميم بن المعز؛ فكانت مدّة نحو
سبع وأربعين سنة.

بعض أخبار تميم بن المعز

كان - رحمه الله! - شهماً شجاعاً حازماً عازماً، يستصغر صعاب الأمور،
ويستسهل عظام الخطوب، ويغلب عليه شدّة البطش والمبادرة. وهو أحد
فحول شعراء الملوك، وذوى السبق والتقدم في معانيه وبدائعه، حوى فيه الجودة
والكثرة. وله ديوان كثير من شعره مشهور؛ فمن قوله [وافر]:

فَأَمَّا الْمُلْكُ فِي شَرَفٍ وَعِزٍّ عَلَى النَّاجِ فِي أَعْلَى السَّرِيرِ
وَأَمَّا الْمَوْتُ بَيْنَ ظُلُمَا الْعَوَالِي فَلَسْتُ بِخَالِدٍ أَبَدَ الدُّهُورِ

وله في غلام اسمه مُدام، من قصيدة طويلة [متنارب]:

مَدَامُ يَطُوفُ يَكْأَسِ الْمُدَامُ فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا أَشْرَبُ
 فَهَذَا الصَّدِيقُ وَهَذِي الرَّحِيقُ وَهَذَا الْهَيْلَالُ وَذِي الْكَوْكَبُ
 وَهَذَا يَجُودُ بِالْحَاطِظِ لِي وَهَذِي بِالسَّابِنَا تَلْعَبُ
 * وَمَا الْبَدْرُ وَالنَّجْمُ مِنْ ذَا وَذَاكَ وَلَا كُنْهُ مَثَلُ يَضْرَبُ

P. ٢١٢

وكان تميم بن المعزّ جليلاً، وسيّماً، مُدبّر القامة، دُرّي اللون، أشمّ، أبلج. وكان يكثر من است فراغ بدنه، ويرى أن بذلك تنمّ صحته. وكان يستعمل كلّ حارّ من الأغذية والأدوية، ويكثر الاضطلاع بالنار، ويدخل الحمام الحارّ، ويكثر الجماع، ويشرب الأدوية القويّة كالحمّودة وغيرها، ويُجاوز في ذلك المقدار، حتّى جفّ لحمه، وفسدت حرّكاته الطبيعيّة. وأُعيد؛ ثمّ مات في مُنتصف رجب من سنة ٥٠١؛ فكان عمره تسعاً وسبعين سنة؛ وولايته من يوم وفاة أبيه ستّاً وأربعين سنة وعشرة أشهر ونصفاً. وخلف من الأولاد الذكور ما جاوز عددهم المائة. وقيل إنّ كان له من الولد وولّد الولد نحو ثلاثمائة.

دولة يحيى بن تميم بن المعزّ ونسب من أخباره وسيره

مولد بالمهدية سنة ٤٥٧. وولى سنة ٥٠١، وعمره إذ ذاك ثلاث وأربعون سنة. وكان حاذقاً بدير دولته، ساهراً في سياسة رعيته، كثير المطالعة لكتب السّير والأخبار، أديباً، شاعراً، ذا حظّ من اللغة والعربيّة صالح. وكان حسن الوجه، أشهل العينين، أجهر الصوت. وتوفّي ثانی عيد النحر من سنة ٥٠٩ فجأة، مقتولاً في قصره بالمهدية؛ فكانت مدة ملكه ثمان سنين وستّة أشهر. وخلف من الاولاد ثلاثين ولداً ذكوراً. ومما حدث في أيامه من الوقائع ما أذكرها مُلخصاً، مورّخة بأوقاتها.

وفي سنة ٥٠٢، فتح يحيى بن تميم قلعة أقلبية. قال ابن الفطّان: كان لتميم بن المعزّ من الولد ثلاثمائة؛ فنحن يحيى أكبرهم الى المشرق والمغرب

والأندلس. وكانت أيام يحيى هادئةً وادعةً. وكان يطلب * عمل الكيمياء، وجعل ٢١٤ لها داراً تردُّها الطَّلَبَةُ، وأجرى عليهم الإنفاق، ومكَّتهم من الآلات.

وفي سنة ٥٠٢، جرَّد يحيى بن تميم من أسطوله خمسة عشر غُراباً للغزو في بلاد الروم؛ فأصيب منها ستة، وعادت الباقية إلى المهديَّة.

وفي سنة ٥٠٤، كان بالمغرب زَلَزِلٌ عَظِيمٌ، دامت شهر شوال كله. وأمير إفريقية يحيى بن تميم بن المعز.

وفي سنة ٥٠٥، وصل سوار رسول صاحب مصرَ بهديَّة إلى أمير إفريقية يحيى بن تميم؛ فتلَّقا بغاية الإكرام والاهتمام، وأقام عند يحيى حتى صرفه، وأصحبه من الدخائر والألطف ما لا يُحِيطُ به الوصف.

وفي سنة ٥٠٧، وصلت أسطول المهديَّة بسبي كثير من بلاد الروم في ربيع الآخر؛ فسُرَّ بذلك يحيى بن تميم والمسلمون.

وفي سنة ٥٠٨، ولَّى أمير إفريقية يحيى ابنه علياً مدينة سَنَاقُس، وولَّى اخاه عيسى مدينة سوسة. وفيها، هجم الروم على مَيُورَقَة، وهي بيد مبشِّر الفتي مولى ابن مجاهد، ودخلوها عنوة، وقتلوا رجالها، وسبوا ذراريتها ونساءها، وذلك بعد حصار شديد؛ ثم استرجعها علي بن يوسف من أيدي الروم.

وفي سنة ٥٠٩، وصل إلى المهديَّة رجُلان أو ثلاثة، ذكروا أنَّهم من طَلَبَةِ المصامدة، عارفين بصناعة الكيمياء؛ فأُتيح لهما الدخول إلى دار العمل. فلما أحكما ما أرادا، استأذنا على السلطان يحيى بن تميم. فقال لهما: «أوفاني على الطَّرح وحقيقة السرِّ!» فقالا: «على أنَّ لا يحضر إلَّا أنت ووزيرك!» فحضر هو ووزيره وعبدُه أبو خنوس؛ فصنعا البوط وألقيا الرصاص، وأحميا عليه، وجعلوا كأنَّهما يخرجان الأكسير. فأخرجا خناجيرها وقتلا الوزير وأبا خنوس، وأكثرا في السلطان الجراحات. فبقي يُعاني جراحه حتى مات. وقال له حين

جراحه: «أيُّها الكلب! نحنُ أخَوَاكَ فلان وفلان! نفيتنا وبقيت * في ٢١٥ المَلِك!» وثارَت الصيحة إذ ذاك؛ فدخل العيِّد وقتلوا الرجلان للعين.

ومات بجي يوم عيد الأضحى من سنة ٥٠٩. وكان الأمير بجي، مدة مرضه إثر هذه النوبة والغدر، نفى ابنه الفتوح الى قصر زياد، وأظهر اتهامه في القضية. فأقام هناك الى حين وفاة أبيه وولاية. على أخيه. ثم نفاه على أيضاً الى المشرق، فتوفي هناك. وفي هذه السنة، عقد الأمير بجي نكاح العزيز بالله بن المنصور، صاحب قلعة ورجاية، على بنته بدر الدجا، وجعلها اليه.

دولة على بن بجي بن تميم بن المعز بالمهدية وبعض بلاد إفريقية

لما توفي الأمير بجي، اجتمع أهل الدولة على نفاذ كتاب الى على بن لسان أبيه، وكان على يلى سفاقس، فكتبه الكاتب، وكتب علامة بجي وكانت: «الحمد لله وحده!» فوصل الخبر الى على ليلاً، فخرج لوفته، فوصل الى المهدية ثالث عيد النحر، فدفن أباه في القصر، ودخل الناس اليه معزين ومهنئين، وعمره ثلاثون سنة. فاستثبت له الأمر، واستوسق له الملك. وكان كريماً جواداً، يركن الى الراحة واللذات، واتكل على قوم فوض اليهم تدبير دولته. فعاجلته منيته في ربيع الآخر من سنة ٥١٥، فكانت دولته خمس سنين وأربعة أشهر واثني عشر يوماً. وخلف من الولد الذكور أربعة: الحسن، والعزيز، وباديس، وإله (?)(1).

وفي سنة ٥٢٠، أمر بعلمارة الأسطول الى جربة، فحاصروها الى أن أقر أهلها بالطاعة له، ونزلوا على حكمه. وفي سنة ٥١١، أرجف العوام بأنه سيكون في رمضان حادث كبير، وأن السلطان يموت فيه. وفشا القول بذلك، وانتشر. فأكذب الله أحاديثهم. وقال الشعراء في ذلك كثيراً. فمنه [طويل]:

1) Sic dans A. Manoug dans R

* أَشَاعُوا أَبَاطِيلًا وَبَثُّوا زَخَارِفًا دَعَنَهُمْ لَهَا آمَالُهُمْ وَالْبَطَامِيعُ
فَلَوْ بَسْطِيعُ النَّاسِ مِنْ فَرْطِ حَيْبِهِمْ لَضَمَّتْكَ أَحْشَاءُ لَهُمْ وَأَصَالِيعُ

ومنها :

وَأَصْبَحَ قَوْلُ الْبُطِيلِينَ مُكَذَّبًا وَمَدَّ لَكَ الرَّحْمَنُ فِي أَمَدِ الْعُمُرِ
فَإِنَّ الَّذِي حَدَّ الْمُنْجِمُ كَوْنَهُ إِذَا مَرَّ لِلصُّومِ عَشْرٌ مِنَ الشَّهْرِ

وفيهما ، وصل رسولُ صاحبِ مِصرَ بهديَّةٍ الى المهديَّة . وفيها . حاصَرَ عليُّ بنُ يحيى مدينةَ فايس ، ودوَّن بعضُ قبائلِ العَرَبِ . فلما بلغ ذلك رافعاً صاحِبِها ، خرج مُتَطَارِحاً على وجوه الجيُش ، راغباً في الصُّلح ؛ فلم يجِبْهُ عليٌّ الى ذلك ؛ وفي أثناء ذلك ، نزل على المهديَّة بيوته ، ومن ساعده من عشيرته ؛ فخرج من كان بالمهديَّة ؛ فهجموا على بيوته ؛ فتصايَحْنَ نساءُ العَرَبِ ؛ فغارت العَرَبُ لذلك ، ووقعت الحرب بين الفريقين ، والأميرُ على باب زويلة . ثم إنَّ علياً دوَّن على رافع ثلاثةَ أخماسِ العَرَبِ من جيشه ؛ فصعد رافع نحوهم ، والتقى الجمعان . ثم ولَّى رافع قاصداً الى القَيْرَوان . واجتمعت شيوخُ دَهْبان ، واقنسوا البلادَ بينهم ؛ فأعطوا رافعاً مدينةَ القَيْرَوان . ووصلت العَرَبُ المدَّونةُ الى الأميرِ عليِّ بنِ يحيى ؛ فوهبها أموالاً جمةً ، وأمرها بالمسير الى القَيْرَوان . فوقع بينهم وبين رافع قتالٌ شديد ، كان الظهور فيه لحرب عليِّ بنِ يحيى ، في خيرٍ طويلٍ . وفي سنة ٥١٢ ، وصل الى الأميرِ عليِّ بنِ يحيى ، من قِبَلِ صاحبِ صِقْلِيَّة رَجَّار ، رَسُولٌ منه يَلْتَمِسُ تجديدَ العُقود ، وتأكيده العهود ، ويطلب أموالاً كانت له مَوْقِفَةً بالمهديَّة ، وذلك بعُنفٍ وغلظة . فردَّ عليٌّ رَسولَه دونَ جواب ، وجهه بالقول . فتزايدت الوحشة بينه وبين رَجَّار ؛ فأوسع * شراً ، وحاولَ بعد ذلك مَكْرًا . قال ابنُ القَطَّان : وكان في هذه السنة غلامٌ عظيمٌ ، ووبلاء ؛ وبلغ رُبُعُ الدقيقِ بثلثمِائِةٍ عشرين درهماً .

وفي سنة ٥١٣ ، أغزى إبراهيم بن يوسف ، أخو علم بن يوسف بن تاشفين ،

مَلِكِ الْغَرْبِ، قُورِيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ؛ ففَتْحَهَا اللهُ عَلَيْهِ. وَأَمِيرُ إِفْرِيْقِيَّةِ عَلِيٌّ بْنُ يَحْيَى ابْنِ تَيْمٍ.

وفى سنة ٥١٤، كانت وقعةٌ بِالْأَنْدَلُسِ، انهزم فيها المسلمون؛ وهى وقعة قُنْدَةَ، قال ابن الفُطَّان: مات فيها نحو عشرين ألفاً. وفيها، كان حلولُ ابن تُوْمَرْتِ الْمَتَلَقِّبِ بِالْمَهْدِيِّ بِأَغْمَاتٍ، مُحَرِّضاً عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ، وتَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ الْمُنْتَظَمَةِ.

وفى سنة ٥١٥، خرج عَلِيٌّ بْنُ يُوْسُفٍ مِنْ مَرَاكُشَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ؛ فوصلها فى ربيع الأول؛ وأَخْرَجَ ابْنَ رُشْدٍ عَنِ الْقَضَاءِ، وَوَلَّى أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ حَمْدَانَ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرَاكُشَ. وفيها، تُوُفِّيَ أَمِيرُ إِفْرِيْقِيَّةِ عَلِيٌّ بْنُ يَحْيَى بْنُ تَيْمٍ.

دولة الأمير الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعزّ بإفريقية كان أبوه فُوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فى حَيَاتِهِ، وعمره اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر؛ ومولده بمدينة سوسة فى رجب سنة ٥٠٢. فلما مات أبوه، دخل الناس إليه مُهَنِّئِينَ وَمُعْزِّينَ بِالْمُلْكِ وَالْوَفَاةِ؛ وَأَنشَدَتْهُ الشُّعْرَاءُ؛ وَتَكَفَّلَ بِأَمْرِ دَوْلَتِهِ صَنْدَلُ الْحَادِمِ، لَا لِمَعْرِفَةٍ وَلَا سِيَاسَةٍ.

وفى سنة ٥١٦، غزا أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَيْمُونٍ، قَائِدُ عَلِيٍّ بْنِ يُوْسُفٍ، مَلِكِ الْبَرْبَرِ، جَزِيرَةَ صِفْلِيَّةٍ؛ فَافْتَتَحَ بِهَا مَدِينَةَ نِقُوطَرَةَ¹⁾ مِنْ عَمَلِ رُجَّارٍ صَاحِبِ صِفْلِيَّةٍ، وَسَبَى نِسَاءَهَا وَأَطْفَالَهَا، وَقَتَلَ شَبَوخَهَا، وَسَلَبَ جَمِيعَ مَا وَجَدَ فِيهَا. فَلَمْ يَشْكُ صَاحِبُ صِفْلِيَّةٍ أَنَّ الْمُحَرِّكَ لَذَلِكَ؛ وَالْمُسَبِّبَ لَهُ هُوَ أَمِيرُ إِفْرِيْقِيَّةِ * الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، لَمَّا تَقَدَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ مِنَ الْوَحْشَةِ الْعَظِيمَةِ؛ فَاسْتَنْفَرَ أَهْلَ بِلَادِ الرُّومِ قَاطِبَةً؛ فَالْتَنَأَمَ لَهُ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِثْلَهُ كَثْرَةً. فَعَلِمَ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ؛ فَأَمَرَ بِتَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ، وَاتِّخَاذِ الْأَسْلِحَةِ، وَحَشْدِ الْقِبَائِلِ، وَاسْتِقْدَامِ الْعَرَبِ. فَجَاءَتْ الْحَشُودُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ، وَالنَّاسُ مُتَسَاهِبُونَ لَمَّا يَطْرُقُهُمْ مِنْهُمْ.

١) سفوطرة. B. سفوطرة. A.

وفي سنة ٥١٧، في أواخر جُمادى الأولى، وصلت أسطول الإفرنج الى جزيرة الأحاسي، وخرج منهم الى البر خلق كثير، وانسطولوا حتى بعدوا عن البحر أميالاً. وفي اليوم الثاني، جاء الى المهديّة ثلاثة وعشرون شينياً؛ فعابنوا العساكر والحشود؛ ثم انصرفوا الى الجزيرة؛ فوجدوا العرب قد كشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم، ومزقوا مضاربهم؛ فقويت نفوس المسلمين بذلك. وكان رُجار قد أمر أسطوله أن يدخل تلك الجزيرة، وبأخذ قصر الديماس، وأن يسير الخيل والرجل من هناك على تعبئة في البر الى المهديّة؛ فدخلوا القصر لليلتين خلتا من جُمادى الأولى؛ وفي آخر ليلة منه، كبر المسلمون، ودخلوا الجزيرة؛ فانهزم الروم الى أجفانهم، بعدما قتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم. وأخذ المسلمون فيما يحتاجون اليه نحو أربعائة فرس، وآلات كثيرة، وأسلحة. وحاطت العساكر بقصر الديماس، تُقاتله، وأهل الأسطول في البحر يعاينون ذلك، الى أن طلب الروم الأمان من السلطان الحسن بن عليّ بن بجي بن تميم؛ فلم تُساعد العرب على ذلك. وخرجوا في مُنتصف جُمادى الآخرة؛ فأخذتهم السيوف، وقُتلوا عن آخرهم. وكان عددُ الأجفان نحو ثلاثائة، وعددُ الخيل فيها نحو ألف فارس.

أخبر أبو الصلت قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز قال: رايت على باب رُجار بصقليّة رجلاً من الإفرنج، طويل اللحية، يتناول * طرفَ P. ٢١٩ لحيته بيده، ويقسمُ بالإنجيل أنه لا يأخذ منها شعرةً حتى يأخذ ثأره من أهل المهديّة. فسألتُ عنه؛ فقبل لي إنّه، لما انهزم، جذبَ بها حتى آدمأته. الى هنا انتهى كلام أبي الصلت في أخبار المهديّة وأميرها الحسن بن عليّ بن بجي ابن تميم الى سنة ٥١٧. وبقي الحسن بن عليّ مالكاً للمهديّة وبلاد تلك الجهات الى سنة ٥٤٢. ثم خرج باستيلاء صاحب صقليّة عليها.

وفي سنة ٥١٨، استفحل أمر المهديّ والموحّدين بالغرب. وأمير إفريقية الحسن بن عليّ بن بجي. ومات في هذه السنة العزيز بالله، صاحب بجاية، ووُلّي

ابنه يحيى . وكان لبنى الناصر بن عَنَّاس بن حمَّاد بِجَاية والفَلْعَة وتلك البلاد
وَزَرَاه يُعَرَفُونَ بِبَنِي حَمْدُون ، تَوَارَثُوا وَزَارَتَهُمْ ، مِنْهُمْ مَيَّوْنُ بْنُ حَمْدُونٍ عِنْدَ
يَحْيَى هَذَا ؛ فَنَشَأَ لِيَحْيَى وَادُّ وَلَاهُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ وَفَوَّضَ الْأُمُورَ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ ؛ فَجَعَلَ
الْوَلَدُ يَسْتَنْفِصُ الْوَزِيرَ مَيَّوْنًا ، وَيَقْبِضُ أَعْيَالَهُ ، وَيُسَمِّيهِ الشَّيْخَ الْكَذَّابَ . فَخَافَ
مِنْهُ مَيَّوْنٌ عَلَى نَفْسِهِ ، وَخَاطَبَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ .

وفي سنة ٥١٩ ، كان أمير إفريقية الحسن بن عليّ عليّ حاله . وخرج الطاغية
ابن رُدْمِيرٍ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَدَوَّخَهَا بِلْدًا بِلْدًا ، وَضَبَّقَ عَلَيْهَا .

وفي سنة ٥٢٠ ، اجتمعت عساكر المسلمين بِالْأَنْدَلُسِ ؛ فَتَلَقَوْا مَعَ عَدُوِّ اللَّهِ
ابن رُدْمِيرٍ ؛ وَكَانَ قَدْ أَذَاقَ الْمُسْلِمِينَ شَرًّا مُذْ سَنِينَ ؛ فَدَارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
حَرْبٌ عَظِيمَةٌ . كَانَ الظُّفَرُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ أُخْبِرَ النَّاسُ أَنَّ نَيْمًا رَجَعَ فَأَرَا
بِنَفْسِهِ ؛ فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَرَكِبَهُمُ النَّصَارَى بِالْقَتْلِ ، وَاحْتَوُوا عَلَى الْمَحَلَّةِ بِمَا فِيهَا . وَسَارَ
نَيْمٌ إِلَى غَرْنَاطَةَ ، وَانْبَسَطَتْ خِيَلُ النَّصَارَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، يَقْتُلُونَهُمْ . كَيْفَ شَاؤُوا .
وَيَنْفَرِقُ النَّاسُ أَيْدِي سَبَا ، وَلَجُّوا إِلَى الْمَعَاوِلِ ؛ وَكَانَتْ قَرِيبًا * مِنْهُمْ ؛ (١) فَوَقَّاهُمْ
اللَّهُ شَرَّهُمْ (١) .

وفي سنة ٥٢١ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ ٥٢٠ ، نَهَضَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ إِلَى مَرَاكُشَ
لِلْاجْتِمَاعِ بِعَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ فِي الْمَصَالِحِ ؛ وَعَزَلَ نَيْمٌ عَنْ غَرْنَاطَةَ .
وفي سنة ٥٢٢ ، أَشَارَ ابْنُ رُشْدٍ بِنِيبَاءِ سُوْرَ مَرَاكُشَ ؛ فَبَنَاهُ عَلِيُّ بْنُ يَوْسُفَ ،
وَانْفَقَ فِيهِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَفِيهَا ، بَعَثَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ بْنِ الْمَنْصُورِ صَاحِبَ
بِحَايَةِ عَسْكَرٍ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، تَوَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُهَلَّبِ ؛ فَتَمَثَّلَ عَلَيْهَا . ثُمَّ انْصَرَفَ
نَاكِصًا عَلَى عَقْبِهِ . وَفِيهَا ، وَصَلَ مُطَرِّفُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَزْرُونِ الزَّمَانِيُّ إِلَى تُونِسَ ،
وَإِخْرَجَ مِنْهَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ خُرَّاسَانَ ؛ وَقَتَلَ إِلَى
الْحِجَازِ ، وَبِهَا مَاتَ عَلَى مَا يَأْتِي . وَوَلَّى تُونِسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كِرَامَةُ بْنُ الْمَنْصُورِ
الصَّنْهَاجِيُّ مِنْ قَبِيلِ صَاحِبِ بِجَايَةِ .

وفي سنة ٥٢٢، كان الأمير بإفريقية حسن بن علي، على ما كان عليه في السنة قبلها؛ وصاحبُ بجاية يحيى بن العزيز بالله، ووزيرُه ميمُون بن حمدُون. وفي سنة ٥٢٤، قُتل أميرُ مِصْرَ المُلقَّب بالأمير؛ وكان جباراً عنيداً؛ قتله الغلام الذي اسمه حِرْزُ المُلُوك؛ وكان استنداً بالوزارة له. وكانت الأمْرُ ولى عَهْدَه عبد المجيد.

وفي سنة ٥٢٧؛ قال الورّاق في «مِقْبَاس»ه: بعث الله قوماً تحالفوا على قتل الجبار العنيد بِمِصْرَ الملقَّب بالأمير. قيل إنهم قصدوا اليه من بلاد الشام، احتساباً؛ وكانوا عشرة أناس؛ فأقاموا بِمِصْرَ، وعلموا بيوم ركوبه؛ وكان، إذا ركب، سُدَّتِ الجوانيت والديار في مَمَرِه، ولا يثر في طريقه أحدٌ سواه، ويجعل نِصْفَ عسكره أمامه، ونِصْفَه ورائه، وفي وسط تلك المسافتين التي أمامه وخلفه فارسان، بينهما وبينه ما بينهما وبين العسكر، وحوله أربعة من عِيَدِه. فقصد هؤلاء القوم الى طريقه، وفيه فُرْنٌ^١؛ فقصدوا الى الفُرْنِ، ومعهم دقيق، وقالوا له: «نريد منك أن تخبز لنا هذا الدقيق؛ فإننا قومٌ غُرَبَاءُ مسافِرون». فاعتذر لهم بالسلطان؛ فرغبوه؛ وشرط عليهم العجلة؛ ثم أشغلوه بالحديث الى أن مرَّ عليه مقدَّمُ العسكر الأول؛ فأعنف عليهم في الخروج. فلما رأوا ذلك، أدخلوه داخلَ الفُرْنِ وسدُّوا فمه بغطائه، وغلقوا بابَ الفُرْنِ عليهم، الى أن سمعوا حوافِرَ فرسه. فأولُّ من خرج من الفُرْنِ كهلٌ منهم؛ فجعل يسجد الى الأرض، وينادى: «أنا بالله وبعدل مولانا!» ويسجد مرّة بعد أخرى، الى أن ألقى بيده في شكائهم الفرس، وأخرج سيكِّيناً، وضرب بها بطن الفرس؛ فسقط الى الأرض، وخرج أصحابه من الفُرْنِ مُبادرين؛ فضربوه بسكاكينهم الى أن فرغوا من قتله. وقتلوا في الحين أجمعين. وأراح الله من الفاجر الطاغى.. وهو الذي أكثر في زمانه دَعْوَى الباطل ونصر الظالم^٢، وعمل

١) فرّان.

جَهَنَّمَ يَعَذِّبُ فِيهَا النَّاسَ، وَأَبَاحَ الْمَحْظُورَاتِ جَهَاراً فِي التَّرَاهَاتِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قَبَائِحِهِمْ - لَعَنَهُمُ اللَّهُ، أَعْنَى الشَّيْعَةِ الْعَبْدِيَّةِ.

وَفِي سَنَةِ ٥٢٨، كَانَ وُلَاةُ إِفْرِيقِيَّةٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ قَبْلُهَا.
وَفِي سَنَةِ ٥٢٩، صَرَخَ الْمُوَحِّدُونَ بِمَوْتِ الْمَهْدِيِّ، وَسَمَّوْا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَفِيهَا، وَلِيَ قَضَاءَ فَاسَ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبِشَةَ، فَأَرَادَ الْخَمْرَ، وَكَسَرَ الدِّنَارَ، وَشَدَّدَ عَلَى أَهْلِهَا، وَزَادَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ؛ فَكَانَ الْبَنَاءُ فِيهِ فِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَفِي سَنَةِ ٥٣٠، نَزَلَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ، بِعَسْكَرٍ مِنْ قَبْلِ صَاحِبِ بَحَايَةِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَمَالٍ بِرِسْمِ الْعَرَبِ. فَتَزَلَّ بِظَاهِرِ زَوِيلَةَ، وَنَاشَبَ الْقِتَالَ بَرّاً وَبَحْراً؛ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الْمَهْدِيَّةِ أُسْطُولَهُ. فَأَغْدَوْا مِنْ أُسْطُولِ بَحَايَةِ غُرَابَيْنِ، وَأَمَرَ بِسَجْنِ فَائِدَها؛ فَأَمَّا الْوَلَدُ، فَمَاتَ مِنْ سَهْمٍ أَصَابَهُ. ثُمَّ وَصَلَتِ الْعَرَبُ لِنَصْرَةِ الْمَهْدِيَّةِ؛ فَرَحَلَ عَسْكَرُ بَحَايَةِ عَنِ الْمَهْدِيَّةِ بَعْدَ إِقَامَتِهِ سَبْعِينَ يَوْمًا. وَأَمَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَائِدَهُ بِقَتْلِ الْفَائِدَيْنِ؛ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوُجِدَ الْآخَرُ قَدْ مَاتَ مِنْ سَهْمٍ كَانَ أَصَابَهُ. * وَفِيهَا، جَهَّزَ رُجَّارُ صَاحِبِ صِفِيلِيَّةٍ أُسْطُولًا؛ فَقَصَدُوا جَزِيرَةَ جَرَبَةَ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، وَسَبَّوْا أَهْلَهَا. P. ٢٢٢

وَفِي سَنَةِ ٥٣٢، كَانَ مَوْتُ عَبْدِ الْمَجِيدِ صَاحِبِ مِصْرَ. وَكَانَ لِلشَّيْعَةِ فِي تَوَلِيَةِ خَلِيفَةِ عَلَيْهِمْ خَيْرٌ طَرِيفٌ، يُذَكَّرُ فِي مَوْضِعِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٥٣٦، تَوَفَّى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازَرِيُّ، وَأَبُو الصَّلْتِ. وَفِيهَا أَخَذَ صَاحِبُ الْمَهْدِيَّةِ الْمَرْكَبَ الَّذِي أَنشَأَهُ صَاحِبُ بَحَايَةِ، وَبَعَثَهُ بِهَدِيَّةٍ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَرْكَبٌ لِلْحَسَنِ صَاحِبِ الْمَهْدِيَّةِ، عَقَّلَهُ عَنِ السَّفَرِ صَاحِبُ الدِّيَّوَانِ لِأَنَّهُ سَعَى فِي الشَّتَاتِ بَيْنَ الْحَسَنِ وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ، وَقَصَدَ الْمَوَاصِلَةَ بَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ وَصَاحِبِ بَحَايَةِ؛ فَأَقْلَعَتِ الْمَرَاقِبُ، وَفِي هُوَ مَحْبُوسًا. وَأَقْلَعَ فِي جَمَلَتِهَا الْمَرْكَبُ الْبِجَاءِيُّ بِيضَائِعَ عَظِيمَةٍ لَهَا شَانٌ، وَأَثْمَانٌ لِلتَّجَارِ، وَهَدِيَّةٌ إِلَى صَاحِبِ بَحَايَةِ. فَعَمِلَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ، فَأَخَذَهُ، وَأَمَرَ

بنفريغه. وبقي المركب فارغاً حتى جات صدمة أكتوبر؛ فانكسر. وفي هذه السنة، خرج جُرْجى من صِفْلِيَّة في خمسة وعشرين غُرَاباً، وضرب على مرسى المهديَّة؛ فأخذ جميع ما كان فيه من المراكب، وفيه مركبٌ جديدٌ أنشأه الحسن من خشب المركب الذي انكسر لصاحب مِصْرَ.

وفي سنة ٥٢٧، خرج أسطول صاحب صِفْلِيَّة؛ فضرب على مدينة إطرَابُلُس؛ فحجبه الله.

وفي سنة ٥٢٨، دَخَلَ مدينة سَنَاقُس، ودخلت في عمل رُجَار صاحب صِفْلِيَّة.

وفي سنة ٥٤٢، كان تغلب الروم على مدينة المهديَّة؛ وخرج منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن البعز بن باديس بن المنصور بن بُلُجَيْن ابن زيرى بن مَسَاد بن مَنقُوش الصنْهَاحِي بِجَمَلَتِه وحاشيته. وتبعه أهل البلد فَارِينَ بأهلهم. وكان قائد رُجَار صاحب صِفْلِيَّة جُرْجى بن مِخَايِل الْأَنْطَاكِي؛ وكان أبوه عَلْجاً من عُلُوج * أَبِيهِ تَمِيم. فكان هذا اللعين عارفاً بعورات المسلمين بالمهديَّة وغيرها؛ فلم يزل رُجَار وفائده جُرْجى يَحِلَّان على المهديَّة بِحِيلِهِمَا، إلى أن استولوا عليها في هذه السنة. وتُعرف هذه الكائنة الشنعاء بكائنة يوم الاثنين. وَبَقِيَتْ بِأَيْدِي الرُّوم حتى افتتحها المُوَحِّدُونَ، على ما أذكر في دولتهم. ولما استولى صاحب صِفْلِيَّة على هذه المدينة، كانت بِإِفْرِيقِيَّة مَجَاعَةٌ عَظِيمَةٌ؛ فَخَافَ أَهْلُ تُونُس من أهل هذه السواحل من النصارى. وكان صاحب صِفْلِيَّة افتتح سَنَاقُس، ودخل بُونَةَ، وسبى أهلها؛ فأخذ أهل تُونُس في الاستعداد والأهبة والوقوف بجماعاتهم وقتاً بعد وقت عند باب البحر، بِحَضْرِ واليهم مَعَدَّ بن المنصور، وهو في الديوان الذي على الباب؛ فخرجوا يوماً من أَيَّام عَرَضِهِمْ؛ فوجدوا قارباً يوسق زرعاً؛ فأبكرت العامة خروج الزرع من بلدهم في تلك الشدة إلى موضع تحت مملكة الروم، واجتمعوا على منعه؛ وَضَجَّت العامة، وارتفع صياحهم؛ فتنعَّض لهم، حالاً مَعَدَّ بن المنصور، فوضعوا السلا-

فيهم وفي عبيد معدّ واليه، وقتلوه قتلّة شنيعة، وأطلقوا النار تحت بُرج الديوان؛ فنزل معدّ عنه، واستسلم للعمامة؛ فوقفوا عنه؛ فكانوا يأخذون رجاله وعبيده من تحت ركابه، ويقتلونهم. وبقي معدّ بعد ذلك بتونس على حال قهر من العمامة؛ وكتب الى بحاية؛ فجاءه غرابٌ منها؛ فطلع فيه مع بنيه، وسار الى بحاية. ورجع النظر في تونس لقائده من قواد صنهاجة مدّة يسيرة؛ ثمّ انصرف، وبقي البلد في حكم العمامة؛ فكانت الفتنة المشهورة فيهم، والقتال بين أهل باب السُّوَيْفَةِ وأهل باب الجزيرة؛ ومُدِيرُهُم في تلك المدّة قاضيه أبو محمد عبد المنعم بن الإمام أبي الحسن - رحمه الله! - ولما اشتدّ خوفُ أهل تونس من صاحب صِفْلِيَّة ومبأ سمعوه * من غضب صاحب بحاية واستعدادِه لهم، أخذوا في تمليك محمد بن زياد العَرَبِيّ بإرادة قاضيه. فلما عزموا على ذلك، ووصل ابن زياد الى تونس، وخرج القاضي والاشياخ الى لقائه، صاح رجلٌ من العمامة: «لا طاعة لعَرَبِيٍّ ولا غُرَبِيٍّ!» وقامت الفتنة. فرجع ابن زياد الى القلعة؛ وأراد القاضي الرجوع الى المدينة؛ فمَنَعَتِ العمامة وأخرجته؛ فسار مع ابن زياد الى القلعة، وأقام بها مدّة طويلة، الى أن مات - رحمه الله! - فيقال إنّه كان راقداً في الصيف في طاقِ علوّ؛ فوقع منها ومات؛ ويُقال إنّه رُمِيَ منها. ثمّ إنَّ العمامة وجهوا الى أبي بكر بن إسماعيل بن عبد الحق بن خُراسان؛ فوصل الى تونس بالليل¹⁾؛ فَرُفِعَ في قَفَّةٍ من السُّور ووُلِّيَ تونس؛ فأقام عليها نحو سبعة أشهر؛ ثمّ غدر به عبد الله ابن أخيه عبد العزيز، على ما يأتي. وإذا قد وقع ذِكْرُ بني خُراسان، فأذْكَرُ ولايتهم تونس على النسق، ومن وليها من غيرهم، الى دخول الموحّدين إليها، بحول الله تعالى.

1) Reprise du ms. B.

ذكر وليّ تُونِس من الأمراء من بعد زوال مُلْك المُعِزّ بن باديس منها

لما انتقل المُعِزُّ من القَيْرَوَانِ والمنصوريّة الى مدينة المهدية، وأسلمها الى العرب، واختلَّ مُلكه بفتنة العرب الواصلين من المشرق، كما تقدّم، واستحوذوا على كثير من حواضر إفريقية، وكان منهم في حصار تُونِس وما يليها من البلدان ما كان، مثل بآجة والأرُس وما يليها، وكان بنو حمّاد قد طمعوا في مُلْك إفريقية، وصارت عمالة القَيْرَوَانِ في أيديهم مُدّة بمداخلتهم العرب وإحسانهم اليهم، وانقطع مُلْك المُعِزِّ عن تُونِس وغيرها، وضعفت دولتهم بالمهدية عن حمايتها، فمضى أشياخ من أهلها الى الناصر بن علّاس، وهو إذ ذاك في القلعة

* دار مُلكهم، وناظمية سلكهم، فاستدعوا منه النظر الى مدينتهم وتقديم والٍ من رقبته عليهم؛ فأمرهم ان يختاروا شيخاً منهم، يقوم بأمرهم خلال ما ينظر اليهم. فيقال إنهم راموا تقديم كبير منهم؛ فاستعفى وتوقّف. فوليها من قبل الناصر عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خراسان؛ فأقام بها والياً الى أن مات سنة ٤٨٨؛ ثم وليها بعده ولده عبد العزيز بن عبد الحقّ؛ فأقام بها الى أن مات في سنة ٥٠٠؛ ثم وليها ولده أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحقّ؛ فبقى والياً عليها اثنين وعشرين سنة، حتى أخرجه عنها مطرّف بن عليّ بن حمّادون الى بجاية؛ وكان قد بنى قصراً بتونس، سُمّيَ قصر بني خراسان؛ وطالت مدّته كما ذكرنا؛ فاشتدّت وطأته، وخرج عن سيرة الأشياخ الى آثار جبابرة الملوك، وقتل عمّه إسماعيل بن عبد الحقّ، وكان أحقّ منه بالأمر. وفرّ ولد أبو بكر بن إسماعيل الى بتّرت؛ فأقام بها خوفاً منه؛ وأخرج جماعة من أهل تُونِس وأشياخها، ونفاهم الى المهدية وغيرها؛ واستند برأيه في أمور تُونِس، الى أن وصلت أخباره الى المنصور صاحب بجاية؛ فجهّز اليه عسكرياً قدّم عليه مطرّف بن عليّ بن حمّادون؛ فوصل الى تُونِس عام ٥٢٢، ففرج أحمد اليه، واسلم في يديه؛ فنقله الى بجاية،

وولّى تُونِسَ كَرَامَةَ بن المنصور، من بنى حَمَاد، الى أَن مات في سنة كَذَا وخمسائة. ثمّ وليها بعد أخوه أَبُو الفُتُوح بن المنصور، الى أَن مات؛ ثمّ وليها بعد مُحَمَّد بن أَبِي الفُتُوح؛ فلم تُستحسن سيرته؛ فأُخرج عنها؛ ووليها مَعْد بن المنصور، وكان آخِرهم؛ فأقام عليها الى سنة ٥٤٢، حين استيلاء الرُّوم على المهدية؛ فخاف أَهْلُ تُونِسَ منهم، وثاروا على أميرهم مَعْد، كما تقدّم؛ وثارَت العامة بها، وكانت الفتنه المشهورة فيها. ثمّ إنهم وجَّهوا الى بَنْزَرَت، وقَدَّموا P. ٢٢٦ * أبا بكر بن إِسْمَاعِيل بن عبد الحق؛ ثمّ غدره عبد الله ابن أخيه عبد العزيز بعد إقامته في ولايته سبعة أشهر، وأُخرجَه في قارب في البحر؛ فرماه البحر ميتاً عند قلعة ابن غُبُوش. فيقال: غَرِقَ؛ ويقال: غُرِقَ. فوليها عبد الله المذكور نحو عشر سنين، وهو الذي قتل القاضي أبا النُّضَل جَعْفَر بن حَلَوَان، وقتل معه ولد وأخته ابن البَّاد، لِمَا خَشِيَ أَنْ يجمعوا عليه العرب. وفي أيامه، وجه عبد المؤمن عَبْدَ الله بن سليمان في فِطَاح من أُسْطُول سَبْتَة، وأمره بالكشف عن تُونِسَ وقوتها والمجاورين لها من الأعراب؛ وبعد ذلك بعام، وصل السَّيِّد أبو مُحَمَّد عبد الله بن عبد المؤمن الى تُونِسَ، ونازلها وحاصرها عبد الله بن خُرَّاسَان فيها مدّة؛ ثمّ أفلح عنها الى بَجَاية، وذلك في سنة ٥٥٢. وفي سنة ٥٥١، في شَوَّال، كان القيام على النصارى بالمهدية وحصارهم فيها. وفي سنة ٥٥٢، استولت الرُّوم على زَوَيْلَة.

وفي سنة ٥٥٤، دخل عبد المؤمن إفريقية المرّة الثانية، ونازل تُونِسَ؛ ثمّ أفلح عنها وحاصر النصارى بالمهدية.

وفي سنة ٥٥٥، دخل أبو مُحَمَّد عبد المؤمن مدينة المهدية صُلْحاً؛ واستولى الموحِّدون عليها في العاشر من شهر محرم.

وفي سنة ٥٥٨، كانت كائنة يوم السَّيِّت بنزول الرُّوم على المهدية؛ وأخذوا مدينة سوسة؛ ثمّ خرجوا عنها.

وفي سنة ٥٧٢، كانت كائنة يوم الجمعة بنزول النصارى على المهدية

ثم غدرها ابن عبد الكريم في ربيع الآخر منها، ودخلها يحيى بن غانية الميوقى في شعبان من سنة ٥٧٨؛ فلم يزل بها هو وأصحابه لمتونة ومسوفة، يغيرون منها على إفريقية، حتى غلبوا بعض بلادها، الى أن دخلها أبو عبد الله الناصر مع الموحدين، في جمادى الأولى من عام ٦٠٢.

* ذكر الأمراء والولاة بإفريقية لخلفاء بني أمية

P. ٢٢٧

عقبة بن نافع. ثم أبو المهاجر. ثم عقبة ثانية. ثم زهير بن قيس. ثم حسان بن النعمان الغساني. ثم موسى بن نصير. ثم محمد بن يزيد. ثم إسماعيل ابن عبد الله. ثم يزيد بن أبي مسلم النقي. ثم محمد بن أوس الأنصاري. ثم بشر بن صفوان. ثم عبيدة بن عبد الرحمن السلمي. ثم عبد الله الحبّاب. ثم كلثوم بن عياض. ثم حنظلة بن صفوان. ثم عبد الرحمن بن حبيب القرشي. ثم الياس بن حبيب. ثم حبيب بن عبد الرحمن. فهؤلاء الثمانية عشر هم الولاة عليها من بني أمية - رحمهم الله!

ووليها للصفرية:

عاصم الوزنجومي، وعبد الملك بن أبي الجعد. وكانت مدتهم سنة واحدة وشهرين.

ووليها للإباضية:

أبو الحظاب عبد الأعلى بن السمح، مولى المعافر؛ وكانت مدته سنتين اثنتين.

ووليها لبني العباس:

محمد بن الأشعث الخزاعي. ثم عيسى بن يوسف القيسي. ثم الأغلب بن سالم التميمي. ثم الحسن بن حرب الكندي. ثم الأغلب. ثم سالم ثانية. ثم عمر ابن حفص المهلب. ثم يزيد بن حاتم السلمي. ثم داود بن يزيد. ثم روح

ابن حاتم. ثم الفضل بن روح بن حاتم. ثم هُرَيْثُ بن أَغْيَن. ثم مُحَمَّد
ابن مُقَاتِلِ الْعَكِّي. ثم تَمَّام بن تَيْمِ التَّيْسِي. ثم مُحَمَّد بن مُقَاتِلِ ثَانِيَّة.

* وَوَلِيَّهَا مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ:

P. ٢٢٨

إِبْرَاهِيم بن الْأَغْلَب. وعبد الله بن إِبْرَاهِيم بن الْأَغْلَب. وَالْأَغْلَب بن
إِبْرَاهِيم بن الْأَغْلَب. وَمُحَمَّد بن الْأَغْلَب بن إِبْرَاهِيم. وَأَحْمَد بن مُحَمَّد بن الْأَغْلَب
ابن إِبْرَاهِيم. وَزِيَادَةُ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن الْأَغْلَب بن إِبْرَاهِيم. وَمُحَمَّد بن مُحَمَّد بن
الْأَغْلَب بن إِبْرَاهِيم. وَإِبْرَاهِيم بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الْأَغْلَب بن إِبْرَاهِيم.
وعبد الله بن إِبْرَاهِيم بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الْأَغْلَب. وَزِيَادَةُ اللَّهِ بن عبد
الله بن إِبْرَاهِيم بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الْأَغْلَب بن إِبْرَاهِيم بن الْأَغْلَب، وهو
آخِرُ بَنِي الْأَغْلَب بِإِفْرِيْقِيَّة. وَكَانَ انْقِرَاضُ دَوْلَتِهِمْ سَنَةَ ٢٩٦.

وَمِنْ الشَّيْعَةِ الْعَبِيدِيَّةِ:

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّاعِي. ثُمَّ عُمَيْدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ؛ وَإِلَيْهِ تَنَسَّبَ الْعَبِيدِيَّةُ بِمِصْرَ.
ثُمَّ ابْنُهُ الْقَاسِمُ بن عَبْدِ اللَّهِ. ثُمَّ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ بن أَبِي الْقَاسِمِ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ
مِصْرَ، وَرَحَلَ إِلَيْهَا فِي آخِرِ أَيَّامِهِ.

وَمِنْ صُنْهَاجَةِ الْقَائِمِينَ بِدَعْوَةِ الْعَبِيدِيَّةِ وَمِنْ وَلَايَتِهِمْ:

بُلُجَيْنُ بن زَيْرِي. الْمَنْصُورُ بن بُلُجَيْنِ. بَادِيسُ بن الْمَنْصُورِ. الْمُعِزُّ بن
بَادِيسَ. تَيْمِ بن الْمُعِزِّ. بِجِي بن تَيْمِ. عَلِيُّ بن بِجِي. الْحَسَنُ بن عَلِيٍّ؛ وَعَلَيْهِ
دَخَلَهَا الرُّومُ.

تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ،

وَإِنَّكَ أَلَمَّا تَرَى الْإِلَهَ،

Le *manuscrit G. S. Colin* (représenté par le sigle B) ¹⁾ est, lui aussi, de facture maghribine. Il ne porte pas d'indication de date de copie, mais il semble avoir été transcrit à une date bien plus récente que le manuscrit de Leyde. Il comprend deux volumes, le premier correspondant aux deux tomes publiés par Dozy, le second, l'histoire détaillée des Almohades, de l'examen de laquelle il ressort que le texte arabe connu des historiens de l'Occident musulman sous le titre d'*Anonyme de Copenhague*, et publié naguère par A. HUICI à Valence n'en constitue qu'une version abrégée. Ce dernier tome du manuscrit correspond évidemment à la troisième et dernière partie du *Bayān*. Le second tome, qui fait défaut, devait contenir, outre la partie que j'ai publiée en 1930, la relation de la dynastie almoravide au Maroc et en Espagne, dont des fragments, appartenant à un exemplaire mutilé de la bibliothèque de la grande-mosquée d'al-Karawiyīn à Fès, seront, dans un avenir prochain, publiés par mes soins dans un volume de *Documents inédits d'histoire almoravide*.

En dehors des nombreuses leçons qu'il a fournies pour l'établissement du texte du *Bayān*, le manuscrit B a permis la publication intégrale de l'introduction qu'Ibn ʿIdhārī a placée en tête de sa vaste chronique. Cette introduction a le mérite d'apporter au lecteur, outre le détail du plan adopté par le compilateur, une liste des sources qu'il a utilisées aussi bien pour l'histoire nord-africaine que pour l'histoire hispano-musulmane. Elle révèle également l'existence d'une compilation historique parallèle, établie pour l'Orient arabe jusqu'à son époque par Ibn ʿIdhārī, sous le titre d'*al-Bayān al-mushrik*, mais dont on ignore si elle a été menée à bonne fin par l'écrivain, car on n'en retrouve aucune trace dans les bibliothèques, aucune mention non plus dans les chroniques postérieures.

Paris, 10 juillet 1948.

E. LÉVI-PROVENÇAL

1) Le sigle G. désigne dans les notes le manuscrit de Gotha de la *Chronique* de ʿArīb.

J'ai exposé, il y a une dizaine d'années, les conditions dans lesquelles il me fut donné de retrouver dans une bibliothèque particulière du Maroc et de publier, en 1930, un fragment relativement étendu du *Bayan* d'Ibn 'Idhārī, qui constituait la suite normale du tome second de l'édition de Dozy, soit une relation de l'histoire de l'Espagne musulmane s'étendant des années 393 à 460 de l'hégire. J'ai également expliqué comment, par la suite, j'ai eu la chance de découvrir un second manuscrit partiel du même fragment. Je ne veux point reprendre ici le détail de ce mémoire, qui a paru dans les *Mélanges Gaudery-Demombynes* (le Caire, Institut français d'Archéologie orientale, MCMXXXV-MCMXLV, pp. 241-258), sous le titre „*Observations* sur le texte du tome III du *Bayān* d'Ibn 'Idārī" et auquel je me borne à renvoyer le lecteur.

Dans ces *Observations*, j'avais indiqué comment j'avais été fortuitement mis sur la trace de l'existence, chez un libraire de Casablanca, d'une copie moderne du *Bayān*, contenant vraisemblablement les deux tiers de l'oeuvre complète, qui, on le sait, fut compilée en 706 (1306) et embrassait toute l'histoire de l'Occident musulman jusqu'à la fin de la dynastie des Almohades. J'avais également fait allusion à l'insuccès de mes démarches pour en obtenir communication à cette époque: heureusement, ce même manuscrit est devenu, depuis un certain temps, la propriété de mon ami et collègue Georges S. Colin. Et c'est d'un commun accord, que nous avons envisagé, l'un et l'autre, la réédition de la partie du *Bayān* publiée par Dozy d'après le manuscrit de Leyde, en conservant le texte établi par le savant hollandais comme texte de base, mais en comblant ses lacunes et en le corrigeant, chaque fois qu'il était nécessaire, au moyen des leçons meilleures fournies par le nouveau manuscrit.

Le *manuscrit de Leyde* a été décrit par Dozy, aux pp. 77-78 de son *Introduction*. C'est une copie maghribine du XVIème siècle, achetée par Golius au cours du séjour que celui-ci fit au Maroc entre 1622 et 1624. Le commencement et la fin y manquent, mais la lacune initiale, comme la lacune finale, n'est, on peut le préciser désormais, que de deux feuillets. Le titre figure à la fin du premier tome, au milieu du manuscrit. Dozy put aisément identifier son auteur, Ibn 'Idhārī, à l'aide des citations littérales du *Bayān* qui figurent dans l'*Ihāta* d'Ibn al-Khatīb. Nous avons, dans l'appareil critique de la présente édition, adopté le sigle A pour représenter le manuscrit de Leyde, et jugé utile, pour la commodité du lecteur, de faire figurer, en marge la pagination de la première édition.

AVERTISSEMENT

En 1848 — il y a exactement un siècle — l'imprimerie E. J. Brill entreprenait la composition du premier volume du texte arabe du *Kitāb al-Bayān al-muḡhrīb* d'Ibn 'Idhārī al-Marrākushī, que Reinhart Dozy venait de préparer pour l'impression, d'après l'*unicum* manuscrit conservé à la Bibliothèque de Leyde (n° 67), en y incorporant des fragments étendus de la „Chronique” de 'Arīb ibn Sa'd (manuscrit de Gotha n° 261). Les deux volumes du *Bayān*, le premier relatif à l'histoire de l'Afrique du Nord et plus particulièrement de l'Ifrikiya, le second à celle de l'Espagne musulmane depuis la conquête arabe jusqu'à la fin de la carrière d'al-Manṣūr Ibn Abī 'Āmir, parurent en 1851, sous le titre suivant: „Histoire de l'Afrique et de l'Espagne, intitulée al-Bayano'l-mogrib, par Ibn Adhārī (de Maroc), et fragments de la Chronique d'Arīb (de Cordoue)”. Le premier des deux volumes de l'édition était précédé d'une importante introduction en français, comprenant plus de cent pages. En 1883, R. Dozy publia, toujours chez E. J. Brill, un petit volume de *Corrections* à divers textes publiés par lui, et principalement à celui du *Bayān*, mais sans pouvoir s'appuyer, concernant ce dernier ouvrage, sur la découverte et la consultation de nouveaux manuscrits. Une traduction en français du texte de l'édition de Leyde, établie par les soins de l'arabisant E. FAGNAN, parut à Alger en 1901-1904. Trop souvent erronée, elle est à refaire, ou tout au moins à amender soigneusement (voir notamment la longue liste de corrections proposées par P. SCHWARZ, dans les *Mitteilungen des Seminars für Orientalische Sprachen zu Berlin*, t. X (1907), 2 Abt. (Westasiat. Stud.), pp. 242-281). Bien auparavant, en 1860, l'érudit espagnol FERNÁNDEZ GONZÁLEZ avait publié à Grenade une version en castillan de la partie relative à l'histoire de la Péninsule ibérique.

Bien entendu, les deux volumes de l'édition de R. Dozy sont depuis longtemps épuisés et difficilement accessibles. L'importance du texte aurait pu justifier de notre part une réédition pure et simple, si nous n'avions acquis, depuis quelques années, la certitude de l'existence d'un nouveau manuscrit du *Bayān* et attendu que les circonstances nous permettent de l'utiliser.

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB

AL-BAYĀN AL-MUGHĒRIB

PAR

IBN 'IDHĀRĪ AL-MARRĀKUSHĪ

ET

FRAGMENTS DE LA CHRONIQUE DE 'ARIB

NOUVELLE ÉDITION PUBLIÉE

D'APRÈS L'ÉDITION DE 1848—1851 DE

R. DOZY

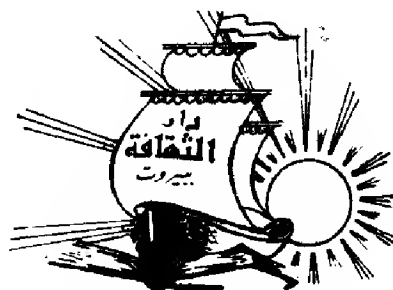
ET DE NOUVEAUX MANUSCRITS

TOME PREMIER

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
DE LA CONQUÊTE AU XI^E SIÈCLE

PAR

G. S. COLIN & É. LÉVI-PROVENÇAL



DAR ASSAKAFA

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB AL-BAYAN AL-MUGHRIB